

الأنوار الساطعة
في
شرح الزيارة الجامعة
تأليف
الشيخ جواد بن عباس الكربلائي
مراجعة
محسن الأسدي
الجزء الرابع
منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب: ٧١٢٠

الأنوار الساطعة

في

شرح الزيارة الجامعة

٤

الأنوار الساطعة

في

شرح الزيارة الجامعة

تأليف

الشيخ جواد بن عباس الكربلائي

مراجعة

محسن الأسدي

الجزء الرابع

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص. ب: ٧١٢٠

الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧م



مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

Published by Alaalami Library
Beirut- Lebanon po. Box 7120
Tel - Fax: 450427
E-mail: alaalami@yahoo.com.



بيروت ـ شارع المطار ـ قرب كلية الهندسة
مفرق سنتر زعرور- ص ب : ١١/٧١٢٠
هاتف: ٤٥٠٤٢٦- فاكس: ٠١/٤٥٠٤٢٧



الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله علىٰ محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم علىٰ أعدائهم أجمعين.

وبعد، هذا هو الجزء الرابع من أجزاء كتابنا «الأنوار السّاطعة في شرح الزيارة الجامعة» ويشرع إن شاء الله من قوله عليه السلام: «وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر».

كتبته لمن يروم أن يحلّ مشكلاتها ويفهم مغزاها عن طرق أهل البيت (عليهم صلوات الله المنّان).

قوله عليه السلام: وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر.

هذا إشارة الىٰ قوله تعالىٰ: **﴿كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾**[1].

في تفسير نور الثقلين[2] عن تفسير العياشي، عن أبي عمر الزبيري، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله: **﴿كنتم خير أُمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾** قال: «يعني الأمة التي وجبت لها دعوة إبراهيم عليه السلام فهم الأمة التي بعث الله فيها ومنها وإليها، وهم الأمة الوسطىٰ، وهم خير أمة أُخرجت للناس».

وفيه، عنه، عن ابن سنان، عن أبي عبدالله، قال: قرأت علىٰ أبي عبدالله عليه السلام **﴿كنتم خير أُمة﴾**، فقال أبو عبدالله عليه السلام: «خير أُمة تقتلون أمير المؤمنين والحسن والحسين ابني علي عليه السلام فقال القاري: جعلت فداك كيف نزلت؟ فقال: كنتم خير أئمة أُخرجت للناس، ألا ترىٰ مدح الله لهم: **﴿تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾**».

---

١ ـ آل عمران : ١١٠.

٢ ـ تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٣١٧.

وكيف كان فالأمر بالشيء هو الدعاء اليه، والحث علىٰ إتيانه وفعله، والمراد بالمعروف هنا (والله العالم) هو: المطلوب الشرعي مطلقاً، فيعم الواجب والمستحب، وما يتعلق بالعقائد من أُصول الدين وما هو مطلوب من الصفات الحميدة والأفعال الحسنة، وأيضاً تشمل المعارف الإلهية، التي بسببها يترقى الإنسان إلى الكمالات المعنوية، كما أن المراد من المنكر الذي نهوا عنه هو: كل ما هو مذموم ومرغوب عنه شرعاً من العقائد الباطلة كالشرك بالله تعالىٰ، وإنكار رسله وكتبه، والعقائد الباطلة والصفات الرذيلة، والأفعال القبيحة، التي بينها الشارع، وهذا لا إشكال فيه، كما لا يخفىٰ، إلّا أنه ينبغي الإشارة إلىٰ أمر وهو: أن هذه الدعوة إلى المعروف، والنهي عن المنكر إنما وجبت عليهم عليهم السلام لأنها فرع ولايتهم، وفرع كونهم مظاهر لأسمائه الحسنىٰ.

وبعبارة أُخرىٰ: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تارة يكونان بالنسبة إلىٰ الأُصول وإلى الدعوة إليها وإلى الدين الحنيف، ويكونان بالنسبة إلى الكفار والمشركين؛ وذلك لإعلاء كلمة التوحيد فهذا النحو منهما، لا يجب إلّا علىٰ الإمام العادل عليه السلام المنصوب منه تعالىٰ، وأُخرىٰ يكونان بالنسبة إلى الفروع والأحكام بالنسبة إلىٰ من هو معتقد بها إلّا إنه تارك لها وهذا واجب مع شرائطه المذكورة في محله.

وأما الأول المخصوص بهم عليهم السلام فهو علىٰ قسمين (أي المعروف المأمور به والذي يجب أن يؤمر به، والمنكر المنهي عنه والذي يجب أن ينهىٰ عنه علىٰ قسمين):

الأول: ما هو المعروف بظاهر الشريعة كالتوحيد وأمثاله، وكالصلوة وأمثالها وماهو المنكر بظاهر الشريعة كالشرك وأمثاله، وكالزنا والغصب والفواحش وأمثالها.

والثاني: ما هو منشأ المعروف ومنشأ المنكر، وبعبارة ما هو المنكر واقعاً والمعروف الحقيقي واقعاً.

فبيانه: أنه تعالىٰ قال: **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربىٰ وينهىٰ عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾**[١].

وفي تفسير نور الثقلين[٢] في تفسير علي بن إبراهيم: قوله: **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربىٰ وينهىٰ عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾** قال: «العدل شهادة أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ والإحسان أمير المؤمنين عليه السلام والفحشاء والمنكر والبغي فلان وفلان وفلان».

وفيه في تفسير العياشي، عن سعد، عن أبي جعفر عليه السلام: **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان..﴾**، قال سعد: إن الله يأمر بالعدل وهو محمد، والإحسان وهو علي وإيتاء ذي القربىٰ وهو قرابتنا، أمر الله العباد بمودتنا وإيتائنا، ونهاهم عن الفحشاء والمنكر، من بغىٰ علىٰ أهل البيت، ودعا إلىٰ غيرنا. ومثله غيره من الأحاديث.

فيعلم من هذه الأحاديث أن المراد من العدل هو رسول الله ﷺ ومن الإحسان هو علي أمير المؤمنين عليه السلام وأن المراد من الفحشاء والمنكر والبغي هو الثلاثة المكنىٰ عنهم بفلان وفلان وفلان.

فالمعروف حقيقة من عرفه الله تعالىٰ وأمر به وهو محمد ﷺ المكنىٰ عنه في الآية بالعدل، وهو أيضاً علي عليه السلام المكنىٰ عنه بالإحسان.

والمنكر من نهى الله تعالىٰ عنه، وهو العناوين الثلاثة أي الفحشاء والمنكر والبغي المفسر بالثلاثة.

وهم عليهم السلام مظهر لهذه الدعوة الإلهية، فلا يدعون الناس، ولا يأمرون إلّا بما دعا إليه وأمر به الله تعالىٰ.

وبلحاظ هذا التفسير يكون حاصل دعواهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر هو دعوتهم الناس، وأمرهم بالرسالة والولاية لمحمد وآله الطاهرين، ونهيهم

---

١ ـ النحل: ٩٠.

٢ ـ تفسير نور الثقلين ج ٣ ص ٧٧.

عن ولاية من بغىٰ عليهم وغصب حقهم وهم الثلاثة كما لا يخفىٰ.

فظهر مما ذكرنا: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالنسبة إلى الأُصول، والولاية، وبيان صاحب الولاية وما له من المناصب الإلهية، وبيان أعدائه وما هم من الصفات الرذيلة، والموانع الموجبة للبعد عنه تعالىٰ وعن الدين، إنما هو مختص بهم عليهم السلام لأنه من مناصب ولايتهم الإلهية، ولا يمكن لأحد تأويل ظاهر الآيات بما ذكر إلّا هم (صلوات الله عليهم أجمعين) لأنهم المخاطبون بالخطابات الإلهية، والعارفون بمقاصده تبارك وتعالىٰ، نعم الأمر بالمعروف الظاهر من ظواهر الشرع، والنهي عن المنكر المعروف من ظواهر الشرع علىٰ ما بينته الأخبار والآيات من حيث التكاليف الشرعية، فهو واجب علىٰ كل أحد فيما إذا تحققت شرائطه المذكورة في محله (والله العالم).

ولهذا الكلام شرح طويل لعلك تعرفه مما تقدم من الشرح، وما يأتي منه، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

قوله عليه السلام: وجاهدتم في الله حقّ جهاده.

أقول: في المجمع: قوله تعالىٰ: ﴿**وجاهدوا في الله حق جهاده**﴾[1] أي في عبادة الله.

قيل: الجهاد بمعنىٰ رتبة الإحسان، ومعنىٰ رتبة الإحسان هو أنك تعبد ربك كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك؛ ولذلك قال: حقّ جهاده، أي جهاداً حقاً كما ينبغي بجذب النفس، وخلوصها عن شوائب الرياء والسمعة مع الخشوع والخضوع، والجهاد مع النفس الأمارة واللوامة في نصرة النفس العاقلة المطمئنة، وهو الجهاد الأكبر؛ ولذلك ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه رجع من بعض غزواته، فقال: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر».

---

١ ـ الحج : ٧٨.

قوله: ﴿والذين لا يجدون إلّا جهدهم﴾، قرِئ بفتح الجيم وضمها: أي وسعهم وطاقتهم، وقيل: المضموم الطاقة والمفتوح المشقة..

إلىٰ أن قال: والجهاد (بكسر الجيم) مصدر جاهد يجاهد جهاداً ومجاهدة، وبفتح الجيم الأرض الصلبة، وشرعاً بذل المال والنفس لإعلاء كلمة الإسلام وإقامة شعائر الايمان..

إلىٰ أن قال: وفيه: أفضل الجهاد جهاد النفس وهو قهرها وبعثها علىٰ ملازمة الطاعات، ومجانبة المنهيات، ومراقبتها علىٰ مرور الأوقات، ومحاسبتها علىٰ ما ربحته وخسرته في دار المعاملة من السعادات، وكسر قوتها البهيمية والسبعية بالرياضات، كما قال تعالىٰ: ﴿قد أفلح من زكّيٰها وقد خاب من دسّيٰها﴾[١] انتهىٰ.

أقول: في تفسير نور الثقلين[٢] عن تفسير علي بن إبراهيم.. إلىٰ أن قال: وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: «هذه الآية[٣] لآل محمد (صلوات الله عليهم) ولأشياعهم».

وفي اللوامع النورانية[٤] عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزوجل: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ قال: «نزلت فينا».

هذا وقد ظهر أن الجهاد عند المتشرع هو بذل النفس والمال لإعلاء كلمة التوحيد، والولاية وشعائرها، وهو المعبر عنه بالجهاد الأصغر في قبال الجهاد مع النفس الذي هو الجهاد الأكبر، وهو علىٰ أقسام صحيحة وباطلة، وقد تقدم في المقدمة ما هو ديدن الصوفية (لعنهم الله) في الرياضات الباطلة، وأما الحقة منها فهو

---

١ ـ الشمس: ٩.

٢ ـ تفسير نور الثقلين ج ٤ ص١٦٨.

٣ ـ أي الآية الآتية في الحديث الآتي.

٤ ـ اللوامع النورانية ص٢٩.

المذكور عند العلماء الربانيين، وقد تقدمت الاشارة إليه، ولا بأس بالإشارة الإجمالية إلىٰ ما به تمييز الرياضة الباطلة من الحقة فنقول:

تقدم في المقدمة قول الصادق عليه السلام ما يقرب إلىٰ هذا المعنىٰ: مَن عمل بما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وصل إلى الله، وحاصله: أنه صلى الله عليه وآله أتىٰ بالشرع وهو بمعنى الطريق إليه تعالىٰ، أي إلىٰ معرفته وتوحيده بما لها من المعاني المفسرة في كلمات أهل بيت العصمة والطهارة، فكلّ سلوكٍ ومجاهدةٍ كان مأخوذاً عنهم عليهم السلام ومستفاداً من اطلاق كلامهم أو من مخصوص كلامهم فهو سلوك ومجاهدة ورياضة صحيحة، وهذا هو دأب العلماء الربانيين، وما كان من غيرهم فهو باطل بتمام أقسامه، ولهذا الكلام شرح طويل مذكور في محله.

ثم ليعلم ان ظاهر هذه الجملة اعني قوله عليه السلام: «وجاهدتم في الله حقّ جهاده»، هو الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة التوحيد والولاية، ولو ببذل النفس، والشهادة، وتحمل الآلام الشاقة من السجن وغصب الحقوق وأمثالها، لا الجهاد مع النفس لإصلاحها، فإنهم عليهم السلام منزهون عن دناسة النفس، فأنفسهم طاهرة مطهرة كما أخبر الله تعالىٰ بذلك في آية التطهير. وإن أبيت إلّا أن يراد منها الأعم منه ومن الجهاد مع النفس، فحينئذ معنىٰ جهادهم مع أنفسهم هو عدم إقدامهم على المكاره أو المعاصي مع تمكنهم منها.

ضرورة أن عصمتهم عليهم السلام وإن أوجبت عدم صدور المعاصي عنهم، إلّا أنه لا بنحو الجبر، بل بنحو الاختيار، فعصمتهم لم تنف إمكان إقدامهم على المعاصي. قال علي عليه السلام: «لولا التقىٰ لكنت أدهى العرب»، أي أني يمكنني الدهاء، إلّا أن التقوى المعبر بها هنا بالعصمة تمنعني عنه كما لا يخفىٰ، فجهادهم مع النفس عبارة عن عدم إقدامهم على المعاصي بعد ما كانت لهم ممكنة كما لا يخفىٰ، إلّا أن جهادهم معها لأجل تطهيرها عن الرذائل، قال الحسن عليه السلام لمعاوية ما حاصله: «إن الله تعالىٰ قد طهرني من الرذائل، كما قد برّاك من الفضائل»، صدق ولي الله.

وكيف كان فهم عليهم السلام جاهدوا في الله تعالى أي في سبيل طاعته ومحبته وتوحيده

حق جهاده، فجاهدوا الكفار والمنافقين عملاً ولساناً، وجاهدوا مع أنفسهم علىٰ حدّ يقصر عنه جميع العباد حتى الملائكة، وهذه الآية إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾[1] فإنه وإن كان خطاباً للمؤمنين بنحو العموم، إلّا أنه تعالىٰ عنىٰ آل محمد عليهم السلام بالخصوص.

ففي تفسير نور الثقلين[2] عن أُصول الكافي، عن بريد العجلي، قال: قلت: لأبي جعفر عليه السلام: قوله تعالىٰ: ﴿ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربّكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم﴾[3] قال: «إيانا عنىٰ ونحن المجتبون»، الحديث.

وهم عليهم السلام أعطوا الجهاد في الله تعالىٰ حقه وبتمام أنحائه من الخروج بالسيف، وبذل النفس والمال، والزهد عن حطام الدنيا وزخرفها،وعبادات شاقة، والقيام بالسنن والآداب كل ذلك بنحو الأتم والأكمل، بحيث كل من كان في زمنهم متصفاً بشيء من الكمالات الصورية والمعنوية، صار مضمحلاً في جنب كمالهم، ومقهوراً ومغلوباً في عرضهم حتىٰ أن مخالفيهم ومعانديهم ربما أظهروا للناس بعض الصفات الحميدة، وبعض الأعمال الصالحة الصورية من الخيرات والمبرّات والصلوات؛ لينحرف بذلك الجهلة من الناس عن دين الله وعن الأئمة عليهم السلام.

ولكن مع ذلك كله، ومع جهودهم وأعمالهم في ذلك كانت في جنب الأئمة عليهم السلام وأعمالهم وجهادهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، فلم يقدروا بتلك الأعمال وإظهارها القيام في قبال الأئمة عليهم السلام بل افتضحوا بذلك؛ وذلك لظهور جهاد الأئمة عليهم السلام في أنه كان لله وبالله بنحو الكمال، وبنحو يصدقه الشرع والدين والعقل السليم، وبدون معارضة عمل آخر يضاده، كما كان ذلك من أعدائهم، وكما لا يخفىٰ

---

١ ـ الحج : ٧٨.

٢ ـ تفسير نور الثقلين ج ٣ ص ٥٢١.

٣ ـ الحج : ٧٧ و ٧٨.

علىٰ من تتبع أحوالهم ﷺ، كل ذلك منهم ﷺ ليتم على الخلق أنهم حجج الله تعالىٰ عليهم دون غيرهم.

وليعرف الناس حتىٰ مخالفوهم أن الحق معهم، ومن جحد فإنه يجحد مع استيقان أنفسهم بأنهم ﷺ حجج الله على الخلق، ولا يبقىٰ على الله لأحد حجّة من الخلق، ولهذا مزيد توضيح في شرح قوله ﷺ: «فبلغ الله بكم أشرف محل المكرمين»، فانتظر والحمد لله وحده.

قوله ﷺ: حتىٰ أعلنتم دعوته.

أقول: قوله ﷺ: حتىٰ، غاية للجمل المتقدمة من قوله ﷺ: فعظمتم جلاله إلىٰ ما بعدها، والمعنىٰ أنتم قمتم بتلك الأمور إلىٰ أن ترتب عليها إعلان الدعوة الإلهية، فما رفعتم اليد عنها دون الاعلان المذكور كما لا يخفىٰ.

ثم إنه قد يقال: المراد من الدعوة التي أعلنوها أي أظهروها هو سؤاله تعالىٰ عنهم في عالم الأرواح والذر حين سألهم فقال: ﴿ألست بربكم﴾، فهذا السؤال الذي كان منه تعالىٰ في ذلك العالم، كما نطق به القرآن، قد أعلنه الأئمة ﷺ بالبيانات الشافية من حيث بيان ظرف السؤال وكيفيته، كما صرّحت به الأخبار في ذيل تلك الآية الشريفة.

ومنه يعلم أيضاً: أنهم ﷺ بينوا كيفية جواب هذا السؤال الإلهي من الأرواح في تلك العوالم، والوجه في كونهم ﷺ هم المعلنون لهذه الدعوة بهذا المعنىٰ، وجوابها هو أنهم ﷺ تراجمة الوحي الإلهي، كما سيجيء بيانه، وهم لسانه المعبر عنه تعالىٰ وعن أمره ونهيه وحقائق الأمور، وحيث إنهم ﷺ أصل كل موجود حيث جعلهم الله تعالى الأعضاد والأشهاد والمناة، أي المقدرون لحدود الخلق بإذن الله تعالىٰ وإرادته، وكذلك هم الأذواد والحفظة للخلق، وقد تقدم شرح هذه المفردات فلا محالة هم ﷺ ألسنة الحق في الواقع التي بها أجابوا سؤال ربّهم، بل هم المجيبون عن

سؤاله تعالىٰ بلسان الخلق كما لا يخفىٰ.

وكيف كان فهم عليهم السلام عند الأداء والتبليغ عنه سبحانه تعالىٰ كما هو ظاهر من كلماتهم عليهم السلام بينوا كيفية هذا السؤال الإلهي والجواب الخلقي في عالم الأرواح، بحيث علمه كل أحد، بل بينوه بنحو علمه كلّ شيء بحسب حاله كما لا يخفىٰ.

وقد يقال: إن المراد من الدعوة سؤال الخلق ربهم حسب إمكانهم الماهوي، وحسب سؤال فطرتهم، مع قطع النظر عن تلبسهم بلباس الوجود، فأعطاهم الله تعالىٰ ما سأله كل منهم بلسان حاله واستعداده واحتياجه، وإلىٰ هذا السؤال يشير قوله تعالىٰ: ﴿وآتاكم من كل ما سألتموه﴾[1]، كما قيل، فأعلنوا عليهم السلام دعوة الخلق إياه سبحانه، وذلك لما علمت أنهم هم المحيطون بحقائق الأشياء واستعداداتها، كما تقدم في شرح الولاية التكوينية الثابتة لهم عليهم السلام.

هذا ولكن الظاهر من الجملة (والله العالم) هو إعلان الدعوة التشريعية، فهم عليهم السلام تصدوا بتلك الجمل المتقدمة فعملوا بها، حتىٰ أظهروا دعوته تعالىٰ ـ تشريعاً – ودعوا عبادَه إلىٰ عبادته والعمل بدينه.

والحاصل: ان الأئمة عليهم السلام لما كانوا خزان علمه، وحملة كتابه وعلمه، ومستودع سرّه ،وأُمناء أمره ونهيه، فبلغوا عن أمر الله تعالىٰ ما أمرهم بتبليغه حتىٰ أعلنوا دعوته، نعم لما كان التشريع عاماً يشمل جميع مراتبه لجميع مراتب الخلق، كما علمت ذلك آنفاً في شرح قوله عليه السلام: «ودعوتم إلىٰ سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة» فلا محالة يراد من الدعوة معناها العام، الذي يشمل جميع المعارف الإلهية، وكيفية العمل بالدين في طريق السلوك إلى الله تعالىٰ بجميع مراتبه كما لا يخفىٰ.

وقد يقال: إن الدعوة من دعاه أي طلب إقباله، أي أنه تعالىٰ طلب إقبال الخلق إليه تعالىٰ، بشراشر وجودهم؛ ليقبلوا منه تعالىٰ فيوضاته، التي هي غير متناهية في جميع شؤون الخلق من البدو إلى الختم، ولا ريب في إن الأئمة عليهم السلام هم الوسائط في

---

١ ـ إبراهيم : ٣٤.

إيصال ذلك الفيض إليهم، فهم بينوا ذلك الطلب الإلهي لهم، وإليه يشير قولهم عليهم السلام في الأحاديث الكثيرة: «بنا عرف الله وبنا عبد الله» وقوله عليه السلام في الدعاء: «فبهم ملأت سماءك وأرضك حتىٰ ظهر أن لا إله إلّا أنت».

وقد يقال: إن الدعوة هي العبادة، في الخبر: «الدعاء هو العبادة» بل هو مخّ العبادة، وحينئذ معنىٰ إعلان العبادة إما من قبل أنفسهم فلا ريب في أنهم عليهم السلام عبدوه حقّ عبادته، وجاهدوا في سبيله حقّ جهاده كما تقدم، وكما هو واضح لمن تتبع أحوالهم عليهم السلام، وأما من قبل الخلق فلا ريب في أنهم عليهم السلام لم يقبلوا من أحد عبادة إلّا ما وافقت ملتهم وسنتهم، والإقرار بولايتهم ومحبتهم كما هو صريح كثير من الأخبار، فما طابقت لما قالوا قبلت وإلّا ردّت. فهم عليهم السلام بينوا للناس كيفية العبادة، وكيفية الدعوة إلى الدين، وهذا أيضاً أحد مصاديق بيان الدعوة.

في الوسائل عن الزهري قال: دخل رجال من قريش علىٰ علي بن الحسين عليهما السلام فسألوه: كيف الدعوة إلى الدين؟ فقال: تقول: «بسم الله الرحمن الرحيم، أدعوك إلى الله عزوجل وإلىٰ دينه، وجماعه أمران: أحدهما معرفة الله عزوجل، والآخر العمل برضوانه، وإن معرفة الله عزوجل أن يعرف بالوحدانية والرأفة والرحمة، والعزة والعلم والقدرة، والعلو علىٰ كل شيء، وأنه النافع الضار القاهر لكل شيء، الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، وأن محمداً عبده ورسوله، وإن ما جاء به الحق من عند الله عزوجل وما سواه هو الباطل، فإذا أجابوا إلىٰ ذلك فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين».

أقول: قوله عليه السلام: أحدهما معرفة الله عزوجل والآخر العمل برضوانه، يشير إلىٰ أن الدعوة الإسلامية وقبولها قائم بأمر قلبي، وهو الإقرار بالوحدانية له تعالىٰ، كما وصف بها نفسه، وكما أعلنوها لنا ببياناتهم الكافية في لسان الأخبار والأدعية ولسان القرآن الكريم بما فسروه لنا، والإقرار برسالة النبي صلى الله عليه وآله وولاية الأئمة عليهم السلام

وبساير أُصول الدين، والضروريات التي يجب أن يعتقد بها من المعاد، وما له من الشؤون والواجبات الإلهية الضرورية كالرجعة، وظهور صاحب الأمر (عج) وأمثالها.

وأمر ظاهري وهو العمل برضوانه، الذي يفسر تارة بالقيام بأوامره، واجتناب نواهيه علىٰ ما حدّد في الشرع، وتارة بإقامة ولايتهم والاقتداء بهم عليهم السلام والأخذ عنهم، والتسليم لهم، والرد إليهم والتفويض إليهم في أُمور الدين، ومحبتهم بالقلب واللسان، والاركان والاعتصام بذمتهم، والبراءة من أعدائهم، والاعتقاد بأن الأعمال بل والمعارف لا تفيد شيئاً إلّا إذا كان مع الاعتقاد والإقرار بولايتهم، بحيث تكون تلك بدون هذا الاعتقاد هباءً منثوراً.

فهذان الأمران كل منهما مرتبط بالآخر ارتباط الشرط بالمشروط، أو الركن بما له الركن، فهم عليهم السلام قد أعلنوا جميع هذه الأمور التي هي حقيقة دعوته تبارك وتعالىٰ، بل في الحقيقة أنه تعالىٰ أعلن دعوته بهم عليهم السلام إذ هم ألسنته وتراجمته، ولذا قال عليه السلام في دعاء رجب: «فبهم ملأت سماءك وأرضك»، لا أنهم ملأوا سماءك وأرضك، كما لا يخفىٰ كذا قيل.

فتحصل أن الدعوة الإلهية من قبله تعالىٰ ومن قبل الخلق، وكذلك الدعوة الخلقية بلسان ذاتهم بما لها من المعنىٰ، فجميعها قد بينها الأئمة عليهم السلام بتلك الجمل السابقة علىٰ هذه الجملة كما أشرنا إليه.

ومما ذكر علم أمران:

الأول: أن الأئمة عليهم السلام هم العالمون بمراده تعالىٰ ومتعلق دعوته كما هو هو، ولذا أعلنوا كما هو مقصوده تعالىٰ.

الثاني: علم مما ذُكر كيفية دعوتنا الخلق إليه تعالىٰ فإنهم عليهم السلام بينوا لنا كيف ندعو الناس إليه تعالىٰ من كيفية دعوتهم عليهم السلام لهم إليه تعالىٰ، ومن الحديث المذكور آنفاً كما لا يخفىٰ، اللهم وفقنا لإجابة دعوتك بمحمد وآله.

قوله ﷺ: وبينتم فرائضه

في المجمع: **﴿خلق الإنسان * علّمه البيان﴾** أي فصل ما بين الأشياء، وتبيان كل شيء يحتاج الناس إليه، ويقال: البيان هو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير، إلىٰ أن قال: والفرق بين البيان والتبيان هو أن البيان جعل الشيء مبيّناً بدون حجة، والتبيان جعل الشيء مبيناً مع الحجة.

وفيه: الفرض التوقيت ومنه قوله تعالىٰ: **﴿فمن فرض فيهنّ الحجّ﴾**[1] أي وقته أو أوجبه.. إلىٰ أن قال: وفرض الله علينا كذا، وافترض: أي أوجب، والاسم الفريضة، وسمي ما أوجبه الله الفرض؛ لأن له معالم وحدوداً.. إلىٰ أن قال: والفرق بين الفريضة والواجب هو أن الفريضة أخصّ من الواجب؛ لأنها الواجب الشرعي، والواجب إذا كان مطلقاً يجوز حمله على العقلي والشرعي، والفريضة فعيله، بمعنىٰ مفعولة والجمع فرائض. قيل: اشتقاقها من الفرض الذي هو التقدير؛ لأن الفرائض مقدرات. وقيل: هي من فرض القوس وهو الجزء الذي يقع فيه الوتر.. فقال: وكتاب الفرائض يعني المواريث.

أقول: يعني أنه قد يطلق الفرائض على المواريث.

وحينئذ معنى الجملة أنكم بينتم أي كشفتم مع الحجة والبرهان، والوضوح والتسلط المعنوي بالمنطق الفصيح المعرب عما في الضمير، أي في واقع الشرع واللوح المحفوظ ما كان مستسراً من أسرار الفرائض الإلهية ورُخَصَهُ، وميزتم ما بينهما، وفصلتم بينهما تفصيلاً، يتضح لكل أحد في كل ما يحتاج إليه الناس، وبينتم هكذا ما كان غامضاً من أحكامه تعالىٰ، ومن مأخذها من الآيات القرآنية، أو الأعم منها، ومما ألهمه تعالىٰ إليهم، وأوضحه لهم من اللوح المحفوظ، وأيضاً بينتم تلك الأمور بما شيدتم من الأدلة المتقنة العقلية والشرعية، وبالغتم في ذلك إلىٰ أن ظهر للكل تلك الفرائض محكمة أُصولها وفروعها، خصوصاً لمن اقتدىٰ بهم،

---

١ ـ البقرة: ١٩٧.

واهتدىٰ بهداهم.

ثم إن تلك الفرائض تعمّ الاعتقاديات والمعارف الإلهية، والكمالات المعنوية والأعمال الواجبة، بل جميع الأحكام الخمسة لما علمت أن الفرض هو التوقيت، ومعلوم أن جميع الأحكام موقتات بحدودها وشرائطها من جميع الجهات، من حيث الزمان والمكان وساير الشرائط، ومجمل القول في الفرائض هو أنه إما يرجع إلى الاعتقاد كالاعتقاد بكلمتي الشهادة، وبما يجب لله، ويمتنع من أحوال المبدإ والمعاد، كما ورد في علم الكلام، وكالإذعان بإمامة الأئمة والتصديق بما جاء به النبي ﷺ من أحوال الدنيا والآخرة، وإما يرجع إلى الترك كالمحرمات والمكروهات، وفي الحقيقة هذا داخل فيما سبق.

وكيف كان فالأئمة عليهم السلام بينوا ذلك بالنحو المذكور بالبيانات والأدلة، بنحو تسكن النفس إليه، ويحصل به الجزم، وتفصيل هذا بأكثر من هذا مذكور في الكتب الكلامية والفقهية والمعارف الإلهية، وقد بينها علماء الشيعة (رضوان الله تعالىٰ عليهم) كلاً منها في بابه مع التوضيح، والشرح المفاض عليهم من أئمتهم عليهم السلام فجزاهم الله تعالىٰ عنّا خير الجزاء.

قوله عليه السلام: وأقمتم حدوده.

أقول: حدّ الشيء عبارة عما به قوام ذلك الشيء، ويتميز في ذاته عما سواه به، وإقامتها عبارة عن تعديل أركانها، واستيفاء شرائطها وحفظها عما يوجب انهدامها أو نقصانها، أو خروجها عن الاعتدال، كل ذلك تارة علماً بالبيان والتعليم، وأُخرىٰ عملاً بإجرائها أي إجراء الحدود الإلهية.

ولعلّ المراد من إقامتها هو إجراؤها في مواردها كما شرعت في الدين، فإن إقامة الحدود وإجراءَها من أصعب الأمور، إذ تشخيص الأحكام والديات والحدود، وإجراؤها في مواردها مشكل جدّاً، وإن أريد من الحدود ما يعمّ

الجزاآت الشرعية وساير الأحكام، فيراد من إقامتها حينئذ الإتيان بها في الخارج بحدودها وشرائطها المجعولة لها في الدين بحيث تقام في الخارج كما ينبغي.

والحاصل: أن الظاهر من إقامة الحدود هو إيجادها في الخارج كما شرعت، وكما ينبغي سواء أُريد بالحدود جميع الأحكام، أو أُريد بها خصوص الجزاآت الشرعية، والله العالم.

قوله عليه السلام: *ونشرتم شرائع أحكامه*

في المجمع: ونشرت الخبر أنشُرُه وأنشِرُه ضماً وكسراً: أذعته، وقال: ونشر المتاع وغيره ينشره نشراً بسطه.

وفيه: الشِرعة (بالكسر) الدين، والشرع والشريعة مثله، مأخوذ من الشريعة وهي مورد الناس للاستسقاء، سميت بذلك لوضوحها وظهورها، وجمعها شرائع.. إلىٰ أن قال: والشريعة: ما شرع الله لعباده وافترضه عليهم.

وقال: قوله تعالىٰ: ﴿ثم إذا شاء أَنشَرَه﴾[1] أي أحياه.

وفيه: والحكم: العلم والفقه والقضاء بالعدل، وهو مصدر حَكَم يحكُم.. إلىٰ أن قال: والحكم الشرعي: طلب الشارع الفعل أو تركه مع استحقاق الذم بمخالفته.

فنقول: لا ريب في أنهم عليهم السلام نشروا وأحيوا شرايع أحكامه تعالىٰ أولاً بالتحمل لها كما شرّع في اللوح المحفوظ، ثم بالقيام بنشرها بين العباد، وبحفظها عن الانحراف والاعوجاج، بل بلغوها للمكلفين كما هي هي، ثم إنهم عليهم السلام عملوا بمقتضاها في مرأى من الناس؛ ليعلموها كما قال صلى الله عليه وآله: «صلّوا كما رأيتموني أُصلي»، فإن النشر بهذا النحو أوضح للأحكام من البيان كما لا يخفىٰ، مضافاً إلىٰ أن العمل بها منهم عليهم السلام خصوصاً علىٰ أكمل وجه وأشد مواظبة ومحافظة، يكون أدعىٰ للخلق إلى القيام بها كما لا يخفىٰ.

---

١ ـ عبس: ٢٢.

ثم إنه وإن كان المتبادر عند المتشرعة من الأحكام هي الأحكام الخمسة، إلّا أن المراد منها (والله العالم) هو العموم، أي جميع الأحكام والمعارف والأُصول والفروع، بل وبيان الأُمور التكوينية، بل والأحكام التكوينية من تصرفاتهم عليهم السلام في الكون حسب ما تقتضيه الحكمة الإلهية في نظام العوالم كلها، كما لا يخفىٰ هذا علىٰ من تتبع آثارهم في الأبواب المتفرقة من كلماتهم عليهم السلام.

ثم إن نشر الشرايع منهم عليهم السلام أمر واضح خصوصاً من الإمام الصادق والناطق بالحق جعفر بن محمد عليهما السلام فإنه نشر الشرائع إلىٰ أن استند المذهب إليه، فقيل: إن الشيعة مذهبهم المذهب الجعفري عليه السلام.

ثم إن المستفاد من هذه الجملة ان نشر الشرائع مختصّ بهم عليهم السلام وليس لغيرهم أهلية ذلك، مضافاً إلىٰ أنه لا يجوز لغيرهم التصدي لهذا الأمر من قبل أنفسهم؛ لصراحة الأخبار بذلك، ولأن غيرهم ليس عندهم الحق ولا المعارف، بل كل من أصاب حقاً أو معرفة فإنه منهم عليهم السلام.

ففي البحار[١]، الخطيب في تاريخه عن ثابت مولىٰ أبي ذر قال: دخلت علىٰ أُمّ سلمة فرأيتها تبكي، وقالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «علي مع الحقّ، والحقّ مع علي، ولن يفترقا حتىٰ يردا عليّ الحوض يوم القيمة».

وفيه[٢]، عن البصائر، عن الحسين الأحمسي، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إنا أهل البيت عندنا معاقل العلم، وآثار النبوة، وعلم الكتاب، وفصل ما بين الناس».

وفي المحكي عن الكافي في صحيح محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «ليس عند أحد من الناس حقّ ولا صواب، ولا أحد من الناس يقضي بقضاء حق، إلّا ما خرج منا أهل البيت، وإذا تشعبت بهم الأمور كان الخطأ منهم،

---

١ ـ البحار ج٣٨ ص٢٩.

٢ ـ البحار ج٢٦ ص٢٥٠.

والصواب من علي ﴿ع﴾».

ومثله أحاديث أُخر.

ومما ذكرنا يعلم أن الحق معهم ومنهم وهم أهله، كما سيجيء شرحه وهم ﴿ع﴾ قد نشروه.

قال بعض الأعاظم(١) عند شرح قوله ﴿ع﴾ : «ونشرتم شرائع أحكامه»: والإضافة بيانية من قبيل خاتم فضة، أو المراد بالشرائع أدلة الأحكام من الكتاب، وإن كان من الصادقين ﴿ع﴾ أكثر. وقد ذكر الشيخ المفيد في الإرشاد، وابن شهر آشوب في معالم العلماء، والطبرسي في أعلام الورىٰ وغيرهم: أن الذين رووا عن الصادق ﴿ع﴾ خاصة من الثقات علىٰ اختلافهم في الآراء كانوا أربعة آلاف رجل.

وذكر المحقق في أوائل المعتبر في حق جعفر بن محمد ﴿ع﴾: أنه روىٰ عنه من الرجال ما يقارب أربعة آلاف رجل، وبرز بتعليمه ﴿ع﴾ من الفقهاء الأفاضل جم غفير كزرارة بن أعين وأخويه بكر وحمران، وجميل بن دراج، ومحمد بن مسلم، ويزيد بن معاوية، والهشامين، وأبي بصير، وعبدالله ومحمد وعمران الحلبيين، وعبدالله بن سنان، وأبي الصباح الكناني، وغيرهم من أعيان الفضلاء حتىٰ كتبت من أجوبة مسائله أربعمائة مصنف سمّوها أُصولاً.

وفي حقّ الجواد ﴿ع﴾: قد كان من تلامذته فضلاء كالحسين بن سعيد، وأخيه الحسن، وأحمد بن محمد أبي نصر البزنطي، وأحمد بن محمد بن الخالد البرقي، وشاذان بن الفضل القمي، وأيوب نوح بن دراج، وأحمد بن محمد بن عيسىٰ، وغيرهم ممن يطول تعدادهم، وكتبهم الآن منقولة بين الأصحاب دالة على العلم الغزير. إنتهىٰ.

وقد ذكر جملة من الأصحاب أن أبان بن تغلب قد روىٰ عن الصادق ﴿ع﴾ ثلاثين ألف حديث، إنتهىٰ كلامه رفع مقامه.

---

١ ـ هو الحجة السيد عبدالله شبر (رضوان الله عليه).

قوله عليه السلام: وسننتم سنّته

في المجمع: والسنة في اللغة: الطريقة والسيرة والجمع سنن كغرفة وغرف. وفي الصناعة هي طريقة النبي صلى الله عليه وآله قولاً وفعلاً وتقريراً أصالة أو نيابة.. إلىٰ أن قال: وسننتُ الماء علىٰ وجهي: أرسلته إرسالاً من غير تفريق، فإذا فرّقته في الصب قلت بالشين المعجمة. وامضِ علىٰ سنتك أي علىٰ وجهك.

قيل: وسننتم سنته أي بينتم طريقته تعالىٰ، فإن الطريقة وإن كان النبي صلى الله عليه وآله قد جاء بها إلّا أنها حيث الطريقة إليه تعالىٰ فأضيفت إليه تعالىٰ.

وكيف كان فالمراد أن ما جعله رسول الله صلى الله عليه وآله من السنن، التي سنّها للسلوك إلى الله تعالىٰ، التي هي في الحقيقة الطريقة إليه تعالىٰ، وهي المشي علىٰ سيرته تعالىٰ قد بينتموها وأوضحتموها وسلكتموها علماً وعملاً، وما جاوزتموها لا في حقير ولا جليل، لا في السرّ ولا في العلانية، وفي الحقيقة وإن كانت السنة قد جعلها الله تعالىٰ وبينها رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا أنهم عليهم السلام أوضحوها توضيحاً بحيث صحّ استنادها إليهم عليهم السلام ولولا توضيحهم لما ظهرت وتبينت للناس كما هي، كما لا يخفىٰ.

وعطف سننتم علىٰ نشرتم شرائع أحكامه من قبيل عطف الخاص على العام إن أُريد منها المستحبات، أو من قبيل العطف التوضيحي إن أريد منها الأعم، فإنه يساوق حينئذ الشرائع فيراد منه حينئذ التأكيد.

أو يراد من قوله عليه السلام: نشرتم، البيان العلمي لها، ومن قوله: وسننتم، البيان والتوضيح العملي لها، أي تصديتم لبيانها وتحملتم المشاق في تثبيتها في الخلق.

هذا وقد يقال: إن المراد من السنة، التي هي بمعنى الطريقة طريق الحق إلىٰ خلقه، وهو إيجاده تعالىٰ إياهم وإرشاده لهم علىٰ ما تقتضيه الحكمة الإلهية والعناية الربانية، وأيضاً يراد منها طريق الخلق إلىٰ خالقهم، وهو قبولهم منه تعالى الإيجاد بالانوجاد التكويني، والإرشاد التشريعي بالقبول من الأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام.

وكيف كان فهم عليهم السلام بينوا هذين الطريقين وأوضحوهما للسالكين إليه تعالىٰ

بالبيان الشرعي، فمعنىٰ وسننتم سنته أي وضعتم تكويناً وتشريعاً الطريق منه تعالىٰ إلى الخلق ومنهم إليه تعالىٰ علىٰ ما شاء الله تعالىٰ؛ لأنهم محال مشيته لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.

وبعبارة أُخرىٰ: معناه أنكم أرسلتم شريعته وطريقته، التي هي واقعاً وتكويناً الماء الذي جعل منه كل شيء حي، وهو العلم، فقد أرسلتموها علىٰ حقائق الموجودات القابلات بذواتها، فمنها قابل بالاستجابة، ومنها قابل بعدمها، وهذا في الواقع، وأما في الظاهر والتشريع فقد بينوا هذه الحقيقة بأنهم عليهم السلام شرعوا لكل مكلف، بل لكل ذرات الوجود ما تقتضيه قابليته من الأحكام الخمسة، فأرسلوا تلك الأحكام ظاهراً وتشريعاً طبق إرسال الماء الحقيقي الذي هو العلم والفيض الإلهي التكويني.

فمن أخذ بهذه الطريقة نجا، بأن صار حيّاً بالماء التكويني الذي منه حيوة كل شيء، ومَن حاد عنها هلك وخسر خسراناً مبيناً قال الله تعالىٰ: **﴿فمَن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعّد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾**[1] رزقنا الله تعالىٰ بمحمد وآله الطاهرين متابعتهم والنجاة بهم، آمين رب العالمين.

قوله عليه السلام: وصرتم في ذلك منه إلى الرضا، وسلمتم له القضاء، وصدقتم من رسله من مضىٰ.

أقول: في المجمع: الرضوان من الله ضد السخط، وقيل: هو المدح على الطاعة والثناء، و «الرضى» مثله، فرضى الله ثوابه، وسخطه عقابه من غير شيء يتداخله فيهيّجه من حال إلىٰ حال؛ لأن ذلك من صفات المخلوقين العاجزين المحتاجين..

---

١ ـ الأنعام: ١٢٥.

إلىٰ أن قال: ورضيت بالشيء رضىٰ إخترته وإرتضيته مثله ورضيت عن زيد ورضيت عليه لغة، والاسم الرضا (بالمد) ورضيت بالله رباً قنعت به ولم أطلب معه غيره.

أقول: فالمعنىٰ إنكم قمتم بمضامين الجمل المتقدمة من قوله عليه السلام: فعظّمتم جلاله، إلىٰ قوله عليه السلام: وسننتم سنته، إلىٰ أن وصلتم إلىٰ رضوان الله تعالىٰ، ويحتمل أن يكون كلمة – في – للسببية أي صرتم بسبب تلك الأُمور وتلك الجمل إلىٰ رضاه أما إلىٰ رضاه تعالىٰ عليكم بأن صرتم أتم مصداق لقوله تعالىٰ: ﴿رضى الله عنهم﴾ بأن لم يسخط عليكم في القيام بتلك الأُمور لما جئتم بها كما أراد تعالىٰ أو إنه تعالىٰ رضىٰ عنكم أي مدحكم وأثنىٰ عليكم في القيام بتلك الأُمور كما هو حقها فأثابكم علىٰ ذلك جزيل الثواب.

هذا إن أُريد من الرضا رضاه تعالىٰ عنهم، وإن أُريد منه رضاهم عنه تعالىٰ، فمعناه أنكم قمتم بتلك الأُمور حال كونكم صائرين وقائمين بها مع الرضا عنه تعالىٰ، مختارين أمره علىٰ غيره، ومرتضين به لا بغيره، أو قانعين به وبثوابه عن غيره وعن جزاء غيره، والحاصل صرتم في ذلك أتم مصداق لقوله تعالىٰ: ﴿ورضوا عنه﴾[1] ولكن الظاهر من العبارة هو الأول، أي قمتم بأعباء الإمامة بنحو رضي الله عنكم في ذلك القيام بالمعاني المتقدمة.

فإن قوله عليه السلام: «صرتم في ذلك منه إلى الرضا»، ظاهر في أن القيام بتلك صار سبباً في حال الإتيان بها إلىٰ أن أوصلكم إلى الرضا، ومعلوم أن المعنى الثاني يلزمه الرضا منهم عنه من أول الأمر لا بالآخرة إذ لا معنىٰ لأنكم ما كنتم راضين عنه.

وقد يقال: إن المعنىٰ أنكم قمتم بتلك الأُمور مع تحمل المشاق، ومع منع الطواغيت لكم وإيذائهم إياكم، ومع ذلك كنتم راضين بتلك الأذية والمظلومية لا

---

١ ـ المائدة: ١١٩.

بظلمهم، ويؤيده قوله بعد: وسلمتم له القضاء، أي في تلك الأُمور حال كونها مع أذيتهم لهم عليهم السلام أو أنكم راضون بتلك الأُمور والقيام بها، مع ما قدر الله تعالىٰ من أن يكون القيام بها بنحو لا يكون التكليف بها للناس بنحو الإلجاء، بل يكون بالاختيار ﴿ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنىٰ﴾[1].

والحاصل: أنكم صرتم وقمتم بها في صراط رضاه تعالىٰ حيث ما شاء، مع أذية الطواغيت، ومع سائر المكاره، فتأمل.

أقول: والسرّ في أنهم عليهم السلام رضوا عنه تعالىٰ في هذه الأحوال أنهم عليهم السلام عالمون بأن ما يقضي الله تعالىٰ عليهم هو عين الصلاح فيما هو محبوب أو مكروه، فيكون بذلك مسروراً ومبتهجاً، ولما فيه من ذكر المولىٰ تعالىٰ لعبده، وعدم نسيانه له، فكأنه بقضاه مطلقاً أتحفه بتحفه، أو أهداه بهدية، فحقيقة الرضا هو السرور والابتهاج كما قيل: وبهجة بما اقتضى الله رضا.

ففي المحكي عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: «لقي الحسن بن علي عليه السلام عبدالله بن جعفر فقال: يا عبدالله كيف يكون المؤمن مؤمناً، وهو يسخط قسمه ويحقر منزلته، والحاكم عليه الله، وأنا الضامن لمن لم يهجس في قلبه إلّا الرضا أن يدعو الله فيستجاب له».

وعنه أنه قال لمن سأله بأي شيء يعلم المؤمن بأنه مؤمن؟ قال: «بالتسليم لله، والرضا فيما ورد من سرور وسخط».

وعنه قال: «لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لشيء قد مضىٰ: لو كان غيره».

وعنه أنه قال: «إن أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله عزوجل».

ثم إنه قد يقال: إن الظاهر من قوله: إلى الرضاء، أنهم عليهم السلام بلغوا مقام الرضوان بذلك، فلازمه أنه تعالىٰ قد منحهم كل المنح، فلا يبقىٰ حينئذ لهم السؤال منه تعالىٰ

---

١ ـ النجم : ٣١.

لشيء آخر، هذا وقد قال تعالىٰ في حقهم: ﴿وقل ربّ زدني علماً﴾[1]، فكيف التوفيق بينهما؟

أقول: إنهم عليهم السلام لما بلغوا بالقيام بتلك الأُمور إلىٰ مقام الرضا، علموا يقيناً أنه تعالىٰ لا يمنعهم من أن يمنحهم شيئاً فَرضوا به وتيقنوا بصدق وعده، ولكن لما قاموا عليهم السلام بصدق العبودية بين يديه تعالىٰ بما هم فقراء إليه تعالىٰ، وبما تجلىٰ لهم من عظمته تعالىٰ لهم عليهم السلام فلا محالة يسألونه تلك المنح بقاء وإبقاء لألطافه عليهم، مضافاً إلىٰ أن جميع منحه لا تسعها الدنيا، فلا محالة يسألونه تعالىٰ منها تدريجاً إنجازاً لوعده.

هذا مضافاً إلىٰ أنه يمكن أن يقال: إنهم في الوجود وعالم الإمكان بلغوا بسبب الرضا إلىٰ غاية ما صدر عنه تعالىٰ فهم راضون عنه تعالىٰ، إلّا أنه حيث كان تبارك وتعالىٰ غير متناه كما لا يخفىٰ، فلا محالة يسألونه دائماً بلحاظ عدم نهايته تعالىٰ، وقد تقدم في شرح السلام والصلاة عليهم ما يوضح لك هذا المعنىٰ، فراجعه.

وأما قوله عليه السلام: «وسلمتم له القضاء»، قيل: هذا من عطف اللازم على الملزوم، إذ لازم البلوغ إلىٰ مقام الرضا هو التسليم للقضاء، كما دلّ عليه الحديث المتقدم، إلّا أن الظاهر من قوله: وسلمتم، هو أنهم عليهم السلام لم ينقدح في قلوبهم الشريفة حرج ولا شبهة، ولا اعتراض بالنسبة إلىٰ قضائه تعالىٰ، فهو حينئذ تأكيد لما سبق، فتأمل.

وأما قوله عليه السلام: «وصدقتم من رسله مَن مضىٰ».

أقول: لعلّه إشارة إلىٰ أنكم أول مصداق لقوله تعالىٰ: **﴿آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربّه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾**[2] فالإيمان بالرسل هو التصديق بهم لا بمجرد الاقرار بأنهم أنبياء ورسل، بل بالأدلة القاطعة والحجج الواضحة كما دلت عليها كلماتهم عليهم السلام في مقام الاحتجاج، بل أظهروا المعجزات

---

١ ـ طه: ١١٤.

٢ ـ البقرة: ٢٨٥.

الدالة علىٰ أنهم أنبياء ورسل، وأنهم صادقون في ادعائهم الرسالة ردّاً لمنكريهم، وتأييداً لمصدقيهم من الأُمم السابقة واللاحقة، ويلحق بذلك معرفة أسمائهم وأعدادهم وأحوالهم، وبيان ما أُوتوا من الوحي والمعجزات، كل ذلك بإخبار الله تعالىٰ لهم عليهم السلام في كتابه الكريم، وبما علمهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وبما علموه من اللوح المحفوظ، وواقع القرآن الكريم الذي لا رطب ولا يابس إلّا وهو فيه.

قوله عليه السلام: فالراغب عنكم مارق، واللازم لكم لاحق، والمقصر في حقكم زاهق

أقول: هذه الجمل تفريع عقلي على الجمل السابقة، أي بعد ما ثبت أنكم عظمتم جلاله، وهكذا ساير الجمل إلىٰ أن صرتم إلىٰ مقام رضوان الله تعالىٰ عنكم، فلا محالة فالراغب عنكم مع ظهور هذه الأوصاف والأحوال منكم مارق عن الدين المبين، ضال عن طريقة سيد المرسلين، وداخل في حزب الشياطين، واللازم لكم بإمامتكم، والآخذ بأقوالكم والمتابع لأعمالكم بحيث يجعلكم نصب عينيه في السلوك إلى الله تعالىٰ، ويدور معكم حيثما تدورون، لاحق بكم حيث ما تنزلون في الدنيا والآخرة، ولاحق بكم في الدرجات العالية، حيث سلك الطريق الحق فهو معكم لا يموت أبداً، بل حيّ عند الله مرزوق.

وفي المحكي عن الكافي، عن الباقر عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً﴾ قال: «هم والله شيعتنا حين صارت أرواحهم في الجنة، واستقبلوا الكرامة من الله عزوجل، واستيقنوا أنهم كانوا على الحق وعلىٰ دين الله، فاستبشروا بمن لم يلحقوا بهم من اخوانهم من خلفهم من المؤمنين»، الحديث.

وفي المجمع عنه عليه السلام: «ويشمل كل من قتل في سبيل الله عزوجل سواء كان قتله بالجهاد الأصغر وبذل النفس طلباً لرضاء الله، أو بالجهاد الأكبر وكسر النفس وقمع الهوىٰ بالرياضة».

والمقصر في حقكم وإمامتكم ورتبكم العالية أو في متابعتكم زاهق ومضمحل يقال: زهق السهم إذا جاوز الهدف ولم يصبه.

وقد يقال: إن المراد من هذه الجملة أن من قال بإمامتكم، ولكن قصّر في حقكم، أي قصّر في الوصول إلىٰ سركم في عالم القلب والباطن، فإنه وإن كان ناجياً في الجملة إلّا أنه زاهق أي ساقط عن الاشتمال على الحقيقة، فهو كحبة أخذ لبّها فلا يثمر ولا ينمو ولا يترتب عليه إلّا ما ترتب على القشر، فهذا مأخوذ من زهق العظم كمنع زهوقاً إذا اكتنز مخّه.

وكيف كان فالكامل من عرف أسرارهم، لا من أقرّ بظاهرهم فقط، فإنه ناج ناقص؛ ولذا ذكر في آخر الزيارة: أسألك أن تدخلني في جملة العارفين بهم.

أقول: في المجمع: زهوق النفس بطلانها، وزهق الباطل أي زال وبطل، وفيه: وتزهق أنفسهم أي تبطل وتهلك، وقال: زهق الشيء تلف، فحينئذ معنى الجملة أن المقصر في حقكم هالك وزائل وباطل، وهذا هو ظاهر في التقصير في قبول إمامتهم لا في أسرارهم كما قيل والله العالم.

ثم إنه لا يخفى الفرق بين القصور والتقصير فإنه إنما يكون الإنسان زاهقاً إذا كان مقصراً، بمعنىٰ أنه ظهرت له حقانيتهم من الله تعالىٰ ومن رسوله ﷺ ومع ذلك قصر في حقهم وبقي على الباطل، فهذا رجل زاهق ومضمحل لا ما إذا كان قاصراً، فلو أن أحداً لم يبلغه الحق، وكان باقياً في حالة الجهل بحقهم عليهم السلام قصوراً فهو ليس بزاهق.

ففي المحكي عن الخصال، عن الصادق عليه السلام عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام قال: «إن للجنة ثمانية أبواب، باب يدخل منه النبيون والصديقون، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبّونا، فلا أزال واقفاً على الصراط أدعو وأقول: ربّ سلّم شيعتي ومحبي، وأنصاري وأوليائي، ومن تولاني في دار الدنيا، فإذا النداء من بطنان العرش: قد أُجيبت دعوتك، وشفعت في شيعتك، ويشفع كل رجل من شيعتي، ومن تولاني ونصرني، وحارب

من حاربني بفعل أو قول في سبعين من جيرانه وأقربائه، وباب يدخل منه سائر المسلمين ممن يشهد أن لا إله إلّا الله، ولم يكن في قلبه مثقال ذرة من بغض أهل البيت».

وفي المحكي عن تفسير القمي مسنداً عن ضريس الكناني، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك ما حال الموحدين المقرّين بنبوة محمد صلى الله عليه وآله من المذنبين، الذين يموتون وليس لهم إمام، ولا يعرفون ولايتكم؟ فقال: «أما هؤلاء فإنهم في حفرتهم لا يخرجون منها، فمن كان له عمل صالح ولم يظهر منه عداوة، فإنه يخدّ له خدّاً إلى الجنة، التي خلقها الله بالمغرب، فيدخل عليهم الروح في حفرته إلىٰ يوم القيمة، حتىٰ يلقى الله فيحاسبه بحسناته وسيئاته، فإما إلى الجنة وإما إلى النار، قال: وكذلك يفعل بالمستضعفين والبله والأطفال، وأولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحلم.

وأما النصاب من أهل القبلة فإنه يخدّ لهم خدّاً إلى النار، التي خلقها الله في المشرق، فيدخل عليهم اللهب والشرر والدخان وفورة الحميم إلىٰ يوم القيمة، ثم بعد ذلك مصيرهم إلى الحميم».

وفي تفسير نور الثقلين[1] عن أُصول الكافي، عن عمر بن أبان، قال: سألتُ أبا عبدالله عليه السلام عن المستضعفين فقال: «هم أهل الولاية، فقلت: وأي ولاية؟ قال: أما أنها ليست بالولاية في الدين، ولكنها الولاية في المناكحة والموارثة والمخالطة، وهم ليسوا بالمؤمنين ولا بالكفار، ومنهم المرجون لأمر الله عزوجل».

وفيه[2] قال حمران: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن المستضعفين. قال: «هم ليسوا بالمؤمن ولا بالكفر وهم المرجون لأمر الله».

وعن ابن الطيار قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «الناس علىٰ ستّ فرق يؤلون إلىٰ

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٢٦٥ .

٢ ـ تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٢٦٦ .

ثلاث فرق: الإيمان والكفر والضلال، وهم أهل الوعد الذين وعدوا الجنة والنار، وهم المؤمنون والكافرون، والمستضعفون والمرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم، والمعترفون بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وأهل الأعراف».

عن الحارث، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته بين الإيمان والكفر منزلة فقال: «نعم ومنازل لو يجحد شيئاً منها أكبّه الله في النار، وبينهما آخرون مرجون لأمر الله، وبينهما المستضعفون، وبينهما آخرون خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً وبينهما قوله: **﴿وعلى الأعراف رجال﴾**».

وحينئذ نقول: المقصر في حقهم هو الذي يعدل بهم غيرهم من سائر الخلق، أو يتقدم عليهم في قول أو فعل، فهو هالك حيث قصّر في حقهم، فإن حقهم على الجميع أن يرفعوا مقامهم عن جميع الخلائق ويضعوا عن مقام الخالق جلّ وعلا، كما هذا هو المراد من قول الصادق عليه السلام: «اجعلوا لنا ربّاً نؤب إليه، وقولوا فينا ما شئتم[1] أو قولهم عليهم السلام: نزلونا عن الربوبية وقولوا في حقنا ما شئتم»، وقد تقدم الحديث.

وفي البحار[2] الطياليس عن الفضيل بن عثمان قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «اتقوا الله وعظّموا الله وعظّموا رسوله صلى الله عليه وآله ولا تفضلوا علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله أحداً فإن الله تبارك وتعالىٰ قد فضله، وأحبوا أهل بيت نبيكم حبّاً مقتصداً، ولا تغلوا، ولا تفرقوا، ولا تقولوا ما لا نقول، فإنكم إن قلتم وقلنا متم ومتنا، ثم بعثكم الله وبعثنا فكنا حيث يشاء الله وكنتم».

وفيه[3] عن الخصال الأربعمائة قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إياكم والغلو فينا، قولوا إنا عبيد مربوبون، وقولوا في فضلنا ما شئتم».

---

١ ـ البحار ج ٢٥ ص ٢٨٣.
٢ ـ البحار ج ٢٥ ص ٢٦٦.
٣ ـ البحار ج ٢٥ ص ٢٧٠.

وفيه[١] عن العيون، عن الرضا عليه السلام في حديث إلىٰ أن قال عليه السلام: «قال علي عليه السلام: يهلك فيّ اثنان ولا ذنب لي محب مفرط ومبغض مفرّط».

أقول: المبغض المفرط هو المقصر في حقهم.

وفيه[٢] في حديث قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تتجاوزوا بنا العبودية، ثم قولوا ما شئتم ولن تبلغوا» الحديث.

وكيف كان فاللازم إبقاؤهم عليهم السلام علىٰ ما رتبهم الله تعالىٰ عليه، وهو مقام عظيم جدّاً، كيف لا وقال علي عليه السلام في وصيته: «نحن صنايع الله والخلق بعد صنايع لنا» أي نحن الذين اصطنعنا الله تعالىٰ لنفسه، وأخصّنا، وجعلنا محال مشيته وخزنة علمه، وحفظة حكمه وسره.

وقوله عليه السلام: «والخلق بعد صنايع لنا»، أي صنعهم لنا، وجعلنا أولياءه فيهم؛ لندعوهم إلىٰ طاعته وعبادته، فهم العلماء بالله، والخلق هم المتعلمون منهم؛ ليصلوا إلىٰ معارفه، فمن أخذ منهم كالشيعة (رضوان الله عليهم) أخذ بالحظ الوافر، ومن أعرض عنهم هوىٰ إلىٰ جهنم وبئس المصير.

والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، اللهم اجعلنا واجعلني من المتمسكين بهم وبولايتهم، والمستضيئين من أنوارهم بمحمد وآله الطاهرين.

قوله عليه السلام: *والحقّ معكم وفيكم ومنكم وإليكم، وأنتم أهله ومعدنه*

أقول: في المجمع في تفسير الحق ما حاصله: أن الحق من أسمائه تعالىٰ وهو الموجود المتحقق وجوده وإلٰهيّته، وضد الباطل، وبمعنى الحظ والنصيب، وحقيقة الشيء كنهه، والحق أصله المطابقة والموافقة، ويأتي بمعنى الواجب واللازم والجدير، والحقيقة في مصطلح العلماء ما قابل المجاز، والتاء فيها للنقل من الوصفية

---

١ ـ البحار ج ٢٥ ص ٢٧٢.

٢ ـ البحار ج ٢٥ ص ٢٧٤.

إلى الاسمية الصرفة، وحقّ الشيء يحق (بالكسر) أي وجب.

وفي المحكي عن القاموس: الحق من أسماء الله تعالىٰ أو من صفاته، القرآن ضد الباطل، والأمر المقضي والعدل والاسلام، والمال والملك، والواجب، والموجود الثابت والصدق، والموت والحزم وواحد الحقوق. إنتهىٰ.

أقول: الحق إما يطلق بمعنى الصفة، فيكون لا محالة له موصوف في موارد إطلاقاته، فمعناه حينئذ المطابقة وهي عبارة عن كون الموصوف ثابتاً في نفسه وواقعه فقوله ﷺ فيما تقدم من أن الحق من أسمائه أي من صفاته؛ لأن أسماءَه تعالىٰ ترجع إلى الصفات، وهو الموجود المتحقق وجوده يراد منه ما ذكرنا من أن الصفة تشير إلىٰ ثبوت الموصوف في نفس الأمر.

والحاصل: أن الصفة ترجع بالدقة إلىٰ ثبوت أمر للموصوف، فينتزع منه قضية خبرية، وهو أن ذاك الشيء موصوف بكذا، فباعتبار مطابقية الخبر لواقعه يقال لذلك الواقع: الحق، فمن تطابق الصفة للواقع ينتزع للواقع صفة الحق أي الحقيقة كما لا يخفىٰ.

ولهذا المعنى الوصفي للحق مصاديق، منها صفاته تعالىٰ، ومنها القرآن، ومنه ضدّ الباطل، والأمر المقضي والعدل والإسلام والواجب والصدق.

وأما يطلق بالمعنى الاسمي وهو الشيء الثابت في صقع وجوده، فبهذا الاعتبار يكون مصداقه هو الله تعالىٰ بنفسه المقدسة، والأشياء الثابتة في عالمها من الموجود الثابت، والموت والحزم والمال والملك.

فحينئذ قوله ﷺ: والحق معكم، إن أُريد منه المعنى الوصفي، فمعناه أن كل ما قلتم وأخبرتم به فهو حق، وإن كل ما هو مطابق لواقعه فهو معكم لا مع غيركم، فالقرآن الذي هو الحق، وبيان صفاته تعالى المندرجة في القرآن وضد الباطل، والأمر المقضي والعدل والاسلام والواجب مطلقاً والصدق كلها معكم لا يفارقكم ولا تفارقونه، فهو (أي الحق) بهذه المعاني ملازم لكم، فمن أرادها (أي معاني الحق)

فلا محالة يجب أن يأخذها منكم، وإن أُريد منه المعنى الاسمي فمعناه أنه تعالىٰ معكم، وإن كل ثابت وموجود في نفسه وعالمه فهو معكم، أي أنتم مطلعون بها وتخبرون عنها عن مشاهدة.

وقد يقال: إن كون الحق (أي الله تعالىٰ) معهم علىٰ هذا المعنىٰ، يراد منه ما ذكره تعالىٰ بقوله: وهو معكم أينما كنتم، فحينئذ قد يستشكل بأنه تعالىٰ مع كل أحد، فلا خصوصية لهم عليهم السلام بذلك، وقد يجاب عنه بما حاصله: أنه تعالىٰ معهم بالرحمة والعناية واللطف وغيرها من جهات الفضل، فإنه تعالىٰ وإن كان مع الكل، إلّا أنه يكون معهم بالإحاطة العلمية والقدرة والسلطنة، وهذا يعمّ الكل، ويكون معهم عليهم السلام بتلك الصفات من الرحمة والعناية واللطف، ومرجعه إلىٰ أنه تعالىٰ معهم بالظهور الذاتي والصفاتي والأفعالي، بحيث إنه تعالىٰ أراهم نفسه المقدسة بما لها من تلك الصفات.

ويلزم هذا أنهم عليهم السلام يكونون معه تعالىٰ معية ترجع إلىٰ معنى العندية المشار إليها بقوله: ﴿ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون﴾ وقد تقدم عن الصادق عليه السلام حديث يبين هذه العندية.

والحاصل: أنه ليس المراد المعية القيومية فإنه عام لكل أحد، ولا العندية الذاتية بحيث يرجع إلى الحلول والاتحاد، بل المراد من أن الحق معهم بهذا المعنى الاسمي، هو أنه تعالىٰ ظهر لذواتهم المقدسة بصفاته وعلمه وأفعاله، وهم عليهم السلام عنده، ويشاهدون هذه الصفات منه تعالىٰ، وليس لغيرهم هذه المعية، وإلىٰ هذه المعية يشير ما روي عن الصادق عليه السلام علىٰ ما في كلماتهم من قوله عليه السلام: «لنا مع الله حالات، نحن فيها هو، وهو نحن، إلّا أنه هو هو ونحن نحن»، ولهذا الحديث شرح يطول بيانه.

وحاصله: أنهم لشدة قربهم عليهم السلام إليه تعالىٰ ظهرت لديهم صفاته تعالىٰ، بحيث تلاشت عندها الحدود الخلقية، فلم يبق إلّا أنهم عباده، فهذا الحديث بلحاظ

الاستثناء الوارد فيه مفاده مفاد قوله عليه السلام في الدعاء: «لا فرق بينك وبينها إلّا أنهم عبادك.. الخ»، وقد تقدم شرحه فيما سبق، فلا تظن ما قد توهم بعضهم من معنى الحلول والاتحاد ولو في الجملة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وأما قوله: وفيكم، أي الحق فعلى المعنى الوصفي فظاهر، أي أن كل ما هو مطابق لواقعه مما ذكرناه سابقاً فهو فيكم أي عندكم، أو أنه متحقق بواقعه الحق فيكم، وأنكم متصفون به، فأنتم أتم مصداق له، وأما على المعنى الاسمي، فمعلوم أنه لا يراد منه أن ذاته المقدسة فيكم لأنه تعالىٰ لا يحاط بل هو محيط، بل المراد منه أنه تعالىٰ بلحاظ صفاته وأفعاله متجلي فيكم وأنتم مرآته، أي أن الحق تعالىٰ بصفاته يرىٰ فيكم وأنتم مظاهره، كما تقدم من قول السجاد عليه السلام: «نحن مظاهره فيكم».

ومما ذكر يظهر الحال في قوله عليه السلام: «ومنكم وإليكم، وأنتم أهله ومعدنه» فإن الحق بما له من المعنى الوصفي والاسمي، لا يوجد عند أحد إلّا وهو منهم، ويرجع إليهم عند فناء الخلق، وهم عليهم السلام أهله أي أصحابه ومعدنه بالمعنى المتقدم في شرح قوله عليه السلام: «ومعدن الرسالة» فراجع.

وبعبارة أُخرىٰ: والحق معكم (بمعنييه) كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الحق مع علي وعلي مع الحق يدور معه حيثما دار» وقال: «اللهم أدر الحق معه حيثما دار» (وفيكم) أي وفي متابعتكم وفي أقوالكم إذا أردناه لا في متابعة غيركم ولا قول غيركم (ومنكم) لما نرىٰ من أن مالم يخرج منهم فهو باطل بالوضوح أو بالدقة والتأمل وإن ما صدر منهم فهو حق.

وفي المحكي عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ليس عند أحد من الناس حق ولا صواب، ولا أحد من الناس يقضي بقضاء حق إلّا ما خرج منا أهل البيت، وإذا تشعبت بكم الأُمور كان الخطأ منهم والصواب من علي عليه السلام.

وعن زرارة قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فقام له رجل من أهل الكوفة يسأله عن قول أمير المؤمنين عليه السلام: «سلوني عما شئتم فلا تسألوني عن شيء إلّا نبّأتكم به،

قال: إنه ليس أحد عنده علم إلّا شيء خرج من عند أمير المؤمنين عليه السلام فـليذهب الناس حيث شاءوا فوالله ليس الأمر إلّا من هيهنا وأشار بيده إلىٰ بيته».

وعن أبي مريم قال: قال أبو جعفر عليه السلام لسلمة بن كهيل والحكـم بـن عـيينة: «شرّقا وغرّبا فلا تجدان علماً صحيحاً إلّا شيئاً خرج من عندنا أهل البيت».

وفي رواية أخرىٰ: «فليشرق الحكم أو ليغرّب أما والله لا يصيب العلم إلّا من أهل بيت نزل عليهم جبرئيل عليه السلام».

أقول: فظهر أن العلم منهم عليهم السلام لا من غيرهم.

(وإليكم) أي كل حق في أيدي الناس فرجعه إليكم؛ لأنه منكم أخذ أو أنكم الباعث علىٰ وصوله إلى الخلق.

فإن قلت: ما الفرق بينه وبين قوله عليه السلام: منكم؟

قلت: معنىٰ كون الحق منهم أن منشأه منهم، ومعنىٰ كونه إليهم أنـه إذا أصـيب بحق، فبالاستقراء والتحقيق يعلم أنه يرجع إليهم عليهم السلام لا إلىٰ غيرهم، فجميع كلمات الحكمة التي توجد في كلام الناس خصوصاً المخالفين لهم كالحسن البصري ومـن يحذوا حذوه كلها مأخوذة من كلامهم ومن كلام أمير المؤمنين عليه السلام كما لا يخفىٰ على الماهر البصير والمتتبع الخبير.

(وأنتم أهله) لما نرىٰ أن العلم مطلقاً حتى الكائن عند الأنبياء والملائكة كلهم قد انتهىٰ إليهم بالمال فهي (أي العلوم) كلها عندهم، وما كان منه عندهم فهو صادر منهم عليهم السلام إلى الأنبياء والملائكة كما نطقت به الأخبار الكثيرة كما لا يخفىٰ وقد تقدم بعضها.

فأنتم المختصّون بالحق كاختصاص الأهل بذيه، وأنتم اللائقون به كما هو لائق بكم.

(ومعدنه) أي صاحبه وأصله وقد تقدم شرحه في قوله عليه السلام: «ومعدن الرسالة» والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

قوله عليه السلام: ومیراث النبوة عندكم

في المجمع: والميراث مفعال من الارث وياؤه مقلوبة من الواو أو من الموروث وهو على الأول علىٰ ما قيل: إستحقاق إنسان بموت آخر بنسب أو سبب شيئاً بالأصالة، وعلى الثاني ما يستحقه إنسان بموت آخر بنسب أو سبب بالأصالة.

وفي المحكي عن روضة المتقين قال: من علوم جميع الأنبياء وكتبهم وأخلاقهم الكاملة حتىٰ إنه كان عندهم ألواح موسىٰ وعصاه وحجره وخاتم سليمان وقميص يوسف وذو الفقار سيف رسول الله صلى الله عليه وآله ودرعه وعمامته ورايته وعنزته وغيرها، وكان عندهم من الكتب الجامعة التي كان من إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط علي عليه السلام بيده والجفر الذي فيه علوم الأنبياء والمرسلين والمشهور إنه الكتاب المعروف المرموز الذي بيننا وقيل: غيره وهو عند صاحب الأمر (عج).

أقول: إن الجفر عنده عليه السلام لا ما هو المشهور عندنا.

ومصحف فاطمة عليها السلام الذي فيه علوم ما سيأتي بإملاء جبرئيل وخط أمير المؤمنين عليه السلام وكان ذلك بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله لرفع حزنها عليها السلام..

إلىٰ أن قال: وبالجملة كل نبي ورث علماً أو غيره كما في الأخبار المتواترة، فقد انتهىٰ إليهم عليهم السلام إنتهىٰ كلامه.

أقول: المقصود من هذه الجملة بيان فضيلة لهم عليهم السلام بأن عندهم ميراث الأنبياء، وهو إما بأن يكون المراد منه العلم، أو ما يتركه النبي صلى الله عليه وآله من خصائصه، كما تقدم في شرح قوله عليه السلام: «وورثة الأنبياء»، وتقدمت الأحاديث المصرح فيها بهذه الأُمور، وتقدم أيضاً مراراً أن جميع العلوم التي كانت للأنبياء وما كان لنبينا صلى الله عليه وآله فهي عندهم كما صرحت به الأحاديث الكثيرة.

نعم: لعل الفرق بين قوله عليه السلام: «وورثة الأنبياء»، وبين قوله عليه السلام: «وميراث النبوة عندكم»، هو أن الجملة الأُولىٰ تشير إلىٰ ما يتركه الأنبياء من خصائصهم، التي ذكرت في كلام روضة المتقين من السلاح وغيره وتقدمت الإشارة إليها في

شرحها.

وبعبارة أُخرىٰ: أن المضاف هناك الوارث وهو ظاهر في الشخص، وكذلك المضاف إليه يراد منه أشخاص الأنبياء، وورثة شخص من شخص إنما هو بلحاظ ما يتركه، وهذه تشير إلىٰ ما يورثه الأنبياء من العلم والمعارف، وذلك لمكان إضافة الميراث إلى النبوة الظاهرة في المنصب الإلهي القائم بالعلم الإلهي كما لا يخفىٰ، مضافاً إلىٰ أن المضاف هنا هو الميراث لا الوارث، فيراد منه ما هو من شأن النبوة من العلم والمعارف كما لا يخفىٰ.

ولعل التكرار للإشارة إلىٰ أن الأنبياء كما يورثون العلم والمعارف، فكذلك يورثون الأموال، دفعاً لما يتوهمه بعضهم من أن الأنبياء لا يورثون المال أبداً، وذكرت له رواية أيضاً، وعلل بأنهم (أي الأنبياء) كالآباء للأُمة، فما لهم لهم لكلهم أي للناس، لئلا يظن بهم الرغبة في الدنيا.

قال في المجمع: وقد ردّ أصحابنا هذا الحديث وأنكروا صحته وهو الحق، لمخالفته القرآن الكريم، وما خالفه فهو زخرف مردود باطل لا يعتد به.

نعم: روىٰ فقه الإسلام عن الصادق عليه السلام: «أن العلماء ورثة الأنبياء»، وذلك أن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، وإنما ورثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ منها أخذ بحظّ وافر، وهو بعد تسليم صحته ليس فيه دلالة علىٰ عدم التوريث المطلق كما هو ظاهر إنتهىٰ.

أقول: وذلك لأن الحديث ظاهر في أن الأنبياء ليس من شأنهم الاعتناء بجمع الأموال وتوريثها من حيث شأن النبوة، بل المال الذي يأخذونه من حيث منصب النبوة والولاية فإنما هو الحقوق الإلهية، التي يجب صرفها فيما عيّنه الله تعالىٰ، فشأنهم بيان المعارف والعلوم، وهذه مما يورثون بها لمن بعدهم من أوصيائهم أو العلماء، ولا يورثون للناس من حيث نبوتهم.

نعم: وهذا لا ينافي تملكهم الأموال، التي كانت بأيديهم علىٰ نحو ما تكون

الأموال بأيدي الناس من متملكاتهم بالحيازة والبيع والشراء والارث من الآباء وغيرهم، فالأنبياء من هذه الجهة كغيرهم يجري عليهم أحكام الدين وأحكام الارث، إلّا أن هذه الجهة ليست ملحوظة لهم ولا لغيرهم من أُمتهم كما لا يخفىٰ.

والحاصل: أن شأن النبوة لا تعلق له بالمال، بل هو مصروف في العلم والمعارف وبيان الأحكام والأحاديث، فالمواد من نفي ما سوى العلم في قوله عليه السلام: «لم يورثوا ديناراً ولا درهماً» عدم اعتدادهم به لخروجه من شأن النبوة لا انهم لا يورثون ولا يرثون، كيف وقد قال تعالىٰ مخبراً عن سؤال زكريا من ربّه وارثاً يرثه من قوله عليه السلام: ﴿يرثني ويرث من آل يعقوب﴾[1]، وعن سليمان من أنه ورث من أبيه داود الصافنات الجياد.

وكيف كان فهم لا يعدون المال إرثاً؛ لعدم التفاتهم إلى الدنيا وما فيها، وأما اعتناؤهم بالخصائص المذكورة مع أنها من المال والدنيا؛ لأجل أنها كانت ذات شأن عظيم تدل علىٰ عظمتهم عليهم السلام ومعجزاتهم كما في بعضها، وتدل علىٰ تعيين الوصية والوصي على الأُمة كما في بعضها، علىٰ أن بعضها كانت منزلة من السماء، فله خصوصية تدل علىٰ عظمة مقام المنزل إليه كما لا يخفىٰ، فلهذا اختص بالذكر، وبكونها ميراثاً في الجملتين كما لا يخفىٰ، والحمد لله ربّ العالمين.

قوله عليه السلام: *وإياب الخلق إليكم، وحسابهم عليكم*

أقول: إياب الخلق إليهم أي رجوعهم إليهم لأجل الحساب.

يوضحه: قوله عليه السلام: وحسابهم عليكم، والكلام هنا يقع في **مقامين:**

الأول: في السرّ والوجه في ذلك.

والثاني: في بيان الأخبار الدالة علىٰ ذلك، وعلىٰ بيان المواقف التي يكون فيها

---

١ ـ مريم: ٦.

رجوعهم إليهم وحسابهم عليهم وكيفية ذلك حتىٰ في الجنة وفي النار، فنقول:

أما الأول: في بصائر[١] عن جابر الجعفي قال: كنت مع محمد بن علي عليه السلام فقال عليه السلام: «ياجابر خلقنا نحن ومحبينا[٢] من طينة واحدة بيضاء نقية من أعلىٰ عليين، فخلقنا نحن من أعلاها، وخلق محبونا من دونها، فإذا كان يوم القيامة إلتفت العليا بالسفلىٰ، وإذا كان يوم القيامة ضربنا بأيدينا إلىٰ حجزة نبينا، وضرب أشياعنا بأيديهم إلىٰ حجزتنا، فأين ترىٰ يصيّر الله نبيه وذريته؟ وأين ترىٰ يصيّر ذريته محبيها؟ فضرب جابر يده علىٰ يده فقال: دخلناها وربّ الكعبة ثلاثاً».

وفيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن الله عزوجل خلقنا من عليين، وخلق محبينا من دون ما خلقنا منه، وخلق عدونا من سجين، وخلق محبيهم مما خلقهم منه؛ فلذلك يهوي كل إلىٰ كل».

أقول: ونظير هذه كثيرة جدّاً في ذلك الباب، وفي غيره كما لا يخفىٰ.

فحينئذ نقول: المستفاد من هذه الأحاديث أن الشيعة بحقيقتها الروحية فرع لتلك الذوات المقدسة علىٰ نحو بينوه عليهم السلام وتقدم سابقاً ما يدل علىٰ ذلك أيضاً، ومعلوم أن الفرع يرجع في جميع أموره إلىٰ أصله، ففيما نحن فيه ترجع الشيعة في جميع أطوارها وحالاتها في الدنيا والآخرة إليهم عليهم السلام دلّ علىٰ ذلك قوله عليه السلام: «فلذلك يهوي كل إلىٰ كل».

فحقيقة الشيعة تهوي بذاتهم وقلوبهم إليهم عليهم السلام وهم عليهم السلام بما هم أصل لهم التفات ونظر إليهم في الدنيا والآخرة.

أما في الدنيا فلما تقدم من الأحاديث الدالة علىٰ أنهم عليهم السلام يراعون شيعتهم، ويواظبون ويراقبون أحوالهم، كما لا يخفىٰ وهي كثيرة جداً.

وأما في الآخرة فلهذه الأحاديث، وإليه يشير قوله عليه السلام: «فإذا كان يوم القيامة

---

١ ـ بصائر الدرجات باب ٩ ص ١٥.

٢ ـ أقول: الظاهر أن يكون محبونا بالواو كما لا يخفىٰ.

التفت العليا بالسفلىٰ».

فقوله: التفت، إما بمعنى الالتفات أي يلتفت الأئمة عليهم السلام بشيعتهم، أو بمعنى الالتفات أي الإحاطة والرعاية أي يلتفت الأئمة عليهم السلام بالشيعة، ومعلوم أنه يراد منه التوجه والعناية بهم كما لا يخفىٰ.

وكيف كان فرجوع الشيعة إليهم وكون حسابهم عليهم، إنما هو بمقتضى الأصل، أي أصل رجوع الفرع إلىٰ أصله كما لا يخفىٰ، وإليه تشير الأحاديث الدالة علىٰ أنهم خلقوا من فاضل طينتهم كما لا يخفىٰ، ويدل علىٰ أنهم فرع لهم ما في حديث عبدالغفار الجاري في البصائر إلىٰ أن قال عليه السلام: «الطينات ثلاثة طينة الأنبياء والمؤمن من تلك الطينة، إلّا أن الأنبياء هم صفوتها، وهم الأصل ولهم فضلهم، والمؤمنون الفرع من طينة لازب» الحديث، وتقدم أيضاً ما يدل علىٰ أن الأنبياء خلقوا من فاضل طينتهم أيضاً.

وهذا بالنسبة إلى الشيعة فظاهر، وأما بالنسبة إلىٰ غيرهم من مخالفيهم وساير الخلق؛ فلأجل أن الأعداء أيضاً خلقوا من فاضل وجود الشيعة، أي خلقوا لأجلهم؛ لتوقف كثير من منافع الشيعة عليهم، فهم بضرب من التأويل يراجعون إليهم، فبهذا اللحاظ يكون حسابهم وإيابهم أيضاً إلى الأئمة عليهم السلام هذا مضافاً إلىٰ ما تقدم من أنه تعالىٰ أشهدهم عليهم السلام خلق السموات والأرض، وخلق الأشياء التي منها الأعداء أيضاً وساير الخلق، وأنهىٰ علمه إليهم عليهم السلام وفوض إليهم عليهم السلام أمرها (أي أمر الأشياء) فلا محالة يكون إياب الخلق ورجوعهم إلىٰ من فوض إليه أمرهم كما لا يخفىٰ.

والحاصل: أن الشيعة ومن أحبهم من الأولين والآخرين؛ فلأجل كون خلقهم منهم، فلا محالة يكون رجوعهم وحسابهم إليهم وعليهم، وأما غيرهم فلأجل أنه تعالىٰ فوض أمر الخلق مطلقاً إليهم في أصل الخلقة بتمامها كما لا يخفىٰ.

وأما الثاني: في بيان كيفية رجوعهم إليهم وحسابهم عليهم فنقول: لابدّ أولاً

من ذكر الأخبار الواردة في هذا الباب، ثم بيان المستفاد منها، فنقول:

في تفسير نور الثقلين[1] عن أمالي شيخ الطائفة ﴿ بإسناده إلىٰ عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيمة، وكلنا الله بحساب شيعتنا، فما كان لله سألنا الله أن يهبه فهو لهم، وما كان لنا فهو لهم، ثم قرأ أبو عبدالله عليه السلام: «إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم».

وفيه عن روضة الكافي، عن سماعة قال: كنت قاعداً مع أبي الحسن الأول عليه السلام والناس في الطواف في جوف الليل فقال لي: «ياسماعة إلينا إياب هذا الخلق وعلينا حسابهم، فما كان لهم من ذنب بينهم وبين الله عزوجل حتمنا على الله عزوجل في تركه لنا فأجابنا إلىٰ ذلك، وما كان بينهم وبين الناس استوهبناه منهم فأجابوا إلىٰ ذلك وعوضهم الله عزوجل».

أقول: هذان الحديثان ونحوهما واردة في خصوص الشيعة؛ لمزيتهم لديهم عليهم السلام وهناك أحاديث أُخر لإياب الخلق مطلقاً ورجوعهم إليهم عليهم السلام.

ففيه أيضاً عنه بإسناده عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: «ياجابر إذا كان يوم القيمة جمع الله عزوجل الأولين والآخرين لفصل الخطاب دعي رسول الله صلى الله عليه وآله ودعي أمير المؤمنين عليه السلام فيكسىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله حلة خضراء، تضيء ما بين المشرق والمغرب، ويكسىٰ علي عليه السلام مثلها ويكسىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله حلة وردية يضيء لها ما بين المشرق والمغرب، ويكسىٰ علي عليه السلام مثله ثم يصعدان عندها، ثم يدعىٰ بنا فيدفع إلينا حساب الناس، فنحن والله ندخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار»، الحديث.

وفيه عن احتجاج الطبرسي ﴿ عن أمير المؤمنين عليه السلام يقول فيه عليه السلام: «والناس يومئذ علىٰ طبقات ومنازل، فمنهم من يحاسب حساباً يسيراً، وينقلب إلىٰ أهله

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٥٦٨.

مسروراً، ومنهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب؛ لأنهم لم يتلبسوا من أمر الدنيا بشيء، وإنما الحساب هناك علىٰ من تلبس بها هاهنا، ومنهم من يحاسب على النقير والقطمير ويصير إلىٰ عذاب السعير».

وفي معالم الزلفىٰ للسيد البحراني (رضوان الله تعالىٰ عليه وروحي فداه) عن طرائف السيد ابن طاووس في طريفة بإسناده عن الحرث وسعيد بن بشير، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «انا واردكم، وأنت ياعلي الساقي، والحسن الذائد والحسين، وعلي بن الحسين الفارض، ومحمد بن علي الناشر، وجعفر بن محمد السائق، وموسىٰ بن جعفر محصي المحبين والمبغضين وقامع المنافقين، وعلي بن موسىٰ زين المؤمنين، ومحمد بن علي منزل أهل الجنة درجاتهم، وعلي بن محمد خطيب الشيعة مزوجهم الحور العين، والحسن بن علي سراج أهل الجنة يستضيئون به، والهادي شفيعهم يوم القيمة حيث لا يأذن إلّا لمن يشاء ويرضىٰ».

قلت: ورأيت في بعض الكتب في الحديث المهدي بدل الهادي.

أقول: لا ريب في أن المراد من الهادي في كلامه عليه السلام هو بقية الله تعالىٰ (عج) عبّر عنه عليه السلام بالهادي وصفاً، ولعله تصحيف من الراوي.

وفيه عن البرسي، عن الأصبغ بن نباتة، قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «أنا أخو رسول الله، ووارث علمه، ومعدن حكمه، وصاحب سرّه، وما أنزل الله حرفاً في كتاب من كتبه، إلّا وقد صار إليّ، وزادني علم ما كان وما يكون إلىٰ يوم القيمة. أُعطيت علم الأنساب والأسباب، وأُعطيت ألف مفتاح، يفتح كل مفتاح ألف باب، وأُمددت بعلم القدر، وإن ذلك يجري إلى الأوصياء من بعدي ما جرى الليل والنهار، حتىٰ يرث الله الأرض ومَن عليها وهو خير الوارثين، أُعطيت الميزان واللواء والكوثر، أنا المقدم علىٰ بني آدم يوم القيمة، أنا المحاسب للخلق، وأنا منزلهم منازلهم، أنا عذاب أهل النار، إليّ ذلك من فضل الله عليّ»، الخطبة.

وعنه روى البرقي في كتاب الآيات عن أبي عبدالله عليه السلام: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لأمير المؤمنين عليه السلام: «ياعلي أنت ديّان هذه الأُمة، والمتولي حسابها، وأنت الركن الأعظم، ألا وإن المآب إليك، والحساب عليك، والصراط صراطك، والميزان ميزانك، والموقف موقفك يومئذ».

هذا وعنه قال: روىٰ جابر بن عبدالله عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ياجابر عليك بالبيان والمعاني، قال: فقلت: وما البيان والمعاني؟ قال: فقال علي عليه السلام: أما البيان فهو أن تعرف الله سبحانه ليس كمثله شيء، فتعبده ولا تشرك به شيئاً. وأما المعاني فنحن معانيه، ونحن جنبه ويده ولسانه، وأمره وحكمه، وكلمته وعلمه، إذا شئنا شاء الله، ويريد الله ما نريده، فنحن المثاني الذي أعطاها الله نبينا، ونحن وجه الله الذي يتقلب في الأرض بين أظهركم، فمن عرفنا فأمامه اليقين، ومن جهلنا فأمامه سجين ولو شئنا خرقنا الأرض وصعدنا السماء، وإن إلينا إياب الخلق، ثم إنّ علينا حسابهم».

وعنه روى المفضل بن عمر عن أبي عبدالله عليه السلام في شرح هذه الآيات، فإنه قال سألته من هم؟ فقال: «يامفضل من تراهم نحن، والله هم إلينا راجعون، وعلينا يعرضون، وعندنا يقفون، وعن حبنا يساءلون».

وفيه ابن بابويه ومحمد بن الحسن الصفار في بصائر الدرجات، وسعد بن عبدالله القمي في بصائر الدرجات بأسانيدهم عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال لي: «ياأبا حمزة لا تضعوا علياً دون ما وضعه الله، ولا ترفعوه فوق ما رفعه الله، كفىٰ علياً أن يقاتل أهل الكرة وأن يزوج أهل الجنة».

أقول: قد دلت أحاديث كثيرة علىٰ أنهم عليهم السلام قدرة الله وجنب الله ويد الله وهكذا، وهذه تدل علىٰ أن ذواتهم المقدسة هي حقيقة الأسماء الحسنى، التي يكون له تعالىٰ، ومعلوم أنه تعالىٰ يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد بها، فالله تعالىٰ بهم يقضي في الخلق في الدنيا والآخرة قضيته، كما تقدم عن توحيد الصدوق قول الصادق عليه السلام

في حديث صحيح: وبهم يقضي قضيته، الظاهر فيما ذكرنا بل صريح فيه، كيف ولهم الولاية التكوينية التي تقدم معناها، فحينئذ لا إشكال في أن يكون إياب الخلق إليهم وحسابهم عليهم، مع أن الرجوع إليه تعالىٰ والحساب عليه تعالىٰ؛ لأنهم قدرته وأسماؤه، فيصح استناد ذلك إليهم في عين الاستناد إليه تعالىٰ، كما حقق في محله في شرح الأمر بين الأمرين، وقد تقدم.

وكيف كان فهذه جملة من الأحاديث وهو كثيرة جداً، تدل علىٰ أن إياب الخلق إليهم وحسابهم عليهم، وعلىٰ بيان مناصبهم، وعلىٰ كيفية ذلك، وقد دلّت أحاديث أُخر علىٰ كيفية ذلك.

ففي البحار[1] عن تفسير فرات بن إبراهيم، عن عبيد بن كثير معنعناً عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أتاني جبرئيل عليه السلام فقال: أُبشّرك يامحمد بما تجوز على الصراط؟ قال: قلت: بلىٰ، قال: تجوز بنور (الله ظ) ويجوز علي بنورك، ونورك من نور الله، وتجوز أُمتك بنور علي، ونور علي من نورك، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور».

وفيه عن الخصال، عن الصادق عليه السلام عن آبائه، عن علي عليهم السلام.. إلىٰ أن قال: «فلا أزال واقفاً على الصراط أدعو وأقول: ربّ سلّم شيعتي ومحبي وأنصاري، ومَن تولاني في دار الدنيا»، الحديث.

وفيه عن كتاب فضائل الشيعة للصدوق عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «أثبتكم قدماً على الصراط أشدّكم حبّاً لأهل بيتي».

وفيه عن عقائد الصدوق، وقال النبي ﷺ لعلي عليه السلام: «ياعلي إذا كان يوم القيمة، أقعد أنا وأنت وجبرئيل على الصراط، فلا يجوز على الصراط إلّا من كانت معه براءة بولايتك».

---

١ ـ البحار ج٨ ص٦٩.

وفيه عن أمالي الصدوق، عن محدوج بن زيد الذهلي أن رسول الله ﷺ آخىٰ بين المسلمين، ثم قال: «ياعلي أنت أخي، وأنت مني بمنزلة هرون من موسىٰ غير أنه لا نبي بعدي، أما علمت ياعلي أنه أول من يدعىٰ به يوم القيمة يدعىٰ بي، فأقوم عن يمين العرش في ظلّة فأُكسىٰ حلة خضراء من حلل الجنة، ثم يدعىٰ بالنبيين بعضهم علىٰ أثر بعض، فيقومون سماطين عن يمين العرش في ظلة، ويكسون حللاً خضراء من حلل الجنة، ألا وإني أُخبرك ياعلي أن أول من يدعىٰ يوم القيمة يدعىٰ بك هذا؛ لقرابتك مني، ومنزلتك عندي، فيدفع إليك لوائي، وهو لواء الحمد، فتسير به بين السماطين.

وإن آدم وجميع من خلق الله يستظلون بظل لوائي يوم القيمة، وطوله مسيرة ألف سنة، سنانه ياقوتة حمراء قصبه فضّة بيضاء ذجّه درة خضراء، له ثلاث ذوائب من نور، ذؤابة في المشرق، وذؤابة في المغرب، وذؤابة في وسط الدنيا مكتوب عليها ثلاثة أسطر: الأول: بسم الله الرحمن الرحيم، والآخر: الحمد لله ربّ العالمين والثالث: لا إله إلّا الله محمد رسول الله، طول كل سطر مسيرة ألف سنة، وعرضه مسيرة ألف سنة، فتسير باللواء، والحسن عن يمينك، والحسين عن يسارك حتىٰ تقف بيني وبين إبراهيم في ظل العرش، فتكسىٰ حلة خضراء من حلل الجنة.

ثم ينادي مناد من عند العرش: نعم الأب أبوك إبراهيم، ونعم الأخ أخوك علي، ألا وإني أُبشرك ياعلي أنك تدعىٰ إذا دعيت، وتكسىٰ إذا كسيت، وتحيّا إذا حييّت».

أقول: ونظير هذا الحديث كثير جداً.

وكيف كان فقد دلت هذه الأحاديث المتضافرة علىٰ أن رجوع الخلق وإيابهم في الدنيا لأُمور دينهم ودنياهم، وأحكام شرايعهم، وإصلاح معادهم بالعقائد الحقة، والأعمال الصالحة، والصفات الحميدة، وإصلاح معاشهم الدنيوي، بل والأُخروي، وأيضاً رجوعهم إليهم في الآخرة؛ لأجل الحساب والشفاعة، كلها

يكون إليهم، وإلىٰ ما يستفاد من كلامهم، ولهذه الجهات نرىٰ رجوع الشيعة إلىٰ مشاهدهم؛ للاستشفاع والتوسل بهم في نجاح هذه الأُمور، كما لا يخفىٰ، وكذا حساب الخلق عليهم كما علمت، ولا استبعاد في ذلك.

ضرورة أنه تعالىٰ قد وكل بالعذاب والحساب والكتاب جمعاً من الملائكة، كما نطقت به الآيات والأحاديث في الدنيا والآخرة، ومن المعلوم أن الأئمة عليهم السلام أفضل من الملائكة كما تقدم، بل علمت أن الملائكة علموا المعارف بتعليمهم، وخلقوا وأعطوا تلك القوىٰ والمقامات من الله تعالىٰ بواسطتهم تكويناً كما حقق في محله.

وببيان آخر: إن لآل محمد عليهم السلام في كل شيء وكل نفس سرّاً، وهذا السرّ هو حقيقة اسم الله، الذي يكون قوام ذلك الشيء وتلك النفس به، وهذا الاسم هو سبب ظهور هذا الشيء ووجوده كما قال عليه السلام: «وبأسمائك التي ملأت أركان كل شيء»، وقد علمت مراراً أنهم هم حقائق الأسماء الحسنى التي تكون لله، فهم عليهم السلام مظاهر لكل الأسماء الحسنى الإلهية، فلجامعيتهم لتلك الأسماء ومظهريتهم بها، شملوا جميع الموارد الجزئية لتلك الأسماء، ولهذه الجهة يكون رجوع الخلق إليهم وحسابهم عليهم؛ لأن قوامهم بهم عليهم السلام لهذا السرّ.

ولهذه الجهة أيضاً يكونون عليهم السلام شهداء على الخلق يوم القيمة، وذلك لإحاطتهم وعلمهم عليهم السلام بهم، وهذا هو معنىٰ كونهم عليهم السلام خلفاء الله في أرضه وسمائه بلحاظ هذا السرّ، وبهذه الجهة أيضاً كانوا عليهم السلام معاذ الخلق وملاذهم لكل شدة، ومرجعهم في كل شبهة، ومستسقيهم في كل العلوم، هذا وقد تقدم ما يستفاد منه أنه تعالىٰ أجل وأعظم من أن يبرز للخلق؛ ليحاسب لهم وعليهم بنفسه؛ لعدم سعة عالم الإمكان مطلقاً في الدنيا والآخرة، وفي جميع عوالم الوجود؛ لبروزه وظهوره جلّ جلاله وعظم شأنه، فلابد من نصب خليفة يباشر حسابهم.

هذا وقد علم عدم قابلية أحد للخلافة منه تعالىٰ من أول الخلق إلىٰ انقضاء العوالم إلّا آل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) كيف وهم الذين قد خلقهم الله من

نور عظمته، واصطفاهم بعلمه وارتضاهم لغيبه واختارهم لسرّه، واجتباهم بقدرته، وأعزهم بهداه، وخصهم ببرهانه، وانتجبهم لنوره، وأيدهم بروحه، ورضيهم خلفاء في أرضه وحججاً علىٰ بريته، وقد تقدم شرح هذه الجمل بما يعلم منه سعة وجودهم، وتحقق مبادي الخلق مطلقاً فيهم، فتمام مراتب الوجود بما لها من الشؤون من أوله إلىٰ آخره، قد صارت فعلية في عوالمهم عليهم السلام فهم أركان التوحيد، وعناصر الأبرار، ودعائم الأخيار مما تقدم من شرحها.

والحاصل: أنه لما كانوا عليهم السلام وجه الله الذي لا يفنىٰ ولا يهلك، والذي به توجّه الأولياء إليه تعالىٰ، فلازمه أن مسير كل موجود من الجماد والنبات والحيوان والإنسان والملك متوجه إليهم عليهم السلام ومستفيضة منه تعالىٰ بهم؛ لأنهم باب الله تعالىٰ تكويناً وتشريعاً كما مرّ مراراً، ومثلهم عليهم السلام في هذا كمثل الأشعة من السراج، فإن كل جزء منها متوجه إلى الشعلة المضيئة، التي هي وجه النار الغائبة، والظاهرة بتلك الشعلة، وتلك النار لا تدرك، وليس لتلك الأشعة المشيرة تحقق ولا وجود، إلّا بذلك التوجه إلى الشعلة؛ لأنها هي وجه النار الغائبة، وهي التي تمدّ الأشعة بما به بقائها.

فالأئمة عليهم السلام هم الشعلة الإلهية والوجهة الأُلوهية قال تعالىٰ: ﴿**الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكوٰة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة**﴾[1] وساير الخلق بمراتبهم كالأشعة لهذه الشعلة الإلهية، فهم عليهم السلام يمدّونهم بما به بقاؤهم؛ لأنهم عليهم السلام وجه الله، الذي هو غايب عن الأبصار، والظاهر بتلك الشعلة أي أنوار محمد وآله الطاهرين، والخلق أشعتهم يستضيئون بها ويستمدون منها.

فهم عليهم السلام الوسائط بهذا المعنىٰ بين الله تعالىٰ وجميع الخلق، فلا محالة يكون

---

١ ـ النور: ٣٥.

رجوع الخلق إليهم وحسابهم عليهم، بل هذا الرجوع والحساب يكون دائماً متحققاً بينهم عليهم السلام وبينهم، إلّا أنه يوم القيمة يظهر ذلك للخلق علناً، كما لا يخفىٰ علىٰ أُولي البصيرة والألباب بحقائق ولاية محمد وآله الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين وروحي لهم الفداء) هذا والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

قوله عليه السلام: *وفصل الخطاب عندكم.*

في المجمع: قوله تعالىٰ: ﴿وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾[1] الخطاب هو توجه الكلام نحو الغير للافهام، وقد ينقل إلى الكلام الموجه نحو الغير، وفصل الخطاب هو الفصل بين اثنين، وعن الرضا عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وأُوتينا فصل الخطاب» فهل فصل الخطاب إلّا معرفة اللغات؟!

وفيه أيضاً بعد هذه الآية المباركة قيل: هو (أي فصل الخطاب) أما بعد، وقيل: البينة على الطالب واليمين على المطلوب، وقيل: الفهم في الحكومات والفصل في الخصومات.

وفي مجمع البيان: أنه لقول فصل، هذا جواب القسم، يعني أن القرآن يفصل بين الحق والباطل بالبيان عن كل واحد منهما، وروي ذلك عن الصادق عليه السلام.

قال بعض الأعاظم رحمه الله: الفصل إبانة أحد الشيئين من الآخر حتىٰ يكون بينهما فرجة، والتعبير بالفصل، والمراد الفاصل للمبالغة كزيد عدل، إنتهىٰ.

وقيل: فصل الخطاب من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، أي الخطاب الفاصل بين الحق والباطل.

وقيل: فصل الخطاب هو فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل.

وقيل: الكلام المفصول الذي لا يشتبه على السامع.

---

١ ـ سورة ص: ٢٠.

وفي المحكي عن جوامع الجامع، عن علي عليه السلام فهو قول البينة على المدعي واليمين على المدعىٰ عليه، وفي المحكي عن الكشاف، وقيل للكلام البين: فصل، بمعنى المفصول كضرب الأمير؛ لأنهم قالوا: كلام ملتبس (وفي كلامه لبس) والملتبس المختلط.

فقيل في نقيضه فصل أي مفصول بعضه عن بعض، فمعنىٰ فصل الخطاب البين من الكلام الملخص، الذي بيّنه من يخاطب به لا يلتبس عليه.

ومن فصل الخطاب وملخصه أن لا يخطئ صاحبه مظان الفصل والوصل، فلا تقف في كلمة الشهادة على المستثنىٰ منه ولا يتلو قوله: ﴿فويل للمصلين﴾[1] إلّا موصولاً بما بعده، ولا والله يعلم وأنتم، حتىٰ يصله بقوله: ﴿لا تعلمون﴾ ونحو ذلك، وكذا مظان العطف وتركه والإضمار والإظهار والحذف والتكرار.

وإن شئت كان الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور، وأردت بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب، الذي يفصل بين الصحيح والفاسد، والحق والباطل، والصواب والخطإ وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات.

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام هو قوله: البينة على المدعي واليمين على المدعىٰ عليه، وهو من الفصل بين الحق والباطل، ويدخل فيه قول بعضهم: أما بعد؛ لأنه يفتتح إذا تكلم في الأمر، الذي له شأن بذكر الله وتحميده، فإذا أراد أن يخرج إلى الغرض المسوق إليه فصّل بينه وبين ذكر الله بقوله: أما بعد، ويجوز أن يراد بالخطاب الفصل الذي ليس فيه اختصار مخل ولا إشباع ممل، ومنه ما جاء في صفة كلام رسول الله صلى الله عليه وآله فصل لا نزر ولا هذر، إنتهىٰ.

وهنا أحاديث دلت علىٰ أن فصل الخطاب عندهم عليهم السلام.

في تفسير نور الثقلين[2] في عيون الأخبار بإسناده إلىٰ أبي الصلت الهروي

---

١ ـ الماعون : ٤.

٢ ـ تفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٤٤٤.

قال: كان الرضا عليه السلام يكلم الناس بلغاتهم، وكان والله أفصح الناس وأعلمهم بكل لسان ولغة، فقلت له يوماً: يابن رسول الله إني لأعجب من معرفتك بهذه اللغات علىٰ اختلافها! فقال: «ياأبا الصلت أنا حجة الله علىٰ خلقه، وما كان الله ليتخذ حجة علىٰ قوم، وهو لا يعرف لغاتهم، أو ما بلغك قول أمير المؤمنين عليه السلام: أُوتينا فصل الخطاب، فهل فصل الخطاب إلّا معرفة اللغات».

وفيه في كتاب الخصال بإسناده إلى الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: سمعته يقول: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله علمني ألف باب من الحلال، والحرام مما كان وما يكون إلىٰ يوم القيمة، كل باب منها يفتح ألف باب، حتىٰ علمت المنايا والبلايا وفصل الخطاب».

وفيه في كتاب كمال الدين وتمام النعمة عن يزداد بن إبراهيم، عمّن حدثه من أصحابنا، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «والله لقد أعطاني الله تبارك وتعالىٰ تسعة أشياء لم يعطها أحد قبلي خلا النبي صلى الله عليه وآله لقد فتحت لي السبل، وعلمت الأسباب، وأجرىٰ لي السحاب، وعلمت المنايا والبلايا وفصل الخطاب»، الحديث.

أقول: ومثلها كثير كما لا يخفىٰ.

وعن تفسير فرات، عن الباقرين عليهما السلام قالا: «نحن فصل الخطاب ودلالة الخير».

وعن المناقب، عن علي عليه السلام قال: «أنا فصل القضاء».

وفي بعض زيارات الأمير عليه السلام: «صلّ علىٰ علي فصل قضائك بين خلقك».

وفي بعضها: «يافاصل الحكم والناطق بالصواب».

وفي بعضها: «يافصل الخطاب».

إذا علمت هذا فنقول: لا ريب في أن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام وفاطمة الزهراء (سلام الله عليها) لهم مقام معلوم عند الله تعالىٰ، وهو أنه تعالىٰ منحهم علمه، وهو

العلم بحقائق الأشياء، وأنه تعالىٰ أشهدهم خلقها وحملهم علمه، وعلمهم الأسماء الحسنى، التي بها قوام حقائق الأشياء كلها، فالأشياء كلها بلا استثناء بحقائقها تكون مكشوفة عندهم عليهم السلام وعلمهم بالنسبة إليها يكون نافذاً فيها، ولا يعزب عنهم منها شيء، كل ذلك بتعليمه تعالىٰ إياهم بالقرآن.

في تفسير القمي في قوله تعالىٰ: ﴿أنزل إليكم الكتاب مفصلاً﴾[1] قال: يعني التفصيل بين الحق والباطل مبيناً كلاً منهما.

أقول: أي مميزاً بين الحق والباطل.

ولا ريب في أن القرآن بحقيقته فيهم وعندهم قال تعالىٰ: ﴿**بل هو آيات بينات في صدور الذين أُوتوا العلم**﴾[2] والمراد منه صدورهم عليهم السلام كما صرحت به الأخبار، وقد تقدم بعضها، وعلمت في مطاوي الشرح مراراً، كيف وإن نسخة أعمال كلّ نفس بجميع شؤونها التي هي مرتبة خاصة من اسم الله، التي هي مصدر تمام المراتب في كل النفوس، بل وكل الأشياء تكون عندهم لاشتمال مباديهم عليهم السلام علىٰ تمام مراتب اسم الله تعالىٰ من الكلية والجزئية، التي تكون أركان كل شيء، ويكون قوام كل شيء بها، كما علمت هذا فيما سبق مراراً.

فلازم هذه الأُمور أنه لا يشتبه عليهم الحق من الباطل، لا بوجودهما الواقعي، ولا في مقام البيان والتعبير واللفظ، ومن المعلوم أن الخطاب الفاصل بين الحق والباطل، إنما يكون صادراً ممن له هذه الإحاطة العلمية بالواقعيات كما هي هي، وهذا مختص بهم عليهم السلام فلا محالة يكون فصل الخطاب، والخطاب الفاصل عندهم سواء فسّرت بالقرآن فإنه أحسن مصداق له لقوله تعالىٰ: ﴿**إنه لقول فصل**﴾[3] وهو أصل في كون خطاباتهم وكلامهم عليهم السلام فصلاً، أم فسرت بمعرفة اللغات كما في

---

١ ـ الانعام: ١١٤.

٢ ـ العنكبوت: ٤٩.

٣ ـ الطارق: ١٣.

كلام الرضا (روحي لتراب نعله الفداء) فإنّ هذا من آثار إحاطتهم عليهم السلام علماً بحقائق الأُمور.

فمعرفتهم اللغة عليهم السلام من أحد مصاديق فصل الخطاب؛ لعلمهم الشامل النافذ الموجب لفصل الخطاب كما لا يخفىٰ، أو فسرت بتلك التفاسير المتقدمة فإنها بأجمعها ترجع إلىٰ ما ذكرنا من كون المتكلم لما كان عالماً بحقائق الأُمور، فلا محالة يكون كلامه في الحكومات وغيرها فصلاً، والكلام الفصل بالنحو الأحسن الأتم يكون عندهم، وأما بالنسبة إلىٰ غيرهم فإن حكم أو فصل بين الحق والباطل فهو حكم وفصل على الظاهر.

ثم إن الفصل بين الحق والباطل قد يكون في الأُمور العادية كما ذكر بعضها صاحب الكشاف، وهذا القسم يكون لكثير من الناس من ذوي العلم والفهم والذكاوة، وقد يكون في الأُمور العلمية، والمعارف الإلهية، والدقائق المعنوية، فهذه بأجمعها بنحو الأتم تختص بهم عليهم السلام، وأما غيرهم من ساير الناس من العلماء الربانيين، فكلامهم فصل بقدر علمهم بحقائق الأُمور، ففي الحقيقة لا يكون كلامهم فصلاً من حيث الواقع النفس الأمري لعدم إحاطتهم به هكذا لما علمت من أن هذا مختص بهم عليهم السلام فلا محالة لا تطلق علىٰ غيرهم عليهم السلام إن كلامهم فصل بقول مطلق إلّا بالنسبة إليهم عليهم السلام.

وإلىٰ هذه النكتة يشير قوله عليه السلام: وفصل الخطاب، أي بقول مطلق عندكم فإنه محمول على الفرد الكامل، وبهذا اللحاظ كان هذا الأمر من مختصاتهم، كما قال أمير المؤمنين في الخبر المتقدم عن الأصبغ وكذا في غيره فلا يقال: إن فصل الخطاب قد يكون لغيرهم كما علمت من كلام صاحب الكشاف وغيره؛ لما علمت من أن ما كان لغيرهم مضافاً إلىٰ أنه يكون في الأُمور العادية، التي لا يعسر تمييز حقها عن باطلها، إنما يكون بالنسبة إلىٰ علمهم وإحاطتهم، لا بالنسبة إلىٰ حقيقة ذلك الشيء في نفسه.

في الحقيقة لا يكون كلامهم (أي غير الأئمة عليهم السلام) فصلاً بالنظر إلىٰ واقع الأمر في المعارف الإلهية كما لا يخفىٰ، بل يمكن أن يقال: إن أيّ كلام فصل وجد في كلام غيرهم، فهو في الحقيقة مأخوذ منهم عليهم السلام إما بالتعليم منهم عليهم السلام أو بمتابعتهم في بيان حكم ذلك الأمر مثلاً كما لا يخفىٰ، وقد دلت عليه أحاديث كثيرة مثل قوله عليه السلام: فما كان من حق فهو من علي عليه السلام.

وعن المجلسي الأول رحمه الله: وفصل الخطاب عندكم، أي الخطاب الذي يفصل به بين الحق والباطل، كما كان أمير المؤمنين عليه السلام في الوقايع والأحكام، فإنه كان يحكم في كل واقعة بخلاف حكمه في الأُخرىٰ، وروي عنهم عليهم السلام: «إن لله تعالىٰ في كل واقعة حكماً خاصاً بها».

أقول: المراد من قوله: بخلاف حكمه في الأُخرىٰ، هو ما أشار إليه بعده من قوله: إن لله تعالىٰ حكماً في كل واقعة.. الخ، ومرجعه إلىٰ أن له تعالىٰ وله عليه السلام في كل واقعة حكماً يفصل به بين الحق والباطل، وإن كان ربما يتراءىٰ في الظاهر اختلاف بين الحكمين فصاعداً مثلاً، فإنه اختلاف صوري يرتفع لو اطلع الإنسان على الواقع.

وإلىٰ هذا وتوضيحه يشير ما في الكافي[1] بإسناده عن عبدالله بن سليمان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن الإمام فوض إليه كما فوض إلىٰ سليمان بن داود؟ فقال: «نعم وذلك أن رجلاً سأله عن مسألة فأجابه فيها، وسأله آخر عن تلك المسألة فأجابه بغير جواب الأول، ثم سأله آخر فأجابه به بغير جواب الأولين، ثم قال: ﴿هذا عطاؤنا فامنن (أو أعط) بغير حساب﴾ وهكذا هي قراءة علي عليه السلام.

قال: قلت: أصلحك الله فحين أجابهم بهذا الجواب يعرفهم الامام؟ قال:

---

١ ـ الكافي ج ١ ص٤٣٨.

سبحان الله أما تسمع الله يقول: ﴿إنّ في ذلك لآيات للمتوسمين﴾[١] وهم الأئمة عليهم السلام ﴿وإنها لبسبيل مقيم﴾[٢] لا يخرج منها أبداً، ثم قال لي: نعم إن الامام إذا أبصر إلى الرجل عرفه وعرف لونه، وإن سمع كلامه من خلف حائط عرفه وعرف ما هو إن الله يقول: ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾[٣] وهم العلماء فليس يسمع شيئاً من الأمر ينطق به إلّا عرفه، ناج أو هالك فلذلك يجيبهم بالذي يجيبهم».

أقول: فقوله عليه السلام: فليس يسمع شيئاً.. الخ، يشير إلىٰ أنهم عليهم السلام عالمون بواقع الأمر والقضايا، فيحكمون في كلّ واقعة بما يرونه من حكم الله فيه، وإن كانت الواقعتان متساويتين في الموضوع والمحمول فإنهما مختلفتان في الجهات الواقعية؛ ولذا يحكمون لكل منهما بحكم تخصه كما لا يخفىٰ.

وهنا كلام وهو أنه يستفاد مما مر من الروايات والزيارات مثل قوله عليه السلام: أنا فصل القضاء، أو صلّ علىٰ فصل قضائك، ونحوهما، أنهم عليهم السلام مضافاً الىٰ أنهم يفرقون بين الحق والباطل في جميع الأُمور لا سيما الأحكام، إنما صاروا فصل الخطاب بلحاظ أن ولايتهم مفصل الحق عن الباطل، وبهم عليهم السلام وبولايتهم يتميز المحق من المبطل، والصواب من الخطإ، والهداية من الضلالة، والإيمان من الكفر، إذ مناط ذلك الفرق والتميز هو حبهم وولايتهم وعرفان حقهم عليهم السلام ويوضح هذا زيادة تفسير الحق بولايتهم عليهم السلام، ومعلوم أن فصل الخطاب، أو فصل القضاء إنما هو بالحق.

ولعمري إن هذا يظهر من كثير من الأخبار الخارجة عن حدّ الإحصاء تصريحاً وتلويحاً كما لا يخفىٰ علىٰ أهل الولاية.

---

١ ـ الحجر: ٧٥.
٢ ـ الحجر: ٧٦.
٣ ـ الروم: ٢٢.

قوله عليه السلام: وآيات الله لديكم

أقول: آيات جمع آية وهي بمعنى العلامة، وقد يراد بها العبرة والعجائب، وعن الجوهري: الآية: العلامة، والأصل اويه (بالتحريك) وجمع الآية آي وآيات.

قال في المجمع: والآية من القرآن.

قيل: كل كلام متصل إلىٰ انقطاعه.

وقيل: ما يحسن السكوت عليه.

وقيل: هي جماعة حروف من قولهم: خرج القوم بآيتهم، أي بجماعتهم، إنتهىٰ.

وقيل: سميت الآية من القرآن آية؛ لأنها علامة لانقطاع كلام من كلام، أو لكون نظام كل منها علامة من الله سبحانه وتعالىٰ.

أقول: التعاريف المذكورة للآية كلها غير مطردة ولا منعكسة كما لا يخفىٰ، وقد أعيىٰ فكر الكثير عن تعريفه الجامع المانع ولم يأتوا بشيء، هذا مع أن المفهوم منها بالنسبة إلىٰ آيات القرآن بديهي، ولعل الذي أتعب بعضهم في تفسيرها هو أنهم ظنوا بأنه لابد من امتياز الآيات كل منها عن الآخر بحيث يكون كل فرد منها مثلاً فرداً يصدق عليه أنه آية بوحده مع أنه إلزام بلا ملزم.

والظاهر (والله العالم) أن الآية بما لها من المعنى العام هو العلامة، وهي إما في اللفظ أو في المعنىٰ، فالألفاظ بلحاظ تأليفها الدالة علىٰ حسن النسق والفصاحة والبلاغة بنحو يعجز عن إتيان مثلها الثقلان، فهي آيات دلت وأعلمت أنها من الله تعالىٰ، وأما معاني القرآن فالأمر بالنسبة إليها أظهر، فإنها بلحاظ دلالتها على الحقائق والمعارف والحكم، والصفات الربوبية، وغوامض العلم، والتوحيد وشؤونه أعلنت ودلت علىٰ أنها آيات من لدن حكيم خبير، فالآيات القرآنية آيات بلحاظ علامتيها ودلالتها علىٰ تلك الأُمور الشامخة الخارجة عن طوق البشر، فبهذا اللحاظ أُطلقت عليها الآية.

ولا ينظر في إطلاق الآية عليها إلىٰ خصوصيات كيفية الأداء، بأن يكون كلامة

منقطعاً بعضها عن بعض بنحو يحسن السكوت عليه، أو بلحاظ الجماعة من الحروف، أو بلحاظ اتصاله إلىٰ انقطاعه، فإن هذه الأُمور غير دخيلة في صدق الآية عليها حتىٰ يبحث عنها، نعم يقع فيما به التميز لتعداد الآية.

وبعبارة أُخرىٰ: في بيان المناط لتشخيص الآية بحيث يمتاز به عن الأُخرىٰ في مقام العدد، ولعل التعاريف ناظرة إلىٰ هذه الجهة، والظاهر أن المناط بكل واحد منها لهذه الجهة، ولا يترتب عليه كثير فائدة بعد حفظ ظاهر الآية، وتشخيص ظهور بعضها فيما سيقت الآية لبيانه عن بعض بنحو حقق في التفاسير في مبحث حجية ظواهر القرآن.

وكيف كان فقد قال بعض الأعاظم: إن المراد من قوله: وآيات الله لديكم، هي المعجزات التي أُعطيت جميع الأنبياء عليهم السلام وغيرها التي كانت بأيديهم عليهم السلام ويظهرونها بحسب المصالح، أو الآيات القرآنية كما أُنزلت مع تفاسيرها، ومحل نزولها، وناسخها ومنسوخها وغير ذلك، أو الأعم لو لم يدخل الآيات في المعجزات، وإلّا فكل آية بما فيها من الحقائق الكثيرة تدل علىٰ أنها من الله تعالىٰ وعلىٰ صدق من أرسل إليه ومن بينها، وكتب العامة والخاصه مشحونة بذكر معجزاتهم مع أن ما وصل إلينا بالنظر إلىٰ ما لم يصل إلينا ـ وما تعرضت له الكتب والمصادر من حرف وتحريف .. كالقطرة بالنظر إلى البحر، وكذا ما أظهروه بالنسبة إلىٰ ما لم يظهروه، إنتهىٰ.

فنقول: قوله رحمه الله: هي المعجزات التي أُعطيت جميع الأنبياء، وغيرها التي كانت بأيديهم.. الخ، قد يقال: إن المراد هو أن المعجزات التي كانت تظهر علىٰ يد الأنبياء السابقين كانت لديهم، وكانوا عليهم السلام يظهرونها علىٰ أيديهم بمثلها بحسب المصالح، وحينئذ فمعناه أنه كما كان الأنبياء لديهم من المعجزات، وكانوا يظهرونها حسب المصالح، فكذلك تكون تلك المعجزات بملاكها وأسبابها لدى الأئمة عليهم السلام يظهرونها بحسب المصالح، فهي حينئذ كساير المعجزات تظهر منهم عليهم السلام المختصة بهم بحيث لم

تكن للأنبياء السابقين.

وإليه يشير ما في الكافي[1] عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: «ألواح موسىٰ عليه السلام عندنا، وعصا موسىٰ عندنا، ونحن ذرية النبيين».

وفي حديث بعده في بيان أحوال القائم (عج).. إلىٰ أن قال: «ويحمل حجر موسىٰ وهو وقر بعير، فلا ينزل منزلاً إلّا انبعث عين منه، فمن كان جائعاً شبع، ومن كان ظامئاً روىٰ، فهو زادهم حتىٰ ينزلوا النجف من ظهر الكوفة».

وفيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: «خرج أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة بعد عتمه وهو يقول: همهمة همهمة وليلة مظلمة، خرج عليكم الامام عليه قميص آدم، وفي يده خاتم سليمان وعصا موسىٰ عليه السلام».

ومثله غيره وهو كثير من متفرقات الأحاديث والأبواب.

وقد يقال: إن المراد من كون معجزات الأنبياء السابقين لديهم (أي لدى الأئمة عليهم السلام) هو أن الآيات التي هي المعجزات أظهرها الله تعالىٰ بهم عليهم السلام (أي بواسطة الأئمة عليهم السلام) لأنبيائه السابقين لتصديقهم في إظهار أمر ولايتهم، فالأنبياء لما ظهرت منهم المعجزات بواسطة الأئمة عليهم السلام فصدقوا لذلك بولايتهم الإلهية التكوينية، أو أنه تعالىٰ أظهرها لهم بهم عليهم السلام لاعلاء كلمتهم أي الأئمة، وتأسيس مدائحهم التي تتلىٰ بألسنة أعمال الخلائق وحركات أجسامهم ونفوسهم وعقولهم.

وبعبارة أُخرىٰ: أنه تعالىٰ بجهة إجراء المعجزات للأنبياء السابقين بتوسط الأئمة عليهم السلام قد نشر ثناء الأئمة عليهم السلام لهم (أي للأنبياء) حيث إن الأئمة عليهم السلام لهم المقام السني التي تتلىٰ بألسنة أعمال الخلائق.. الخ، فبإجراء المعجزات بهم عليهم السلام علىٰ يدي الأنبياء أظهر الله تعالىٰ هذه الولاية التكوينية العامة، التي تكون لهم عليهم السلام في عالم الوجود.

---

١ ـ الكافي ج ١ ص ٢٣١.

وحينئذ معنىٰ أن آيات الله أي معجزات الأنبياء لديكم، وأنها لديهم عليهم السلام هو أنها (أي تلك المعجزات) صفاتهم الواقعية وشأنهم الولوي وآثار أفعالهم الإلهية، بل تلك المعجزات مظاهرهم كما صرح به أمير المؤمنين عليه السلام في الخطب التي نقلها الشيخ الحافظ البرسي رحمه الله من قوله عليه السلام: «أنا كذا وأنا كذا»، فراجع، فإن المستفاد منها أن تلك المعجزات، التي ظهرت في الظاهر علىٰ أيديهم (أي الأنبياء) إنما كانت في الحقيقة منهم عليهم السلام ومن أمير المؤمنين عليه السلام.

وكيف كان المستفاد من خواص الأخبار أن تلك المعجزات، بل جميعها في كل الأوقات هي مظاهرهم وصور أفعالهم وأمثالهم، وهي آياتهم وصورهم ولا بأس بذكر خبر عن البحار يظهر منه ما ذكرنا.

ففيه[1] قال رحمه الله: أقول: ذكر والدي رحمه الله أنه رأىٰ في كتاب عتيق جمعه بعض محدثي أصحابنا في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام هذا الخبر، ووجدته أيضاً في كتاب عتيق مشتمل علىٰ أخبار كثيرة قال: روي عن محمد بن صدقة أنه قال: سأل أبو ذر الغفاري سلمان الفارسي (رضوان الله عليهما): ياأبا عبدالله ما معرفة أمير المؤمنين عليه السلام بالنورانية؟ قال: ياجندب فامض بنا حتىٰ نسأله عن ذلك، قال: فأتيناه فلم نجده، قال: فانتظرناه حتىٰ جاء، قال عليه السلام: «ما جاء بكما؟ قال: جئناك ياأمير المؤمنين نسألك عن معرفتك بالنورانية.

قال عليه السلام: مرحباً بكما من وليين متعاهدين لدينه لستما بمقصّرين، لعمري إن ذلك الواجب علىٰ كل مؤمن ومؤمنة، ثم قال عليه السلام: ياسلمان وياجندب، قالا: لبيك ياأمير المؤمنين، قال عليه السلام: إنه لا يستكمل أحد الإيمان حتىٰ يعرفني كنه معرفتي بالنورانية، فإذا عرفني بهذه المعرفة فقد امتحن الله قلبه للإيمان وشرح صدره للإسلام، وصار عارفاً مستبصراً، ومن قصّر عن معرفة ذلك فهو شاك ومرتاب، ياسلمان ويا جندب، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين.

---

١ ـ البحار ج٢٦ ص١.

قال عليه السلام: معرفتي بالنورانية معرفة الله عزوجل، ومعرفة الله عزوجل معرفتي بالنورانية، وهو الدين الخالص الذي قال الله تعالىٰ: **﴿وما أُمروا إلّا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة﴾**[1] يقول: ما أُمروا إلّا بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وهو الدين الحنيفية المحمدية السمحة، وقوله: يقيمون الصلوة، فمن أقام ولايتي فقد أقام الصلوة، وإقامة ولايتي صعب مستصعب لا يحتمله إلّا ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للايمان. فالملك إذا لم يكن مقرباً لم يحتمله، والنبي إذا لم يكن مرسلاً لم يحتمله، والمؤمن إذا لم يكن ممتحناً لم يحتمله.

قلت: ياأمير المؤمنين من المؤمن، وما نهايته، وما حدّه حتىٰ أعرفه؟

قال عليه السلام: ياأبا عبدالله.

قلت: لبيك ياأخا رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: المؤمن الممتحن هو الذي لا يرد من أمرنا إليه شيء إلّا شرح صدره لقبوله، ولم يشك ولم يرتب، إعلم ياأبا ذر أنا عبدالله عزوجل وخليفته علىٰ عباده، لا تجعلونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم، فإنكم لا تبلغون كنه ما فينا ولا نهايته، فإن الله عزوجل قد أعطانا أكبر وأعظم مما يصفه واصفكم، أو يخطر علىٰ قلب أحدكم، فإذا عرفتمونا هكذا فأنتم المؤمنون.

قال سلمان: قلت: ياأخا رسول الله صلى الله عليه وآله ومن أقام الصلوة أقام ولايتك؟

قال: نعم ياسلمان تصديق ذلك قوله تعالىٰ في الكتاب العزيز: **﴿واستعينوا بالصبر والصلوة وإنها لكبيرة إلّا على الخاشعين﴾**[2]، فالصبر رسول الله صلى الله عليه وآله والصلوة إقامة ولايتي، فمنها قال تعالىٰ: **﴿وإنها لكبيرة﴾** ولم يقل: وإنهما لكبيرة؛ لأن الولاية كبير حملها إلّا على الخاشعين، والخاشعون هم الشيعة المستبصرون، وذلك

---

١ ـ البينة : ٥.

٢ ـ البقرة : ٤٥.

لأن أهل الأقاويل من المرجئة والقدرية والخوارج وغيرهم من الناصبية يقرّون لمحمد ﷺ ليس بينهم خلاف، وهم مختلفون في ولايتي منكرون لذلك جاحدون بها، إلّا القليل وهم الذين وصفهم الله في كتابه العزيز فقال: **﴿إنها لكبيرة إلّا على الخاشعين﴾**[١] وقال الله تعالىٰ في موضع آخر في كتابه العزيز في نبوة محمد ﷺ وفي ولايتي فقال عزوجل: **﴿وبئر معطلة وقصر مشيد﴾**[٢] فالقصر محمد ﷺ والبئر المعطلة ولايتي عطلوها وجحدوها، ومن لم يقر بولايتي لم ينفعه الاقرار بنبوة محمدﷺ إلّا أنهما مقرونان، وذلك أن النبي ﷺ نبي مرسل وهو إمام الخلق، وعلي من بعده إمام الخلق ووصي محمد ﷺ كما قال له النبي ﷺ: أنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلّا أنه لا نبي بعدي، وأولنا محمد وأوسطنا محمد وآخرنا محمد، فمن استكمل معرفتي فهو على الدين القيم كما قال الله تعالىٰ: **﴿وذلك دين القيمة﴾**[٣] وسأبيّن ذلك بعون الله وتوفيقه:

«ياسلمان وياجندب، قالا: لبيك ياأمير المؤمنين صلوات الله عليك، قال: كنت أنا ومحمد نوراً واحداً من نور الله عزوجل، فأمر الله ذلك النور أن يشق، فقال للنصف: كن محمداً، وقال للنصف: كن عليّاً، فمنها قال رسول الله ﷺ: علي مني وأنا من علي، ولا يؤدي عني إلّا علي، وقد وجّه أبا بكر ببراءة إلىٰ مكة، فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: يامحمد، قال: لبيك، قال: إن الله يأمرك أن تؤدّيها أنت أو رجل عنك، فوجّهني في استرداد أبي بكر فرددته، فوجد في نفسه وقال: يارسول الله أنزل فيّ القرآن، قال: لا، ولكن لا يؤدي إلّا أنا أو علي.

ياسلمان وياجندب، قالا: لبيك ياأخا رسول الله، قال عليه السلام: من لا يصلح لحمل صحيفة يؤديها عن رسول الله ﷺ كيف يصلح للامامة؟ ياسلمان وياجندب فأنا

---

١ ـ البقرة: ٤٥.

٢ ـ الحج: ٤٥.

٣ ـ البينة: ٥.

ورسول الله ﷺ كنّا نوراً واحداً صار رسول الله ﷺ محمد المصطفىٰ، وصرت أنا وصيه المرتضىٰ، وصار محمد الناطق، وصرت أنا الصامت، وإنه لابد في كل عصر من الأعصار أن يكون فيه ناطق وصامت، ياسلمان صار محمد المنذر، وصرت أنا الهادي، وذلك قوله عزوجل: **﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾**[1] فرسول الله ﷺ المنذر وأنا الهادي.

﴿الله يعلم ماتحمل كل أُنثىٰ وماتغيض الأرحام وماتزداد وكل شيء عنده بمقدار * عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال * سواء منكم من أسَرَّ القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار * له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله .. ﴾[2] قال: فضرب عليه السلام بيده علىٰ الأُخرىٰ وقال: صار محمد صاحب الجمع، وصرت أنا صاحب النشر، وصار محمد صاحب الجنة، وصرت صاحب النار أقول لها: خذي هذا وذري هذا، وصار محمد ﷺ صاحب الرجعة، وصرت أنا صاحب الهدّة، وأنا صاحب اللوح المحفوظ، ألهمني الله عزوجل علم ما فيه.

نعم ياسلمان وياجندب، وصار محمد يس والقرآن الحكيم، وصار محمد ن والقلم، وصار محمد طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقىٰ، وصار محمد صاحب الدلالات، وصرت أنا صاحب المعجزات والآيات، وصار محمد خاتم النبيين، وصرت أنا خاتم الوصيين، وأنا الصراط المستقيم، وأنا النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون، ولا أحد اختلف إلّا في ولايتي، وصار محمد صاحب الدعوة، وصرت أنا صاحب السيف، فصار محمد نبيّاً مرسلاً، وصرت أنا صاحب أمر النبي ﷺ قال الله عزوجل: **﴿يلقي الروح من أمره علىٰ من يشاء من عباده﴾**[3] وهو روح الله لا يعطيه ولا يلقي هذا الروح إلّا علىٰ ملك مقرب أو نبي مرسل أو وصي منتجب.

فمن أعطاه الله هذا الروح، فقد أبانه من الناس، وفوض إليه القدرة وإحياء

---

١ ـ الرعد : ٧.

٢ ـ الرعد: ٨ ـ ١١.

٣ ـ غافر : ١٥.

الموتىٰ، وعلم ما كان وما يكون، وسار من المشرق إلى المغرب، ومن المغرب إلى المشرق في لحظة عين، وعلم ما في الضمائر والقلوب، وعلم ما في السموات والأرض، ياسلمان وياجندب، وصار محمد الذكر الذي قال الله عزوجل: **﴿قد أنزل الله إليكم ذكراً * رسولاً يتلوا عليكم آيات الله﴾**[١].

إني أُعطيت علم المنايا والبلايا، وفصلِ الخطاب، واستودعت علم القرآن وما هو كائن إلىٰ يوم القيمة، ومحمد ﷺ أقام الحجة حجة للناس، وصرت أنا حجة الله عزوجل، جعل الله لي ما لم يجعل لأحد من الأولين والآخرين لا لنبي مرسل ولا لملك مقرب، ياسلمان وجندب، قالا: لبيك ياأمير المؤمنين، قال عليه السلام: أنا الذي حملت نوحاً في السفينة بأمر ربي، وأنا الذي أخرجت يونس من بطن الحوت بإذن ربي، وأنا الذي جاوزت بموسىٰ بن عمران البحر بإذن ربي، وأنا الذي أخرجت إبراهيم من النار بإذن ربي، وأنا الذي أخرجت أنهارها، وفجرت عيونها، وغرست أشجارها بإذن ربي.

وأنا عذاب يوم الظلة، وأنا المنادي من مكان قريب، قد سمعه الثقلان الجن والانس وفهمه قوم، إني لأسمع كل قوم؛ الجبارين والمنافقين بلغاتهم، وأنا الخضر عالم موسىٰ، وأنا معلم سليمان بن داود، وأنا ذو القرنين، وأنا قدرة الله عزوجل، ياسلمان وياجندب أنا محمد ومحمد أنا، وأنا من محمد ومحمد منّي، قال الله تعالىٰ: **﴿مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان﴾**[٢].

ياسلمان وياجندب، قالا: لبيك ياأمير المؤمنين، قال: إن ميتنا لم يمت، وغائبنا لم يغب، وإن قتلانا لن يقتلوا، ياسلمان وياجندب، قالا: لبيك صلوات الله عليك، قال عليه السلام: أنا أمير كل مؤمن ومؤمنة ممن مضىٰ وممن بقي، وأُيدت بروح العظمة، وإنما أنا عبد من عبيد الله، لا تسمونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم، فإنكم لن تبلغوا

---

١ ـ الطلاق: ١٠ و ١١.

٢ ـ الرحمن: ١٩ و ٢٠.

من فضلنا كنه ما جعله الله لنا ولا معشار العشر؛ لأنا آيات الله ودلائله، وحجج الله، وخلفاؤه وأُمناؤه وأئمته، ووجه الله، وعين الله، ولسان الله.

بنا يعذب الله عباده، وبنا يثيب، ومن بين خلقه طهرنا واختارنا واصطفانا، ولو قال قائل: لم وكيّف وفيم، لكفر وأشرك لأنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ياسلمان وياجندب، قالا: لبيك ياأمير المؤمنين صلوات الله عليك، قال عليه السلام: من آمن بما قلت، وصدق بما بينت وفسرت وشرحت وأوضحت ونورت وبرهنت فهو مؤمن ممتحن، إمتحن الله قلبه للإيمان، وشرح صدره للإسلام، وهو عارف مستبصر، قد إنتهىٰ وبلغ وكمل، ومن شكّ وعند وجحد ووقف وتحيّر وارتاب فهو مقصر وناصب.

ياسلمان وياجندب، قالا: لبيك ياأمير المؤمنين صلوات الله عليك، قال عليه السلام: أنا أُحيي وأُميت بإذن ربي، وأنا أُنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم بإذن ربي، وأنا عالم بضمائر قلوبكم. والأئمة من أولادي عليهم السلام يعلمون ويفعلون هذا إذا أحبّوا وأرادوا؛ لأنا كلنا واحد، أولنا محمد، وآخرنا محمد، وأوسطنا محمد، وكلّنا محمد، فلا تفرقوا بيننا، ونحن إذا شئنا شاء الله، وإذا كرهنا كره الله، الويل كل الويل لمن أنكر فضلنا وخصوصيتنا، وما أعطانا الله ربّنا؛ لأن من أنكر شيئاً مما أعطانا الله، فقد أنكر قدرة الله عزوجل ومشيّته فينا.

ياسلمان وياجندب، قالا: لبيك ياأمير المؤمنين صلوات الله عليك، قال عليه السلام: لقد أعطانا الله ربنا ما هو أجل وأعظم وأعلىٰ وأكبر من هذا كلّه.

قلنا: ياأمير المؤمنين ما الذي أعطاكم، ما هو أعظم وأجلّ من هذا كله؟

قال: قد أعطانا ربنا عزوجل علمنا للاسم الأعظم، الذي لو شئنا خرقت السموات والأرض والجنة والنار ونعرج به إلى السماء، ونهبط به الأرض، ونغرّب ونشرّق، وننتهي به إلى العرش، فنجلس عليه بين يدي الله عزوجل، ويطيعنا كل شيء حتى السموات، والأرض، والشمس، والقمر، والنجوم، والجبال، والشجر،

والدواب والبحار والجنة والنار.

أعطانا الله ذلك كله بالاسم الأعظم، الذي علمنا وخصّنا به، ومع هذا كله نأكل ونشرب، ونمشي في الأسواق، ونعمل هذه الأشياء بأمر ربنا، ونحن عباد الله المكرمون الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، وجعلنا معصومين مطهّرين، وفضّلنا علىٰ كثير من عباده المؤمنين، فنحن نقول: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله. وحقت كلمة العذاب على الكافرين، أعني الجاحدين بكل ما أعطانا الله من الفضل والإحسان.

ياسلمان وياجندب فهذه معرفتي بالنورانية، فتمسّك بها راشداً، فإنه لا يبلغ أحد من شيعتنا حدّ الاستبصار حتىٰ يعرفني بالنورانية، فإذا عرفني بها كان مستبصراً بالغاً كاملاً، قد خاض بحراً من العلم، وارتقىٰ درجة من الفضل، واطّلع علىٰ سرّ من سرّ الله ومكنون خزائنه».

أقول: هذا إذا فسّرت الآيات بالمعجزات، وإن فسّرت بالآيات القرآنية فمعناه: إن تفاسيرها المتعددة من ـ وظاهر ظاهر إلى سبعة ، ومن باطن وباطن باطن إلىٰ سبعة، ومن تأويل وباطن كذلك كلها عندهم ﷺ وكذلك ما يراد منها من أمر ونهي، ودعاء وترغيب وترهيب، وقصص وأمثال وأخبار، وحدّ ومطلع، وعبارة وإشارة، وتلويح وتصريح، وإيماء ومجمل ومبيّن، وعام وخاص، وناسخ ومنسوخ، وماض وحال ومستقبل كلها عندهم، وأيضاً قد يراد منها شيء لشيء، وشيء من شيء، وشيء إلىٰ شيء، وشيء في شيء، وشيء بشيء، وشيء بدل شيء، وهذه كلها علمها ومعرفتها عندهم ﷺ. وإليه يشير ما في قول الصادق ﷺ: «إنما يعرف القرآن من خوطب به».

وأيضاً قد يراد منها الحقيقة أو المجاز، أو حقيقة بعد حقيقة، ومجاز بعد مجاز، ومجاز بعد حقيقة، وحقيقة بعد مجاز، ومحكم وظاهر، ومتشابه ومرجوح ومتساوي، وإبهام وإيهام، واختيار وتعمية، وفتنة ومخادعة وغير ذلك مما اشتملت

عليه آيات القرآن فكلها عندهم.

والحاصل: أن علوم القرآن بأجمعها وأقسامها المذكورة عندهم عليهم السلام.

ففي المحكي عن العياشي بإسناده عن حمران بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام: «ظهر القرآن الذي نزل فيهم وبطنه الذين عملوا بمثل أعمالهم».

فهذه الرواية دلت علىٰ أن القرآن ظهره هو بالنظر إلى الذين نزل فيهم، وهم مصداقه حين النزول، وبطنه من كانوا بمثلهم في المتأخرين، فإنهم مصداق له باطناً وتأويلاً، وبيان هذه مع ما قلنا من أقسامه كلها عندهم عليهم السلام.

ففي الكافي[1] باب أنه لم يجمع القرآن كله إلّا الأئمة عليهم السلام وأنهم يعلمون علمه كله، بإسناده عن جابر قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «ما ادّعىٰ أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أُنزل إلّا كذّاب، وما جمعه وحفظه كما نزّله الله تعالىٰ إلّا علي ابن أبي طالب عليه السلام والأئمة من بعده عليهم السلام».

وفيه عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «ما يستطيع أحد أن يدعي أن عنده جميع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء عليهم السلام».

أقول: قال بعض الأعاظم رحمه الله: قوله عليه السلام: إن عنده القرآن كله.. الخ، الجملة وإن كانت ظاهرة في لفظ القرآن، ومشعرة بوقوع التحريف فيه لكن تقييدها بقوله: ظاهره وباطنه، يفيد أن المراد هو العلم بجميع القرآن من حيث معانيه الظاهرة على الفهم العادي، ومعانيه المستنبطة على الفهم العادي.. الخ.

أقول: بل المراد هو الاشارة إلىٰ معانية الباطنية، التي لا تصل إليه أوهام العقلاء، وإن بلغوا من العلم إلىٰ منتهاه الظاهري، وإليه يشير قوله عليه السلام: ما يستطيع أحد.. الخ، ولا نظر له عليه السلام (والله العالم) إلىٰ مسألة التحريف؛ لأن قوله عليه السلام: ظاهره، ظاهر في أن ظاهره أيضاً دقيق، ومن حيث المجموع لا يكون مقدور أحد في الاستظهار والاستفادة كما هو المراد الإلهي، فتدبر.

---

١ ـ الكافي ج١ ص٢٢٨.

وفيه عن سلمة بن محرز قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إن من علم ما أُوتينا تفسير القرآن وأحكامه، وعلم تغيير الزمان وحدثانه إذا أراد الله بقوم خيراً أسمعهم، ولو أسمع من لم يسمع لولىٰ معرضاً كأن لم يسمع، ثم أمسك هنيئة، ثم قال: ولو وجدنا أوعية أو مستراحاً لقلنا والله المستعان».

وفيه عن عبدالأعلىٰ مولىٰ آل سام قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «والله إني لأعلم كتاب الله، من أوله إلىٰ آخره في كفّي، فيه خبر السماء وخبر الأرض، وخبر ما كان وخبر ما هو كائن، تبياناً لكل شيء.

أقول: هذا اقتباس منه عليه السلام معنوي من قوله تعالىٰ: **﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾**[1].

وفيه عن عبدالرحمن بن كثير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال **﴿الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾**[2] قال: ففرّج أبو عبدالله عليه السلام بين أصابعه فوضعها في صدره ثم قال: «وعندنا والله علم الكتاب كله».

وفيه عن بريد بن معاوية قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: **﴿قل كفىٰ بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾**[3] قال: «إيانا عنىٰ، وعلي أولنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي صلى الله عليه وآله».

أقول: بل يمكن أن يقال: إن المراد من الآيات في قوله عليه السلام: وآيات الله لديكم، هو جميع الآيات النازلة في الكتب الإلهية من القرآن وغيره.

ففي الكافي[4] عن هشام بن الحكم في حديث بريه (أو بريهة كما في سائر النسخ) أنه لما جاء معه إلىٰ أبي عبدالله عليه السلام فلقي أبا الحسن موسىٰ بن جعفر عليه السلام فحكى له

---

١ ـ النحل: ٨٩.

٢ ـ النمل: ٤٠.

٣ ـ الرعد: ٤٣.

٤ ـ الكافي ج١ ص٢٢٧.

هشام الحكاية، فلما فرغ قال أبو الحسن عليه السلام لبريه: «يابريه! كيف علمك بكتابك؟ قال: أنا به عالم، ثم قال: كيف ثقتك بتأويله؟ قال: ما أوثقني بعلمي فيه، قال: فابتدأ أبو الحسن عليه السلام يقرأ الانجيل، فقال بريه: إياك كنت أطلب منذ خمسين سنة أو مثلك، قال: فآمن بريه وحسن إيمانه، وآمنت المرأة التي كانت معه. فدخل هشام وبريه والمرأة علىٰ أبي عبدالله عليه السلام، فحكى له هشام الكلام الذي جرىٰ بين أبي الحسن موسىٰ عليه السلام وبين بريه، فقال أبو عبدالله عليه السلام: **﴿ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾**، فقال بريه: أنّىٰ لكم التوراة والانجيل وكتب الأنبياء؟ قال: «هي عندنا وراثة من عندهم نقرؤها كما قرؤوها، ونقولها كما قالوا، إن الله لا يجعل حجة في أرضه، يسأل عن شيء فيقول لا أدري».

أقول: فمن هذا الحديث وأضرابه يعلم أن جميع الآيات والكتب الإلهية عندهم، كما حقق في محله أيضاً، وكيف كان فعندهم جميع الآيات، كيف لا وإن جميع الآيات الإلهية في الكتب المنزلة إنما هي دلالات للأسماء الحسنى الإلهية إلىٰ اسم الله الأعظم، الذي ليس في عالم الوجود شيء إلّا وهو صورة منه، أو أثر من آثاره، وقد علمت مراراً قولهم عليهم السلام: «والله نحن الأسماء الحسنىٰ»؟

ففي الكافي[1] بإسناده عن جابر، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن اسم الله الأعظم علىٰ ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنما كان عند آصف منها حرف واحد، فتكلم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس، حتىٰ تناول السرير بيده، ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة العين، ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف واحد عند الله تعالىٰ استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم».

أقول: وحينئذ فالآيات التي هي آثار للاسم الأعظم الذي هو عندهم تكون لديهم بحقائقها وآثارها كما لا يخفىٰ.

---

١ ـ الكافي ج ١ ص ٢٣٠.

إذا علمت هذا فاعلم: أنه ذكر المجلسي ﷺ في البحار عن الاحتجاج: جاء بعض الزنادقة إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام وقال: لولا ما في القرآن من الاختلاف والتناقض؛ لدخلت في دينكم، فقال له علي عليه السلام: وما هو؟ فذكر آيات رأىٰ تناقضها مع آيات أُخرىٰ، فأجاب عليه السلام عن كل منها بما يدفع به التناقض المتراءىٰ في النظر في الظاهر، إلىٰ أن قال عليه السلام: «ثم إن الله جل ذكره بسعة رحمته ورأفته بخلقه، وعلمه بما يحدثه المبدلون من تغيير كتابه قسم كلامه ثلاثة أقسام، فجعل قسماً منه يعرفه العالم والجاهل، وقسماً لا يعرفه إلّا من صفا ذهنه، ولطف حسّه، وصحّ تمييزه ممن شرح الله صدره للإسلام، وقسماً لا يعرفه إلّا الله وأُمناؤه الراسخون في العلم.

وإنما فعل ذلك لئلا يدعي أهل الباطل من المستولين علىٰ ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله من علم الكتاب ما لم يجعله الله لهم، وليقودهم الاضطرار إلى الايتمار لمن ولاه أمرهم، فاستكبروا عن طاعته تعززاً وافتراء على الله عزوجل، واغتراراً بكثرة من ظاهرهم وعاونهم، وعاند الله جل اسمه ورسوله صلى الله عليه وآله» الحديث.

وفيه[1] عن التوحيد بإسناده عن أبي معمر السعداني: أن رجلاً أتىٰ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: ياأمير المؤمنين إني شككت في كتاب الله المنزل، قال له علي عليه السلام: «ثكلتك أُمّك، وكيف شككت في كتاب الله المنزل؟ فذكر موارد شكّه من الآيات التي رآها متناقضة مع الأُخرىٰ، فأجاب عليه السلام عنها.. إلىٰ أن قال: وليس كل العلم يستطيع صاحب العلم أن يفسّره لكل الناس؛ لأن منهم القوي والضعيف، ولأن منه ما يطاق حمله، ومنه ما لا يطاق حمله، إلّا أن يسهّل الله له حمله، وأعانه عليه من خاصة أوليائه»، الحديث.

فالمستفاد من هذين الحديثين وأشباههما أن بعض الآيات خصوصاً المتشابهات، لا يعلمها أحد إلّا الله والراسخون في العلم وهم الأئمة عليهم السلام علىٰ ما تأتي أحاديثه، وكذا بالنسبة إلىٰ باطن القرآن وتأويله، فلا محالة يختص واقع الآيات

---

١ ـ الكافي ج ١ ص ١٢٧.

القرآنية بهم في المتشابهات، بل وفي المحكمات حسب ما يرىٰ من تفسيرهم عليهم السلام لها باعتبار الحروف وساير الجهات، كما ستأتي الاشارة إليه، فيعلم منها أن الآيات بواقعها وحقائقها خصوصاً في المتشابهات والبطون منها إنما هي لديهم، وأما غيرهم فإما لا يعلمونها كالقسم الثالث، الذي أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام في الحديث الأول، وإما لا يعلمها إلّا من صفا ذهنه، إلىٰ آخر ما ذكره عليه السلام بل ربما لا يعلم معاني الآية من كان ضعيفاً في الاحتمال كما ذكره عليه السلام في الحديث الثاني، فحينئذ صح القول: إنّ آيات الله لديهم.

وحيث إن هذا بحث كثير الفوائد لا بأس بتطويل الكلام فيه؛ ليتضح الحق فنقول: إنه قد وردت أحاديث كثيرة بألسنة مختلفة علىٰ أنه لا يجوز تفسير القرآن بالرأي، بل لابد من متابعة ما ورد من أهل بيت العصمة والطهارة.

ففي البحار عن منية المريد عن النبي صلى الله عليه وآله: «من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ».

وعن الكافي، عن الصادق، عن أبيه عليهما السلام قال: «ما ضرب القرآن بعضه ببعض إلّا كفر».

وروى العامة عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوء مقعده من النار».

وفي البحار[1] عن أمالي الصدوق بإسناده عن الريان، عن الرضا عليه السلام عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله جلّ جلاله: «ما آمن بي من فسّر برأيه كلامي، وما عرفني من شبّهني بخلقي، وما علىٰ ديني من استعمل القياس في ديني».

وفيه عن أمالي الصدوق والتوحيد وعيون أخبار الرضا عليه السلام بإسناده عن الهروي قال: قال الرضا عليه السلام لعلي بن محمد الجهم: «لا تتأوّل كتاب الله عزوجل

---

١ ـ البحار ج ٩٢ ص ١٠٧.

برأيك، فإن الله عزوجل يقول: ﴿**وما يعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم..**﴾».

وفيه عن تفسير العياشي، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إن الآية تنزل أولها في شيء، وأوسطها في شيء، وآخرها في شيء ثم قال: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾ من ميلاد الجاهلية».

وفيه عنه، عن أبي الجارود قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «ما علمتم فقولوا، وما لم تعلموا فقولوا: الله أعلم، فإن الرجل ينزع بالآية فيخر بها أبعد ما بين السماء والأرض».

وفيه عن منية المريد، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «من قال في القرآن بغير علم، فليتبوء مقعده من النار»، وقال صلى الله عليه وآله: «من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ» وقال صلى الله عليه وآله: «من قال في القرآن بغير ما علم، جاء يوم القيمة ملجماً بلجام من نار»، وقال صلى الله عليه وآله: «أكثر ما أخاف علىٰ أُمتي من بعدي رجل يتأوّل القرآن يضعه علىٰ غير موضعه».

وفيه عن تفسير العياشي، عن عمار بن موسىٰ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «سألت عن الحكومة قال: من حكم برأيه بين اثنين فقد كفر، ومن فسّر آية من كتاب الله فقد كفر».

وفي المحكي عن الكافي، عن الصادق عليه السلام أنه قال لأبي حنيفة: «أنت فقيه أهل العراق؟ قال: نعم، قال: بم تفتيهم؟ قال: بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، قال: ياأبا حنيفة تعرف كتاب الله حقّ معرفته، وتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: نعم، قال: ياأبا حنيفة لقد أدعيت علماً ويلك ما جعل الله ذلك إلّا عند أهل الكتاب، الذين أنزل عليهم ويلك ولا هو إلّا عند الخاص من ذرية نبينا محمد صلى الله عليه وآله وما ورثك الله من كتابه حرفاً».

وعن الكافي بإسناده إلىٰ زيد الشحّام قال: دخل قتادة بن دعامة علىٰ أبي

جعفر عليه السلام فقال: «ياقتادة أنت فقيه أهل البصرة؟ فقال: هكذا يزعمون، فقال أبو جعفر عليه السلام: بلغني أنك تفسّر القرآن، فقال له قتادة: نعم، فقال له أبو جعفر عليه السلام: فإن كنت تفسّره بعلم فأنت أنت وأنا أسألك، إلىٰ أن قال أبو جعفر عليه السلام: ويحك ياقتادة إن كنت إنما فسّرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت، وإن كنت قد فسرته من الرجال فقد هلكت وأهلكت.. إلىٰ أن قال: ويحك ياقتادة إنما يعرف القرآن من خوطب».

وعن أمير المؤمنين في خطبة له عليه السلام قال عليه السلام: «إن علم القرآن ليس يعلم ما هو إلّا من ذاق طعمه، فعلم بالعلم جهله، وبصر به عماه، وسمع به صممه، وأدرك به ما قد فات وحيى به بعد إذا مات، فاطلبوا ذلك من عند أهله وخاصته فإنهم خاصته نور يستضاء به أئمة يقتدىٰ بهم، هم عيش العلم، وموت الجهل، وهم الذين يخبركم حلمهم عن علمهم، وصمتهم عن منطقهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الحق ولا يختلفون» الخطبة، وقد ذكر بعضها في النهج.

أقول: قال بعض الأعاظم: إعلم أن المفسر إما أن يفسّر ظاهر القرآن أو إشاراته ودقائقه وبواطنه، فالقسم الأول من التفسير من ترجمة المراد من الألفاظ، وما استعمل فيها، وبيان ما هو المقصود من الكلام ابتداء الذي هو الشايع المعروف في كتب التفسير، فإن القرآن عبارة عن ألفاظ وكلمات عربية مؤلفة على النهج العربي، فكما أن لكل كلام عربي معنىً إذا عرض علىٰ عرف العرب، فهم منه ذلك المعنىٰ بعد ملاحظة مساق الكلام وخصوصياته، وساير القرائن الحالية والمقالية المتصلة والمنفصلة، كذلك آيات القرآن وجمله إذا عرضت عليهم بجميع الخصوصيات، التي هي عليها وملاحظة القرائن المتصلة والمنفصلة يفهمون منها معان خاصة بملاحظة معاني المفردات وخصوصيات الاعراب والتأليف، ومساق الكلام والقرائن المكتنفة باللفظ وغيرها.

وكل كلام تام بأيّ لغة كانت إذا عرض على العارف بتلك اللغة يفهم منه معنىٰ،

ويحكم بأنه هو معنىٰ ذلك الكلام، ولا شك في أن ظاهر القرآن كلام عرفي نزل بلغة العرب، وطريقة العقلاء والمسلمين خصوصاً جارية علىٰ حمل كل كلام على الظاهر المتبادر منه بعد ملاحظة جميع الخصوصيات، ولعل مثل هذه الترجمة لا يعد تفسيراً فضلاً عن كونه تفسيراً برأي، فقد ذكر بعض العلماء أن التفسير أصله الكشف والإظهار وكذلك ساير تقاليبه، ومن ذلك سفرت المرأة إذا كشفت عن وجهها..

إلىٰ أن قال: فلا يبعد أن يكون التفسير هو بيان كلام لا يفيد بنفسه ذلك المعنىٰ، فيكون مساوقاً لتعيين الجمل وكشف المغلق، نعم لا يبعد اندارج ما دلّت عليه القرائن الخفية فيه (أي في التفسير) باعتبار إظهار تلك القرينة، وأما بعد الالتفات إليها، فإن كانت معتبرة عند العقلاء كانت كسائر القرائن الظاهرة وإلّا لم يصح الاعتماد عليها، وبالجملة فكل آية لها ظاهر معنىٰ لفظي بملاحظة جميع الخصوصيات، فهو حجة فيه علىٰ ما فصل في علم الأُصول فيصح تفسيرها به..

إلىٰ أن قال ما ملخصه: أن الأمر بالتمسك بالثقلين (أي القرآن والعترة) يشير إلى التمسك بظاهر القرآن، الذي هو حجة فيما يتبادر منه بنحو ما قلنا، وكذلك الاحاديث الواردة في عرض الأخبار عند التعارض على الكتاب العزيز، والأخذ بما وافقه وهي كثيرة جداً مذكورة في محله.

فالمستفاد من هذه الأخبار أن القاعدة الشرعية هو إرجاع الأخبار إلى الكتاب، وجعل الميزان منها عند التعارض هو الكتاب مطلقاً، والأخذ بما وافقه وأشبهه، وطرح ما خالفه أو لا يشبهه بل وما لا يوافقه وما لا يخالفه إذا لم تكن مستجمعة لشرائط الحجية، والعجب من جماعة عكسوا الأمر فلم يأخذوا بالكتاب بنفسه أصلاً، وجعلوا الحديث ميزاناً للكتاب.

أقول: أي في الأخذ بالظاهر من الكتاب ضرورة أن ظاهر الكتاب بنحو بيناه يكون حجة، فهو المرجع بهذه الجهة لإرجاع المتعارضين إليه، ولا يحسن حينئذ جعل الحديث ميزاناً وإرجاع الكتاب إليه، نعم بالنسبة إلى التفسير والمعاني

الباطنية للقرآن، فالمرجع فيها هو الحديث الذي يكون حجة كما لا يخفىٰ، بل لابد من رد متشابهات القرآن إلىٰ محكماته، فكما أنه يرد متشابهات الأخبار ومتعارضاتها إليه (أي الظاهر منه) بنحو ما ذكرناه، كذلك يرد متشابهات القرآن إلىٰ محكماته.

فقد روي عن أبي حيون مولى الرضا عليه السلام قال: من ردّ متشابه القرآن إلىٰ محكمه، فقد هدي إلىٰ صراط مستقيم.

ثم قال عليه السلام: «إن في أخبارنا محكماً كمحكم القرآن، ومتشابهاً كمتشابه القرآن، فردوا متشابهها إلىٰ محكمها، ولا تتبعوا متشابهها دون محكمها فتضلّوا».

فانظر إلىٰ هذا الحديث الشريف كيف سوىٰ بين الكتاب والحديث في الاشتمال على القسمين (أي المتشابه والمحكم) وكيف حكم في كل منها بحكم واحد، وهو ردّ المتشابه فيها إلى المحكم، فإن كان الاشتمال عليهما مانعاً عن الحجية عمّ المقامين (أي الكتاب والخبر).

وبعبارة أُخرىٰ: إن المحكم منهما حجة فيهما، والمتشابه فيهما لابدّ من رده إلى المحكم منهما، فما كان منهما حجة وهو المحكم منهما، أو ما كان غير حجة منهما وهو المتشابه يكون بنحو واحد كما لا يخفىٰ.

ثم إن الأمر بالأخذ بظاهر القرآن كقوله عليه السلام: «فيمن عثر فانقطع ظفره»، أنه يعرف هذا وأشباهه من كتاب الله كقوله تعالىٰ: ﴿ما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ وكقوله عليه السلام من: «إن الله لا يخاطب الخلق بما لا يعلمون»، معلوم من الأخبار، وهو ناظر إلىٰ ما قلنا من الإرجاع إلىٰ محكماته، التي هي الحجة دون المتشابه، وحينئذ نقول: فما أحدثه بعض الاخباريين من عدم جواز استنباط العلوم من القرآن بعيد عن إصابة الحق والصواب، ولعله كفران بهذه النعمة العظيمة، التي أنعم الله سبحانه علىٰ عباده، حيث أنزل إليهم كتاباً جامعاً لأنواع المعارف؛ ليدبّروا آياته كما أمرهم بذلك، وليتذكر أُولو الألباب، وأنه آيات بينات لا إجمال ولا ريب

فيه.

كيف والإجمال والإغلاق وعدم وفاء اللفظ بالمراد نقص في الكلام، ومناف لبلاغة الكلام، وكلام الله سبحانه منزه عن كل نقص وهو كامل تامّ، نعم لابد في الأخذ بظاهر القرآن والمعنى الذي يتبادر منه عرفاً من الاطلاع علىٰ معاني المفردات، وقوانين تأليفها، وملاحظة القرائن الحالية والمساقية والمقالية، وجميع دقائق الكلام والبحث عن القرائن المنفصلة من الأحاديث، وسائر الأدلة العقلية والنقلية.

فأما حمل القرآن علىٰ معنىٰ من دون اطلاع على القواعد اللفظية، أو عدم الالتفات إلى القرائن والدقائق اللفظية، أو عدم البحث عن القرائن المفصلة، وملاحظة الناسخ من المنسوخ والمجمل والمفصل وغيرهما، أو تخصيص شيء منها بمورد خاص بملاحظة استحسان عقلي، أو نكتة غير عرفية، أو محض ميل نفسه إليه أو تعصب لمذهبه أو تقليد مفسّر غير معصوم فيما لم يؤخذ عن المعصوم، أو خيال سبق إلىٰ ذهنه، أو قاعدة خارجية فاسدة إلىٰ غير ذلك، أو حمل اللفظ المحتمل لوجهين أو وجوه علىٰ معنىٰ الأُمور المشار إليها من القياس والاستحسان والميل النفساني ونحوها. أو تصرف آخر غيرها (أي غير المذكورة من هذه الأقسام) بواحد منها (أي من هذه الأقسام) كما هو كثير من تفسيرات المفسرين فهو غير صحيح، وفيها يتحقق تفسير القرآن بالرأي، وضرب بعض القرآن ببعض الموجب للكفر والقول في القرآن بغير علم، ومن دون سؤال العلماء آل محمد ﷺ مع التمكن منه، كما هو شأن قتادة وأبي حنيفة وأضرابهما، والأخذ في الدين بالهوىٰ والمقاييس والتفسير من تلقاء النفس وعن الرجال، والخوض والمجادلة والتكلم في القرآن بغير علم، واتباع المتشابه و ظني التأويل وانتزاع الآية الذي يخر به أبعد من السماء، والغفلة عن نزول أول الآية في شيء وآخرها في شيء وغيرها.

ثم إن ما ذكرناه من أن الأخذ بظاهر القرآن إنما هو بعد الإحاطة بالقواعد

اللفظية مع الشروط المتقدمة من الفحص عن القرائن المنفصلة، والدليل المعارض إلىٰ غير ذلك مما تقدم، فإنما هو بلحاظ عالم ألفاظ القرآن، ونشره المعبر عنه في الأحاديث بالتنزيل، وإلّا فللقرآن مراتب كثيرة خارجة عن قدرة العامة من الناس، كيف وقد عرفت أنه علىٰ ثلاثة أقسام: قسم منه للعارف والجاهل، وقسم منه لمن صفا ذهنه ولطف حسّه وصحّ تمييزه، وهذا القسم خارج من القسم الأول، بل القسم الأول بالنسبة إليه كالقطرة بالنسبة إلى البحر.

وكيف كان فالعالم بالقواعد اللفظية، وبما يتوقف عليه إعمال الألفاظ يكون شأنه مقصوراً على اللفظ، وليس له التعدي إلى الاستمداد بنفسه لشيء من ينابيع القرآن وبحوره، التي لا يدرك غورها إلّا من كان ممن وصفه عليه السلام بقوله: من صفا ذهنه.. الخ، وهذا القسم بالنسبة إلى القسم الثالث المشار إليه بقوله عليه السلام: وقسماً لا يعرفه إلّا الله وأُمناؤه الراسخون في العلم، فإن هؤلاء ممن نستدل بهم علىٰ ربنا، ونستنصحهم علىٰ أنفسنا، ونتّهم عليهم آراءنا، ونجعلها تبعاً لهم، ونستغش بهم أهواءنا، فلا نرىٰ لها في قبالهم شأناً، فإن هؤلاء أي(الأُمناء الراسخون) ممن يأخذون المعاني والحقائق من القرآن، فهم بلحاظ هذه الجهة حجج الله تعالىٰ علينا وليس هم إلّا الأئمة عليهم السلام.

وتقدمت الأحاديث عن الكافي وغيره بما دلّ علىٰ أن القرآن بتمامه إنما هو عندهم عليهم السلام وإن من ادعىٰ ذلك من غيرهم فهو كذّاب، بل لا يحصىٰ ولا يعلم جميع مراتب صرف واحد من القرآن غيرهم عليهم السلام أو من علّموه من خواص شيعتهم حسب إمكان دركه وظرفية وجوده.

ففي البحار: وذكر أبو عمر الزاهد، واسمه محمد بن عبدالواحد في كتابه بإسناده: أن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «يابن عباس إذا صليت العشاء الآخرة فالحقني إلى الجبان، قال: فصليت ولحقته وكانت ليلة مقمرة، قال: فقال لي: ما تفسير الألف من الحمد؟ قال: فما علمت حرفاً أُجيبه، فتكلّم في تفسيرها ساعة تامّة، قال: ثم قال

لي: فما تفسير اللام من الحمد؟ قال: فقلت: لا أعلم، فتكلّم في تفسيرها ساعة تامة، قال: ثم قال: ما تفسير الميم من الحمد؟ فقلت: لا أعلم، قال: فتكلم فيها ساعة تامة، قال: ثم قال: ما تفسير الدال من الحمد؟ قال: قلت: لا أدري، قال: فتكلم فيها إلىٰ أن برق عمود الفجر، قال: فقال لي: قم أبا عباس إلىٰ منزلك وتأهب لفرضك، قال أبو العباس عبدالله بن العباس: فقمت وقد وعيت كل ما قال، ثم تفكرت فإذا علمي بالقرآن في علم علي عليه السلام كالقرارة في المتغنجر (أي كالغدير في جنب البحر كذا قيل)».

وفيه: وروى النقاش أيضاً حديث تفسير لفظة الحمد، فقال بعد إسناده عن ابن عباس قال: قال لي علي عليه السلام وساق الحديث.. إلىٰ أن قال بعد سؤاله عن اللام، ثم قال: فما تفسير الحاء من الحمد؟ قال: فقلت: لا أعلم، قال: فتكلم في تفسيرها ساعة تامة.

وفيه[1]، أسرار الصلوٰة، قال علي عليه السلام: «لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب».

وفيه عن درة الباهرة قال الصادق عليه السلام: «كتاب الله عزوجل علىٰ أربعة أشياء، على العبارة والإشارة، واللطائف والحقائق، فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء».

فالمستفاد من هذه الأحاديث أن علم القرآن، وعلم إشاراته ولطائفه وحقائقه، إنما هي عندهم بأجمعها، وإن من شاركهم فيها من غيرهم، فإنما هو بالنسبة إلىٰ ما علموه أقل القليل، مضافاً إلىٰ أنه يكون مأخوذاً منهم عليهم السلام ولا يكون لأحد الإحاطة بجميع جهات القرآن حتىٰ من الجهات الظاهرية إلّا هم عليهم السلام.

ففيه: قال السيدابن طاووس رحمه الله في كتاب سعد السعود: روىٰ يوسف بن

---

١ ـ البحار ج٩٢ ص١٠٣.

عبدالله بإسناده عن أبي الطفيل قال: شهدت علياً عليه السلام يخطب وهو يقول: «سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلّا أخبرتكم، واسألوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلّا وأنا أعلم بليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل».

قال المجلسي رحمه الله: أقول: وقال أبو حامد الغزالي في كتاب بيان العلم اللدني في وصف مولانا علي بن أبي طالب عليه السلام ما هذا لفظه: وقال أمير المؤمنين عليه السلام إن رسول الله صلى الله عليه وآله «دخل لسانه في فمي فانفتح في قلبي ألف باب من العلم، مع كل باب ألف باب، وقال (صلوات الله عليه): لو ثنيت لي وسادة وجلست عليها؛ لحكمت لأهل التوراة بتوراتهم، ولأهل الانجيل بإنجيلهم، ولأهل القرآن بقرآنهم».

وهذه المرتبة لا تنال بمجرد العلم، بل يتمكن المرء في هذه الرتبة بقوة العلم اللدني.. الخ.

فتحصل مما ذكرنا: أن القرآن باعتبار الألفاظ يكون علمه للكل مع تلك الشرائط، وباعتبار الحقائق والبطون بما هو هو من حقيقة تمثل الوحي الإلهي، فإنما هو عند النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام وبين المرتبتين مرتبة بل مراتب كثيرة تكون للأولياء المشار إليهم في حديث الصادق عليه السلام وفي حديث أمير المؤمنين عليه السلام المشار إليه بالقسم الثاني، ولعل المراد منهم الخواص الكاملون من الشيعة، مع ما لهم من المراتب المتعددة في ذلك كما لا يخفىٰ، فهؤلاء هم المنزفون بحراً لا ينزف والماتحون عيوناً لا تنضب، والواردون مناهل لا تغاض، والسافرون منازل لا يضل نهجها، والسائرون أعلاماً لا يعمىٰ عنها، والقاصدون آكاماً لا يجاز عنها.

وكيف كان فالعلماء فيه ريّ عطشهم، والفقهاء فيه ربيع قلوبهم، والصلحاء فيه محاجّ طرقهم، والمستأنسون بالله به وبتلاوته كيفية أُنسهم، ومع هذا كله فقد علمت أن حقائقها الحقة الإلهية إنما هي عندهم لا غيرهم، وهذا معنىٰ قوله عليه السلام: «وآيات الله لديكم»، أي الآيات القرآنية بواقعها الإلهي تكون لديكم، كيف وأنت إذا تأملت فيما قدمناه علمت أن الحقائق القرآنية ليست شريعة لكل وارد، ولا يطلع عليها إلّا

مَن علموه ومنحوه ذلك.

بقي الكلام في بيان ما ربما يكون وجهاً في اختصاص معاني وجوه الآيات والتنزيل والتأويل، والظهر والبطن، والحد والمطلع، والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، والبطون والتأويل وغير ذلك بهم عليهم السلام فإن الأحاديث الكثيرة دلت علىٰ ذلك، ونحن نذكر بعضها، ثم نعقب ببيان ذلك الوجه فنقول:

في البحار[1] عن المحاسن بإسناده عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء من التفسير فأجابني، ثم سألته عنه ثانية فأجابني بجواب آخر، فقلت: جعلت فداك، كنت أجبتني في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم! فقال: «ياجابر إن للقرآن بطناً وللبطن بطن، وله ظهر وللظهر ظهر، ياجابر ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إن الآية يكون أولها في شيء وآخرها في شيء، وهو كلام متصل منصرف علىٰ وجوه».

وفيه عن معاني الأخبار بإسناده عن حمران بن أعين قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن ظهر القرآن وبطنه، فقال: «ظهره الذين نزل فيهم القرآن، وبطنه الذين عملوا بأعمالهم، يجري فيهم ما نزل في أُولئك».

وفيه عن تفسير العياشي، عن الفضيل بن يسار، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الرواية: «ما في القرآن آية إلّا ولها ظهر وبطن، وما فيه حرف إلّا وله حدّ، ولكل حدّ مطلع، ما يعني بقوله: لها ظهر وبطن؟ قال: ظهره وبطنه تأويله، منه ما مضىٰ، ومنه ما لم يكن بعد يجري كما تجري الشمس والقمر كلما جاء منه شيء وقع قال الله تعالىٰ: ﴿**وما يعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم**﴾[2] نحن نعلم».

وفيه[3] عن المحاسن، عثمان، عن سماعة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إن الله

---

١ ـ البحار ج ٩٢ ص ٩٢.
٢ ـ آل عمران: ٧.
٣ ـ البحار ج ٩٢ ص ٩٠.

أنزل عليكم كتابه الصادق البار، فيه خبركم وخبر ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وخبر السماء وخبر الأرض، فلو أتاكم من يخبركم عن ذلك لعجبتم».

وفيه[١] عن تفسير العياشي، عن مرازم قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إنّا أهل البيت لم يزل الله يبعث فينا من يعلم كتابه من أوله إلىٰ آخره، وإن عندنا من حلال الله وحرامه ما يسعنا من كتمانه ما نستطيع أن نحدّث به أحداً».

وفيه[٢] عن بصائر الدرجات بإسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «تفسير القرآن علىٰ سبعة أحرف، منه ما كان ومنه ما لم يكن بعد ذلك، تعرفه الأئمة عليهم السلام».

وفيه عنه بإسناده عن عبدالأعلىٰ بن أعين قال: سمعت أبا عبدالله يقول: «قد ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا أعلم كتاب الله، وفيه بدء الخلق، وما هو كائن إلىٰ يوم القيامة، وفيه خبر السماء وخبر الأرض، وخبر الجنة وخبر النار، وخبر ما كان، وخبر ما هو كائن، أعلم ذلك كأنما أنظر إلىٰ كفّي، إن الله يقول: فيه تبيان كل شيء».

أقول: علمت أنه اقتباس من القرآن.

وفيه[٣] عن المحاسن بإسناده عن المعلىٰ بن خنيس قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «ما من أمر يختلف فيه اثنان إلّا وله أصل في كتاب الله، لكن لا تبلغه عقول الرجال».

أقول: قال بعض الأعاظم: أقول: يحتمل أن يكون المطلع اسم مكان علىٰ وزن المشدد، بمعنى مكان الاطلاع من موضع عال، وأن يكون علىٰ وزن المصعد، أي مصعداً يصعد إليه.

---

١ ـ البحار ج٩٢ ص٩٦.
٢ ـ البحار ج٩٢ ص٩٨.
٣ ـ البحار ج٩٢ ص١٠٠.

قيل: ومحصل معناه قريب من معنى التأويل والبطن، كما أن معنى الحد قريب من معنى التنزيل والظهر.

أقول: روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ما من آية إلّا ولها أربعة معان: ظاهر وباطن وحدّ ومطلع، فالظاهر التلاوة، والباطن الفهم، والحدّ هو أحكام الحلال والحرام، والمطلع هو مراد الله من العبد بها».

أقول: وحينئذ الظاهر هو ظاهر الآية التي تقرأ، والباطن هو فهم معانيها، والحدّ أي ما به حد الأعمال وحدودها، التي لا يجوز التعدي عنها من أحكام الحلال والحرام، والتي تجعل الانسان في حدها (أي في حدودها ودائرتها) في العمل، والمطلع (بالتشديد) هو أنه بعدما علم العبد هذه الأُمور الثلاثة، فكأنه صعد من عالم الجهل بالعلم والفهم، ومن عالم البعد بالعمل إلىٰ عالم القرب والعلو النفساني، فحينئذ يعلوه هكذا يطلع، ويشاهد ما أراد الله منه من هذا العلم وهذه التكاليف، وهو حقيقة العبودية، والإقرار بربوبيته تعالىٰ عن معرفة وترتيب آثارهما، أي آثار العبودية من الخضوع والتسليم، والرضا بقضائه وقدره وأمثالها، وآثار الربوبية من وحدانيته وواجديته لصفات الجلال والجمال، والأُنس به والالتذاذ من معرفته وعبادته، كما لا يخفىٰ.

وأما ما في حديث فضيل من قوله عليه السلام: «ما في القرآن آية إلّا ولها ظهر وبطن، وما فيه حرف إلّا وله حدّ ومطلع»، إلىٰ قوله: «يجري كما تجري الشمس»، فلعل المراد منه أن لكل من المفردات والمركبات من الحروف والكلمات، أو من الكلمات والجمل معان محدودة جزئية وحقائق كلية، فتحصل تلك الكلية من تجريد الجزئيات عن الخصوصيات، التي لا دخل لها في نفس تلك الحقيقة، وعن تعلق الحكم بها (أي بالجزئيات) كما سبق فيما قبله، فإن الذين نزلت فيهم الآية هم خصوصيات لا دخل فيها لما حكم في الآية عليهم، وإنما مناط الحكم هو القدر المشترك الحاصل فيهم وفيمن كان له مثل أعمالهم.

إذ لا ريب في أن الجزئيات كلها تندرج بالدقة تحت قاعدة كلية هو المعوّل عليها، فيعم الافراد الماضية والآتية، فكلما جاء موضوعه الكلي في ضمن فرد من الافراد، وقع عليه المحمول الكلي، وذلك كالشمس والقمر فإنهما نيران، ويظهران كل جسم كثيف قابلهما بلا اختلاف فيهما، وإنما الاختلاف من جهة تقابل الأجسام بهما، كذلك كل خبر أو إنشاء تعلق بموضوع جزئي حقيقي، فإنما يتعلق به من حيث عنوان كلي هو المناط، الذي لا تبديل فيه ولا تغيير، وسائر الخصوصيات المشخصة لا دخل لها بذلك الحكم.

ولعل هذا هو المراد من القضية الحقيقة المبحوث عنها في بعض مسائل الأُصول في قبال القضايا الخارجية، التي يعبّر عنها بالقضايا الشخصية، فكل حكم لوحظ فيه الشخص فهو قضية شخصية، وإلّا فهي حقيقته بالدقة، وإن انطبقت علىٰ بعض مصاديقها الجزئية، ولعل الآيات القرآنية من خبرياتها وإنشائياتها تكون كذلك أي بنحو القضية الحقيقية، وهذا الحكم الكلي ثابت في محله لا يتغير ولا يتبدل، ولا تبديل لكلمات الله سبحانه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ولن تجد لسنة الله تحويلاً.

ولعل إليه يشير ما في رواية المعلّىٰ علىٰ ما في البحار[1] عن المحاسن عمن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام في رسالة: «وأما ما سألت من القرآن، فذلك أيضاً من خطراتك المتفاوتة المختلفة؛ لأن القرآن ليس علىٰ ما ذكرت، وكل ما سمعت فمعناه غير ما ذهبت إليه، وإنما القرآن أمثال لقوم يعلمون دون غيرهم، ولقوم يتلونه حق تلاوته، وهم الذين يؤمنون به ويعرفونه، فأما غيرهم فما أشكله عليهم وأبعده من مذاهب قلوبهم! ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنه ليس شيء بأبعد من قلوب الرجال من تفسير القرآن، وفي ذلك تحيّر الخلائق أجمعون إلّا ما شاء الله»، الحديث.

---

١ ـ البحار ج ٩٢ ص ١٠٠.

وما في رواية محمد بن مسلم من قوله عليه السلام: «والقرآن ضرب فيه الأمثال» إلىٰ آخره، بيانه: إن المثل يطلق كثيراً علىٰ ما يفيد حال مماثله بتوسط الأمر الجامع بينهما، الذي هو المعيار والمناط، وإلّا فالجزئي لا يكون بنفسه كاسباً لمجهول كما تقرر في علم المنطق، مثلاً المؤمن الذي ذكر في سورة يس شخص جزئي حقيقي قيل له: ﴿..ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون﴾، لكن الذي يرتبط بوقوع هذا الخطاب عليه من خصوصياته هو إيمانه وأعماله الصالحة من دعوة قومه، أو تحمل الأذىٰ في جنب الله مثلاً دون شكله ولونه ونسبه واسمه، فتنزيل الآية وحده الرجل الذي يسعىٰ هو ذلك الشخص بعينه، وتأويله من كان يعمل بمثل عمله.

فمفاد التأويل قضية كلية منتزعة من هذه القضية الشخصية بعد إلغاء الخصوصيات، وهو أن كل من آمن وعمل بمثل عمله يقال له: أُدخل الجنة سواء كان ممن مضىٰ، أو ممن يأتي، فكلما جاء شخص بصفته، وقع حكمه عليه كما لا يخفىٰ.

وإليه أيضاً يشير ما روي عن إسحق بن عمار قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول «إن للقرآن تأويلاً فمنه ما جاء، ومنه ما لم يجئ، فإذا وقع التأويل في زمان إمام من الأئمة عليهم السلام عرفه إمام ذلك الزمان».

وما روي عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «تفسير القرآن علىٰ سبعة أوجه منه ما كان، ومنه ما لم يكن بعد تعرفه الأئمة عليهم السلام»، وقد تقدم الحديث.

وهذا معنىٰ ما اشتهر عن حال بعض من أنه يعطي الحكم بالمثال، أي يبين الحكم الكلي بالمثال الجزئي بما ذكرناه، ثم إن الذي ينبغي أن يقال في شرح المقال في المقام هو ما ذكره بعض الأكابر من: أن كل محمول خارج عن ذات الموضوع ولا لازم لمهيّته، فإنما يعرضه لعلة موجبة لعروضه، ولابدّ من أن يكون للموضوع اختصاص لذلك العلّة من أنها علة موجبة ذلك الاختصاص؛ لتأثيره في إلحاق ذلك المحمول عليه، فالموضوع الواقعي هو الوصف العنواني المنتزع من ذلك الاختصاص الناعت، وسائر الخصوصيات الذاتية والعرضية خارجة عن موضوع

الحكم في الواقع لا دخل لها في عروضه.

فإذا قال لابنه يابني لا تشرك بالله، فالمخاطب ذلك الشخص الخاص، لكن صورة النهي الإرشادي لم تتعلق به إلّا من حيث كون الشرك ظلماً عظيماً، وكون لقمان شفيقاً عليه، لا يرضىٰ بصدور الظلم منه، فكل موجود كان شركه ظلماً عظيماً، وكان هناك من يشفق عليه إندرج تحت العنوان الواقعي، وإن خرج عن الصورة، وإذا جردت النهي عن الناهي، ولاحظت أن ذلك الفعل بحيث ينبغي النهي عنه الذي هو حقيقة النهي الإرشادي، فقط اشتراط الشفقة والقضية حينئذ إن كل شيء كان شركه ظلماً عظيماً، فينبغي تحذّره عنه وامتناعه منه.

وإذا لاحظت أنه قد صدر من لقمان هذا الكلام لأجل أنه حكيم، وجردته عن سائر خصوصياته، علم منه أن كل من كان حكيماً فهو ينهىٰ عن الشرك معنىً، ثم إذا جردت الحكيم عن كونه شخصاً خارجياً، ولاحظت أن الحكمة صفة العقل، وأن العقل هو الحكيم الذي يمنع عن الشرك لكونه ظلماً، وأن صدور النهي عن لقمان لمكان عقله المتصف بالحكمة، صارت القضية أن العقل المتصف بالحكمة ينهىٰ عن الشرك؛ لذلك فالعقل لقمان يعظ بذلك، وكل عاقل حكيم يعظ بذلك، والمخاطب كل موجود له قابلية النهي عنه، متصف بالصفات الموجبة لكون الشرك ظلماً من الماضين والآتين، والمنهي عنه هو الشرك من حيث كونه ظلماً عظيماً، فالعنوان الواقعي هو الظلم العظيم في أي مفهوم يتحقق.

وإذا لاحظت العقل رأيت حقيقته نوراً متسعاً يستضيء به الكل (أي كل الموجودات) ويشملها في جميع العوالم كلها، وهو من حيث كونه موجوداً ممكناً، فلا محالة يكون قائماً بغيره، وله قيوم أوجده بإشراقه، فهو من حيث كونه ممكناً ليس لنفسه ما له من الإضاءة والإنارة، بل يكون تلك من موجدها، وهو مظهر له من هذه الجهة فبالحقيقة تكون الإضاءة والدرك لذلك الموجد المشرق، إذ هو بالنسبة اليه عرضي وهو ذاتي (أي قائم بذاته) فآثاره منه لا محالة، إذ كل ما بالعرض من

جميع شؤونه يكون لما بالذات، فبالحقيقة إن تلك التجريدات في القضية السابقة رجعت إلىٰ هذا الموجد الحقيقي القائم بنفسه والقيوم لغيره، فجميع الهيئات العارضة لهذه القضية من العوالم الواسعة إلى العالم المضيق الصوري وهو قوله تعالىٰ: ﴿**يابني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم**﴾[١]، يكون تجليات ومظاهر لذلك الموجد القائم بنفسه، وفي الحقيقة قد ظهر في تلك الهيئات وتجلىٰ بها.

وإلىٰ هذا كله يشير ما في البحار[٢] عن أسرار الصلوة: وقال الصادق عليه السلام: «لقد تجلى الله لخلقه في كلامه، ولكنهم لا يبصرون»، فتدبر تعرف إن شاء الله تعالىٰ.

ثم إن ما ذكرناه تقاس عليه الأُمور الخارجية من القضايا مطلقاً، فإن كل نسبة خارجية يعبّر عنها الكلام إنما تتحقق لعلة والعلة فاعلية ومادية وصورية وغائية، ولا يخلو عن إمكانات استعدادية ومعدات وشرائط وانتفاء موانع، والكلام الحاكي عن النسبة الخارجية إذا جردتها، وقطعت النظر عن جميع ما لا يرتبط بتحقق تلك النسبة الخارجية، وأخذت بما يرتبط بتحققه عقلاً على الميزان العقلي، صار الكلام الجزئي قاعدة كلية خارجية من أول العالم إلىٰ آخره، وجميع الأُمور الخارجية الجزئية مندرجة تحت كليات معينة في الواقع بالبيان المتقدم، لا تبديل لها أبداً ما دامت السموات والأرض، كما أن اعرابات الكلمات العربية الواقعة في ألسنة الفصحاء كلها مندرجة تحت القواعد النحوية.

والتكاليف الشخصية مندرجة تحت الأحكام الفقهية الكلية، والكليات ثابتات، والجزئيات داثرات، وللتجريد درجات كما عرفت، وللكليات مراتب كلما قلّت قيودها بالتجريد اتسعت دائرة عمومه وشموله وقلّت عدداً، وكلما نزلت بالحاق القيود ولحاظها تعددت بحسبها وتضيقت لتقيّدها.

ثم اعلم: أن العوالم كثيرة ولكل شيء حقيقة في كل عالم من العوالم من حيث

---

١ ـ لقمان: ١٣.

٢ ـ البحار ج ٩٢ ص ١٠٧.

الضيق والسعة، وسرعة الانقضاء وبطئها، والثبات وعدمه، كما أن لزيد وجوداً في الخارج ووجوداً في الحسّ المشترك، ووجوداً معنوياً في الوهم، ووجوداً متوسطاً في المتخيلة، ووجوداً كلياً في العقل، والأول جزئي حقيقي يمتنع فرض الاشتراك فيه مقترن بمادته الجسمانية، والثاني مجرد عن المادة مقترن بما اكتنفته من الخصوصيات، والثالث مجرد عن الخصوصيات الصورية ملبوس بالمعاني الكائنة فيه، والرابع ملبوس بها معاً، والخامس مجرد عن جميع المشخصات وجميع اللواحق، التي لا دخل لها في نفس تلك الحقيقة الكلية من المعاني والصور، مع اختلاف ما سوى الأول من المراتب في مقدار التلبس والتجرد.

فربما يلاحظ العقل حقيقة الشيء مجرداً عن جميع ما سواه، وربما يلاحظه ملبوساً بعوارض كلية، فيكون التصور على الأول (النوع) وعلى الثاني الصنف، واللواحق والخصوصيات لها كليات متصورة بالعقل ومعان مدركة بالوهم، وصور مدركة بالحق، ولها ضمّ وتفريق يحصلان بالمتخيلة، وكما أنك إذا أبصرت زيداً ارتسمت صورته في الحسّ، ثم معناه في الوهم، ثم الجميع في المتخيلة، ثم تمام حقيقته في العقل، كذلك توجد حقيقته الكلية أولاً في عالم من عوالم الوجود، ثم معانيه في آخر، ثم الجامع لهما في ثالث، أو في حدّ مشترك بين عالمين، ثم صورته مجردة عن المادة في رابع، ثم المتلبس بالمادة العنصرية في هذا العالم.

والأول في عالم العقل، والثاني في عالم المعاني، والرابع في عالم المثال، والثالث في المتوسط بينهما، والخامس في عالم الحسّ والشهادة، ولكل منها درجات وذلك لأن موجودات هذا العالم كلها مركبات من المادة والصورة، والحصص الكلية، والخصوصيات المشخّصة، ووجود كل مركب مسبوق بوجود سابقه سبقاً ذاتياً عقلاً، أو سبقاً خارجياً بالحدس الناشيء من ملاحظة تقابل القوس الصعودي في عالم الإنسان مع القوس النزولي في العالم الكبير، وعن ملاحظة سنة الله سبحانه في خلق الأشياء من التدريج في إيجادها وترتيبها علىٰ ما تقتضيه الحكمة بوضعها في

مواضعها، وتنزيلها منزلته ومرتبة البسيط مقدمة على المركب، فتقدمه بالوجود وضع له في محله.

فإن الكليات أشرف من الجزئيات الداثرة والفانية، فإن قاعدة الإمكان الأشرف تقتضي أن تكون الكليات وجودها متقدماً على الجزئيات فتأمل، وأيضاً فإن الحكمة الإلهية المقتضية لابداع الأشياء إنما تتخصص متدرجة.

وبعبارة أُخرىٰ إنما تبدع الأشياء وتفرزها بالحصص الوجودي متدرجة، فلا يتعلق أولاً بالماديات المركبة والجزئيات، ألا ترىٰ أن صفة الجود في الجواد منا إنما تقتضي الإنفاق والإعطاء الكلي؟ فلو كنّا قادرين علىٰ أن نوجده علىٰ صفته الكلية لأوجدناه كذلك، وكانت تلك الصفة كافية في صدور ذلك الكلي منّا من دون حاجة إلىٰ ضم أمر آخر.

وأما الإنفاق علىٰ زيد بطريق جزئي، فلا يكفي تلك الصفة في صدوره، بل لابد من خصوصيات تنضم إليه توجب تحصيل تلك الطبيعة في ضمن ذلك الفرد من أدوات متعلق بزيد، وبأنه مستحق للإنفاق عليه، وبالشيء الذي ينفق عليه، وغير ذلك، وحينئذ فالجواد المطلق القادر علىٰ جميع الأشياء ينبغي أن يكون صدور الكليات عنه مع قدرته مقدماً علىٰ صدور الجزئيات، وقد قال الله سبحانه: **﴿وإن من شيء إلّا عندنا خزائنه وما ننزله إلّا بقدر معلوم﴾**[1] ولا نريد بالكلي هنا المفهوم الذهني، الذي يمتنع عروض الوجود العيني له، إذ الكلي إذا جاء في ظرف الخارج يصير فرداً، بل أمراً آخر يحاكيه المفهوم الكلي الذهني وهو عنوان له.

وحينئذ فيشبه أن يكون لكل آية مراتب من حيث المدلول بحسب عوالم مفاده، فإن القرآن حكاية عن الأفعال والأحكام الإلهية، وفيه تبيان كل شيء، وحينئذ فلا يبعد أن تكون حكاية القرآن عن كل واقعة علىٰ نحو ينطبق علىٰ جميع

---

١ ـ الحجر : ٢١.

عوالمه، بشرط أن يراعىٰ في كل منها المعنىٰ بحيث يناسب ذلك العالم، إذ متاع البيت يشبه صاحب البيت، وحينئذ فلابد من نقل تلك القضية بجميع أجزائـها إلىٰ ذلك العالم، وأخذ كل واحد على الوجه المناسب له، وحينئذ فقد يكون ما هو حقيقة في هذا العالم مجازاً معنوياً في بعض العوالم إما بتوسع في نسبة المحمول إلى الموضوع، أو في غيره كما في نسبة القتل إلى النبي ﷺ فإنه إذا لوحظ النبي في عالم المجردات يكون نسبة القتل إليه ﷺ حينئذ بلحاظ العلم والجهل الكلي في الأرواح.

لكن نسبة القتل بينهما لا تقع في نفس ذلك العالم، بل في مظاهرهما وآثارهما كما أن القتل الحسّي لا يقع على الأرواح، بل على الأجسام التي هي مظاهر للأرواح، وقد يكون اللفظ مجازاً في عالم الشهادة، وحقيقة في عوالم أُخر كالنور والظلمة، التي كثر ذكرهما في الآيات والأخبار في شأن المكلفين كقوله تعالىٰ: ﴿**الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور**﴾[1] إذ الظلمات بحسب الظاهر هـو الجـهل بمصالحه ومفاسده أو ما أشبه ذلك، وهو مجاز بعلاقة المشابهة، لكـنه عـلىٰ مـعناه الحقيقي في عالم المثال والبرزخ وغيرهما.

وقد يكون العرض في عالم جوهراً في عالم آخر كأعمال المكلفين التي تتجسّم في النشأة البرزخية وعالم القيٰمة، ثم إن الآية القرآنية إذا كـانت بحسب المـعنىٰ لهـا عوالم، ولكل عالم نحو من الوجود والمصداق فللعارف بها هكـذا كـالأئمة عليهم السلام أن يفسّروها مرّة بلحاظ الظاهر، وتارة بلحاظ الباطن، وأُخـرىٰ بـلحاظ التأويـل، ورابعة بلحاظ تأويل التأويل، ثم إنه في كل مرتبة قد يراد من المعنى المقصود المعنى العام الشامل لأنواع وأصناف أقسامه، فيفسّر تارة بلحاظ مصداق نوع، وأُخرىٰ بلحاظ مصداق صنف.

ومن المعلوم أن الأئمة عليهم السلام عالمون وعارفون بجميع الشؤون بنحو أوحـاه الله

---

١ ـ البقرة: ٢٥٧.

تعالىٰ إلى النبي ﷺ ومثّله في قلبهم المبارك، فهم عليهم السلام مشاهدون بحقائقه كلها كما علمت أنه ﴿آيات بينات في صدور الذين أُوتوا العلم﴾[١] ففي كل شخص أو أي مسألة يعلمون أنه (أو أنها) من أيّ مصاديق القرآن بحسب ما ينطبق عليه (أو عليها) كما لا يخفىٰ، ولهذا ربما يرى الجاهل بهذه الأُمور اختلافاً بين الجوابين فيما يرىٰ اتحاد موضوعهما، مع الجهل بأن الموضوع في كل منهما غيره في الآخر بحسب ملاحظة هذه الأُمور، التي يوجب لحاظها تغييراً في الأخذ بظاهر الكلام.

فظهر مما ذكر أن الآيات القرآنية بجميع شؤونها وعوالمها تكون لديهم، ولا تكون هكذا عند غيرهم، بل ولا عشر أعشار ما عندهم عليهم السلام لا يكون عند غيرهم كما لا يخفىٰ على المتتبع للآثار.

وقد يقال: إن المراد من الآيات في قوله عليه السلام: «وآيات الله لديكم» هو ما أودعه الله تعالىٰ في ساير خلقه مما أودعه في كيفية خلقهم ذاتاً وصفة وفعلاً، حيث إنها بحيث تنبئ عن الحكم والمصالح التي جعلها فيها، ولا يمكن لأحد الإحاطة بها، أو بيانها كما خلقه الله تعالىٰ فإنها كلها عندهم عليهم السلام وقد بيّنوها للناس كما في حديث توحيد المفضل ونحوه، ومن أراد الاطلاع علىٰ هذه الأُمور، فليراجع السماء والعالم من البحار، أو يراد منها ما أودعه الله تعالىٰ فيهم من الأمثال، التي ضربها للخلق مما فيه اعتبارهم وتنبيههم وتعليمهم وتعريفهم، وجميع ما يراد منهم مما نصبه الله تعالىٰ آية مبينة ومبصرة في الآفاق وفي أنفس الخلق.

قال تعالىٰ: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلّا العالمون﴾[٢] وهم عليهم السلام العالمون بها، وقال تعالىٰ: ﴿وكأيّن من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون﴾[٣] وهم عليهم السلام يعلمونها ولا يعرضون عنها بل يلاحظونها

---

١ ـ العنكبوت: ٤٩.

٢ ـ العنكبوت: ٤٣.

٣ ـ يوسف: ١٠٥.

وقال تعالىٰ: ﴿وضربنا لكم الأمثال﴾[١] وهم عليهم السلام يعرفونها، وقال تعالىٰ: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتىٰ يتبين لهم أنه الحق﴾[٢] وهم عليهم السلام قد رأوها وأراهم الله تعالىٰ تلك.

وجميع هذه الآيات لديهم عليهم السلام إما بمعنىٰ أنهم عليهم السلام العالمون الذين يعقلونها، أو أنها ضربت لهم، أو أنها صدرت عنهم تشريعاً بالبيان، أو تكون بالاعجاز، أو أنها آياتهم، بل الحجج المضروبة منه تعالىٰ لبيان حقيقتهم، أو أنها آيات محامدهم كسورة هل أتىٰ حيث نزلت فيهم، وكذا ساير الآيات النازلة في شأنهم، وقد عقد لها المجلسي باباً في البحار فراجع، فإن في القرآن آيات تدل علىٰ محامدهم والثناء عليهم، أو أن تلك الآيات من صفاتهم لما علمت من أن القرآن ظهور الأسماء الإلهية التي تجلى الله بها.

وقد علمت أنهم الأسماء الحسنىٰ، فحينئذ تكون صفاتهم بلحاظ حقيقتها الواقعية، فالآيات حينئذ آيات وعلامات بالحقيقة هم عليهم السلام أو معنىٰ أنها لديهم أنهم عليهم السلام المعرفون بها، فإنهم عليهم السلام عرفوا للخلق بتلك الآيات إما ببيانها أو بقيامها بهم عليهم السلام في الخارج بلحاظ أنهم عليهم السلام أحسن مصداق لها، قال عليه السلام في النهج ما يقرب من هذا: «أنزلوهم (أي آل محمد عليهم السلام) أحسن منازل القرآن»، أو المراد منها إنهم عليهم السلام الدالون عليها بأنحاء الدلالة، أو أنهم عليهم السلام هم الموردون حياض الانتفاع بها شيعتهم، والذائدون عنها أعداءَهم.

أقول: ويمكن أن يراد من هذه الجملة أنهم هم نفس تلك الآيات الإلهية، ومعنىٰ كونها لديهم أن كونها كونهم، فإن الشيء عند نفسه فيصح أن يقال: هو لديه أي أن الشيء لديه ولدىٰ نفسه، ومتقوّم به بأن يمسكه الله تعالىٰ به فهو (أي ذو الآية) لدى

---

١ ـ إبراهيم: ٤٥.
٢ ـ فصلت: ٥٣.

الآية ما شاهدها دون ما فقدها، فإنه حينئذ لا يكون لديه، فافهم تعرف، ثم إنه إنما أطلق عليهم أنهم آيات الله؛ لأنهم عليهم السلام علامات جليلة وجليّة وواضحة لعظمة الله وقدرته ولطفه ورحمته، مضافاً إلىٰ أنه وردت أحاديث صريحة في ذلك.

ففي البحار[١] عن تفسير القمي: ﴿والذين هم عن آياتنا غافلون﴾ قال: أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام والدليل علىٰ ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام: «ما لله آية أكبر مني».

وفيه عنه، عن داود بن كثير الرقّي قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله ﴿وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾[٢] قال: «الآيات الأئمة والنذر الأنبياء».

وفيه عنه، ﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا﴾ قال: «ولم يؤمنوا بولاية أمير المؤمنين عليه السلام ﴿فأُولئك لهم عذاب مهين﴾ [٣].

وهذه الأحاديث دلّت علىٰ أن المراد من الآيات هو ولايتهم عليهم السلام.

وفيه عنه، ﴿سيريكم آياته فتعرفونها﴾[٤] قال: «أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام إذا رجعوا يعرفهم أعداؤهم إذا رأوهم».

وفيه عنه، ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أُوتوا العلم﴾[٥] قال: «هم الأئمة عليهم السلام قوله: ﴿وما يجحد بآياتنا﴾[٦] «يعني ما يجحد أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام إلّا الكافرون».

وفي المحكي عن الباقر عليه السلام أنه قال: «كان علي عليه السلام يقول: ما لله عزوجل آية أكبر

---

١ ـ البحار ج٢٣ ص٢٠٦.

٢ ـ يونس: ١٠١.

٣ ـ الحج: ٥٦، ٥٧.

٤ ـ النمل: ٩٣.

٥ ـ العنكبوت: ٤٩.

٦ ـ العنكبوت: ٤٩.

مني».

وعن الصادق عليه السلام أنه قال في قوله تعالىٰ: ﴿أتتك آياتنا﴾[1] وقوله سبحانه: ﴿ولم يؤمن بآيات ربّه﴾[2] «الآيات الأئمة أي لم يؤمن بهم وتركهم معاندة فلم يتّبع آثارهم» الخبر.

وعن إكمال الدين، عن الصادق عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك﴾[3] قال: «يعني خروج القائم (عج) منّا»، الخبر.

وفي تفسير البرهان بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث قال: يقول الله ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾ «فأيّ آية في الآفاق غيرنا أراها الله أهل الآفاق».

أقول: من تأمّل في الأحاديث الواردةفي كيفية بدو خلقهم، وما أعطاهم الله تعالىٰ من العلم والقدرة والولاية التشريعية والتكوينية الإلهية، وأنها مظاهره عندهم، وهم الأسماء الحسنى الإلهية، وعندهم الاسم الأعظم بتمام حروفه سوىٰ واحد منها الذي استأثره تعالىٰ عنده.

علم بالقطع واليقين بل بالوجدان أنهم الآيات الإلهية، التي أراها الله تعالىٰ أهل الآفاق، وأنهم أكبر آية لله تعالىٰ، والحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله علىٰ محمد وآله الطاهرين.

قوله عليه السلام: وعزائمه فيكم

قال في المجمع: يقال: عزمت عَزماً وعُزماً (بالضم) وعزيمة: إذا أردت فعله وقطعت عليه، والعزم والعزمة: ما عقد عليه قلبك إنك فاعله.

---

١ ـ طه : ١٢٦.

٢ ـ طه : ١٢٧.

٣ ـ الانعام : ١٥٨.

وقال: وفي تفسير الشيخ أبي علي: أُولو العـزم أُولو الجـد والثـبات والصـبر، وقال: وعزم عزماً وعزيمة: اجتهد وجدّ في أمره، وقال: وفي الحديث: من عزائم الله كذا، عزائم الله: موجباته، والأمر المقطوع عليه لا ريب فيه ولا شبهة، ولا تأويـل فيها ولا نسخ فيه.

قال: وفي حديث: «شهادة أن لا إله إلّا الله، فإنها عزيمة الايمان»، أي عـقيدته المطلوبة لله تعالىٰ من خلقه، وما زاد عليها كمال لها؛ والعزيمة هي إرادة الفعل والقطع عليه، والجد في الأمر.

وقال: وعزم الله لي أي: خلق الله فيّ قوةً وصبراً. وعزم الله لي: أي خلق الله لي عزماً. وفي الحديث «الزكاة عزمة من عزمات الله تعالىٰ» أي حـق مـن حـقوقه، وواجب من واجباته، والعزائم: الرقي، وعزمت عليكم: أي أقسمت عليكم.

وقال: وعزائم المغفرة: محتّماتها، والمراد ما يجعلها حتماً. والعوازم: جمع عـازمة وهي التي جرت به السنّة من الفرائض والسنن من قوله تعالىٰ: ﴿فإذا عزم الأمر﴾[1] أي لزم فرض الجهاد.

وتلخيصها: أن العوازم هي: الأُمور الثابتة بالكتاب والسنة، وعوازم الأمر: ما أمر الله فيها، إنتهىٰ ملخصاً.

أقول: العزائم جمع عزيمة وهـي الشيء الذي لابـد مـنه، ويخـتلف بـاختلاف الموارد، فحينئذ معنىٰ وعزائمه فيكم: أن الارادة القطعية بنحو عقد عليها القلب علىٰ فعل مثلاً بنحو الجدّ والثبات والصبر والاجتهاد في تحصيل مرضاته تعالىٰ فيكم، أو أن عزائم الله وموجباته، التي هي مقطوع بها في الدين بحيث لا ريب ولا شبهة ولا تأويل ولا نسخ فيها من العقائد والأحكام والمعارف الإلهية كلها فيكم، أي عندكم وأنتم متلبّسون بها، ومتحققون بحقائقها وعاملون بها، أو أن العقيدة المطلوبة مـن

---

١ ـ محمد : ٢١.

العباد لله تعالىٰ وهي: ما دلّت عليه كلمة التوحيد تكون فيكم، أي أنتم متصفون بمفادها بنحو الأتم الأكمل علىٰ ما هي عليه في الواقع، أو أنه تعالىٰ خلق وجعل فيكم العزم أي القوة والصبر علىٰ الأُمور.

وفي الدعاء: «وقد علمت أن أفضل زاد الراحل إليك عزم إرادة يختارك بها» الدعاء، فإن المستفاد منها أن العزم له دخل عظيم في الوصول إلىٰ نتائج الأعمال الصالحة، والفوز بالمقامات العالية، حيث جعل أفضل الزاد إليه تعالىٰ عزم الإرادة، فإنه الذي يجعل جميع عناوين العبادات من الصلوة والحج والصوم وغيرها علىٰ نحو المطلوبية له تعالىٰ، حيث إن المراد من عزم الإرادة بقرينة تعقيبها لقوله: يختارك بها، وقوله ﷺ بعد ذلك: «وقد ناجاك بعزم الإرادة قلبي» هو الخلوص والإخلاص لله تعالىٰ في إتيان الأعمال له تعالىٰ، فلا محالة تكون الأعمال منتجة بما وعد الله العاملين بها، مضافاً إلىٰ أنه (أي عزم الارادة يوجب الاستقامة في الأمر، التي هي السبب الوحيد للوصول إلى السعادات الأبدية، قال تعالىٰ: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة﴾[1] الآية، وكذا غيرها ولذا أُمر ﷺ بالاستقامة في قوله تعالىٰ: ﴿فاستقم كما أُمرت﴾[2] وقال ﷺ: «شيّبتني سورة هود»، قيل: لما فيها من هذه الآية المباركة، فالاستقامة التي هي حقيقة العزم، مضافاً إلىٰ أنه ملازم للإخلاص يكون مظهراً لعبودية العبد لدىٰ سيّده، وقائماً بوظيفته اللازمة عليه كما لا يخفىٰ.

أو أن الواجبات الإلهية وحقوقه تعالىٰ من الزكوة مثلاً ونحوها تكون فيكم، أي علمها وبيان حقيقتها وكيفية عملها يكون فيكم، أي عندكم ومنكم، وكذا عندكم عوازمه، التي جرت بها السنة من الفرائض والسنن الثابتة بالكتاب والسنة، وما أمر الله تعالىٰ بها، فإنها كلها تكون فيكم وعندكم، أو أنكم تأخذون بالعزائم

---

١ ـ فصلت: ٣٠.

٢ ـ هود: ١١٢.

دون الرخص، أي أنتم تتحملون مشقة العزائم علىٰ أنفسكم، ولا تأخذون بالرخص كذا قيل.

وفيه: أنهم عليهم السلام كانوا أيضاً يأخذون بالرخص، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله: «إن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه (أو قال: بفرائضه) فخذوا برخص الله ولا تشددوا علىٰ أنفسكم، إن بني إسرائيل لما شددوا علىٰ أنفسهم شدّد الله عليهم».

أقول: والتشديد منهم تركهم الأخذ بالرخص، وحيث إنه نهىٰ عنه تنزيهاً، فبعيد منهم عليهم السلام ترك الرخص، فتأمل.

أو أن الواجبات الإلهية اللازمة التي لا رخصة في تركها من الاعتقاد بإمامتهم وعصمتهم، ووجوب متابعتهم وموالاتهم كلها فيكم أي عندكم، وقد بيّنوها بالآيات والأخبار المتواترة الصادرة منهم عليهم السلام أو أن العزائم التي أقسم الله تعالىٰ بها في القرآن كالشمس والقمر والضحىٰ والتين والزيتون والبلد إنما هي فيكم، أي أنتم المقصودون بها والقيّمون عليها فإنها قائمة بكم وبولايتكم وأنتم الواسطة لاستفاضتها الفيض من المبدإ المتعال.

هذا وقد وردت أحاديث قد فسرت تلك العزائم بهم عليهم السلام كما لا يخفىٰ علىٰ المتتبع لآثارهم.

في البحار ج ٢٤ ذكر أحاديث كثيرة في تفسير كثير من الآيات التي قد فسرت وأُولت بهم عليهم السلام فمنها: فيه ص٧٦ عن تفسير القمي: ﴿**والنجم إذا هوىٰ**﴾[١] قال: النجم رسول الله صلى الله عليه وآله إذا هوىٰ، لما أُسري به إلى السماء وهو في الهواء.

وفيه عن الكنز، عن ابن عباس في قول الله عزوجل: ﴿**والشمس وضحاها**﴾[٢]

---

١ ـ النجم: ١.

٢ ـ الشمس: ١.

قال: هو النبي ﷺ ﴿والقمر إذا تليٰها﴾[١] قال: علي بن أبي طالب عليه السلام ﴿والنهار إذا جلّيٰها﴾[٢] قال: الحسن والحسين عليهما السلام ﴿والليل إذا يغشيٰها﴾ بنو أُمية، الحديث.

وفيه عن تفسير القمي، ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البرّ والبحر﴾[٣] قال: النجوم آل محمد ﷺ.

وفيه عن الكنز، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿فلا أُقسم بربّ المشارق والمغارب﴾[٤] قال: «المشارق الأنبياء والمغارب الأوصياء».

قال المجلسي رحمه الله: بيان: عبّر عن الأنبياء بالمشارق؛ لأن أنوار هدايتهم تشرق علىٰ أهل الدنيا، وعن الأوصياء بالمغارب؛ لأن بعد وفاة الأنبياء تغرب أسرار علومهم في صدور الأوصياء، ثم تفيض عنهم على الخلق بحسب قابلياتهم واستعدادهم.

أقول: ولعل التعبير عن الأوصياء بالمغارب؛ لأنهم عليهم السلام بعد النبي غربوا عن الخلق واستتروا عنهم، فكما أن الشمس تغرب عند المساء، وتغيب عن الناس مع وجودها في وراء الأُفق، فكذلك الأوصياء غابوا وغربوا عنهم مع وجودهم في وراء أُفق العامة العمياء، فلم يستضئ بهم إلّا شيعتهم، وكيف كان فقد وردت أحاديث في هذا الموضوع، فراجع[٥].

أو المراد أن سور العزائم أو آيات العزائم نزلت فيكم، يعني أن المقصود منها بنحو تنطبق عليه تلك العزائم أنتم، فبهذا اللحاظ كأنها نزلت فيهم، فتأمل، أو أن المراد أن الأحكام التي يجب علينا قبولها فإنما هي بمتابعتكم إذ إنها فيكم، فلا محالة تؤخذ عنكم بمتابعتكم، أو أن المراد أن العزائم أي خصوص المواثيق المؤكدة،

---

١ ـ الشمس: ٢.
٢ ـ الشمس: ٤.
٣ ـ الأنعام: ٩٧.
٤ ـ المعارج: ٤٠.
٥ ـ البحار ج ٢٤.

والعهود الموثقة الإلهية قد أخذها الله تعالىٰ علينا فيكم أي في متابعتكم.

والحاصل: أن الله تعالىٰ أخذ منا تلك العهود في متابعتكم، وقد يقال: إن المراد أن ملكوت كل شيء الذي لابد منه في وجود كل موجود، بحيث لولاه لما يوجد فإنما هي فيكم، وحينئذ يكون من العزيمة المفسرة بالملكوت هو عالم الأمر الإلهي، الذي هو من شؤون اسم الله الأعظم، الذي هو مبدأ ظهور الأشياء، فهو ذلك الأمر وعالم الأمر إنما هو فيكم إذ أنتم مصدر الأشياء بإرادته تعالىٰ وإذنه.

قال عليه السلام في الزيارة كما في كامل الزيارات: «إرادة الرب في مقادير أُموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم» الزيارة، وقد تقدم ما يمكن أن يكون شرحاً لهذه الجملة، فراجع، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

قوله عليه السلام: ونوره وبرهانه عندكم وأمره إليكم

قد يقال: إن المراد من ونوره هو العلوم والحقائق والهدايات، التي هي حقائق القرآن الذي هو النور، قال تعالىٰ: ﴿**ياأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً**﴾[1] يعني القرآن كما فسر به، وإطلاق النور على القرآن كثير جداً، وكذا المراد من برهانه هو القرآن أيضاً؛ لما تقدم من قوله تعالىٰ: ﴿**قد جاءكم برهان من ربكم**﴾، فالقرآن برهان باعتبار كونه حجة على الخلق إلىٰ يوم القيٰمة، أو المراد منه الدلائل الظاهرة والمعجزات الباهرة التي صدرت عنهم عليهم السلام فإنها كلها تكون عندهم، فهم مظاهر آيات الله وعلومه وبرهانه كما تقدم أيضاً.

وقوله: وأمره إليكم، من الإمامة وإظهار العلوم ومن الأحكام الإلهية، التي صدرت عنهم لمكان ولايتهم التشريعية والتكوينية، قال تعالىٰ: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾، وقال تعالىٰ: ﴿**هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك**

١ ـ النساء: ١٧٤.

بغير حساب﴾[١].

أقول: تقدم الكلام في «ونوره وبرهانه» وفي قوله عليه السلام: «وخصّكم ببرهانه»، فلا نعيد» إلّا أن قوله عليه السلام: «ونوره وبرهانه عندكم»، ظاهر في أن المراد منها هو ما به ظهور الحق، ولا ريب أنه بعلومهم وولايتهم ظهر الحق للناس، وكذا البرهان فإنه يراد منه أن الحجة والدليل الموجب لاثبات الحق والدين الإلهي إنما هو عندكم، وهو إما نفس النبي صلى الله عليه وآله كما في المحكي عن تفسير العياشي، عن عبدالله بن سليم، قال: قلت للصادق عليه السلام: في قوله تعالىٰ: ﴿قد جاءكم برهان من ربكم﴾[٢]، قال: «البرهان محمد صلى الله عليه وآله»، أو النبوة والعظمة كما يستفاد هذا من فحوىٰ ما في المحكي عن مجمع البيان، عن الصادق عليه السلام أنه قال في قوله تعالىٰ: ﴿لولا أن رأىٰ برهان ربه﴾ إنه النبوة والعصمة المانعة من ارتكاب الفواحش، ومن المعلوم أن النبوة والعصمة عندهم عليهم السلام أي حقائقها.

وفي تفسير نور الثقلين عن تفسير علي بن إبراهيم: قوله تعالىٰ: ﴿ياأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾[٣] «فالنور أمير المؤمنين عليه السلام ثم قال: ﴿فأمّا الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل..﴾ وهم الذين تمسّكوا بولاية أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام».

وفيه، وفي تفسير العياشي عن عبدالله بن سليمان قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: قوله: ﴿قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾[٤] قال: «البرهان محمد صلى الله عليه وآله والنور علي عليه السلام قال: قلت له: ﴿صراطاً مستقيماً﴾، قال: الصراط المستقيم علي عليه السلام».

١ـ سورة ص : ٣٩.
٢ـ النساء : ١٧٤.
٣ـ النساء : ١٧٤.
٤ـ النساء : ١٧٤.

وأما قوله عليه السلام: «وأمره إليكم»، فنقول: قد يقال: إن المتبادر من وأمره هو الشأن، أي ما هو شأنه تعالى اللايق به هو إليكم، وشأنه تعالىٰ كثيرة قال تعالىٰ **﴿كل يوم هو في شأن﴾**[1].

فعن تفسير علي بن إبراهيم: وقوله: **﴿يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن﴾**[2] قال: «يحيي ويميت ويرزق ويزيد وينقص».

وفي المحكي عن الكافي، عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة وفيها: «الحمد لله الذي لا يموت، ولا تنقضي عجائبه؛ لأنه كل يوم هو في شأن من إحداث بديع لم يكن».

وعن المجمع، عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وآله في قوله: **﴿كل يوم هو في شأن﴾** قال: «من شأنه أن يغفر ذنباً، ويفرج كرباً، ويرفع قوماً، ويضع آخرين».

أقول: ولكن يجمعه بحيث لا يشذّ عنه شأن ولايته تعالىٰ، وهي جامعة لشؤون المعبود جلّ وعلا وهي ثابتة لهم عليهم السلام.

ففي بصائر الدرجات[3] أحاديث دلّت علىٰ أن ولايتهم ولاية الله منها: ما رواه بإسناده عن أبي بصير قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «ولايتنا ولاية الله، التي لم يبعث الله نبياً قط إلّا بها».

أقول: ولايتهم ولاية الله بما لها من المعنى المتقدم شرحه في أول الشرح في الدنيا والآخرة.

وبعبارة أُخرىٰ: أنهم عليهم السلام مظاهرها مطلقاً في جميع عوالم الوجود.

ففي تفسير نور الثقلين عن الكافي بإسناده عن علي بن حسان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قوله عزوجل: **﴿هنالك الولاية لله الحق﴾**[4] قال: «ولاية أمير المؤمنين عليه السلام».

---

١ ـ الرحمٰن : ٢٩.

٢ ـ الرحمن : ٢٩.

٣ ـ بصائر الدرجات ص ٧٥.

٤ ـ الكهف : ٤٤.

ومن المعلوم أن ولايته لا تتحقق إلّا في الخلق، ولا تتحقق فيهم إلّا بهم عليهم السلام حيث إنهم مظاهرها علىٰ ما فسّروا ولاية الله بولاية أمير المؤمنين عليه السلام وهم ذكروا أن ولايتهم ولاية الله، فالمستفاد حينئذ منها أن شأنه تعالىٰ وولايته إليهم، فإن لفظ الأمر عام يشمل جميع أُموره تعالىٰ من عالم الأمر، وهو كما قلنا ظاهر في ولايته تعالىٰ وهم مظاهرها، وحينئذ فمعنىٰ أن ولاية الله تعالىٰ وأمره إليهم أنه تعالىٰ فوّض أمره وولايته إليهم عليهم السلام.

ولكن حيث إنه تعالىٰ فوّض إليهم أمر الخلق لم يرفع يده سبحانه عن شيء من ذلك، بل الولاية الثابتة لهم عليهم السلام وصاحب الولاية أعني النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام تحت ولايته تعالىٰ، وفي قبضته يتصرّف فيها كيف يشاء، والولي أيضاً يتصرف فيها بإذنه كيف شاء الله تعالىٰ كما أخبر تعالىٰ عن حقيقتهم بما لهم تلك الولاية قال: **﴿بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون..﴾** الآيات، وقد تقدم بيانها.

فالله تعالىٰ هو الولي المطلق، ثم من دونه بإذنه تعالىٰ وليّه، فالولي وولايته قائمان بمدد الله تعالىٰ كقيام الصورة في المرآة، فالولي هو المظهر، وولايته تعالىٰ هو الظاهر فيه كما قال عليه السلام: «ونحن مظاهره فيكم»، وهذا هو السّر لقوله عليه السلام: «وأمره إليكم»، أي أمره من الشأن والولاية الإلهية الذي لا يشاركه فيه غيره في كل حال إليكم، أي أنتم قائمون به، وتعملون فيه أي في أمره بأمره لا بأمركم، فلم يكونوا مستقلين ومنحازين عنه تعالىٰ فيه فإنه شرك، مضافاً إلىٰ أنه لو جاز استقلالهم به، ولو فرض قيامهم به بإذن الله لجاز استغناؤهم عن أمره سبحانه، وهذا باطل بالضرورة؛ لأن الخلق مهما كان وبلغ ما بلغ لا يستغني عن الحق، قال تعالىٰ: **﴿ياأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني﴾**[1] وقال صلى الله عليه وآله: «الفقر فخري».

هذا مضافاً إلىٰ أنه لو كانوا مستقلين فيه لم يكن حينئذ الأمر أمره تعالىٰ، بل هو

---

١ ـ فاطر: ١٥.

أمرهم، وحينئذ لا معنىٰ لقوله: «وأمره إليكم»، بالإضافة بل ينبغي أن يقال: والأمر إليكم.

وكيف كان فالتفويض الصحيح، الذي يستفاد من هذه الجملة هو: التفويض الذي لا يستلزم عزل الحق عن الخلق، فإن العزل المذكور يستلزم الوهيتهم، وهو باطل، وهذا هو التفويض المنهي عنه في الأحاديث كما ستعلم، ثم إنه لابد من بيان حقيقة هذا التفويض الصحيح؛ ليتميز عن الباطل منه، فنقول: لابد أولاً من بيان أمر تتشخص فيه حدود الالوهية والربوبية له تعالىٰ، بحيث يكون أصلاً محكماً ترد إليه متشابهات الأقوال، ويتميز أيضاً مقام الأئمة عليهم السلام بالنسبة إليه تعالىٰ في الجملة فنقول:

لا ريب علىٰ كل ذي مسكة من أنّ القول بالوهية الأئمة عليهم السلام أو بكونهم شركاء لله تعالىٰ في المعبودية، أو في الخلق والرزق بنحو الاستقلال لا بنحو كونهم وسائط منه تعالىٰ، أو أن الله تعالىٰ حلّ فيهم، أو اتحدّ بهم، أو أنهم يعلمون الغيب بغير تعليم من الله بالوحي والإلهام، أو أنهم عليهم السلام كانوا أنبياء، أو القول بتناسخ أرواح بعضهم إلىٰ بعض، أو القول بأن معرفتهم تغني عن جميع الطاعات، ولا تكليف معها بترك المعاصي كلها كفر أو شرك أو إلحاد وخروج عن الدين، كما دلّت عليه الأدلة العقلية والنقلية الثابتة في كتب أُصول العقائد.

يدل علىٰ هذا من الآيات قوله تعالىٰ في آل عمران: **﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله﴾**[١] الآية وقال تعالىٰ في الرعد: **﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار﴾**[٢]، وقال تعالىٰ في سورة الروم: **﴿الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه**

---

١ ـ آل عمران: ٧٩.

٢ ـ الرعد: ١٦.

وتعالىٰ عما يشركون﴾[1].

ومن الأخبار ما في البحار[2] عن العيون، الهمداني، عن علي عن أبيه، عن الهروي قال: قلت للرضا عليه السلام: يابن رسول الله ما شيء يحكيه عنكم الناس، قال: وما هو؟ قلت: يقولون: إنكم تدعون أن الناس لكم عبيد، فقال: «اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت شاهد بأني لم أقل ذلك قط، ولا سمعت أحداً من آبائي عليهم السلام قاله قطّ، وأنت العالم بما لنا من المظالم عند هذه الأُمة وإن هذه منها، ثم أقبل عليّ وقال: ياعبدالسلام إذا كان الناس كلهم عبيدنا علىٰ ما حكوه عنّا فمن نبيعهم، فقلت: يابن رسول الله صدقت.

ثم قال: ياعبد السلام أمنكر أنت لما أوجبه الله عزوجل لنا من الولاية كما ينكره غيرك؟ قلت: معاذ الله بل أنا مقرّ بولايتكم».

وفيه عن قرب الإسناد للطياليسي، عن الفضيل بن عثمان، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «اتقوا الله، وعظّموا الله، وعظّموا رسوله صلى الله عليه وآله ولا تفضلوا علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله أحداً فإن الله تبارك وتعالىٰ قد فضّله، وأحبّوا أهل بيت نبيكم حبّاً مقتصداً، ولا تغلوا، ولا تفرقوا، ولا تقولوا ما لا نقول، فإنكم إن قلتم وقلنا متّم ومتنا، ثم بعثكم الله وبعثنا فكنا حيث يشاء الله وكنتم».

وفيه عن الخصال الأربعمائة قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إيّاكم والغلو فينا، قولوا: إنا عبيد مربوبون، وقولوا في فضلنا ما شئتم».

وفيه عن العيون بإسناده عن الحسين بن خالد الصيرفي، قال: قال أبو الحسن عليه السلام: «من قال بالتناسخ فهو كافر»، الحديث.

وفيه عن الاحتجاج وغيره في حديث.. إلىٰ أن قال (أي الرضا عليه السلام) وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تتجاوزوا بنا العبودية، ثم قولوا ما شئتم، ولن تبلغوا، وإياكم

---

١ ـ الروم: ٤٠.

٢ ـ البحار ج ٢٥ ص ٢٦٨.

والغلو كغلو النصارىٰ فإني بريء من الغالين».

وفيه عن بصائر الدرجات بإسناده عن كامل التمار، قال: كنت عن أبي عبدالله عليه السلام ذات يوم فقال لي: «يا كامل اجعل لنا ربّاً نؤب إليه، وقولوا فينا ما شئتم، قال: قلت: نجعل لكم ربّاً تؤبون إليه ونقول فيكم ما شئنا؟ قال: فاستوىٰ جالساً، ثم قال: وعسىٰ أن نقول: ما خرج إليكم من علمنا إلّا ألفاً غير معطوفة».

أقول: كأنه استعظم كلامه عليه السلام حيث قال عليه السلام: «وقولوا فينا ما شئتم»، بتوهم أنهم قد علموا مقام الأئمة، ولو في ظرف عدم كونهم إلهاً، فعليه فكيف يمكن أن يقال فيهم فوق ما علموا منهم؟ فأجابه عنه بأنكم ما علمتم حقيقة علمنا؛ وذلك لأنه ما خرج إليكم من علمنا إلّا ألفغير معطوفة وهي كناية عن القلّة، فإن المعطوفة يكون أو غير المعطوفة يكون وهذه أقلّ معنىً من الأُولىٰ، وقد تقدم شرحه.

وفيه عن رجال الكشي، عن الوشا، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «من قال بأننا أنبياء فعليه لعنة الله ومن شك في ذلك فعليه لعنة الله».

وهناك أحاديث أُخر فيه مع شرحها ذكرها رحمه الله فراجعها.

وكيف كان فالمستفاد من هذه الآيات والأحاديث ما تقدم من نفي الالوهية عنهم عليهم السلام وإثباتها له تعالىٰ فقط.

إذا علمت هذا فاعلم أنّ هناك أحاديث دلّت علىٰ أنهم عليهم السلام قد فوّض إليهم أمر الدين وأمر الخلق والأشياء، فلابد من ذكرها، ثم بيان المقصود منها، فنقول:

في البحار(١) عن العيون بإسناده عن ياسر الخادم قال: قلت للرضا عليه السلام: ما تقول في التفويض؟ فقال: إن الله تبارك وتعالىٰ فوّض إلىٰ نبيه صلى الله عليه وآله أمر دينه فقال: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾** فأما الخلق والرزق فلا، ثم قال عليه السلام: «إن الله عزوجل خالق كل شيء، وهو يقول عزوجل: **﴿الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء**

---

١ ـ البحار ج ٢٥ ص ٣٢٨.

سبحانه وتعالىٰ عما يشركون﴾[1].

قوله عليه السلام: «أما الخلق والرزق فلا»، أي أنهم لم يفوض إليهم أمر الخلق والرزق، بحيث يكونون رازقين وخالقين في قباله تعالىٰ مستقلاً، وأما كونهم وسائط للخلقة، بحيث يكون الله تعالىٰ خالقاً بهم فستعلم شرحه قريباً.

وفيه عن بصائر الدرجات بإسناده عن عبدالله بن سليمان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سأله رجل عن الامام فوّض الله إليه كما فوض إلىٰ سليمان؟ فقال: «نعم، وذلك أنه سأله رجل عن مسألة فأجاب فيها، وسأله رجل آخر عن تلك المسألة، فأجاب بغير جواب الأول، ثم سأله آخر عنها، فأجابه بغير جواب الأولين، ثم قال: هذا عطاؤنا فامنن أو أعط بغير حساب، هكذا في قراءة علي عليه السلام قال: قلت: أصلحك الله فحين أجابهم بهذا الجواب يعرفهم الامام؟ قال: سبحان الله أما تسمع قول الله تعالىٰ في كتابه: **﴿إنّ في ذلك لآيات للمتوسمين﴾** وهم الأئمة، وأنها لبسبيل مقيم لا يخرج منها أبداً، ثم قال: نعم إن الامام إذا نظر إلىٰ رجل عرفه، وعرف لونه، وإن سمع كلامه من خلف حائط عرفه وعرف ما هو، لأن الله يقول **﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين﴾**[2] فهم العلماء وليس يسمع شيئاً من الألسن إلّا عرفه ناج أو هالك فلذلك يجيبهم بالذي يجيبهم به».

أقول: هذا إشارة إلى التفويض في بيان الحكم علىٰ ما يراه الامام حين السؤال والجواب، ما هو الحكم الإلهي في هذه القضية الشخصية؟ وسيأتي بيانه.

وفيه عن بصائر الدرجات بإسناده عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «وضع رسول الله صلى الله عليه وآله دية العين ودية النفس ودية الأنف، وحرم النبيذ وكل مسكر، فقال له رجل: فوضع هذا رسول الله صلى الله عليه وآله من غير أن يكون جاء فيه شيء؟ قال: نعم

---

١ ـ الروم: ٤٠.
٢ ـ الروم: ٢٢.

ليعلم من يطع الرسول ومن يعصيه».

أقول: سيأتي بيان المراد من هذا التفويض في بيان أقسامه.

وفيه عن بصائر الدرجات في نوادر محمد بن سنان قال: قال أبو عبدالله عليه السلام «لا والله ما فوّض الله إلىٰ أحد من خلقه إلّا إلى الرسول وإلى الأئمة عليهم السلام فقال: **﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾** وهي جارية في الأوصياء.

وفيه عن الاختصاص وبصائر الدرجات بإسناده عن الثمالي، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «من أحللنا له شيئاً أصابه من أعمال الظالمين فهو له حلال؛ لأن الأئمة منا مفوّض إليهم، فما أحلّوا فهو حلال، وما حرّموا فهو حرام».

أقول: سيأتي إن هذا في الموضوعات لا الأحكام.

ومثله ما فيه عنهما بإسناده عن رفيد مولىٰ أبي هبيرة، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إذا رأيت القائم أعطىٰ رجلاً مائة ألف، وأعطىٰ آخر درهماً، فلا يكبر في صدرك، فإن الأمر مفوّض إليه».

وفيه عن تفسير العياشي، عن جابر قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: قوله: لنبيه صلى الله عليه وآله **﴿ليس لك من الأمر شيء﴾**، فسره لي، قال: فقال أبو جعفر عليه السلام «لشيء قاله الله، ولشيء أراده الله، ياجابر إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان حريصاً علىٰ أن يكون علي عليه السلام من بعده على الناس، وكان عند الله خلاف ما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله قال: قلت: فما معنىٰ ذلك؟ قال: نعم عنى بذلك قول الله لرسوله صلى الله عليه وآله: ليس لك من الأمر شيء يامحمد في علي الأمر إليّ في علي وفي غيره، ألم أتل عليك يامحمد فيما أنزلت من كتابي إليك: **﴿الم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون﴾**[1] إلىٰ قوله: **﴿وليعلمن﴾**[2] قال: فوّض رسول الله صلى الله عليه وآله الأمر إليه».

أقول: ذكر هذا الحديث في المقام إنما هو لدفع ما يتوهم من أن التفويض إلى

---

١ ـ العنكبوت: ١ ـ ٢.

٢ ـ العنكبوت: ٣.

الرسول وإلى الأئمة ربما ينافيه قوله تعالىٰ: **﴿ليس لك من الأمر شيء﴾** فإنه يندفع بما قاله عليه السلام من أنّ الآية واردة في مورد خاص، وهو موضوع كون أمير المؤمنين على الناس ظاهراً بعده صلى الله عليه وآله فإنه تعالىٰ بيّن لنبيه أن الأُمة لابد لهم من أن يمتحنوا كما أنزلنا إليك، وامتحانهم إنما هو بما وقع من الفتن بعده صلى الله عليه وآله وتمام الكلام موكول في محله، فليس قوله: **﴿ليس لك من الأمر شيء﴾**[1]. ينافي التفويض المذكور.

ولذا روي فيه عن تفسير العياشي، عن جابر الجعفي قال: قرأت عند أبي جعفر عليه السلام قول الله: **﴿ليس لك من الأمر شيء﴾** قال: «بلىٰ والله، إن له من الأمر شيئاً وشيئاً وشيئاً، وليس حيث ذهبت، ولكني أُخبرك أن الله تبارك وتعالىٰ لما أمر نبيّه صلى الله عليه وآله أن يظهر ولاية علي عليه السلام فكّر في عداوة قومه له ومعرفته بهم وذلك للذي فضّله الله به عليهم في جميع خصاله، كان أول من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله وبمن أرسله، وكان أنصر الناس لله ولرسوله، وأقتلهم لعدوهما، وأشدهم بغضاً لمن خالفهما وفضل علمه الذي لم يساوه أحد، ومناقبه التي لا تحصىٰ شرفاً.

فلما فكّر النبي صلى الله عليه وآله في عداوة قومه له في هذه الخصال، وحسدهم له عليها، ضاق عن ذلك، فأخبر الله أنه ليس له من هذا الأمر شيء، إنما الأمر فيه إلى الله أن يصيّر علياً وصيّه وولي الأمر بعده، فهذا عنى الله، وكيف لا يكون من الأمر شيء وقد فوّض الله إليه أن جعل ما أحل فهو حلال، وما حرم فهو حرام، قوله: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾**[2].

أقول: قوله عليه السلام: «وكيف لا يكون... الخ»، ظاهر فيما قلنا من أنه ليس لك من الأمر شيء، مسوق لبيان ما حتمه الله في أمر علي عليه السلام وفي افتنان الأُمة به عليه السلام بعده صلى الله عليه وآله وهذا لا ينافي تفويض الأمر إليه صلى الله عليه وآله في ساير الأشياء.

---

١ ـ آل عمران: ١٢٨.

٢ ـ الحشر: ٧.

وفيه[١] عن الكافي بإسناده عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر، وأبا عبدالله عليهما السلام يقولان: «إن الله عزوجل فوّض إلىٰ نبيه أمر خلقه؛ لينظر كيف طاعتهم، ثم تلا هذه الآية: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾».

وفيه عنه، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن الله تبارك وتعالىٰ أدّب نبيّه صلى الله عليه وآله فلما انتهىٰ به إلىٰ ما أراد قال له: ﴿**وإنك لعلىٰ خلق عظيم**﴾[٢] ففوض إليه دينه فقال: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾ وإن الله عزوجل فرض الفرائض، ولم يقسم للجدّ شيئاً، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله أطعمه السدس، فأجاز الله جلّ ذكره له ذلك، وذلك قول الله عزوجل: ﴿**هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب**﴾[٣].

أقول: قد ذكروا عليهم السلام في غير واحد من الأخبار قولهم عليهم السلام: إن الله تبارك وتعالىٰ أدّب نبيّه صلى الله عليه وآله فلما انتهىٰ إلىٰ ما أراد، وذلك لمعنى وحاصله: أنه صلى الله عليه وآله إنما وضع بعض الأحكام كما أُشير إليه في هذا الحديث، وفيما تقدم من حديث زرارة من وضع دية العين ونحوها بعد ما أدّبه الله تعالىٰ بحيث صار صلى الله عليه وآله كما أراد من إحاطته صلى الله عليه وآله بمصالح الأُمور، وأنه لا يريد شيئاً إلّا ما أراده الله تعالىٰ، فبعد هذه المنزلة فوض إليه أمر الدين حتىٰ في وضع الأحكام هكذا، وأمضىٰ الله تعالىٰ، وأجاز ما وضع علماً منه تعالىٰ أنه صلى الله عليه وآله لا يضع حكماً إلّا ما يريده الله، وسيأتي توضيح لهذا قريباً إن شاء الله.

وهذا من خصائصه صلى الله عليه وآله حيث إنه أشرف الأنبياء من جميع الجهات، وإليه يشير ما فيه عن بصائر الدرجات في حديث، وقال في آخره: «ولم يفوض إلىٰ أحد من الأنبياء غيره».

وفيه عن بصائر الدرجات بإسناده عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن

---

١ ـ البحار ج١٧ ص ٤.

٢ ـ القلم : ٤.

٣ ـ ص : ٣٩.

أشياء من الصلوات والديات والفرائض، وأشياء من أشباه هذا فقال: «إنّ الله فوض إلىٰ نبيّه».

وفيه عنه بإسناده عن إسماعيل بن عبدالعزيز قال: قال لي جعفر بن محمد عليه السلام: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يفوض إليه، إن الله تبارك وتعالىٰ فوض إلىٰ سليمان عليه السلام ملكه فقال: ﴿**هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب**﴾[1] وإن الله فوض إلىٰ محمد صلى الله عليه وآله نبيه فقال: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾[2] فقال رجل: إنما كان رسول الله صلى الله عليه وآله مفوضاً إليه في الزرع والضرع. فلوىٰ جعفر عليه السلام عنه عنقه مغضباً فقال: في كل شيء والله في كل شيء».

وفي البحار[3] من كتاب رياض الجنان لفضل الله بن محمود الفارسي بالإسناد عن محمد بن سنان قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فذكرت اختلاف الشيعة فقال: «إن الله لم يزل فرداً متفرداً بالوحدانية، ثم خلق محمداً وعليّاً وفاطمة عليهم السلام فمكثوا ألف دهر، ثم خلق الأشياء وأشهدهم خلقها، وأجرىٰ عليها طاعتهم، وجعل فيهم ما شاء، وفوض أمر الأشياء إليهم في الحكم والتصرف والإرشاد والأمر والنهي في الخلق؛ لأنهم الولاة فلهم الأمر والولاية والهداية، فهم أبوابه ونوابه وحجابه، يحللون ما شاء، ويحرمون ما شاء، ولا يفعلون إلّا ما شاء ﴿**عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون**﴾.

فهذه الديانة التي من تقدمها غرق في بحر الإفراط، ومن نقصهم عن هذه المراتب التي رتّبهم الله فيها زهق في برّ التفريط، ولم يوف آل محمد حقهم فيما يجب على المؤمن من معرفتهم، ثم قال: خذها يامحمد فإنها من مخزون العلم ومكنونه».

أقول: ومثله عن الكافي مع اختلاف في اللفظ.

---

١ ـ سورة ص : ٣٩.

٢ ـ الحشر : ٧.

٣ ـ البحار ج ٢٥ ص ٣٣٩.

وفي بصائر الدرجات[١] بإسناده عن معلىٰ بن خنيس، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾[٢] قال: «آل محمد، فعلى الناس أن يسألوهم وليس عليهم أن يجيبوا، ذلك إليهم إن شاءوا أجابوا وإن شاءوا لم يجيبوا».

أقول: ومثله كثير، وهذا أيضاً يدل علىٰ تفويض أمر الجواب إليهم عليهم السلام كما ستأتي الإشارة إليه.

أقول: قال المجلسي رحمه الله في البحار[٣]: وأما التفويض فيطلق علىٰ معان بعضها منفي عنهم عليهم السلام وبعضها مثبت لهم.

فالأول: التفويض في الخلق والرزق والتربية والإماتة والإحياء، فإن قوماً قالوا: إن الله تعالىٰ خلقهم وفوض إليهم أمر الخلق، فهم يخلقون ويرزقون ويميتون ويحيون، وهذا الكلام يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يقال: إنهم يفعلون جميع ذلك بقدرتهم وإرادتهم، وهم الفاعلون حقيقة، وهذا كفر صريح دلت علىٰ استحالته الأدلة العقلية والنقلية، ولا يستريب عاقل في كفر من قال به.

وثانيهما: أن الله تعالىٰ يفعل ذلك مقارناً لإرادتهم كشق القمر، وإحياء الموتىٰ، وقلب العصا حيّة، وغير ذلك من المعجزات، فإن جميع ذلك إنما تحصل بقدرته تعالىٰ مقارناً لإرادتهم؛ لظهور صدقهم، فلا يأبى العقل عن أن يكون الله تعالىٰ خلقهم وأكملهم وألهمهم ما يصلح نظام العالم، ثم خلق كل شيء مقارناً لإرادتهم ومشيتهم، وهذا وإن كان العقل لا يعارضه كفاحاً، لكن الأخبار السالفة تمنع من القول به فيما عدا المعجزات ظاهراً بل صراحاً، مع أن القول به قول بما لا يعلم إذ لم يرد ذلك في

---

١ ـ بصائر الدرجات ص ٣٩.

٢ ـ الأنبياء: ٧.

٣ ـ البحار ج ٢٥ ص ٣٤٨.

الأخبار المعتبرة فيما نعلم.

أقول: قوله ﷺ أن يقال: إنهم يفعلون جميع ذلك بقدرتهم.. الخ، أي بنحو الاستقلال في قبال الحق تعالىٰ فإن هذا كفر صريح، وأما القول بأن لهم عليهم السلام المدخلية في الخلق، بحيث يصح الاستناد إليهم بنحو يصح استناد ما استند إليهم إليه تعالىٰ بالوجه الذي أشار إليه اخبار الأمر بين الأمرين فلا كفر فيه بل هو الحق، وبيان هذا يتوقف علىٰ بيان الأخبار في الباب بالمقدار اللازم، ثم بيان المدعى المستفاد منها فنقول:

في توحيد الصدوق[1] بإسناده عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام قالا: «إن الله عزوجل أرحم بخلقه من أن يجبر خلقه على الذنوب، ثم يعذبهم عليها، والله أعزّ من أن يريد أمراً فلا يكون، قال: فسئلا عليهما السلام هل بين الجبر والقدر منزلة ثالثة؟ قالا: نعم أوسع مما بين السماء والأرض».

وفيه[2] بإسناده عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله.. إلىٰ أن قال: ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «عن الله أروي حديثي، إن الله تبارك وتعالىٰ يقول: «يابن آدم بمشيتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء، وبإرادتي كنت أنت الذي تريد لنفسك ما تريد وبفضل نعمتي عليك قويت علىٰ معصيتي، وبعصمتي وعوني وعافيتي أديت إليّ فرائضي، فأنا أولىٰ بحسناتك منك، وأنت أولىٰ بسيئاتك مني» الحديث.

وفي حديث آخر رواه عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال عليه السلام في ذيله: ثم قال: قال الله عزوجل: «يابن آدم أنا أولىٰ بحسناتك منك، وأنت أولىٰ بسيئاتك منّي، عملت المعاصي بقوتي التي جعلتها فيك».

---

١ ـ توحيد الصدوق ص ٣٦٠.

٢ ـ توحيد الصدوق ص ٣٤٤

وفيه[1] بإسناده عن سليمان بن جعفر الجعفري، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: ذكر عنده الجبر والتفويض، فقال: «ألا أعطيكم في هذا أصلاً لا تختلفون فيه، ولا تخاصمون عليه أحداً إلّا كسرتموه؟ قلنا: إن رأيت ذلك، فقال إن الله عزوجل لم يطع بإكراه، ولم يعص بغلبة، ولم يهمل العباد في ملكه، هو المالك لما ملكهم، والقادر علىٰ ما أقدرهم عليه، فإن ائتمر العباد بطاعته لم يكن الله عنها صاداً، ولا منها مانعاً، وإن ائتمروا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل، وإن لم يحل وفعلوه، فليس هو الذي أدخلهم فيه، ثم قال عليه السلام: من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه».

وفيه[2] بإسناده عن مهزم قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «أخبرني عما اختلف فيه من خلّفت من موالينا، قال: قلت: في الجبر والتفويض، قال: فسلني قلت: أجبر الله العباد على المعاصي؟ قال: الله أقهر لهم من ذلك، قال: قلت: ففوض إليهم؟ قال: الله أقدر عليهم من ذلك، قال: قلت: فأيّ شيء هذا أصلحك الله؟ قال: فقلب يده مرتين أو ثلاثاً ثم قال: لو أجبتك لكفرت».

أقول: قوله عليه السلام: «الله أقهر لهم من ذلك»، وذلك حيث إن القائل بالجبر يقول: إن الله تعالىٰ لو جعل عباده مختارين لفات عنه إنفاذ مشيته فيهم، كما ذهبت إليه المفوضة فقال عليه السلام: «إنه تعالىٰ أقهر لهم من ذلك، وليست الملازمة ثابتة، بل هو قاهر عليهم مع اختيارهم»، وإليه يشير ما تقدم من قوله عليه السلام: «هو المالك لما ملكهم».

فنقول: المستفاد من هذه الأحاديث وهي كثيرة أن العباد في أفعالهم كانوا مختارين، ولذا يصحّ استناد الفعل إليهم، ومع ذلك قد صحّ استناده إليه تعالىٰ، بل ما أراده كان ويكون، وإليه يشير قول أبي عبدالله عليه السلام قال: «الله أقدر عليهم من ذلك»، وقول الرضا عليه السلام: «هو المالك لما ملكهم».

فإن قلت: إن أحاديث الباب واردة مورد المعاصي غالباً.

---

١ ـ توحيد الصدوق ص ٣٦١.

٢ ـ توحيد الصدوق ص ٣٦٢.

قلت: إنها قد وردت في موردها ولا تختص بها، فالمستفاد منها هو الأمر الكلي والقاعدة الكلية، التي تشمل جميع الأفعال من العباد حتى الأنبياء والأئمة، بل والملائكة كما لا يخفىٰ فلا يختص المستفاد منها بالمعاصي، كيف وقد ثبت في العقل أنّ حكم الأمثال فيما يجوز وما لا يجوز سواء.

والحاصل: أن جميع الأفعال تجري فيه مسألة الأمر بين الأمرين، ولعله إليه يشير قوله عليه السلام في حديث التوحيد قال: فسئلا عليهما السلام: هل بين الجبر والقدر منزلة ثالثة؟ قالا: «نعم أوسع ما بين السماء والأرض»، أي أن تلك المنزلة تسع ما بين السماء والأرض، أي أنّ كل ما يقع فيهما فهو مصداق لتلك المنزلة الثالثة، وحينئذ نقول: كل فعل صدر من أي شخص فإنه هو بقدرته تعالىٰ وبحوله وقوته صدر، ويصح استناده إلى الشخص وإليه تعالىٰ، فالقول بأنه مستند إليه تعالىٰ فقط، بحيث يكون العبد مجبوراً، فهو كفر والقائل به كافرٌ كما في حديث رواه في التوحيد عن الصادق عليه السلام كما أن القول بإستناده إلى العبد فقط لتوهين الله في سلطانه، فهو أيضاً كفر والقائل به كافر.

ثم إن الفعل يختلف سعة وضيقاً بحسب اختلاف سعة قدرته وضيقها، فكل يعمل علىٰ حسب ما أقدره الله تعالىٰ فحينئذ تقول: إن قوله تعالىٰ: ﴿**والله خلقكم وما تعملون**﴾[1] ظاهر في أن العمل الذي استند إلى العباد يكون متعلقاً لخلقه تعالىٰ إياه ومستنداً إليه تعالىٰ، فالعامل كما يصحّ أن يقول: إني عملت، كذلك يصحّ أن يقال: إن عمله عمل الله تعالى الفعال لما يشاء، وإليه يشير قوله عليه السلام في الدعاء: يافاعل كل إرادة، وقولهم في التوحيد الافعالي يشير إلىٰ هذا المعنىٰ من أن كل فعل مستند إليه تعالىٰ بهذا البيان.

إذا علمت هذا فنقول: لا مانع من أن يعطي الله تعالىٰ وليه وأولياءه القدرة والقوة، بحيث يعمل في العالم عالم الوجود الأفعال المهمة والوسيعة من خلق

---

١ ـ الصافات: ٩٦.

السموات والأرض وغيرها، ويكون معنىٰ استناد الفعل إلى الولي كاستناد الفعل إلىٰ أيّ شخص في فعله بنحو الأمر بين الأمرين لا بنحو الجبر، ولا بنحو التفويض المطلق، فلو قال علي عليه السلام مثلاً: أنا خالق السموات والأرض، فإن أراد عليه السلام (ولم يرد) إنه فاعل بالتفويض الباطل فهو باطل والقول به كفر، وأما لو أراد عليه السلام أنه تعالىٰ أقدرني علىٰ ذلك كما أقدر أدنى الاشخاص في أقل الأفعال فلا كفر فيه، بل هو محض الحسن، وإليه يشير ما قاله الصادق عليه السلام في حديث كميت الشاعر: إن الله أقدرنا علىٰ ما نريد، فإن ظاهره هو أنه تعالىٰ أقدرهم علىٰ ما يريدون بنحو يصح الاستناد إليهم عليهم السلام.

كيف وقد تقدم عن التوحيد من أنه تعالىٰ أقدر ملكاً، فخلق سبع سموات وسبع أرضين، ثم انه استند الخلق إلىٰ نفسه استقلالاً وعجب من نفسه، فأرسل الله تعالىٰ إليها ناراً فأحرقتها، ثم قيل له: إن كنت مستقلاً في خلقها فانف عنها النار، وكيف كان فلا مانع من إبقاء ظواهر الأحاديث علىٰ ما هي ظاهرة فيه علىٰ أن يكون المعنى المراد منها هو المعنى المراد من الأمر بين الأمرين، ولعمري إن أحاديثه معتبرة، ونحن نذكر بعضها ثم نعقبها بالشرح فنقول:

منها: ما ذكره المجلسي رحمه الله فيما حكىٰ عنه في المجلد الرابع عشر من الطبع السابق عن بعض مؤلفات القدماء، عن القاضي أبي الحسن الطبري.. إلىٰ أن قال: عن الشيخ المعتمر الرقي رفعه الىٰ أبي جعفر ميثم التمار قال: كنت بين يدي مولاي أمير المؤمنين عليه السلام إذ دخل غلام وجلس في وسط المسلمين، فلما فرغ عليه السلام من الأحكام نهض إليه الغلام وقال: ياأبا تراب أنا إليك رسول جئتك برسالة تزعزع لها الجبال من رجل حفظ كتاب الله من أوّله إلىٰ آخره، وعلم علمَ القضايا والأحكام، وهو أبلغ منك في الكلام، وأحق منك بهذا المقام فاستعد بالجواب ولا تزخرف المقال.

فلاح الغضب في وجه أمير المؤمنين عليه السلام وقال لعمار: «اركب جملك، وطف في قبائل الكوفة وقل لهم: أجيبوا علياً؛ ليعرفوا الحق من الباطل، والحلال والحرام

والصحة والسقم، فركب عمار فما كان إلّا هنيئة حتىٰ رأيت العرب كما قال الله تعالىٰ: ﴿**ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلىٰ ربهم ينسلون**﴾[1] فضاق جامع الكوفة، وتكاثف الناس تكاثف الجراد على الزرع الغضّ في أوانه، فنهض العالم الأردع[2] والبطل الأنزع، ورقىٰ في المنبر وراقىٰ، ثم تنحنح فسكت جميع من في الجامع.

فقال عليه السلام: رحم الله من سمع فوعىٰ، أيها الناس يزعم أنه أمير المؤمنين والله لا يكون الامام إماماً حتىٰ يحيي الموتىٰ، أو ينزل من السماء مطراً، أو يأتي بما يشاكل ذلك مما يعجز عنه غيره، وفيكم من يعلم أني الآية الباقية، والكلمة التامة، والحجة البالغة، ولقد أرسل إلي معاوية جاهلاً من جاهلية العرب عجرف[3] في مقالة وأنتم تعلمون، لو شئت لطحنت عظامه طحناً، ونسفت الأرض من تحته نسفاً، وخسفتها عليه خسفاً، إلّا أن احتمال الجاهل صدقه.. إلىٰ أن قال:

والله لو شئت لمددت يدي هذه القصيرة في أرضكم هذه الطويلة، وضربت صدر معاوية بالشام، وأخذت بها من شاربه أو قال من لحيته فمدّ يده وردّها، وفيها شعرات كثيرة، فتعجبوا من ذلك، ثم وصل الخبر بعد مدة أن معاوية سقط من سريره في اليوم الذي كان عليه السلام مدّ يده وغشىٰ عليه، ثم أفاق وافتقد من شاربه ولحيته شعرات».

أقول: هذه الرواية أحد مسانيد الخطبة الشقشقية، ذكرها وذكر مسانيدها المتعددة الشارح الخوئي رحمه الله فراجعه، وإنما ذكرتها استشهاداً بقوله عليه السلام: «والله لا يكون الامام إماماً.. الخ»، فإنه ظاهر في استناد إحياء الموتى إلى الامام عليه السلام.

ومنها: ما في توحيد الصدوق[4] بإسناده عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا

---

١ ـ يس: ٥١.

٢ ـ الأردع من يعجبك.

٣ ـ العجرفة الخرق وقلة المقالات.

٤ ـ توحيد الصدوق ص١٦٧.

عبدالله عليه السلام يقول: «إن لله عزوجل خلقاً من رحمته خلقهم من نوره ورحمته من رحمته لرحمته، فهم عين الله الناظرة، وأذنه السامعة، ولسانه الناطق في خلقه بإذنه، وأُمناؤه علىٰ ما أنزل من عذر أو نذر أو حجة، فبهم يمحو السيئات، وبهم يدفع الضيم، وبهم ينزل الرحمة، وبهم يحيي ميّتاً، وبهم يميت حيّاً، وبهم يبتلىٰ خلقه، وبهم يقضي في خلقه قضيته، قلت: جعلت فداك من هؤلاء؟ قال: الأوصياء».

وفي بصائر الدرجات[١] بإسناده عن سماعة بن مهران قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إن الدنيا تتمثّل للإمام في فلقة الجوز، فما تعرض لشيء منها، وإنه ليتناولها من أطرافها، كما يتناول أحدكم من فوق مائدته ما يشاء، فلا يعزب عنه منها شيء».

وفي البحار[٢] ما رواه جابر بن عبدالله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿**كنتم خير أُمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف**﴾[٣] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أول ما خلق الله نوري ابتدعه من نوره، واشتقه من جلال عظمته، فأقبل يطوف بالقدرة حتىٰ وصل إلىٰ جلال العظمة في ثمانين ألف سنة، ثم سجد لله تعظيماً، ففتق منه نور علي عليه السلام فكان نوري محيطاً بالعظمة، ونور علي محيطاً بالقدرة»، الحديث.

وفيه[٤] عن بصائر الدرجات بإسناده عن علي بن جعفر، عن أبي الحسن عليه السلام أنه سمعه يقول: «لو أُذن لنا لأخبرنا بفضلنا، قال: قلت له: العلم منه؟ قال: فقال لي: العلم أيسر من ذلك».

وفيه عن بصائر الدرجات عن غير واحد من أصحابنا قال: خرج عن أبي الحسن الثالث أنه قال: «إن الله جعل قلوب الأئمة مورداً لإرادته، فإذا شاء شيئاً شاءوه وهو قول الله: ﴿**وما تشاءُون إلّا أن يشاء الله**﴾[٥]».

---

١ ـ بصائر الدرجات ص٤٠٨.
٢ ـ البحار ج٢٥ ص٢٢.
٣ ـ آل عمران: ١١٠.
٤ ـ البحار ج٢٥ ص٣٧٢.
٥ ـ الانسان: ٣٠.

وفيه[١] وفي رواية سعيد بن المسيب وعباية بن ربعي: أن علياً عليه السلام ضرب الأرض برجله فتحركت فقال: «أُسكني فلم يأن لك ثم قرأ: **﴿يومئذ تحدّث أخبارها﴾**[٢]».

وفي البحار[٣] عن غيبة النعماني بإسناده عن أبي نعيم محمد بن أحمد الأنصاري قال: وجه قوم من المفوضة والمقصرة كامل بن إبراهيم الهمداني إلىٰ أبي محمد عليه السلام (العسكري عليه السلام).. إلىٰ أن قال (أي الحجة عجل الله تعالىٰ فرجه الشريف) ثم قال: «وجئته تسأله عن مقالة المفوضة كذبوا، بل قلوبنا أوعية لمشية الله فإذا شاء شئنا والله يقول: **﴿وما تشاءُون إلّا أن يشاء الله﴾**[٤] ثم رجع الستر الىٰ حالته فلم أستطع كشفه».

وفيه[٥] في حديث طارق بن شهاب عن أمير المؤمنين عليه السلام نقله عن مشارق الأنوار للحافظ رجب البرسي (رضوان الله تعالىٰ عليه).. إلىٰ أن قال عليه السلام في وصف الإمام عليه السلام: «سرّ الواحد والأحد، فلا يقاس بهم من الخلق أحد، فهم خاصة الله وخالصته، وسرّ الديان وكلمته، وباب الإيمان وكعبته، وحجة الله ومحجته، وأعلام الهدىٰ ورايته، وفضل الله ورحمته، وعين اليقين وحقيقته، وصراط الحق وعصمته، ومبدأ الوجود وغايته، وقدرة الرب ومشيته، وأُمّ الكتاب وخاتمته، وقال عليه السلام قبل هذا: والامام بشر ملكي، وجسد سماوي، وأمر إلهي الصفات زايد الحسنات، عالم بالمغيبات نصّاً من رب العالمين، ونصاً من الصادق الأمين.. إلىٰ أن قال عليه السلام: وأمره بين الكاف والنون (وفي نسخة: لا بل هم الكاف والنون)».

وفي الجواهر السنية في الأحاديث القدسية نقلاً عن الحافظ البرسي قال: ورد

---

١ ـ البحار ج ٢٥ ص ٣٧٩.
٢ ـ الزلزلة : ٤.
٣ ـ البحار ج ٢٥ ص ٣٣٦.
٤ ـ الانسان : ٣٠.
٥ ـ البحار ج ٢٥ ص ١٧٤.

في الحديث القدسي عن الرب العلي أنه يقول: «عبدي أطعني أجعلك مثلي، أنا حي لا أموت، أجعلك حيّاً لا تموت، أنا غني لا أفتقر، أجعلك غنياً لا تفتقر، أنا مهما أشأ يكن، أجعلك مهما تشأ يكن».

قال: ومنه (أي من الحديث القدسي): «إن لله عباداً أطاعوه فيما أراد، فأطاعهم فيما أرادوا، يقولون للشيء: كن، فيكون».

أقول: ونظير هذه الأحاديث كثير جداً، يستفاد منها مع اختلاف ألفاظها أمراً معنوياً متواتراً، وهو أن العبد إذا كان مطيعاً له تعالىٰ جداً، ألبسه الله تعالىٰ لباس الكرامة الكبرىٰ» وهو أنه يكون فاعلاً للأمور الخارقة للعادة، وهذا في شأن غير المعصوم فما ظنك بهم؟ بل هم أفضل من غيرهم، كيف وقد ورد فيهم في الدعاء المعروف في رجب عن الحجة (عج): «لا فرق بينك وبينها إلّا أنهم عبادك» وقد تقدم في صدر الشرح شرحه.

وكيف كان فالغرض ببيان هذه الأحاديث بيان أمر وهو أن المراءىٰ من استناد الأفعال إلى الامام عليه السلام علىٰ اختلافها وكثرتها، بل وإلىٰ غيرهم من سائر أولياء الله تعالىٰ علىٰ حسب مراتبهم يحتمل ثبوتاً أن يراد منها أُمور:

الأول: أن يكونوا مستقلين في العمل والفعل في قباله تعالىٰ، وهذا كفر صريح لا مصير إليه بالأدلة القطعية كما لا يخفىٰ.

الثاني: أن يكون هو والله فاعلين كل منهما مستند إليه الفعل، غاية الأمر بنحو الاشتراك، وهذا أيضاً شرك صريح لا مصير إليه.

الثالث: أن الله تعالىٰ يخلق الأفعال مقارناً لمسألتهم كما في الاحتجاج عنه عليه السلام وقد خرج التوقيع وفيه: «فأما الأئمة عليهم السلام فإنهم يسألون الله تعالىٰ فيخلق ويسألونه فيرزق إيجاباً لمسألتهم وإعظاماً لحقهم».

قال المجلسي فيما نقلنا عنه سابقاً: وهذا وإن كان العقل لا يعارضه كفاحاً، لكن الأخبار السابقة تمنع من القول به كما تقدم. ويظهر مما نذكره ان هذا الكلام غير

مستقيم لظاهره كما ستعرفه قريباً إن شاء الله.

الرابع: أن يكون الفعل مستنداً إليهم بنحو بيّناه في الجمع بين الأمر بين الأمرين بنحو لا يكون جبراً ولا تفويضاً، خصوصاً بعد ما ورد من الأحاديث الكثيرة من أن قلوبهم أوعية لمشية الله تعالىٰ، فإن هذه الأحاديث إذا انضمت إلىٰ مسألة الأمر بين الأمرين بالنحو المتقدم بيانه، فيستفاد منها أمر دقيق وهو أنهم عليهم السلام حيث كانوا فانين في الله تعالىٰ بالمعنى المتقدم، وأنهم لم يريدوا ولم يشاءوا إلّا ما أراد الله وشاء، فلا محالة يكون فعلهم فعله كما قال تعالىٰ: **﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمىٰ﴾**[1] فيصح حينئذ إطلاق القول بأنهم فعلوا كذا وكذا فإنه في الحقيقة يرجع إلىٰ معنىٰ أنه تعالىٰ فعل كذا وكذا، المعبّر عنه بقول: «لا فرق بينك وبينها إلّا أنهم عبادك فتقها ورتقها بيدك»، الدعاء.

بل نقول: حيث إنهم عليهم السلام لم يكن لهم إرادة ومشية كما علمت، بل قلوبهم أوعية لمشيته تعالىٰ، فحينئذ كما يصح استناد فعلهم إليه تعالىٰ، كذلك يصحّ استناد فعله تعالىٰ إليهم، إذ بعدما علم أنهم لم يفعلوا إلّا ما شاء بنحو كان هذا أصلاً في أفعالهم، فحينئذ في مقام التعبير لا يفرق في الاستناد إليهم أو إليه تعالىٰ كما قال تعالىٰ: **﴿وما نقموا إلّا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾**[2] فإنه تعالىٰ أسند فعل الإغناء إلىٰ رسوله في قباله تعالىٰ، مع أنه لا ريب في أنه لا يراد منه الاستقلال في الاستناد، وليس هذا إلّا لما قلناه من أنه لما كان فعل الرسول فعله تعالىٰ وإنما هو مظهر لفعله تعالىٰ، فصح إطلاق الاستناد إليه صلى الله عليه وآله.

فإن قلت: لا يستفاد مما قلت إلّا أنهم عليهم السلام مظاهر له تعالىٰ، فأين والاستناد إليهم عليهم السلام ولو بنحو الأمر بين الأمرين؟

قلت: نعم جميع الممكنات مظاهر له تعالىٰ كل بحسبه، إلّا أن المظهرية يختلف

---

١ ـ الأنفال : ١٧.

٢ ـ التوبة : ٧٤.

بحسب اختلاف المظاهر، قال علي عليه السلام: «ما لله آية أكبر مني»، أي ما لله مظهر أوسع مني، وهذا لا ينافي كونهم عليهم السلام مظاهر له تعالىٰ حتىٰ في الاستناد إليهم.

وبعبارة أُخرىٰ: أنهم مظاهره تعالىٰ في جميع الأُمور حتىٰ في النسبة فتأمل.

وبعبارة ثالثة: أنهم عليهم السلام مظاهره في ظرف النسبة إليهم، وإلا فلو لم ينسب إليهم شيء، لما كانوا مظاهر، بل كانوا أجانب عن الفعل بالمرة، بل وهكذا غيرهم من ساير الخلق فإنهم أيضاً مظاهره هكذا، إلّا أنه كل بحسب ظرفيته، فتدبر تعرف هذا، مع أنه قد أسند الله تعالى الفعل إليهم بقوله: ﴿وما رميت﴾ وبقوله: ﴿إلّا أن أغناهم الله ورسوله﴾ فقد أسند الفعل إليه صلى الله عليه وآله كما لا يخفىٰ، وهذا هو الظاهر من قوله تعالىٰ: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾[1] كما تقدم فإنه تعالىٰ أسند الفعل إلى الخلق في ظرف كونهم وفعلهم مستنداً إليه تعالىٰ كما لا يخفىٰ.

ثم إن السرّ في إطلاق الاستناد إليهم من الله تعالىٰ كما في قوله: ﴿إلّا أن أغناهم الله ورسوله﴾ أو قوله عليه السلام: «أنا خالق السموات والأرض»، مع أن الأصل هو ما عرفت من أنه لا استقلال ولا شراكة في الاستناد في قباله تعالىٰ، هو أنهم عليهم السلام يفعلون ما يفعلون بإذنه، ومعناه أن من المعلوم أن الانسان لا يفعل شيئاً إلّا بالمشية، فإذا كانت مشيتهم عليهم السلام عين مشيته تعالىٰ، فما صدر منهم إنما هو صادر منه تعالىٰ، قال الحسين عليه السلام: «أم كيف أُترجم بمقالي وهو برز منك إليك» وإنما صارت مشيتهم عليهم السلام عين مشيته تعالىٰ؛ لأنه تعالىٰ غمسهم في أنوار أسمائه الحسنىٰ.

ففي البحار[2]: أقول: قال الشيخ أبو الحسن البكري الشهيد الثاني بإسناده عن جماعة منهم ابن عباس، وساق الحديث.. إلىٰ أن قال: فروى عن أمير المؤمنين عليه السلام: «كان الله ولم يكن معه شيء، فأول ما خلق نور حبيبه محمد صلى الله عليه وآله.. إلىٰ أن قال: فخلق منه اثني عشر حجاباً من القدرة والعظمة والعزة، والهيبة والجبروت، والرحمة

---

١ ـ الصافات: ٩٦.

٢ ـ البحار ج ١٥ ص ٢٦.

والنبوة، والكبرياء والمنزلة، والرفعة والسعادة والشفاعة..، إلىٰ أن قـال: ثم إن الله تعالىٰ أمر نور رسول الله ﷺ أن يدخل في حجاب القدرة، فـدخل وهـو يـقول: سبحان العلي الأعلىٰ، وبقي علىٰ ذلك اثني عشر ألف عام، وهكذا بالنسبة إلىٰ ساير الحجب إلىٰ آخرها، مع ذكرها المخصوص..

إلىٰ أن قال: ثم إن الله تعالىٰ خلق من نور محمد ﷺ عشرين بحراً من نور، في كل بحر علوم لا يعلمها إلّا الله تعالىٰ، ثم قال لنور محمد ﷺ: أنـزل في بحـر العـزّ، وهكذا إلىٰ تمام العشرين».

إنتهىٰ ملخصاً بعضه فإنه طويل جداً، فيه من المعارف ما لا يكاد يحصىٰ، وإنما أشرنا إليه للإشارة إلىٰ أنه تعالىٰ كيف غمس نوريته في تلك الحجب والبحار مـع تلك الأذكار في تلك المدة الكثيرة، وأنه تعالىٰ كيف أدبه وصـنعه بآدابـه وتـربيته حيث غمسه في أنوار فيوضاته القدسية بحيث استولت الأنوار علىٰ ذواتهم بحيث لما سمع القلم اسم محمد ﷺ خرّ ساجداً وقال: «سبحان الواحد القـهار، سـبحان العظيم الأعظم، ثم رفع رأسه من السجود وكتب: «لا إله إلّا الله محمد رسول الله»».

ثم قال: يارب ومن محمد الذي قرنت اسمه باسمك وذكره بذكرك؟ قال الله تعالىٰ له: «ياقلم فلولاه ما خلقتك، ولا خلقت خـلقي إلّا لأجـله، فـهو بشـير ونـذير» الحديث السابق ذكره.

وكيف كان فلأجل هذا الغمس محقت انياته ﷺ وانـياتهم عليهم السلام لـما هـم عليهم السلام وهو ﷺ واحد، فإنهم خلقوا منه ﷺ حيث كان كذلك، وكيف كان فبعد ما كـانوا كذلك فلم يصدر عنهم شيء إلّا وهو صادر عنه تعالىٰ؛ لأنهم عليهم السلام في كل أحوالهم لم يكن لهم اعتبار ولا اختيار من أنفسهم، نعم لهم حينئذ من الوجود ما بقي من صافي انياتهم مما يمسك وجودهم عن التلاشي، وكان ذلك البقاء ببقائه تعالىٰ، فهم الذين لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون وهم الذين عند ربهم كما تقدم، وكيف كان فلا يصدر عنهم شيء إلّا بما شاء الله أو بمشيته ما شاء كان.

وبعبارة أُخرىٰ: إن ما شاءوه يكون في الحقيقة وأولاً بالذات موجوداً بمشيته تعالىٰ وبالعرض وبالصورة يكون بمشيتهم، التي هو عين مشيته تعالىٰ، فالأفعال بصورتها صادرة منهم عليهم السلام بما شاءوا ومشيتهم هي بما لها من الأثر، وهو الفعل صورة لمشيته تعالىٰ في عالم الملك، وإنما صارت مشيتهم بما لها من الآثار صورة مشيته تعالىٰ؛ لأنه تعالىٰ خلقهم علىٰ هيئة إرادته، وهيكل وحدته، وصورة كينونيته في الخلق، وإليه يشير قوله عليه السلام لكميل: «نور يشرق من صبح الأزل، فيلوح علىٰ هياكل التوحيد آثاره»، وقوله: «نحن صنايع الله»، فإنه بمناسبة الحكم والموضوع هم صنايعه أي صور إرادته.

وهو المراد من باطن قوله: «إن الله خلق آدم علىٰ صورته»، أي علىٰ هيئة إرادته؛ لأنه تعالىٰ منزه عن الصور، وهذه الصورة التي تكون لهم عليهم السلام في واقع أنوارهم الذاتي والتي لا حدّ لها ولا نعت، كيف وهم حينئذ حقائق أسمائه الحسنى التي لا حدّ لها ولا نعت، كما قال علي عليه السلام: «وليس لصفته حدّ محدود، ولا نعت موجود»، وهو المراد من قوله فيما تقدم في صدر الشرح قول الصادق عليه السلام: «إن أمرنا لا يحدّ»، وإليه يشير قول علي عليه السلام: «أنا الذي لا يقع عليه اسم ولا صفة». فإنه يشير إلىٰ هذه الصورة المشية الإلهية، التي هو التجلي الأعظم منه تعالىٰ بهم وهم عليهم السلام ولهذا قال عليه السلام أيضاً: «ظاهري إمامة وباطني غيب لا يدرك»، وقالوا أيضاً: «نحن تلك الكلمات لا يستقصىٰ ولا يدرك فضلنا»، وقد تقدم.

فحينئذ نقول: إذا كانت مهيتهم هيئة إرادته تعالىٰ، ووجودهم نور المشية الإلهية وصورتها الإمكانية، فلا محالة تكون أفعالهم وأقوالهم علىٰ ما يوافق مراد الله، وإليه يشير قوله تعالىٰ: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾[1] أي يعلم حيث يجعل رسالته في مظاهر صور إرادته ومشيته؛ كي ﴿لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾

---

١ ـ الأنعام: ١٢٤.

لهذه العلة وبهذه الجهة كانت حقائقهم النورية، التي لا انية لها نفسانية تراجمة مشيته تعالىٰ، فأفعالهم كأقوالهم معنىٰ مشيته تعالىٰ ومترجمة لها في عالم الملك، أي تبيّن مشيته تعالىٰ، ولذا كانت أفعالهم كأقوالهم وتقريراتهم حجة لنا تشريعاً كما هو ظاهر، وتكويناً حيث إن فعلهم فعله.

قال علي عليه السلام في خطبته يوم الغدير والجمعة علىٰ ما تقدم قال: «فجعلهم ألسنة إرادته»، ففعلهم فعله تعالىٰ أظهره الله بهم، كما أن كلامهم كلامه تعالىٰ تكلم بهم وهو أحد معاني قوله تعالىٰ: ﴿لا يسبقونه بالقول﴾[1] أي أن قولهم قوله لا قولهم فتدبر، ثم إنه تعالىٰ لهذه الأُمور كلها فرغهم لنفسه تعالىٰ وإصطنعهم لنفسه تعالىٰ، فأخلىٰ أفئدتهم وجميع مشاعرهم مما سواه تعالىٰ، ملأها من علمه ومشيته وإرادته كما قال عليه السلام في حديث بدء خلقهم كما في البحار والتوحيد: «وحمّلهم علمه ودينه فجعلهم خزائن علمه وعيبته وحكمه واقتداره»، ثم إنه تعالىٰ حفظهم وسددهم وعصمهم عما ليس له فأمرهم ففعلوا بأمره ﴿وهم بأمره يعملون﴾.

وهذا هو المراد من قوله تعالىٰ لنبيه: ﴿لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾[2] فإنه تعالىٰ هكذا أو بأدق منه أراه حقائق مشيته وإرادته في خلقه؛ ولذا قال عليه السلام: «وبهم يقضي في الخلق قضيته»، وإليه يشير ما تقدم عن الكافي، عن الصادق عليه السلام في هذه الآية: «والله ما فوض الله إلىٰ أحد من خلقه إلّا إلىٰ رسوله صلى الله عليه وآله وإلى الأئمة عليهم السلام»، قال الله تعالىٰ: ﴿إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ..﴾[3] وهي جارية في الأوصياء.

فظهر أنهم عليهم السلام كان رأيهم كرأي النبي صلى الله عليه وآله صواباً فيما فوض إليهم في الفعل والقول، مما أُشير إليه في الأخبار السابقة؛ لأجل ما ذكرناه من أن فعلهم وقولهم

---

١ ـ الأنبياء: ٢٧.
٢ ـ النساء: ١٠٥.
٣ ـ النساء: ١٠٥.

فعله وقوله تعالىٰ بالبيان المتقدم، ولا يفعلون بمقتضىٰ نفوسهم البشرية، بل بمقتضىٰ ما أراه الله تعالىٰ لهم بالنحو المتقدم، ثم إن الذي يجب علينا هو نفي ربوبيتهم، ونفي كونهم شركاء مع الله، ونفي التفويض الذي هو يوجب عزل الحق عن السلطنة والتأثير، وأما ما عداها من معاني التفويض الصحيحة التي ذكرناها، فلا دليل علىٰ ردها، بل لابد من حملها علىٰ ظاهرها مخافة أن نكون من أهل هذه الآية **﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾**[1]، وقد تقدم سابقاً أخبار كثيرة دلّت علىٰ عدم جواز رد ما نسب إليهم، ولو كان الناسب من القدرية، بل اللازم ردّ علمه إليهم لا تكذيبهم فراجع.

ثم إنه يظهر مما ذكره أن ما قاله في البحار عقيب ما نقلناه عنه من قوله: وما ورد من الأخبار الدالة علىٰ ذلك وأمثالها، فلم يوجد إلّا في كتب الغلاة وأشباههم فيه أنه إن أريد من قوله: علىٰ ذلك، أي علىٰ أنهم يفعلون تلك الأُمور المنسوبة إليهم بقدرتهم وإرادتهم بنحو الاستقلال فهو صحيح، وقد علمت أنه كفر صريح، وإن أُريد منه ما ذكره من أنه تعالىٰ فعل ذلك مقارناً لإرادتهم إلىٰ آخر ما ذكره في القسم الثاني السابق ذكره ففيه: أنه لا كفر فيه ولا غلو، علىٰ أن نسبة من ذكر هذه الأحاديث في كتبه إلى الغلاة كحافظ رجب البرسي (رضوان الله عليه) ليس مما ينبغي صدوره منه ﷺ.

هذا مضافاً إلىٰ ما علمت من المراد من قولهم عليهم السلام في تلك الأخبار مما ليس فيه كفر ولا إلحاد، بل عين الحق، فتأمل؛ لئلا يشتبه عليك الأمر، ثم قال ﷺ بعد ذلك مع أنه يحتمل أن يكون المراد كونهم علة غائية لايجاد جميع المكونات، وأنه تعالىٰ جعلهم مطاعين في الأرضين والسموات، ويطيعهم بإذن الله تعالىٰ كل شيء حتى الجمادات، وأنهم إذا شاءوا أمراً لا يردّ الله مشيتهم، ولكنهم لا يشاءون إلّا أن يشاء الله.

---

١ ـ يونس: ٣٩.

أقول: كونهم عليهم السلام علة غائية لايجاد الممكنات مما لا ريب فيه، كما علمته من الأحاديث القدسية، وأنها كثيرة جداً، كما أنه دلّت أحاديث كثيرة علىٰ أنهم مطاعون في الوجود بإذنه تعالىٰ، إلّا أن هذا مما لا يمكن حمل قوله عليه السلام: «أنا خالق السموات والأرضين»، أو قوله: «بهم يقضي في الخلق قضيته»، الظاهر في كونهم سبباً لها (لظهور الباء في السببية) في كونهم علة غائية، أو أنهم مطاعون فيهما، فإن تلك العبارات ظاهرة في استناد الأفعال إليهم بنحو الفاعلية، وأين هذا من كونهم مطاعين أو كونهم علة غائية؟ علىٰ أنه ذكر بعضهم أن العلة ترجع إلى العلة الفاعلية بدعوىٰ أن الغاية هي الصورة العلمية للفاعل الذي، هو بهذه الصورة الكائنة فيه يكون علة فاعلية لا مطلقاً، ولكن فيه ما فيه، وتحقيق الكلام فيه نفياً وإثباتاً موكول إلىٰ محله.

ثم إنه رحمه الله ذكر بعد هذا: وأما ما ورد من الأخبار في نزول الملائكة والروح لكل أمر إليهم، وأنه لا ينزل ملك من السماء لأمر إلّا بدأ بهم فليس ذلك لمدخليتهم في ذلك، ولا الاستشارة بهم، بل له الخلق والأمر تعالىٰ، وليس ذلك إلّا لتشريفهم وإكرامهم وإظهار رفعة مقامهم.

أقول: فيه أنه قد ثبت في محله وستأتي الإشارة إليه أن الملائكة بجميع أقسامها، فإنما هي من شؤونهم، كيف وقد خلقوا من أنوارهم، وكذا ساير الأُمور، كما دلّت عليه الأخبار، ومنها ما ذكرناه عن استاد الشهيد الذي ذكره رحمه الله وتقدم بعضه، وحينئذ فكيف لا يكون نزولهم والابتداء بهم لمدخليتهم، بل هو لعين مدخليتهم لذلك، كيف والفرع قائم بالأصل، وأخذ منه ما يفعله كما لا يخفىٰ، وهذه المدخلية فوق الاستشارة التي احتملها ونفاها رحمه الله فإنهم أجل من أن يستشير الملائكة منهم، بل هذا نقص لهم، بل يكون نزولهم لديهم عليهم السلام للاستيذان التكويني الذي جعله الله تعالى لهم؛ لكونهم أسباباً للخلقة، وهم كما لا يخفىٰ.

ثم قال رحمه الله: الثاني: التفويض في أمر الدين، وهذا أيضاً يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون الله تعالىٰ فوض إلى النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام عموماً أن يحلّوا ما شاءوا ويحرموا ما شاءوا من غير وحي وإلهام، أو يغيّروا ما أوحىٰ إليهم بآرائهم، وهذا باطل لا يقول به عاقل، فإن النبي ﷺ كان ينتظر الوحي أيّاماً كثيرة لجواب سائل، ولا يجيبه من عنده، وقد قال تعالىٰ: ﴿**وما ينطق عن الهوىٰ * إن هو إلّا وحي يوحىٰ**﴾(١).

أقول: وقد قال تعالىٰ أيضاً: ﴿**ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه**﴾(٢).

قال عليه السلام: **وثانيهما:** أنه تعالىٰ لما أكمل نبيه ﷺ بحيث لم يكن يختار من الأُمور شيئاً إلّا ما يوافق الحق والصواب، ولا يحل بباله ما يخالف مشيته تعالىٰ في كل باب فوّض إليه تعيين بعض الأُمور كالزيادة في الصلوة، وتعيين النوافل في الصلوة والصوم وطعمة الجد وغير ذلك مما مضىٰ وسيأتي، إظهاراً لشرفه وكرامته عنده، ولم يكن أصل التعيين إلّا بالوحي، ولم يكن الاختيار إلّا بإلهام، ثم كان يؤكد ما اختاره ﷺ بالوحي، ولا فساد في ذلك عقلاً، وقد دلّت النصوص المستفيضة عليه مما تقدم في هذا الباب، وفي أبواب فضائل نبينا ﷺ من المجلد السادس.

أقول: هذا صحيح (وتقدم من الأخبار ما يدل علىٰ ذلك) إلّا أن قوله عليه السلام: ولم يكن الاختيار إلّا بإلهام، ولم يكن أصل التعيين إلّا بالوحي، لعله مستدرك لا يحتاج إلىٰ ذكره لما علمت آنفاً، وأشار إليه هو عليه السلام قبل هذا من أنه تعالىٰ أكمل نبيه ﷺ بحيث لم يكن يختار إلّا ما يوافق الحق والصواب، وذكرنا أن قلوبهم أوعية لمشيّته تعالىٰ وهم تراجمة مشيته تعالىٰ.

ثم قال عليه السلام بعد كلمات: **الثالث:** تفويض أُمور الخلق إليهم من سياستهم وتأديبهم، وتكميلهم وتعليمهم، وأمر الخلق بإطاعتهم فيما أحبّوا وكرهوا، وفيما

---

١ ـ النجم : ٤.

٢ ـ الحاقة : ٤٤ ـ ٤٥.

علموا جهة المصلحة فيه وما لم يعلموا، وهذا حق لقوله تعالىٰ: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾**[1] وغير ذلك من الآيات والأخبار، وعليه يحمل قولهم عليهم السلام: «نحن المحللون حلاله، والمحرمون حرامه»، أي بيانهما علينا، ويجب على الناس الرجوع فيهما إلينا، وبهذا الوجه ورد خبر أبي إسحاق الميثمي.

أقول: هذا صحيح، ولكن فيه أنه خلاف ظاهر أحاديث التفويض فإنها ظاهرة في التفويض، في الأحكام لا في تطبيقها على الموضوعات، فإن هذا معلوم من أحاديثهم، وتقدم ما يزيدك بصيرة في هذا في شرح قوله عليه السلام: «وساسة العباد»، والاستشهاد لمقصوده بالآية الشريفة وإن كان صحيحاً بلحاظ استفادة العموم منها بالنسبة إلى الأحكام والموضوعات، إلّا أن أحاديث الباب ظاهرة فيما قلناه (والله العالم).

الرابع: تفويض بيان العلوم والأحكام بما رأوا المصلحة فيها بسبب اختلاف عقولهم، أو بسبب التقية فيفتون بعض الناس بالواقع من الأحكام، وبعضهم بالتقية، ويبينون تفسير الآيات وتأويلها، وبيان المعارف بحسب ما يحتمل عقل كل سائل، ولهم أن يبينوا، ولهم أن يسكتوا كما ورد في أخبار كثيرة: عليكم بالمسألة، وليس علينا الجواب، كل ذلك بحسب ما يريهم الله من مصالح الوقت، كما ورد في خبر ابن أشيم وغيره، وهو أحد معاني خبر محمد بن سنان في تأويل قوله تعالىٰ: **﴿لتحكم بين الناس بما أراك﴾**[2].

ولعل تخصيصه بالنبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام لعدم تيسّر هذه التوسعة لسائر الأنبياء والأوصياء عليهم السلام بل كانوا مكلفين بعدم التقية في بعض الموارد، وإن أصابهم الضرر، والتفويض بهذا المعنىٰ أيضاً ثابت حق بالأخبار المستفيضة.

أقول: ومما يدل علىٰ هذا أيضاً قوله عليه السلام: بسبب اختلاف عقولهم (أي عقول

---

١ ـ الحشر: ١٧.

٢ ـ النساء: ١٠٥.

الناس والمخاطبين (بالفتح).

الخامس: الاختيار في أن يحكموا بظاهر الشريعة أو بعلمهم، وبما يلهمهم الله من الواقع ومخ الحق في كل واقعة، وهذا أظهر محامل خبر ابن سنان، وعليه أيضاً دلت الأخبار.

السادس: التفويض في العطاء فإنه تعالىٰ خلق لهم الأرض وما فيها، وجعل لهم الأنفال والخمس والصفايا وغيرها، فلهم أن يعطوا ما شاءوا ويمنعوا ما شاءوا كما مرّ في خبر الثمالي.

أقول: هذا صحيح ولكنه أحد معاني التفويض، لا أنه منحصر فيه كما هو ظاهر.

فتحصّل من جميع ما ذكرنا أنهم عليهم السلام لما كانوا خلفاء الله في أرضه وسمائه، وهذا أمر عام يشمل كون إياب الخلق إليهم في القيامة كما تقدم، وأن أمر الخلائق مفوض إليهم في الدنيا بالمعاني الصحيحة المتقدمة، كيف لا وهم مظاهر آياته وصفاته تعالىٰ فلهم الحكم والأمر في الخلق بما رتّبهم الله تعالىٰ فيه؟ ولنختم الكلام في هذا المقال بما يزيدك بصيرة في مقامهم الشامخ السامي، الذي جعله الله تعالىٰ لهم، وبما هو دليل كلي لجميع ما تقدم، وهو ما رواه في بصائر الدرجات بإسناده عن أبي بصير، عن خثيمة عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: «**نحن جنب الله، ونحن صفوته، ونحن خيرته، ونحن مستودع مواريث الأنبياء، ونحن أُمناء الله، ونحن حجة الله، ونحن أركان الإيمان، ونحن دعائم الإسلام، ونحن من رحمة الله علىٰ خلقه، ونحن الذين بنا يفتح الله وبنا يختم، ونحن أئمة الهدىٰ، ونحن مصابيح الدجىٰ، ونحن منار الهدىٰ، ونحن السابقون، ونحن الآخرون، ونحن العلم المرفوع للخلق، من تمسّك بنا لحق، ومن تخلف عنّا غرق، ونحن القادة الغرّ المحجّلين، ونحن خيرة الله، ونحن الطريق وصراط الله، المستقيم إلى الله، ونحن من نعمة الله علىٰ خلقه، ونحن المنهاج، ونحن معدن النبوة، ونحن موضع الرسالة، ونحن الذين إلينا مختلف الملائكة، ونحن**

السراج لمن استضاء بنا، ونحن السبيل لمن اقتدىٰ بنا، ونحن الهداة إلى الجنة، ونحن عزّ الإسلام، ونحن الجسور والقناطر، من مضىٰ عليها سبق، ومن تخلف عنها محق، ونحن السنام الأعظم، ونحن الذين بنا نزل الرحمة، وبنا تسقون الغيث، ونحن الذين بنا يصرف عنكم العذاب، فمن عرفنا ونصرنا، وعرف حقنا، وأخذ بأمرنا فهو منّا وإلينا، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً».

قوله عليه السلام: من والاكم فقد والى الله، ومن عاداكم فقد عادى الله، ومن أحبكم فقد أحبَّ الله، ومن أبغضكم فقد أبغض الله، ومن إعتصم بكم فقد إعتصم بالله.

أقول: في البحار[١] عن أمالي الصدوق بإسناده عن ابن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «أنا سيد ولد آدم، وأنت ياعلي والأئمة من بعدك سادات أُمتي، من أحبنا فقد أحبَّ الله، ومن أبغضنا فقد أبغض الله، ومن والانا فقد والى الله، ومن عادانا فقد عادى الله، ومن أطاعنا فقد أطاع الله، ومن عصانا فقد عصى الله».

وفيه[٢] عن تفسير العياشي، عن أبي خالد الكابلي، عن أبي جعفر عليه السلام: (ملكاً عظيماً) «أن جعل فيهم أئمة، من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله، فهذا ملك عظيم» (وآتيناهم ملكاً عظيماً).

ولا ريب في أن طاعتهم واجبة دلّت عليها أخبار كثيرة، منها ما فيه ص٢٩٨ عن تفسير الفرات، أحمد بن القاسم معنعناً عن أبي مريم قال: سألت جعفر بن محمد عليه السلام ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم ﴾[٣]، كانت طاعة مفترضة؟ قال: «كانت طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله خاصّة مفترضة لقول الله تعالىٰ: ﴿ومن يطع

---

١ ـ البحار ج٢٧ ص٨٨.

٢ ـ البحار ج٢٣ ص٢٩١.

٣ ـ النساء: ٥٩.

الرسول فقد أطاع الله﴾[١] وكانت طاعة علي بن أبي طالب عليه السلام طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله».

وفي غاية المرام[٢] ابن بابويه بإسناده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الأئمة من ولد الحسين من أطاعهم فقد أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصى الله، هم العروة الوثقىٰ، وهم الوسيلة إلى الله تعالىٰ».

وفي تفسير نور الثقلين[٣] عن كتاب الاحتجاج للطبرسي رحمه الله عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل وفيه: «وأجرىٰ فعل بعض الأشياء علىٰ أيدي من اصطفىٰ من أُمنائه، فكان فعلهم فعله، وأمرهم أمره كما قال: **﴿ومن يطع الرسول فقد أطاع الله﴾**.

وفيه[٤] عن الكافي بإسناده عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ذروة[٥] الأمر وسنامه ومفتاحه، وباب الأشياء ورضا الرحمن تبارك وتعالى الطاعة للامام بعد معرفته، ثم قال: إن الله تبارك وتعالىٰ يقول: **﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولّىٰ فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾**[٦].

وزاد في حديث آخر في آخره: «أما لو أن رجلاً قام ليله وصام نهاره، وتصدق بجميع ماله، وحجّ جميع دهره، ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه، ويكون جميع أعماله بدلالته، إليه ما كان له على الله حق في ثوابه، ولا كان من أهل الإيمان».

وفيه عن أُصول الكافي بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل: **﴿فلما اسفونا انتقمنا منهم﴾**[٧] فقال: «إن الله عزوجل لا يأسف كأسفنا، ولكنه خلق أولياء

---

١ ـ النساء: ٨٠.
٢ ـ غاية المرام ص ٢٤٥.
٣ ـ نور الثقلين ج ١ ص ٤٣٢.
٤ ـ تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٤٣١.
٥ ـ الذروة: المكان العالي وكذا السنام.
٦ ـ النساء: ٨٠.
٧ ـ الزخرُف: ٥٥.

لنفسه يأسفون ويرضون، وهم مخلوقون مربوبون، فجعل رضاهم رضا نفسه، وسخطهم سخط نفسه؛ لأنه جعلهم الدعاة إليه والأدلاء عليه؛ فلذلك صاروا كذلك، وليس أن ذلك يصل إلى الله كما يصل إلىٰ خلقه، ولكن هذا معنىٰ ما قال من ذلك»، الحديث بطوله.

وفي البحار[1] عن كنز الفوائد، إلىٰ أن قال: وروىٰ أبو عبدالله الحسين بن جبير في كتاب نخب المناقب لآل أبي طالب عليهم السلام حديثاً مسنداً إلى الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أحب أن يتمسك بالعروة الوثقىٰ فليتمسّك بحبّ علي بن أبي طالب عليه السلام».

وروىٰ أيضاً في الكتاب المذكور عن الحسين بن جبير، بإسناده إلىٰ أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿**إلا بحبل من الله وحبل من الناس**﴾[2] قال: «حبل من الله كتاب الله، وحبل من الناس علي بن أبي طالب عليه السلام».

وفيه عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً**﴾[3] قال: «نحن الحبل».

وفي البحار[4] عن أمالي الشيخ، عن أبي الحمراء خادم رسول الله صلى الله عليه وآله.. إلىٰ أن قال الشيخ الخادم (رضوان الله عليه) بعد كلام: ثم قال له (أي رسول الله لعلي عليهما وآلهما السلام).. إلىٰ أن قال: «ياعلي من حاربك فقد حاربني، ومن حاربني فقد حارب الله، ياعلي من أبغضك فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله، واقعس الله جده وأدخله نار جهنم».

وفيه[5] عن أمالي الصدوق، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من ناصب

---

١ ـ البحار ج ٢٤ ص ٨٣.
٢ ـ آل عمران : ١١٢.
٣ ـ آل عمران : ١٠٣.
٤ ـ البحار ج ٢٧ ص ٢٢١.
٥ ـ البحار ج ٢٧ ص ٢٣٣.

علياً حارب الله، ومن شك في علي فهو كافر».

فالمستفاد من هذه الأحاديث: أن الله تعالىٰ حيث أمر بموالاتهم ومحبتهم والاعتصام بهم، ونهىٰ عن معاداتهم وبغضهم، فلا محالة يكون الموالي لهم موالياً له تعالىٰ، والسرّ في ذلك كله أنه تعالىٰ لما جعل رضاهم رضا نفسه، فقد وصلهم بنفسه، فيكون ما يتعلق بهم ما يتعلق به تعالىٰ من تلك الأُمور، وذلك أن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام لهم جهتان: جهة خلقية بشريّة وجهة إلهية، فما يصل إليهم من الجهة البشرية فلا يصل إليه تعالىٰ، وما يصل إليهم من الجهة الإلهية المعبر عنها في الدعاء بقوله: «لا فرق بينك وبينها إلّا أنهم عبادك»، الدعاء، وتقدم شرحه، فيصل إليه تعالىٰ؛ لأنهم عليهم السلام من هذه الجهة فانون عن أنفسهم، وباقون ببقائه تعالىٰ، ومن هذه الجهة أنهم وجه الله وعين الله إلىٰ آخر ما مرّ في الحديث السابق عن بصائر الدرجات؛ ولذا قال الله تعالىٰ: ﴿ومن يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ [1] وقال عليه السلام: «من أحبنا فقد أحبّ الله»، إلىٰ آخر ما تقدم في الحديث.

وكيف كان فهم في هذه الجهة قائمون مقامه تعالىٰ، فيصح بهذه الجهة أن ينسب إليه تعالىٰ ما نسب إليهم من هذه الجهة، وهذا واضح لا ريب فيه، والحمد لله رب العالمين.

قوله عليه السلام: أنتم السبيل الأعظم، والصراط الأقوم، وشهداء دار الفناء، وشفعاء دار البقاء

أقول: السبيل والطريق بمعنى، إلّا أنه ربما يفترقان في موارد الاستعمال كما ذكر في اللغة. فقد قيل: السبيل هو الطريق، إلّا أن الطريق من الطرق وهو بمعنى القرع؛ ولذا يقال للآتي بالليل: طارق، لاحتياجه إلىٰ قرع الباب، ويقال للمسلك والجادة:

---

١ ـ النساء: ٨٠.

الطريقة والطريق، كأن الإنسان يقرعه في السلوك والطيّ، والمراد بالمسلك ما يعمّ المذهب كما لا يخفىٰ.

وعن القاموس: الصراط (بالكسر) الطريق ثم السبيل، وإن كان يطلق علىٰ الطريق والصراط الصوري المادي، إلّا أنه غالباً يستعمل فيما يكون السير فيه معنوياً، وهو إما يكون إلى الله وإلى الحق والخير والجنة ونحوها كسبيل الهدىٰ والرشاد وأمثالها، وبهذا المعنىٰ ورد تأويله بالولاية والأئمة وبخصوص علي (عليه وعليهم السلام) وبسبيلهم وطريقهم بل بشيعتهم أيضاً، حتىٰ ورد أنهم سبيل الله وسبيل الهدىٰ والرشاد.

وإما يكون ما يقابل الحق والخير، أي الكفر والضلال، والباطل والهوىٰ وأمثالها، وبهذا المعنىٰ ورد تأويله بولاية الثلاثة، وبالجملة هو مقابل الأول، وتقدم أنه تعالىٰ عبّر عن الأول بالسبيل مفرداً لوحدته واتحاد سالكيه إليه تعالىٰ، وعن الثاني بالسبل جمعاً لاختلافه واختلاف سالكيه، كما تقدم في شرح قوله: وصراطه.

ثم إن وجه اتصاف السبيل بالأعظم والصراط بالأقوم هو أن السبيل بمعنى الطريق، وهو بعدد أنفاس الخلائق، وكل واحد منهم يكون نفسه طريقه إليه تعالىٰ، وهو عظيم بالنسبة إلىٰ نفسه، وبالنسبة إلىٰ ما يتوقف عليه سيره من وجوده وموجوديته من المعارف والقوى الظاهرية والباطنية، وأيضاً تختلف كل منها بحسب الكلية والجزئية بلحاظ نفسه، أو بالاضافة إلىٰ غيره، ولكنها مع كثرتها وتعددها، ليس فيها ما يشمل جميع شؤون الالوهية بحيث يصل من نفسه إلىٰ جميعها إلّا حقيقة نفوسهم المقدسة المطهرة.

فلهم عليهم السلام الجهة الكلية للسير إليه تعالىٰ، بحيث يظهر بها جميع الشؤون الربوبية ويوصل بها إلىٰ جميعها، نعم لا إلى الكنه، بل إلىٰ ما أجاز تعالىٰ كما لا يخفىٰ، فهم عليهم السلام السبيل الأعظم في كل خير نازل من خزائنه تعالىٰ، وفي كل خير صاعد من أعمال الخلائق إليه تعالىٰ، وتقدم في شرح قوله: وصراطه، الكلام مبسوطاً جدّاً، وذكرنا

أنهم عليهم السلام الطريق منه تعالىٰ إلىٰ جميع خلقه في وصول الفيض منه تعالىٰ لكل إيجاد، أو تكليف لطفي إلهي، فلا يستفيض أحد شيئاً بجميع شؤون الوجود إلّا بواسطتهم عليهم السلام، وكذلك أنهم عليهم السلام الطريق من الخلق إليه تعالىٰ، أي لا يستمد شيء من الخلق بأقسامه وجواهره وأعراضه وأجسامه من الله إلّا بواسطتهم، ولا يصل أحد إلىٰ معرفته ذاتاً أو صفة أو غيرها، ولا يصل عمل منهم إليه تعالىٰ، إلّا بواسطتهم عليهم السلام وتقدم شرحه سابقاً.

ومنه يعلم أيضاً كونهم عليهم السلام الصراط الأقوم، وذلك أنهم عليهم السلام بعد ما كانوا حجج الله تعالىٰ علىٰ خلقه، وأنه ليس بينهم وبينه تعالىٰ ستر ولا حجاب، كما تقدم عن السجاد عليه السلام وأنهم معصومون ومؤيدون بنور الروح، الذي هو أعظم من جبرئيل وميكائيل كما تقدم، وأنهم العروة الوثقى التي لا انفصام لها، فلا محالة يكون صراطهم هو الصراط الأقوم، لا انقطاع له دون البلوغ إلى الحق، فهو قوي وقويم، أي صراط أقامه الله تعالىٰ بقوته وقدرته، فلا محالة لا انفصام له أبداً، وهذا معنىٰ كونه أقوم.

ثم إنه قد تقدمت أخبار الباب في شرح قوله عليه السلام: وصراطه، مفصلاً بما لا مزيد عليه منّا، إلّا أنه ربما فسّر السبيل بولايتهم عليهم السلام كما في الأحاديث، فلا بأس بذكر بعضها، والإشارة إلىٰ وجهها، فنقول:

ففي المحكي عن المناقب، عن الباقر عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿وصدّوا عن سبيل الله﴾[1] قال: «عن ولاية علي عليه السلام».

وفي رواية أُخرىٰ: يعني «بالسبيل علياً، ولا ينال ما عند الله إلّا بولايته».

وفي البحار[2] عن تفسير العياشي القمي: ﴿وإنّك لتدعوهم إلىٰ صراط مستقيم﴾ قال: «إلىٰ ولاية أمير المؤمنين عليه السلام قال: ﴿وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة

١ ـ النحل: ٨٨.
٢ ـ البحار ج ٢٤ ص ١٤.

عن الصراط لناكبون﴾ قال: عن الإمام لحادون».

وفيه[١] عن الخصائص بالإسناد عن الأصبغ، عن علي عليه السلام وفي كتبنا عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: **﴿وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون﴾** قال: «عن ولايتنا».

وفيه[٢] عن كنز جامع الفوائد، عن موسىٰ بن جعفر عليه السلام، وأيضاً فيه بإسناده عن ابن نباتة في قوله عزوجل: **﴿وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون﴾** قال: «عن ولايتنا أهل البيت». وفي خبر آخر قال: «عن ولايتنا».

وفيه[٣] عن كنز الفوائد، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزوجل: **﴿ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا﴾**[٤] قال: «ذاك علي بن أبي طالب عليه السلام»، وفي قوله: **﴿وإنك لتهدي إلىٰ صراط مستقيم﴾** قال: «إلىٰ ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام».

أقول: هذه نبذة منها دلت علىٰ أن الصراط والسبيل هو ولايتهم عليهم السلام وقد تقدمت أخبار عن بصائر الدرجات وغيره في أن ولايتهم ولاية الله، فلا محالة تكون ولايتهم بما هو مفسّر بالسبيل والصراط هي الموصلة إليه تعالىٰ وإلى الحق، وإلى الجنة، وهم عليهم السلام بحقيقتهم الولوية السبيل والصراط إليه تعالىٰ، حيث علمت أن الولاية بقسميها تشريعية وتكوينية معناه التصرف في الخلق بالأمر والنهي، والقلب والانقلاب في الموجود علىٰ حسب ما أقدرهم الله، وما تقتضيه المصلحة، ولا ريب في أنها لا تكون إلّا وهي موصلة إلى الحق؛ لأنها ولاية الله، والله تعالىٰ يدعو بولايته إلى الحق كما لا يخفىٰ، وقد تقدم شرحه مفصلاً في «وصراطه» فراجعه.

---

١ ـ البحار ج ٢٤ ص ١٦.
٢ ـ البحار ج ٢٤ ص ٢٢.
٣ ـ البحار ج ٢٤ ص ٢٤.
٤ ـ الشورىٰ : ٥٢.

وأما قوله: «وشهداء دار الفناء»، فنقول: هناك أخبار في ذيل آيات دلّت علىٰ أنهم الشهداء، فنذكر بعضها ثم نعقبها بالكلام فنقول:

في بصائر الدرجات[١] بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس**﴾[٢] قال: «نحن الشهداء على الناس بما عندهم من الحلال والحرام وما ضيّعوا منه».

وفيه عن عمر بن حنظلة قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: الآيـة، قـال عليه السلام: «هـم الأئمة عليهم السلام».

وفيه عن يزيد بن معاوية قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: قول الله تعالىٰ: الآية قال: «نحن الأُمه الوسط (الوسطىٰ) ونحن شهداء الله علىٰ خلقه وحجته في أرضه».

وفيه بإسناده عن قيس الهلالي، عن أمير المـؤمنين عليه السلام قـال: «إن الله طـهّرنا وعصمنا، وجعلنا شهداء علىٰ خلقه، وحجته في أرضه، وجعلنا مع القرآن، وجعل القرآن معنا لا نفارقه ولا يفارقنا».

وتقدم ما يدل علىٰ هذا في السابق.

وفي تفسير نور الثقلين[٣] عن كتاب المناقب لابن شهـر آشـوب، أبـو حمـزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿**ويوم نبعث من كل أُمة شهيداً**﴾[٤] قال: «نحن الشهود علىٰ هذه الأُمة».

وفيه عن مجمع البيان.. إلىٰ أن قال: وقال الصادق عليه السلام: «لكل زمان وأُمة إمام، تبعث كل أُمة مع إمامها».

وفي مقدمة تفسير البرهان، وفي المناقب عن سليم بن قيس، عن علي عليه السلام قال:

---

١ ـ بصائر الدرجات ص٨٢.
٢ ـ البقرة:١٤٣.
٣ ـ تفسير نور الثقلين ج٣ ص٧٣.
٤ ـ سورة النحل الآية ٨٩.

«إن الله تعالىٰ إيّانا عنىٰ بقوله: ﴿**شهداء على الناس**﴾، فرسول الله شاهد علينا، ونحن شهداء علىٰ خلقه، قال الله تعالىٰ: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً**﴾.. إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿**عليكم شهيداً**﴾[١]».

أقول: والوجه في كونهم عليهم السلام الشهداء على الناس هو ما روي في ذيل قوله تعالىٰ: ﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**﴾ وهي كثيرة، ونحن نذكر بعضها.

في بصائر الدرجات[٢] بإسناده عن محمد بن مسلم وزرارة قالا: سألنا أبا عبدالله عليه السلام عن الأعمال تعرض علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «ما فيه شك، ثم تلا هذه الآية: ﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**﴾[٣] قال: إن لله شهداء في أرضه».

وفيه بإسناده عن عبدالله بن أبان قال: قلت للرضا عليه السلام: إن قوماً من مواليك سألوني أن تدعو الله لهم، فقال: «والله إني لتعرض عليّ في كل يوم أعمالهم».

ووفيه، بإسناده عن إسحق بن عمار، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «الامام يسمع الصوت في بطن أُمّه، فإذا سقط إلى الأرض كتب علىٰ عضده الأيمن: ﴿**وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدّل لكلماته وهو السميع العليم**﴾ فإذا ترعرع نصب له عموداً من نور من السماء إلى الأرض يرىٰ به أعمال العباد».

وفيه، عن أبي عبدالله عليه السلام.. إلىٰ أن قال: «فإذا خرج إلى الأرض أُوتي الحكمة، وزّين بالعلم والوقار، وأُلبس الهيبة، وجعل له مصباح من نور يعرف به الضمير، ويرىٰ به أعمال العباد».

وفيه، عن الحسن بن راشد قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول:.. إلىٰ أن قال بعد

---

١ ـ البقرة: ١٤٣.
٢ ـ بصائر الدرجات ص٤٣.
٣ ـ التوبة: ١٠٥.

ذكر الآية: «فإذا مضى الامام الذي كان من قبله، رفع لهذا مناراً من نور ينظر به إلىٰ أعمال الخلائق، فبهذا يحتج الله علىٰ خلقه».

وفيه[1] بإسناده عن محمد بن مروان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن الامام يسمع الصوت في بطن أمّه، فإذا بلغ أربعة أشهر كتب علىٰ عضده الأيمن: ﴿وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته..﴾ فإذا وضعته سطع له نور ما بين السماء والأرض، فإذا درج رفع له عمود من نور يرىٰ به ما بين المشرق والمغرب».

وفيه، عن أبي حمزة الثمالي، قال: قال أبو جعفر عليه السلام.. إلىٰ أن قال: «حتىٰ إذا شبّ رفع الله له عموداً من نور يرىٰ فيه الدنيا وما فيها، لا يستتر عنه منها شيء».

وفيه[2] عن محمد بن مروان، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول.. إلىٰ أن قال عليه السلام: «فإذا صار الأمر إليه جعل الله له عموداً من نور، يبصر به ما يعمل به أهل كل بلدة».

وفي حديث بعده قال عليه السلام: «يعلم ما يعمل به القرية الأُخرىٰ».

وفيه[3] بإسناده عن إسحق الحريري قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فسمعته وهو يقول: «إن لله عموداً من نور حجبه الله عن جميع الخلائق طرفه عند الله وطرفه الآخر في أُذن الامام، فإذا أراد الله شيئاً أوحاه في أُذن الامام».

وفيه، بإسناده عن صالح بن سهل، «إن الله جعل بينه وبين الرسول رسولاً، ولم يجعل بينه وبين الإمام رسولاً، قال: قلت: وكيف ذاك؟ قال: جعل بينه وبين الامام عموداً من نور ينظر الله به إلى الامام، وينظر الامام (إليه، بحار) إذا أراد علم شيء، نظر في ذلك النور فعرفه».

أقول: المراد من قوله: رسولاً، هو جبرئيل أي أنه تعالىٰ جعل بينه وبين

---

١ ـ بصائر الدرجات ص ٤٣٤.

٢ ـ بصائر الدرجات ص ٤٣٧.

٣ ـ بصائر الدرجات ص ٤٣٩.

الرسول ملكاً ورسولاً، فالرسول رسول عنه تعالىٰ يوحي إليه بواسطة الملك أحياناً كما علمت سابقاً، وهذا هو الفرق بين الرسول والإمام، فإن الرسول يوحىٰ إليه بواسطة الملك، والامام لا يوحىٰ إليه بواسطة الملك، وتقدم أن حقيقة ذلك النور هو الروح الذي أوحاه الله تعالىٰ إلى النبي ﷺ في قوله: ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا**﴾[1]، وهذا الروح هو حقيقة النبوة المختصة بالنبي ﷺ ابتداء، ثم إنه لفيهم وصار إليهم، فهم يعلمون ما يعلمون بواسطة ذلك النور الذي هو حقيقة النبوة.

فحاصل هذا الحديث: أن النبي أُوحي إليه ذلك الروح ابتداء، وأُوحي إليه تفصيلاً بواسطة الملك (أي جبرئيل) وأما الامام فلا يكون عمله إلّا بواسطة الروح، الذي هو حقيقة النبوة، وأعظم من جبرئيل وميكائيل كما تقدم، وهذا هو الفرق بينه وبين الرسول كما تقدم، فلا تظن أن الحديث يعطي مقام النبوة للامام عليه السلام بل هو ظاهر وصريح في أنه (أي الامام) يعلم بواسطة عمود النور، الذي هو النازل إليه ﷺ أولاً ثم جعل فيهم، وتقدم الكلام فيه مفصلاً في شرح قوله عليه السلام: «ومختلف الملائكة».

ويدل علىٰ هذا ما فيه [2] أيضاً بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إنا أنزلناه نوراً كهيئة العين علىٰ رأس النبي ﷺ والأوصياء عليهم السلام لا يريد أحد منا علم أمر من أمر الأرض أو أمر من أمر السماء إلى الحجب التي بين الله وبين العرش إلّا رفع طرفه إلىٰ ذلك النور فرأىٰ تفسير الذي أراد فيه مكتوباً».

أقول: قد ذكر عليه السلام إنا أنزلناه نور علىٰ رأس النبي والأوصياء، وهو شاهد علىٰ ما قلناه من أن النور في جميع تلك الروايات يراد منه الروح، الذي هو أعظم من جبرئيل وميكائيل، وهو أولاً يكون فيه ﷺ ثم يكون فيهم عليهم السلام.

---

١ ـ الشورىٰ : ٥٢.

٢ ـ بصائر الدرجات ص٤٦٢ رقم ٥.

وفيه بإسناده عن أبي بكر الحضرمي قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: «ياأبا بكر ما يخفىٰ عليّ شيء من بلادكم».

وفيه بإسناده عن علي بن أحمد بن محمد، عن أبيه قال: كنت أنا وصفوان عند أبي الحسن عليه السلام[1] فذكروا الامام وفضله قال: «إنما منزلة الامام في الأرض بمنزلة القمر من السماء في موضعه هو مطلع علىٰ جميع الأشياء كلها».

وفي تفسير البرهان[2]، أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه بإسناده عن عبدالله بن بكر الأرجاني، عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث طويل قلت له: جعلت فداك فهل يرى الامام ما بين المشرق والمغرب؟ قال: «يابن بكر فكيف يكون حجة علىٰ ما بين قطريها، وهو لا يراهم ولا يحكم فيهم، وكيف يكون حجة علىٰ قوم غيّب، لا يقدر عليهم ولا يقدرون عليه، وكيف يكون مؤدياً عن الله وشاهداً على الخلق وهو لا يراهم، وكيف يكون حجة عليهم، وهو محجوب عنهم، وقد حيل بينهم وبينه أن يقوم بأمر ربه فيهم والله يقول: ﴿وما أرسلناك إلّا كافة للناس﴾[3] يعني به من على الأرض والحجة من بعد النبي صلى الله عليه وآله وهو يقوم مقام النبي، وهو الدليل علىٰ ما تشاجرت فيه الأمة والأخذ بحقوق الناس»، الحديث.

وفيه في حديث بعده فقال الرضا عليه السلام: «إنما هو مثل القمر يدور في كل مكان يراه (أو تراه) من كل مكان».

وفيه[4] بإسناده عن الحرث بن المغيرة النضري قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «اتقوا الكلام فإنّا نؤتىٰ به».

وفيه بإسناده عنه، وعن أبي بكر الحضرمي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ما

---

١ ـ أبي عبدالله (البحار).
٢ ـ تفسير البرهان ج٣ ص٣٥٢.
٣ ـ سبأ: ٢٨.
٤ ـ بصائر الدرجات ص٣٩٦.

يحدث فيكم حدث إلّا علمناه، قلت: وكيف ذاك؟ قال: يأتينا به راكب يضرب».

وفيه[1] بإسناده عن إسماعيل الأزرق قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إن الله أحكم وأكرم وأجل وأعلم من أن يكون أحتج علىٰ عباده بحجة، ثم يغيب عنهم شيئاً من أمرهم».

وفيه وفي حديث عن هشام بن الحكم قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام بمنىٰ عن خمسمائة حرف من الكلام فأقبلت أقول: كذا وكذا يقولون، قال: «فتقول قل كذا وكذا، فقلت: جعلت فداك هذا الحلال والحرام والقرآن أعلم أنك صاحبه وأعلم الناس به وهذا هو الكلام، فقال لي: وتشك ياهشام؟ من شك أن الله يحتج علىٰ خلقه بحجة لا يكون عنده كل ما يحتاجون إليه فقد افترىٰ على الله».

هذه جملة من الأحاديث الواردة في الباب فنقول: **يقع الكلام في أُمور:**

الأول: في مورد الشهادة وهي كما تقدم لا ينحصر في الشهادة علىٰ أعمالهم الظاهرة، بل هي عبارة عن تحمل حقائق أعمال الناس في الدنيا من سعادة وشقاوة وردّ وقبول بالنسبة إلى التوحيد والايمان بالرسول والولاية للأئمة عليهم السلام وكونهم أهل محبتهم أم لا، والانقياد له تعالىٰ ولهم والتمرد بالنسبة إليه تعالىٰ وإليهم، فيتحملونها منهم في الدنيا، فيشهدون بها يوم القيمة إما لهم أو عليهم، وهذه الشهادة المتحملة في الدنيا والمبينة في الآخرة ترجع إلىٰ أن المشهود به له نحو من الحيوة والوجود، يحضر يوم القيمة علىٰ ما كان في النشأة قال الله تعالىٰ: ﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾[2].

نعم لحقايق الأعمال في الدنيا وجود، ولها في الآخرة وجود يناسب عالم الآخرة، ولا دليل على اتحاد خصوصيات الموجود فيهما كما لا يخفىٰ.

ومما ذكر يعلم وجه كونهم عليهم السلام شهداء دار الفناء، فإن الإضافة لبيان ظرف

---

١ ـ بصائر الدرجات ص١٢٢.

٢ ـ الكهف : ٤٩.

التحمل لها وهي الدنيا، وسيأتي أنهم عليهم السلام لإحاطتهم العلمي والوجودي، الذي منحهم الله تعالىٰ يتحملون هذه الشهادات بحقائقها في دار الفناء إلىٰ دار البقاء، وظهر أيضاً الفرق بين قوله عليه السلام: «وشهداء علىٰ خلقه»، فيما تقدم وبين قوله عليه السلام هنا: «وشهداء دار الفناء»، فإن الأُولىٰ تشير إلىٰ بيان شأنهم في هذا الأمر، أي تحمل الشهادة، وهذه تشير إلى الظرف الذي يتحمل فيه تلك الشهادة فتأمل.

والحاصل: أنهم عليهم السلام يشهدون على الأنبياء فإن الله تعالىٰ أرسلهم، ويشهدون لهم عليهم السلام بأنهم قد بلغوا رسالات ربهم، ويشهدون لمن أجابهم وأطاعهم بإجابته وإطاعته، وعلىٰ من أعرض وعصىٰ بإعراضه وعصيانه، أي يظهرون حقيقة ما يشهدون له أنه بلّغ ما أُمر بتبليغه، ويشهدون علىٰ أُمته وهم وكذلك رسول الله صلى الله عليه وآله.

الثاني: في بيان السّر في تحمل هذه الشهادة فنقول:

الوجه هو أنه تعالىٰ حملهم العلم وأمر الخلافة وأعباء الرسالة وحمولة الرب، وأشهدهم خلق الأشياء وعرفهم حقائق الأشياء، فهم عليهم السلام علموا بتعليمه تعالىٰ عالم المشية ومظاهرها، فلا محالة هم عالمون بحقائق الأُمور، وشاهدون لها بحيث لا يخفىٰ منها شيء لهم كما نطقت به الأحاديث المتقدمة، وتقدم بيان هذا السر في شرح قوله عليه السلام: «وشهداء علىٰ خلقه»، ثم إنهم شهداء على الشيعة وعلىٰ مخالفيهم، بل علىٰ جميع الخلق، فإن هذا لازم كونهم عليهم السلام قد أشهدهم خلق الأشياء، وكونهم حجة على الخلق أجمعين كما لا يخفىٰ.

الثالث: قد تقدم أن الشهادة لا تختص بهم عليهم السلام بل تكون للشيعة أيضاً، إلّا أن شهادتهم بالنسبة إلىٰ من يشهدون له أو عليه تكون مورداً لشهادتهم عليهم السلام له وتقدم وجه أن الشيعة أيضاً لهم الشهادة في الجملة يوم القيمة، وذكر أحاديث الباب وشرحها عند قوله عليه السلام: «وشهداء علىٰ خلقه»، فراجعها.

الرابع: أنه قد يقال: إن ظاهر بعض الأحاديث المتقدمة من نحو قوله عليه السلام في حديث حرب بن المغيرة: «اِتقوا الكلام فإنا نؤتىٰ به» في أن ما شهدوا به من

أقوال الخلائق مطلقا، فإنما هو من أخبار الملائكة أو الجن، مع أن ظاهر سائر الأحاديث الكثيرة، بل والآيات في أنهم يرون أعمال العباد بأنفسهم بنور الله، وبذلك العمود من النور المشار إليه في كثير من الأخبار، فكيف التوفيق بينهما؟ ولكنه يقال في الجمع بينهما: إن الملائكة بأجمعها إنما هي من شؤونهم وعواملهم في الوجود، فإن مدركاتهم عليهم السلام للأشياء كل بحسبها إنما هو شأن من شؤونهم يسمىٰ ذلك الشأن بالملك، أو بالقوى السارية في الوجود المسخرة لهم عليهم السلام.

فالملائكة بالنسبة إليهم كالقوىٰ والخواطر النفسانية بالنسبة إلينا، فكما إنا إذا عملنا عملاً فتارة ننسبه إلىٰ أنفسنا فنقول: كذا علمت وكذا عملت، وأُخرىٰ ننسبه إلىٰ خواطرنا فنقول: خطر ببالي وعلمت بقوتي كذا وكذا، فمرجع الكل إلىٰ أن الحقيقة الانسانية التي هي الجوهرة اللطيفة الملكوتية، تعمل أعمالها بمعونة هذه القوى المعبر عنها بالخواطر أيضاً، فإن الخواطر والقوىٰ شأن من شؤون حقيقتنا الانسانية كما لا يخفىٰ.

والامام لما كان هو قطب عالم الامكان، وله القدرة عليها والإحاطة بها، فهو الانسان الكبير الذي يكون جميع قوىٰ عالم الوجود من الملائكة بأقسامها من شؤون هذا القطب، والامام الذي هو الانسان الكبير، فلا مانع من أن ينسب الرؤية تارة إلىٰ نفسه المقدسة وأُخرىٰ إلى الملائكة التي هي من شؤونهم عليهم السلام كما لا يخفىٰ.

وأما قوله عليه السلام: «وشفعاء دار البقاء»، فنقول: في المجمع: وفي الحديث تكرر ذكر الشفاعة فيما يتعلق بأُمور الدنيا والآخرة، وهي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم وفي غيره، بل ربما يطلق علىٰ مطلق السؤال للغير والدلالة إلى الشر أو الخير، وكل ذلك قد يكون في الدنيا وفيما يتعلق بها، بل تحقق بعض أفرادها لا يكون إلّا فيها، لكن أكثر استعمالها في القرآن بالنسبة إلى الآخرة.

أقول: قوله: يطلق علىٰ مطلق السؤال للغير والدلالة إلى الشر أو الخير، يدل

علىٰ أن الشفاعة كما تكون في الأُمور الخيرية كذلك تكون في الشر، إلّا أن الشفاعة في الشر يطلق عليها الماحل قال ﷺ في القرآن: «فإنه شافع مشفّع وماحل مصدق».

وفيه يقال: محل فلان بفلان إذا قال عليه قولاً يوقعه في مكروه.. إلىٰ أن قال الماحل هو الذي يسعىٰ بالنميمة إلى الملوك.

أقول: فالشفاعة في الشر هو بمعنى الماحل: والنميمة أحد مصاديق القول الذي يوقعه في المكروه، فلا تكون الشفاعة في الشر أو الماحل إلّا في النميمة، بل هو عام لكل ما يكون مكروهاً على المشفوع له كما لا يخفىٰ.

وكيف كان قوله تعالىٰ: **﴿ومن يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها﴾** [1] يشير إلى الشفاعة في الخير، وذلك كمن يصلح بين اثنين يكن له جزء منها، ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها، أي من يمشي بالنميمة مثلاً يكن له إثم منها.

وفيه: واسم الفاعل شفيع والجمع شفعاء، مثل كريم وكرماء، وشافع أيضاً، وشفعت الشيء شفعاً من باب نفع ضممته إلى الفرد.

أقول: هذا بحسب موارد استعماله في اللغة، وحينئذ قيل: فالشفاعة من الشفع مقابل الوتر، كان الشفيع ينضم إلى الوسيلة الناقصة، التي مع المستشفع فيصير به زوجاً بعد ما كان فرداً، فيقوىٰ علىٰ نيل ما يريده، ولو لم يكن يناله وحده لنقص وسيلته وضعفها وقصورها.

أقول: قد يقال: إنها عبارة عن طلب زيادة المنافع للمؤمنين المستحقين للثواب، أو هي طلب إسقاط العقاب عمن يستحقه، وقد يقال أيضاً: إنها علىٰ خمسة أقسام:

الأول: وهو الإزاحة من هول الموقف وتعجيل الحساب، وهذا مختص بالنبي ﷺ.

---

١ ـ النساء: ٨٥.

الثاني: في إدخال قوم الجنة بغير حساب، وهي أيضاً مختصة به ﷺ.

الثالث: هي لقوم استوجبوا النار، فيشفع فيهم نبينا ﷺ ومن يشأ الله.

الرابع: فيمن دخل النار من المؤمنين، فالشفاعة فيهم، هو إخراجهم منها، وهذا يكون للنبي ﷺ والأئمة عليهم السلام والمؤمنين والملائكة.

الخامس: الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها، إنتهىٰ ملخصاً.

أقول: إن الأربعة الأُولىٰ منها ترجع إلىٰ أنها هو السؤال في التجاوز عن الذنوب، وإلّا فيرجع إلى الشفاعة بمعنىٰ طلب الزيادة، وهو نوع من الشفاعة أيضاً، وهذه هي التي لا ينكرها أحد حتى المعتزلة الذين ينكرون الشفاعة علىٰ ما قيل.

إذا علمت هذا فنقول: لابد من بيان مورد الشفاعة وحقيقتها.

أما الأول فنقول: لا ريب في أن الانسان بمقتضىٰ حبه لنفسه، وإن له قوة تحريك الإرادة، فلا محالة بمعونة قوى الغضب والشهوة دائماً يكون في مقام دفع المضار، وجلب المنافع بالأسباب، ثم إن تلك الأسباب قد تكون أسباباً مادية، وتكون تحت اختياره، كما إذا عطش أو جاع أو مرض، أو أراد زيادة الصحة، أو رفع الحر أو البرد، فإنه في هذه الأُمور يتوسل بالأسباب المادية المعدة لها، التي تكون تحت اختياره، ففي هذه الأُمور لا يستشفع بأحد بعدما كانت الأسباب ممكنة التوسل بها له كالأكل والشرب واللبس والمداواة مثلاً.

والحاصل: أن المنافع والمضار التي تكون أسبابها تحت الاختيار لا يتوسل الإنسان في تحصيلها إلّا بأسبابها المعدة لها ولا يستشفع بغيره، هذا وقد تكون الخيرات والشرور والمنافع والمضار مما قد أثبته القوانين الكلية الإلهية مثلاً أو غير إلهية، ففي مثل هذه لا ريب في أن العامل بها مورد للثواب في عمل الخير، ومأمون عن العقاب في تركه ما هو معصية ومخالفة لتلك القوانين، وأما إذا خالف في الأمرين فلا محالة يقع إما في عدم النفع فيما إذا ترك الواجب وإما في المضرة فيما إذا فعل المحذور، ولم يكن في إمكان ما به يخرج عن عدم النفع، أو يدفع به عن نفسه المضرة.

فلا محالة يتوسل بالشفاعة في الأمرين فهذا مورد الشفاعة، وهذا كما ترىٰ لا يختص بملة خاصة، بل هو عام يشمل جميع الملل الحقة والباطلة، إلّا أن الكلام فيما نحن فيه لا يقع إلّا بالنسبة إلى الملة الحقة الإسلامية والإمامية.

وأما الثاني (أعني حقيقة الشفاعة): فتارة يقع فيها بلحاظ أصل معنى الشفاعة، وأُخرىٰ في شرائط الشفيع، وثالثة في شرائط المشفوع له فنقول:

أما الأول: قال بعض الأعلام ﷺ الشفيع لا يطلب من المولىٰ مثلاً أن يبطل مولوية نفسه وعبودية عبده، فلا يعاقبه، ولا يطلب منه أن يرفع اليد عن حكمه وتكليفه المجعول، أو ينسخه عموماً، أو في خصوص الواقعة فلا يعاقبه، ولا يطلب منه أن يبطل قانون المجازات عموماً أو خصوصاً، فلا يعاقب لذلك رأساً، أو في خصوص الواقعة، فلا نفوذ ولا تأثير للشفيع في مولوية وعبودية، ولا في حكم ولا في جزاء حكم.

بل الشفيع بعدما يسلم جميع الجهات الثلاث المذكورة، إنما يتمسك إما بصفات في المولى الحاكم توجب العفو والصفح كسؤدده وكرمه وسخائه وشرافة محتدة، وإما بصفات في العبد تستدعي الرأفة والحنان، وتثير عوامل المغفرة كمذلّته ومسكنته وحقارته وسوء حاله، وإما بصفات في نفسه أعني نفس الشفيع من قربه إلى المولىٰ وكرامته وعلوّ منزلته عنده فيقول: ما أسألك إبطال مولويتك وعبوديته، ولا أن تبطل حكمك ولا أن تبطل الجزاء، بل أسألك الصفح عنه، بأن لك سؤدداً ورأفة وكرماً، وأنك لا تنتفع بعقابه ولا يضرّك الصفح عن ذنبه، أو بأنه جاهل حقير مسكين لا يعتني مثلك بشأنه، ولا يهتم بأمره، أو بأن لي عندك من المنزلة والكرامة ما يوجب إسعاف حاجتي في تخليصه والعفو عنه، إنتهىٰ موضع الحاجة.

أقول: فيستفاد مما قاله إن الشفاعة هي التوسل بوسائل مثل الذي ذكر من الصفات في المولىٰ، أو في العبد المجرم، أو في نفس الشفيع بنحو تكون هذه الوسائل حاكمة على الحكم الموجب للعقاب، أو رفع الثواب مثلاً بنحو لا يضاده، بل يكون

حاكماً عليه بدون مضاده.

وبعبارة أُخرىٰ: أن الشفاعة التي هي التوسل بتلك الوسائل، توجب إخراج هذا العبد من موضوع كونه ممن يجب عقابه للمخالفة، وإدخاله تحت موضوع آخر، وهو أنه بلحاظ تلك الصفات يكون ممن ينبغي أن يعفىٰ عنه أو يصفع عنه، وفي الحقيقة أنه تعالىٰ كما جعل الأحكام الأولية سبباً لأن تكون مخالفتها موجبة للعقاب، فكذلك أنه تعالىٰ جعل أسباباً ناشئة من لطفه ورحمته؛ لإظهار عفوه وصفحه، فالمجرم وإن كان بلحاظ جرمه محكوماً بالعقاب، إلّا أنه بلحاظ استشفاعه، وبلحاظ تحقق الشفاعة فيه، وبلحاظ تلك الصفات يكون مورداً للعفو والصفح.

وهذا كما علمت ليس إبطالاً للأحكام كما زعمه قوم، بل تحكيم لأسباب أُخرىٰ، قد جعلها الله تعالىٰ في ظرف تحقق شرائطه، وسيجيء قريبا أن الشفاعة في الحقيقة ترجع إليه تعالىٰ أولاً وبالذات، ثم إلىٰ غيره بالعرض أي بإذنه قال تعالىٰ: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلّا بإذنه﴾[1] ثم إن الشفاعة كما يأتي بيانها إنما تكون مع تحقق شرائط في الشافع والمشفوع له لا مطلقاً، مضافاً إلىٰ ما علمت من أنها على القاعدة العقلية، وليست مستلزمة لإبطال الأحكام الإلهية، بل هي موجبة لإخراج موضوع عن موضوع حكم وإدخاله في موضوع آخر، إلّا أنه مع ذلك اشتبه الأمر علىٰ بعض، فاستشكلوا على الشفاعة بأُمور نذكر بعضها مع الجواب بعونه تعالىٰ.

الاشكال الأول: أن رفع العقاب بالشفاعه بعدما كان ثابتاً بمقتضى الحكم الأولي إما يكون عدلاً وإما يكون ظلماً، فإن كان الأول، فلازمه أن أصل الحكم الأولي يكون ظلماً تعالى الله عنه علواً، وإن كان الثاني فلا ريب في أنه لا يجوز نسبة طلب الظلم منه تعالىٰ إلى الأنبياء لا في الدنيا ولا في الآخرة، وجوابه أولاً بالنقض

---

١ ـ البقرة: ٥٥.

بالأوامر الامتحانية، فرفع الحكم الامتحاني وإثباته أولاً كلاهما عدل، وسرّه اختبار سريرة المكلف من إخراج باطن أمره، وإخراج ما فيه بالقوة إلىٰ ما بالفعل، فيما ترك أو امتثل فكذلك الشفاعة، إذ من الممكن أن تكون النجاة لجميع المؤمنين مكتوبة، ثم يجعل الأحكام بنحو الامتحان ليهلك الكافرون بكفرهم، وأما المؤمنون فالمطيع منهم ترفع درجاته، وأما المسيئون منهم فينالون بالشفاعة النجاة المكتوبة لهم، وثانياً بالحل وهو أنه قد علمت آنفاً أن الشفاعة ليست هي إبطال الأحكام الأولىٰ، بل هي في الحقيقة تحكيم لأسباب أُخرىٰ في الموضوع، وإدخاله في موضوع آخر، فأين هذا من المضادة حتىٰ يقال ما قيل؟

الاشكال الثاني: أن سنة الله تعالىٰ جرت علىٰ صون أفعاله من التخلف والاختلاف، فما قضىٰ وحكم به يجريه علىٰ وتيرة واحدة من غير استثناء قال تعالىٰ: ﴿**فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً**﴾[1] ومن المعلوم أن الشفاعة موجبة للاختلاف في سنته تعالىٰ وفعله، فإن رفع العقاب عن جميع المجرمين موجب لنقض الغرض المحال مضافاً إلىٰ أنه لعب ينافي الحكمة حكمة التشريع، ورفع العقاب عن بعض دون بعض موجب للاختلاف في فعله أيضاً، فالقول بالشفاعة لعله مبتن علىٰ الأهواء والأوهام، التي ربما تقضي في الحق والباطل، وعن الحكمة والجهل على السواء، وهو كما ترىٰ خصوصاً في حقه تعالىٰ.

والجواب عنه: هو أنه تعالىٰ لا ريب في أن سنته واحدة، لكن ليست وحدتها قائمة علىٰ أصل صفة واحدة من صفاته، بل هي قائمة علىٰ ما يستوجبه جميع صفاته وهي كثيرة، فإنه تعالىٰ مفيض ما في الوجود من حيوة أو موت أو رزق أو نعمة، فننسبها كلها إليه تعالىٰ، إلّا أن كل واحدة منها منسوبة إليه تعالىٰ بنحو يخصّه ونحو يقتضيه، لا كلها بنحو واحد، وإلّا لأوجب البطلان والهرج والمرج في الوجود، ولبطلت الأسباب والتأثيرات المختلفة كما لا يخفىٰ فهو لله تعالىٰ مشفي للمريض،

---

١ ـ فاطر: ٤٣.

لكن لا من حيث إنه مميت منتقم قهار شديد العقاب، بل لأنه رؤوف رحيم شافي وهكذا، كما أنه لا يهلك جباراً، لأنه رؤوف رحيم بل لأنه منتقم شديد البطش.

وبعبارة أُخرىٰ: كل أمر من الأُمور يرتبط به تعالىٰ من جهة ما يتضمنه من المصالح والخيرات، فعدم اختلاف سنته، وعدم اختلاف فعله إنما هي بالنسبة إلىٰ جميع صفاته المربوطة به تعالىٰ، لا بالنسبة إلىٰ صفة واحدة، فوقوع الشفاعة، وارتفاع العقاب، لأجل عدة من الأسباب كالرحمة والمغفرة، والحكم والقضاء، وإعطاء كل ذي حق حقه والفصل والقضاء، كل ذلك لا يوجب اختلافاً في السنة الجارية، وضلالاً في الصراط المستقيم.

الإشكال الثالث: أن وعد الشفاعة يوجب التجري على المعصية، وإغراء لهم على المعصية، وهو مناف للغرض الشرعي، وهو السوق إلى العبودية والطاعة، فلابد من التأويل لما يدل علىٰ وعد الشفاعة بنحو لا ينافي هذا الأصل المسلّم.

والجواب عنه:

أولاً: بالنقض بآيات المغفرة والرحمة الواسعة له تعالىٰ، وهي كثيرة جداً.

وثانياً: بالحل بأن وعد الشفاعة إنما يوجب التجري **بشرطين** وإلّا فلا.

* تعيين المذنب أو الذنب بنحو لا يقع فيهما اشتباه، بحيث يكون بنحو الانجاز من غير تعلق بشرط جائز.

* أنه إن قيل: إن الفرد الفلاني، أو الطائفة المخصوصة، أو جميع الناس لا يعاقبون لكان ذلك موجباً للتجري بالنسبة إليه أو إليهم.

وأما إذا أبهم الأمر، فلم يعيّن أن الشفاعة في حق من تؤثر، وفي أي ذنب توجب رفع عقوبته، فحينئذ حيث إن كل نفس عاصية لا تعلم شمول الشفاعة لها، فلا محالة لا يوجب وعد الشفاعة تجرياً بالنسبة إليه، كما لا يخفىٰ، بل هذا الإبهام في الأمرين يوقظ قريحة رجائها، فلا محالة لا تكون قنوطاً من رحمة الله تعالىٰ، أو يأساً من روحه، فهو حينئذ يكون قلبه بين الرجاء من وعد الشفاعة وبين الخوف

من أنه لا يعلم أنها شاملة له أم لا، فالآيات التي تهدد العاصين مثل قوله تعالىٰ: ﴿كلا بل ران علىٰ قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾[١] وقوله تعالىٰ: ﴿ثم كان عاقبة الذين أساؤا السؤىٰ أن كذبوا بآيات الله﴾[٢] توجب خوفاً في القلوب مطلقاً خصوصاً في قلوب العاصين.

والآيات التي توقظ قريحة الرجاء مثل قوله تعالىٰ: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيّئاتكم﴾[٣]، توجب مضافاً إلىٰ حصول الرجاء في القلب رفع اليد عن المعاصي الكبيرة طمعاً في أن يغفر الله تعالى المعاصي الصغيرة، فهذا البيان منه تعالىٰ موجب لجلب القلوب، وانجذابها إليه تعالىٰ بالإطاعة، وترك المعاصي الكبيرة، التي عسىٰ أن تكون موصلة لترك المعاصي كلها، وهو بيان شاف بحكم الفطرة السليمة بحسنه كما لا يخفىٰ، وهذا البيان الإلهي ربما أوجب انقلاع العبد عن المعاصي، وركوبه علىٰ صراط التقوىٰ والصراط المستقيم، فيصير حينئذ من المحسنين، فلا تتوقف حينئذ نجاته على الشفاعة، لما سيأتي من أن الشفاعة للعاصين، وأما المحسنون فيدخلون الجنة باحسانهم، بل ربما يشفعون لغيرهم كما سيأتي بيانه.

والحاصل: أن القرآن لم ينطق في خصوص المجرمين بالتعيّن، ولم يعين الذنب المغفور بالشفاعة بعينه، بل أثبت الشفاعة في البعض وفي بعض الذنوب في بعض الجهات وبعض الأوقات وبعض الأشخاص من دون تعيين، فلا يوجب تجري العاصين قطعاً، بل يوجب توقيظ رجائهم وخوفهم منه تعالىٰ بالبيان المتقدم، فلا إشكال فيه أصلاً، ولهذا الجواب بيان مفصل راجع المفصلات كما أن هناك إشكالات أُخر مع جوابها لابد للرجوع إليها والله الهادي.

---

١ ـ المطففين: ١٤.

٢ ـ الروم: ١٠.

٣ ـ النساء: ٣١.

هذا بعض الكلام في بيان حقيقة الشفاعة ومواردها، فثبت أنها أمر عقلي لا إشكال فيه، مضافاً إلىٰ ما ورد من الآيات والأحاديث بثبوتها، وأنه لابد من الاعتقاد بها، فنحن نذكر بعض الآيات والأحاديث في هذا الموضوع فنقول:

أما الآيات فكثيرة منها قوله تعالىٰ: **﴿واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون﴾**[١]، وقال تعالىٰ: **﴿من ذا الذي يشفع عنده إلّا بإذنه﴾**[٢]، وقال تعالىٰ: **﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلّا لمن أذن له حتىٰ إذا فزّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾**[٣]، وسيأتي بعضها في طي ذكر الأحاديث.

أقول: هذه الآيات قد أثبتت الشفاعة مع ما لها من الشرط في الشافع والمشفوع له كما سيجيء بيانها، وفيها نكتة وهي أن آيات الشفاعة لم تذكر بنحو الاطلاق بأن يقول: إنا لنشفع لكم، ليمكن أن يستظهر منه أنها لم تكن مشروطةً بشرط، بل غالباً أو جميعاً ذكرت بلسان الحصر المستفيد منه تقييدها بشرط، بل شروط كما لا يخفىٰ، وهي بهذا اللسان تدل علىٰ أن الشفاعة لا تبطل أدلة الأحكام الأولية ولا تعارضها، بل في موضوعها وفي تحقق شرائطها تكون حاكمة علىٰ تلك الأدلة الأولية للأحكام كما لا يخفىٰ.

وأما الأحاديث فكثيرة جداً ونذكر بعضها اللازم فنقول:

ففي البحار[٤] عن الخصال مسنداً عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي دعوة قد دعا بها، وقد سأل سؤالاً، وقد أخبأت دعوتي لشفاعتي لأُمتي يوم القيمة».

---

١ ـ البقرة : ٤٨.

٢ ـ البقرة : ٢٥٥.

٣ ـ سبإ: ٢٣.

٤ ـ البحار ج٨ ص ٣٤.

وفيه عن الأربعمائة قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تعنونا في الطلب والشفاعة لكم يوم القيمة فيما قدمتم».

وقال عليه السلام: «لنا شفاعة ولأهل مودتنا شفاعة».

وفيه عن أمالي الصدوق بإسناده عن الحسين بن خالد، عن الرضا، عن أبيه عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من لم يؤمن بحوضي،فلا أورده الله حوضي، ومن لم يؤمن بشفاعتي، فلا أناله الله شفاعتي، ثم قال عليه السلام: إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، فأما المحسنون فما عليهم من سبيل، قال الحسين بن خالد: فقلت للرضا عليه السلام: يابن رسول الله فما معنىٰ قول الله عزوجل ﴿ولا يشفعون إلّا لمن ارتضىٰ﴾[1]؟ قال: لا يشفعون إلّا لمن ارتضى الله دينه».

وفيه عن تفسير علي بن إبراهيم بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: ﴿لا يملكون الشفاعة إلّا من اتخذ عند الرحمن عهداً﴾[2]، قال: «لا يشفع ولا يشفع لهم ولا يشفعون ﴿إلّا من اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ إلّا من أذن له بولاية أمير المؤمنين والأئمة من بعده ،فهو العهد عند الله»، الحديث.

وفيه عن أمالي الصدوق بإسناده عن محمد بن عمارة، عن أبيه قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: «من أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا المعراج والمسألة في القبر والشفاعة».

وفيه عن تفسير علي بن إبراهيم في حديث.. إلىٰ أن قال: ثم قال أبو جعفر عليه السلام: «إن لرسول الله صلى الله عليه وآله الشفاعة في أمته، ولنا شفاعة في شيعتنا، ولشيعتنا شفاعة في أهاليهم، ثم قال: وإن المؤمن ليشفع في مثل ربيعة ومضر، وإن المؤمن ليشفع حتىٰ لخادمه ويقول: يارب حق خدمتي كان يقيني الحر والبرد».

أقول: فالمستفاد من هذه الأحاديث (وهي كثيرة جداً، مع ما فيها من التأكيد

---

١ ـ الأنبياء : ٢٨.

٢ ـ مريم : ٨٧.

علىٰ ثبوتها، والإنكار والتشنيع علىٰ منكرها) أن الشفاعة للنبي ﷺ وللأئمة عليهم السلام وللمؤمنين، نعم في المؤمنين الذين ارتضىٰ لهم دينهم، كما صرح به في الأخبار.

ثم إن المستفاد من الآيات والأحاديث أن مورد الشفاعة (أي المشفوع لهم يوم القيمة) هم الدائنون بدين الحق من أصحاب الكبائر، فما في أمالي الصدوق عن الرضا عليه السلام من قوله (أي النبي ﷺ): «إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أُمتي، فأما المحسنون، فما عليهم من سبيل»، يدل علىٰ أن المرتضىٰ دينه هو المؤمن بدينه ﷺ وهم الذين قد عيّنهم أبو عبدالله عليه السلام بقوله في الحديث السابق: «إلّا من أذن له بولاية أمير المؤمنين والأئمة من بعده عليهم السلام فهو العهد عند الله» الحديث، دلّ علىٰ ما هو الشرط في الشافع والمشفوع لهم والشفاعة، فإن المستفاد من قوله عليه السلام قبله قال: «لا يشفع ولا يشفع لهم، ولا يشفعون إلّا من اتخذ عند الله عهداً»، هو ما ذكرناه كما لا يخفىٰ، فالمؤمن بالولاية هو الذي ارتضي دينه وهو الذي اتخذ عند الله عهداً.

ومما ذكر علم شرائط الشافع أيضاً كما لا يخفىٰ.

ثم إنه قد يستفاد من كلمات بعض الأعاظم أن التوبة والاستغفار سواء كان من المذنب، أو من غيره في حقه كالملائكة في حق المؤمنين، أو المؤمن في حق أخيه المؤمن، وكذا الأعمال الصالحة، أو كونها في الأيام المتبركة، أو في الأمكنة الشريفة، كل ذلك تكون بمنزلة الشافع، ولكن فيه أنه خلاف الظاهر من الشافع، وأنه من الأسباب الموجبة لكونه من المحسنين الذين لا سبيل عليهم.

والحاصل: أن كل شافع سبب لغفران الذنب، وأما كل ما هو سبب للغفران فليس بشافع كما لا يخفىٰ، وحيث إنه لا نفع معتداً به في بحثه فالأولىٰ تركه، وكيف كان فالظاهر أن الشفعاء هم الأنبياء والأئمة عليهم السلام والمؤمنون بعناوينهم المذكورة في الآيات والأحاديث قال تعالىٰ: ﴿بل عباد مكرمون﴾[1]، إلىٰ قوله: ﴿ولا يشفعون إلّا

---

١ ـ الأنبياء: ٢٦.

لمن ارتضىٰ﴾[١]، فهذه الآية تشمل بإطلاقها الأنبياء، وقال تعالىٰ: ﴿وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلّا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضىٰ﴾[٢]، فدلّت هذه الآيات علىٰ أن الملائكة تشفع بعد إذنه تعالىٰ.

وأما سائر أصناف المؤمنين فيدل علىٰ كونهم شفعاء قول أبي جعفر عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله شفاعة «. . ولنا شفاعة في شيعتنا، ولشيعتنا شفاعة في أهاليهم» الحديث فقوله عليه السلام: «ولشيعتنا شفاعة» يشمل جميع أفراد الشيعة الاثني عشرية كما لا يخفى.

ثم إنه قد يقال: إن الأسباب الكونية شفعاء عند الله بما هم وسائط بينه وبين الأشياء، ولكن فيه أنه ليس كل سبب شفيعاً اصطلاحاً نعم هو الشفيع لغة ولا كلام لنا فيه، فالمراد بالشفاعة هي المتعلقة بالثواب والعقاب في رفع ذنب كالشرك فما دونه، كما تقع هذه من الأنبياء والأئمة عليهم السلام والمؤمنين بالنسبة إلىٰ أهل المعاصي الكبيرة ممن يدين دين الحق كما تقدم.

بقي الكلام في زمان وقوع الشفاعة فنقول:

المستفاد من أحاديث الباب أن تعلق الشفاعة بالمجرمين، إنما هو بعد ابتلائهم بالعذاب، إما بعذاب جهنم فينجيهم الله بالشفاعة، وإما بعذاب القيمة وقد يقال: إن عذاب القيمة من عذاب جهنم، كما يستفاد من بعض الأخبار، وهذا في الجملة لا ريب فيه، وأما كون جميع عذاب القيمة من عذاب جهنم فلا. فإن المستفاد من الأحاديث أن لمواقف القيمة أهوالاً من حيث هي موقف لها، لا من حيث إن فيه عذاب جهنم، وكيف كان فالشفاعة زمانها يوم القيمة بعد شمول البلاء والعذاب لأهله إما من عذاب جهنم وإما من عذاب الموقف.

فإن قلت: قد دلّت أحاديث كثيرة علىٰ حضور النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام عند الموت وعند مسألة البرزخ، وأنهم عليهم السلام يعينون الميت على الشدائد وينجونه منها

---

١ ـ الأنبياء: ٢٨.

٢ ـ النجم: ٢٦.

وهل هذا إلّا شفاعة منهم عليهم السلام لهم؟

قلت: قد يقال: إن هذا ليس من الشفاعة، بل هو من قبيل التصرفات والحكومة الموهوبة لهم عليهم السلام بإذن الله سبحانه، فهذا نظير وساطة الامام عليه السلام يوم القيمة في الدعوة لرعاياه ومتابعيهم له، التي تستتبع إعطاء كتابهم بيمينهم كقوله تعالىٰ: ﴿يوم ندعوا كل أُناس بإمامهم فمن أُوتي كتابه بيمينه..﴾[1]، فطلب الامام إياهم ومتابعتهم له عليه السلام الموجبة لإعطاء كتابهم بيمينهم، يكون من قبيل الحكومة الإلهية الموهوبة لهم عليهم السلام.

والحاصل: أن أسباب النجاة كثيرة في موارد كثيرة في الدنيا، وفي البرزخ، وفي القيمة، وليست هذه من باب الشفاعة، بل من باب إظهار مقام الإمام والمناصب الإلهية.

وبعبارة أُخرىٰ: أن موجب النجاة قد يكون بأمر مستقل للإمام عليه السلام مثلاً كهذه الأُمور، وقد يكون بنحو إذا انضم إليه أمر آخر ينتج النجاة، كما علمته في معنى الشفاعة فهو الشفاعة، فأفهم.

فتحصل أن كل موجب للنجاة ليس من الشفاعة، وإن كانت هي من أسباب النجاة، فالشفاعة تقع في آخر موقف من مواقف القيمة، وحقيقتها استيهاب المغفرة بالمنع في دخول النار، أو إخراج بعض من كان فيها، كل ذلك لأجل اتساع الرحمة الإلهية، وظهور كرامته تعالىٰ للمشفوع لهم، رزقنا الله ذلك بمحمد وآله الطاهرين.

قوله عليه السلام: والرحمة الموصولة

في المحكي عن القاموس: الرحم (بالكسر) ككتف بيت نبت الولد ووعائه والقرابة وأصلها وأسبابها، والجمع أرحام، وقال: الرحمة: الرقة والمغفرة والعطف.

أقول: وذكر العلماء أنها إذا نسبت إلى الله تعالىٰ فالمراد الغاية المترتبة عليها

---

١ ـ الاسراء: ٧١.

كالثواب مثلاً، ولا يبعد إرادة أسباب تلك والموجب لها كالاطاعة مثلاً، وكيف كان فلنذكر أولاً أخبار الباب، ثم بيان الوجه في كونهم عليهم السلام الرحمة، ثم بيان كونها الموصولة، فنقول:

في البحار[١] عن كنز جامع الفوائد بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله عزوجل: **﴿يوم لا يغني مولىً عن مولىً شيئاً ولا هم ينصرون * إلّا من رحم الله﴾**[٢]، قال: «نحن والله الذين رحم الله والذين استثنىٰ والذين تغني ولايتنا».

وفيه عنه، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿يوم لا يغني مولىً عن مولىً شيئاً ولا هم ينصرون * إلّا من رحم الله﴾، قال: «نحن أهل الرحمة».

وفيه عن الكافي: العدة عن سهل، عن محمد بن سليمان، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال لأبي بصير: «ياأبا محمد والله ما استثنى الله عزّ ذكره بأحد من أوصياء الأنبياء ولا اتباعهم، ما خلا أمير المؤمنين وشيعته فقال في كتابه وقوله الحق: **﴿يوم لا يغني مولىً عن مولىً شيئاً ولا هم ينصرون * إلّا من رحم ربّك﴾**[٣] يعني بذلك علياً وشيعته».

وفيه[٤] عن عيون أخبار الرضا عليه السلام بالأسانيد الثلاثة، عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأُمتي».

أقول: سيأتي أن كونهم أماناً للأُمة معنىٰ كونهم الرحمة.

وفيه[٥] عن تفسير العياشي، عن أبي الحسن عليه السلام في قوله: **﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته..﴾**[٦] قال: «الفضل رسول الله صلى الله عليه وآله ورحمته أمير المؤمنين عليه السلام».

---

١ ـ البحار ج ٢٤ ص ٢٠٥.
٢ ـ الدخان: ٤١ و ٤٢.
٣ ـ الدخان: ٤١.
٤ ـ البحار ج ٢٧ ص ٣٠٩.
٥ ـ البحار ج ٣٥ ص ٤٢٣.
٦ ـ النور: ٢٠.

وفيه عن الكنز، عن جعفر بن محمد عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿يدخل من يشاء في رحمته﴾[1] قال: «الرحمة ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير».

وفيه عن أمالي الصدوق بإسناده عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث طويل، أنه قال لعلي عليه السلام: «والذي بعث محمداً بالحق نبيّاً، ما آمن بي من أنكرك، ولا أقرّ بي من جحدك، وما آمن بالله من كفر بك، إن فضلك لمن فضلي، وإن فضلي لفضل الله، وهو قول الله عزوجل: ﴿قل بفضل الله﴾ الآية، ففضل الله نبوة نبيكم، ورحمته ولاية علي ابن أبي طالب عليه السلام فبذلك (قال: بالنبوة والولاية) فليفرحوا (يعني الشيعة) هو خير مما يجمعون (يعني مخالفيهم من المال والأهل والولد في دار الدنيا)».

وفي تفسير نور الثقلين[2] عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام وحمران عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ قالا: «فضل الله رسوله صلى الله عليه وآله ورحمته ولاية الأئمة عليهم السلام».

وفي المحكي عن تفسير العياشي، عن الباقر عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿تساءلون به والأرحام﴾، قال: «قرابة الرسول وسيدهم علي عليه السلام أمروا بمودتهم، فخالفوا ما أمروا به».

وعن تفسير الفرات بن إبراهيم، عن الصادق عليه السلام أنه قال في قوله تعالىٰ: ﴿ولذلك خلقهم﴾[3]، قال: «أي للرحمة خلقهم (أي الشيعة) وقال: والرحمة التي يقول طاعة الامام عليه السلام» الخبر.

وعن الباقر عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿والله يختص برحمته من يشاء﴾[4] قال: «الرحمة علي عليه السلام».

---

١ ـ الانسان: ٣١.
٢ ـ تفسير نور الثقلين ج١ ص٤٣٣.
٣ ـ هود: ١١٩.
٤ ـ البقرة: ١٠٥.

وعن المناقب: ابن عباس في قوله: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾[1] «فضل الله محمد ﷺ ورحمته علي عليه السلام».

وقيل: فضل الله علي عليه السلام ورحمته فاطمة عليها السلام.

أقول: هذه بعض أحاديث الباب، فالمستفاد منها أن المراد من الرحمة في تلك الآيات ولاية الأئمة عليهم السلام أو طاعتهم والايتام بهم عليهم السلام أو علم الامام.

ففي المحكي عن الكافي، عن الباقر عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾[2]، قال: «يقول: علم الامام، ووسع علمه الذي هو من علمه كل شيء وهو شيعتنا» الخبر.

أو المراد منها النبي ﷺ أو علي بن أبي طالب عليه السلام أو فاطمة الزهراء (سلام الله عليهم أجمعين) فهم عليهم السلام خصوصاً أمير المؤمنين عليه السلام الرحمة.

وأما كونها الموصولة، ففي المحكي عن الصادق عليه السلام عن الكافي في قوله: ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾[3]، «نزلت في رحم آل محمد ﷺ» وقد يكون في قرابتك، ثم قال: «فلا تكونن ممن يقول للشيء: إنه في شيء واحد».

وعن العياشي، عنه عليه السلام: «الرحم معلقة بالعرش فيقول: اللهم صل من وصلني، واقطع من قطعني، وهو رحم آل محمد، وهو قول الله: ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾ ورحم كل ذي رحم» (والعياشي: ورحم كل مؤمن).

أقول: حقيقة الرحمة المراد بها هنا هو حقيقة محمد وآله الطاهرين، التي هي النور المحمدي، الذي هو أول خلق الله، والذي خلق منه أنوار الأئمة والزهراء عليهم السلام علىٰ ما بينته الأخبار المذكورة في محلها، ومعنىٰ كونها موصولة ما تقدم من قول الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾[4] وما

---

١ ـ النور: ٢٠.
٢ ـ الأعراف: ١٥٦.
٣ ـ الرعد: ٢١.
٤ ـ الرعد: ٢١.

حكي عن تفسير العسكري عليه السلام لقوله تعالىٰ: ﴿الرحمن﴾[1]، إن الرحمن مشتق من الرحمة، وقال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «قال الله تعالىٰ: «أنا الرحمن وهي من الرحم، شققت لها اسماً من اسمي من وصلها وصله» (أقول: أي من وصل تلك الرحم وصله الله، وكذا فيمن قطعها) ومن قطعها بتتّه».

ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الرحمة التي اشتقها الله تعالىٰ من اسمه بقوله أنا الرحمن هي رحم محمد صلى الله عليه وآله وإن من إعظام الله إعظام محمد صلى الله عليه وآله وإن من اعظام محمد إعظام رحم محمد صلى الله عليه وآله وإن كل مؤمن ومؤمنة من شيعتنا هو من رحم محمد صلى الله عليه وآله وإن إعظامهم من إعظام محمد صلى الله عليه وآله، فالويل لمن استخف بشيء من رحم محمد صلى الله عليه وآله وطوبىٰ لمن عظّم حرمته وأكرم رحمه ووصلها».

أقول: فالرحمن الذي هو الاسم له تعالىٰ، إنما يتسمى الله تعالىٰ به، إذا تحققت الرحمة في الخارج، كما أنه لا يقال لزيد: إنه قائم، إلّا إذا تحقق منه القيام كما لا يخفىٰ، كذلك لا يكون هو تعالىٰ رحمن إلّا إذا تحققت حقيقته في الخارج، وهي حقيقة محمد وآله المعبّر عنها بالرحم، المشار إليه في قول الصادق عليه السلام: «نزلت في رحم آل محمد صلى الله عليه وآله» فهم عليهم السلام الرحم (أي الرحمة) أو محلها أو مظهرها، فهم عليهم السلام من هذه الجهات صفة واسم له تعالىٰ، وبها يعرف الله بهذه الصفة، فهو تعالىٰ وإن كان مصدر الرحمة إلّا أن الصادر (أي الرحمة) بما هي صفة مخلوقة هي حقيقة محمد وآله الطاهرين.

فحينئذ محصل كلام أمير المؤمنين عليه السلام علىٰ ما في تفسير العسكري عليه السلام: أن الرحم هي الرحمة والرحمن وهي بلحاظ أصلها الأولي عامة المشار إليها بقوله تعالىٰ ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ لكنها يراد منها الرحمة الخاصة في قوله تعالىٰ: ﴿الرحمن﴾ بعلي وفاطمة والحسن والحسين والتسعة المعصومين من ذريته (عليهم الصلوة والسلام) ويلحق بهم عليهم السلام من سائر الخلق من سبقت له العناية باتّباعهم،

---

١ ـ الرحمٰن : ١.

فمن تبعهم فله من تلك الرحمة ومن تلك الرحم بنسبة قبوله من ذلك المقام، أعني مقام المتابعة والمشايعة وقبول الولاية، وهذه المتابعة والمشايعة هي التي توجد رتبة الشعاع في التابع كماً وكيفاً الموجبة لكونه شيعة لهم عليهم السلام وإليه يشير قوله عليه السلام فيما تقدم: «وإن كل مؤمن ومؤمنة من شيعتنا هو من رحم محمد صلى الله عليه وآله».

فظهر مما ذكرنا من الأخبار والبيان أن المراد من الرحمه الموصولة هي الرحمة التي أمر الله تعالىٰ بها أن توصل في قوله: ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾[1].

وبعبارة أُخرىٰ: أن المستفاد من الآية الشريفة أن المؤمنين أُمروا بوصل ما أمر الله به أن يوصل، وهذا هي تلك الرحمة التي هي حقيقة محمد وآله، فهذه الرحمة هي التي أمر الله بها أن توصل، فبلحاظ أن المؤمنين والشيعة يصلون برحم آل محمد، التي هي الرحمة بالمتابعة والمشايعة، فلا محالة يكون محمد وآله الطاهرون هم الرحمة الموصولة بصلة الشيعة لهم عليهم السلام فالموصولة (أي هذه الرحمة) موصولة بعضها ببعض، فالشيعة موصولون بالأئمة عليهم السلام والأئمة عليهم السلام موصولون بمحمد صلى الله عليه وآله ومحمد صلى الله عليه وآله موصول بالله، فهذه هي حقيقة الوصل المراد من قوله: الموصولة.

وبعبارة أُخرىٰ: أن الشيعة لما خلقوا من فاضل طينتهم، ومن شعاع نورهم، كما دلت عليه أحاديث كثيرة، فهم لا محالة متصلون بهم كاتصال شعاع الشمس بها، وحيث ثبت أيضاً أنهم عليهم السلام هم الرحمة، التي هي الرحم المشتق من اسم الرحمن، والذي أمر الله به أن يوصل، وهم تابعون للأئمة عليهم السلام بالمشايعة مشتقون منهم معنىً، فكل مؤمن ومؤمنة من رحم آل محمد صلى الله عليه وآله وموصول بهم عليهم السلام وهم موصولون برسول الله صلى الله عليه وآله وهو صلى الله عليه وآله موصول بالله تعالىٰ، وإلىٰ هذا الوصل بما له من هذا المعنىٰ يشير ما في بصائر الدرجات بإسناده عن جابر الجعفي قال: كنت مع محمد بن علي فقال: «ياجابر خُلقنا نحن ومحبونا من طينة واحدة بيضاء نقية من أعلىٰ عليين،

---

١ ـ الرعد: ٢١.

فخلقنا نحن من أعلاها، وخلق محبّونا من دونها، فإذا كان يوم القيمة التفت العليا بالسفلىٰ، وإذا كان يوم القيمة ضربنا بأيدينا إلىٰ حجزة نبينا، وضرب أشياعنا بأيديهم إلىٰ حجزتنا، فأين ترىٰ يصيّر الله نبيه وذريته؟ وأين ترىٰ يصير ذريته محبيها؟ فضرب جابر يده علىٰ يده فقال: دخلناها ورب الكعبة، ثلاثاً».

وفيه بإسناده عن معاوية بن عمار قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك هذا الحديث الذي سمعته منك ما تفسيره؟ قال: وما هو؟ قال: «إن المؤمن ينظر بنور الله، فقال: يامعاوية إن الله خلق المؤمنين من نوره، وصبغهم في رحمته، وأخذ ميثاقهم لنا بالولاية علىٰ معرفته يوم عرّفهم نفسه، فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأُمّه، أبوه النور وأُمّه الرحمة، وإنما ينظر بذلك النور الذي خلق منه».

وفي المحكي عن الصادق عليه السلام حين سأله المفضّل.. إلىٰ أن قال عليه السلام: «ألا إنّا خلقنا من نور الله، وخلق شيعتنا من ذلك النور، فإذا كان يوم القيمة التحقت السفلىٰ بالعليا، ثم قرن عليه السلام بين أصبعيه الوسطىٰ والسبابة، وقال: كهاتين، ثم قال: يامفضل أتدري لِمَ سميت الشيعة شيعة؟ يامفضل شيعتنا منّا، ونحن من شيعتنا، أما ترىٰ هذه الشمس أين تبدو؟ قلت: من مشرق، قال: وإلىٰ أين تعود؟ قلت: مغرب، قال عليه السلام: هكذا شيعتنا منّا بدأوا وإلينا يعودون».

ويمكن أن يراد من الرحمة الموصولة: أن الرحمة الرحمانية عامة لكل أحد في الدنيا، وأما الرحمة الرحيمية المشار إليها بقوله: ﴿**ورحمتي وسعت كلّ شيء فسأكتبها للذين يتقون**﴾[1] الآية، فهي لا محالة مختصة بالمؤمنين، كما دلّت عليه أحاديث كثيرة، وحينئذ معنىٰ كونهم الرحمة الموصولة أن الرحمة، التي تكون موصولة بالمؤمن من الدنيا إلى الآخرة، بحيث لا تنفك عنه إنما هي الرحمة التي تكون منهم وبهم عليهم السلام فهم عليهم السلام الرحمة الموصولة من الدنيا إلى الآخرة لمن يتمسك بولايتهم ومحبتهم، فالشيعة بالتمسك بهم وبمحبتهم متصلون بهم، وهم رحمة لهم،

---

١ ـ الأعراف: ١٥٦.

وموصولون بهم، وهذا الاتصال كما علمت متصل برحمة الله لا محالة.

ومن هذا يعلم أن من وصلهم وصله الله تعالىٰ برحمته ورضوانه ومحبته، ومن قطعهم قطعه الله تعالىٰ من رحمته ووصله ببغضه، وقطعه من رضوانه ووصله بسخطه، وقطعه من محبته ووصله بمقته.

وبعبارة أُخرىٰ: أن توصيف الرحمه بالموصولة لاخراج الرحمة، التي ليست بموصوله، وهي الرحمة، التي تشمل جميع العباد حتى العصاة والكفرة، فهذه الرحمة ليست بموصولة برسول الله ﷺ الذي هو موصول بالله تعالىٰ، فالرحمة التي تشمل غير الشيعة إنما هي الرحمه غير الموصولة وهي في الحقيقة رحمة صورية غير دائمة، وما كان من الرحمة هكذا ليست برحمة حقيقة، لأن الرحمة الحقيقية ما يلائم النفس مطلقاً، فالكافر إذا علم أنه ستنقطع عنه هذه الرحمة، فلا محالة يشمئزّ من هذا القطع، وإن كان فعلاً مشمولاً للرحمة إلّا أنها رحمة مشوبة بما لا يلايم النفس.

وكيف كان فالرحمة المقطوعة عن الخير المطلق الثابتة لغير الشيعة، ليست رحمة مطلقة، بل إنما هي رحمة مؤقتة اقتضى العدل الإلهي ذلك لغير الشيعة في الدنيا، وسبب قطعها إنما هو سوء أعمال العصاة والكفرة، لا لأجل نقص من الرحمة بحسب الاقتضاء واللطف الالهي كما حقق في محله.

قوله عليه السلام: *والآية المخزونة*

في المجمع: قوله تعالىٰ: ﴿**لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين**﴾[1] هي جمع آية وهي العبرة، والآيات العلامات والعجائب... إلىٰ أن قال: والآية من القرآن.

قيل: كل كلام متصل إلىٰ انقطاعه.

وقيل: ما يحسن السكوت عليه.

---

١ ـ يوسف : ٧.

وقيل: هي جماعة حروف من قولهم: خرج القوم بآيتهم أي بجماعتهم.

وقال الجوهري: الآية العلامة والأصل اويه (بالتحريك) وجمع الآية آي وآيات، إنتهىٰ، وقد يقال: إن إطلاق الآية على الآيات القرآنية؛ لأجل أن نظام كل منها علامة من الله سبحانه، وقد علمت أنها في اللغة بمعنى العلامة، وما يوجب العبرة والعجب ولا ريب في أن الآيات القرآنية لها هذه الخواص الثلاث من العلامة والعبرة والعجب لما فيها من عجائب القدرة والحكمة.

أقول: وبهذه الجهة أُطلقت الآية عليهم عليهم السلام.

قال بعض الأعلام: والوجه فيه أنهم عليهم السلام علامات جليلة واضحة لعظمة الله وقدرته وعلمه، ولطفه ورحمته، وهذه بأجمعها أيضاً دلالات علىٰ طريق تحصيل جنته ورضوانه وقربه كما لا يخفىٰ.

ثم إن توصيف الآية بكونها مخزونة يشير إلىٰ أنها من الأسرار، أي أنهم الآيات المستورة، ومن الأسرار المودعة في النفوس البشرية باعتبار أنه يعرف بها رب العالمين، وبه يعبد الله تعالىٰ بحيث لولاه في سرّ البشر لما عبد الله ولما عرف، ولما كان لهم طريق في أنفسهم إلىٰ معرفته تعالىٰ، فهذه الآية مخزونة أي مكتوبة في نفوس الخلق، ويراد من توصيفها بها أيضاً وجوب صونها وحفظها عن أن يوصل إليها بشيء من نزعات الشيطان، ويجب أيضاً كتمانها لئلا تعرضها مدلهمات ثياب الجاهلية من أهل الغفلة، والمحجوبين عن المعارف الإلهية، ولئلا تصير في معرض الاضاعة فإن الشيء يضيع بالإذاعة.

ولذا ورد: استعينوا علىٰ حوائجكم (أي علىٰ نجاحها وبقائها) بالكتمان، وهذا الحفظ لابد من مراعاته لها في جميع أحوال هذا السر الباطن، وجميع مراتب ظهورها في الانسان إلىٰ أن يوديها إلىٰ معطيها محفوظة عن هذه الآفات المادية، بل لابد من تقليد رقابنا بالخضوع لها، والخشوع لها في السّر والعلانية، فإنه أمانة الله التي يجب التعظيم لها، كما سيجيء قريباً بيانه.

وإلىٰ ما ذكر تشير عدة من الأخبار، ففي البحار[1] عن أمالي ابن الشيخ بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل: **﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾**[2]، قال: «النجم رسول الله، والعلامات الأئمة من بعده» (عليه وعليهم السلام).

وفيه عن تفسير العياشي، عن معلىٰ بن خنيس، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: **﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾** فالنجم رسول الله صلى الله عليه وآله والعلامات الأوصياء بهم يهتدون.

وفيه عنه، عن أبي مخلّد الخياط قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: **﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾**[3] قال: «النجم محمد صلى الله عليه وآله والعلامات الأوصياء».

وفيه عن المناقب، عنه صلى الله عليه وآله: «أنت أحد العلامات (أي أنه صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام)».

وفي مقدمة تفسير البرهان وعن الباقر عليه السلام أنه قال: «كان علي عليه السلام يقول: ما لله عزوجل آية أكبر مني».

وعن الصادق عليه السلام أنه قال في قوله تعالىٰ: **﴿أتتك آياتنا﴾**[4] وقوله سبحانه: **﴿ولم يؤمن بآيات ربه﴾**[5]: الآيات الأئمة، أي لم يؤمن بهم، وتركهم معاندة، فلم يتبع آثارهم، الخبر.

وفيه عن إكمال الدين، عن الصادق عليه السلام في قوله تعالىٰ: **﴿يوم يأتىٰ بعض آيات ربك﴾**[6] الآية قال: «يعني خروج القائم (عج)».

وفيه، في الكافي عن الصادق عليه السلام أنه قال في قوله تعالىٰ: **﴿الذين كفروا بآيات**

---

١ ـ البحار ج ٢٤ ص ٨١.
٢ ـ النحل: ١٦.
٣ ـ النحل: ١٦.
٤ ـ طه: ١٢٦.
٥ ـ طه: ١٢٧.
٦ ـ الأنعام: ١٥٨.

ربهم﴾(١) «يعني كفروا بولاية علي عليه السلام» الخبر.

ومثل هذه الأخبار أخبار كثيرة كما لا يخفىٰ.

فالمستفاد من الآيات والأحاديث: أن الآية تطلق علىٰ أُمور كثيرة، كما ورد التفسير لها في مواردها (أي موارد ذكر الآيات في الآيات القرآنية) إلّا أنه ليس لله تعالىٰ آية أتم وأكبر وأدل إلّا هم عليهم السلام أو منهم أو لهم أو عنهم، كما علمته من الأخبار المتقدمة.

وفي المحكي عن الكافي، عن داود الرقي قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قوله تبارك وتعالىٰ: **﴿وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾**(٢)، قال: «الآيات الأئمة، والنذر الأنبياء» (صلوات الله عليهم أجمعين).

وفي تفسير نور الثقلين(٣) بإسناده عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: جعلت فداك إن الشيعة يسألونك عن تفسير هذه الآية: **﴿عمّ يتساءلون عن النبإ العظيم﴾**(٤)، قال: «ذلك إليّ إن شئت أخبرتهم، وإن شئت لم أُخبرهم، ثم قال: لكني أُخبرك بتفسيرها، قلت: **﴿عمّ يتساءلون﴾**، قال: فقال: هي في أمير المؤمنين عليه السلام كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ما لله عزوجل آية هي أكبر مني، ولا لله من نباء أعظم مني».

وفيه عن تفسير علي بن إبراهيم، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام في قوله: **﴿عمّ يتساءلون عن النبإ العظيم﴾** قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: ما لله نبأ أعظم منّي، وما لله آية أكبر مني، ولقد عرض فضلي على الأُمم الماضية علىٰ اختلاف ألسنتها فلم تقرّ بفضلي».

---

١ ـ الكهف : ١٠٥.

٢ ـ يونس : ١٠١.

٣ ـ تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٤٩١.

٤ ـ النبإ : ٢.

ويمكن أن يراد من الآيات الآيات التي كانت عندهم من الأنبياء السابقين ومن النبي صلى الله عليه وآله فتلك الأُمور المختصة بهم، التي كانت آية وعلامة لنبوتهم، تكون عندهم مخزونة، وكونها عندهم إما يراد منه أنهم عليهم السلام تلك الآيات بأجمعها كما عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا عصا موسىٰ أنا ناقة صالح»، كما ذكره في البحار في الخطبة الواردة عنه عليه السلام في معرفته عليه السلام بالنورانية فراجعها، ومثلها خطبة البيان التي قيل: إن العامة أيضاً رووها عنه عليه السلام.

وأما يراد منه أنها عندهم مخزونة محفوظة أمانة منه تعالىٰ عندهم.

ففي البحار[1] عن بصائر الدرجات، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال لي: «ياأبا محمد إن الله لم يعط الأنبياء شيئاً إلّا وقد أعطىٰ محمداً جميع ما أعطى الأنبياء، وعندنا الصحف التي قال الله: ﴿صحف إبراهيم وموسىٰ﴾[2] قلت: جعلت فداك وهي الألواح؟ قال: نعم».

وفيه عن بصائر الدرجات عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن في الجفر أن الله تبارك وتعالىٰ لما أنزل ألواح موسىٰ عليه السلام أنزلها عليه، وفيها تبيان كل شيء وهو كائن إلىٰ أن تقوم الساعة، فلما انقضت أيام موسىٰ، أوحى الله إليه أن استودع الألواح، وهي زبرجدة من الجنة،الجبل فأتىٰ موسى الجبل فانشق له الجبل، فجعل فيها الألواح ملفوفة.. إلىٰ أن قال عليه السلام: ثم دعا أمير المؤمنين عليه السلام (أي رسول الله صلى الله عليه وآله) فقال: دونك هذه، ففيها علم الأولين والآخرين، وهي ألواح موسىٰ، وقد أمرني ربّي أن أدفعها إليك.

قال: يارسول الله لست أحسن قراءَتها؟ قال: إن جبرئيل أمرني أن آمرك أن تضعها تحت رأسك ليلتك هذه، فإنك تصبح وقد علمت قراءَتها، قال: فجعلها تحت رأسه، فأصبح وقد علّمه الله كل شيء فيها، فأمره رسول الله صلى الله عليه وآله أن ينسخها

---

١ ـ البحار ج٢٦ ص١٨٤.
٢ ـ الأعلى: ١٩.

فنسخها في جلد شاة، وهو الجفر وفيه علم الأولين والآخرين وهو عندنا والألواح، وعصا موسىٰ عندنا، ونحن ورثنا النبي ﷺ»، وتقدم في معنىٰ وورثة الأنبياء ما يوضح لك هذا من أن خصائص الأنبياء والنبي الأعظم كلها عندهم فراجعه.

وأما قوله عليه السلام: «المخزونة»، فقد علمت بعض معانيها وحاصله:

أنهم الآيات التي لا يعلم حقيقتها إلّا الله تعالىٰ؛ لأنهم حقيقة الاسم المخزون عنده تعالى، الذي لا يخرج منه إلّا إليه، أي لا يظهر في الوجود إلّا إلى الوجه الربوبي، ولا يعرفه غيره، وهو حقيقة ولايتهم التي هي ولاية الله تعالى التي لا حد لها ولا رسم ولا يعرفها أحد ولا يحد لأحد كما صرّح به في الأخبار وقد تقدم ما يشير إليه.

وقد يقال: بأن المراد من كونها مخزونة أنها (أي الآيات) لعزّتها وعلوّ قيمتها وعلوّ قدرتها، قد أخزنها الله تعالىٰ لنفسه، فإن الشيء العزيز عند الشخص يخزنه ويصونه عن غيره، ففي الحديث: «إن لله ضنائن يضن بها عن البلاء، يحييهم في عافية، ويميتهم في عافية».

وفي المجمع: الضنائن الخصائص من الضنن، وهو ما يختصه ويضن به أي يبخل به لمكانه منه وموقعه عنده.

وكيف كأن فلو كان لله تعالىٰ عباد ضنائن بالمعنى المذكور، فما ظنك بهم عليهم السلام الذين قد اصطفاهم الله لنفسه؟ فهم عليهم السلام بلحاظ تلك المكانة منه تعالىٰ من حيث كونهم حقيقة الاسم المخزون عنده تعالى الآية المخزونة.

وقد يقال: إنهم الآية المخزونة لأجل أنهم بمثابة من النور الإلهي الذي لا يتحمل غيرهم رؤيته، بحيث لو رآه غيرهم لانمحق وجوده فيجب حينئذ لهذه العلة خزنها وسترها، ولنعم ما قيل بالفارسية:

احمد ار بگشايد آن پر جليل   تا ابد مدهوش ماند جبرئيل

وقد يقال: بكونهم الآيات المخزونة؛ لعدم وجود ظرف يسعها غير الظرف الإلهي، الذي هم فيه مخزونون؛ وذلك لأن تلك الآيات تكون حقيقتها في الإحاطة والسعة، بحيث تسع كل ممكن، فلا يسعها ممكن، وإلّا لكان أكبر منها، وإليه يشير قوله عليه السلام فيما تقدم من قوله عليه السلام تقريباً: «إن أمرنا لا يحد؛ لأن من حدّ شيئاً فهو أكبر منه».

وكيف كان فهم عليهم السلام في الصقع الذي رتّبهم الله تعالىٰ فيه، وله من العلوّ والرفعة والسعة ما يشمل الكل، ولا يشمله الكل، فلا محالة تكون مخزونة لغيرها.

وقد يقال: إن حقيقتهم التي هي مظهر لعظمته تعالىٰ ولأسمائه، لابد من أن تكون مخزونة إبقاء لعظمتها، وحفظاً لنظام العالم، فإن الحكمة الإلهية اقتضت سترها، وكونها مخزونة لبقاء النظام، ولحفظ عظمتهم ضرورة أنّ الشيء إذا صار معلوماً ومبتذلاً ذهب بهاؤه وانمحت عظمته.

وقد يقال: إن المراد من كونها مخزونة أنها مخزونة لخلص عباده، وهم العارفون ببعض رتبهم.

وبعبارة واضحة: أنه تعالىٰ جعلهم الآية المخزونة لعباده العارفين، أي اختصهم لعباده العارفين، فهي مخزونة لغير العارفين ومعلومة لهم، فهو تعالىٰ أخزنهم عن غيرهم لهم؛ لكونهم أهلاً لمعرفتهم، ولكن فيه أنه لم يكن حينئذ لهذه الجملة بيان لفضيلتهم عليهم السلام كما لا يخفىٰ، فتأمل.

وقد يقال: إن المراد من كونهم الآيات المخزونة، ما حاصله من أن القرآن الذي هو آيات الله تعالىٰ لها ظاهر وباطن، وظاهرها ما هو المتبادر منها عند العارفين بالكلام وبأُسلوب الخطاب، والعالمين بالمعارف الإلهية، وباطنها هو حقيقته، التي لا يعلمها إلّا الله والراسخون في العلم المفسّر بالأئمة عليهم السلام.

وبعبارة أُخرىٰ: أن للقرآن محكماً ومتشابهاً، وأنّ لكل منها باطناً وتأويلاً، لا يعلم المتشابهات منه وتأويله إلّا الأئمة عليهم السلام وحيث إن الأئمة عليهم السلام كما تقدم هم حقائق

تلك الآيات كما قال سبحانه: ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أُوتوا العلم﴾[1] وقد تقدم أن المراد منه هو صدورهم عليهم السلام فالقرآن بحقيقته هو صدورهم، فالآيات البينات هي في صدورهم، بل هي نفس صدورهم وحقائقهم، فهم بتلك الحقائق، وبذلك اللحاظ مخزونة عن غيرهم كما لا يخفىٰ، وإليه يشير قول أمير المؤمنين عليه السلام فيما تقدم مما حاصله: أن الله تعالىٰ جعل القرآن علىٰ ثلاثة أقسام: قسم يعلمه العارف والجاهل، وقسم يعلمه من كان قد صفىٰ ذهنه، ولطف حسّه، وصحّ تمييزه، وقسم (وهو المراد منه هنا) يختص علمه بالأئمة عليهم السلام والنبي صلى الله عليه وآله لئلا يدعىٰ أحد النبوة والامامة، نقلناه بالمعنىٰ.

وكيف كان فهم عليهم السلام الآيات المخزونة، التي قد عجز الناس، بل والملائكة عن دركها والمعرفة بها، لغموض حقيقتها، وعلوّ معناها، وسعة وجودها، فلا محالة تكون مخزونة، فإنها وإن صارت بالنسبة إلىٰ أولياء الله معلومة، إلّا أنها بلحاظ كنهها تكون مخزونة، وتقدم قول الصادق عليه السلام لأبي الصامت: «إن أمرنا لا يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، قلت: فمن يحتمله؟ قال: نحن».

أقول: أي لا غيرنا، وقد تقدم شرحه والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

قوله عليه السلام: والأمانة المحفوظة

في المجمع: الأمانة ما يؤتمن عليها الإنسان، وائتمنه على الشيء أمنه، يقال: أؤتُمن فلان ـ علىٰ ما لم يُسمّ فاعله ـ

أقول: أي أن الأمانة صفة في الانسان يؤتمن عليها بلحاظ تلك الصفة، وهي قائمة بالنفس كسائر الصفات النفسانية.

وفي المحكي عن القاموس: الأمانة والأمنة ضد الخيانة، وقال: الأمين القوي

---

١ ـ العنكبوت: ٤٩.

والمؤتمن، وقال أيضاً: هو أمين، أي مأمون به ثقة.

وفي المصباح المنير قيل للوديعة الأمانة.

أقول: لما لم يعط الوديعة إلّا للأمين، فأطلق عليها الأمانة؛ لأنها مودعة عند الأمين بلحاظ صفة الأمانة.

وكيف كان قد يقال: إن الأمانة المحفوظة، أي التي يجب حفظها على الناس ولو بأن يبذلوا أنفسهم وأموالهم في حراستها؛ لأن قوامهم وقوام دينهم ودنياهم بهم، إنما هي ولايتهم وإمامتهم، وهي التي عرضت على السموات والأرض، فقد وردت أحاديث (كما سيأتي) قد دلّت علىٰ أن الأمانة المعروضة عليهما هي الولاية، فالأئمة عليهم السلام بلحاظ ولايتهم هم أمانة الله، التي يجب على الخلق حفظها، بأن يقيدوا رقابهم بقيد العبودية والخضوع لهم، وتسليم أنفسهم وأموالهم إليهم عليهم السلام بحيث لا يختاروا إلّا ما اختاروه، ولا يريدون إلّا ما أرادوه، ولا يعملون إلّا بما أمروه إلىٰ غير ذلك مما يجب على الرعية بالنسبة إلى الامام عليه السلام والأمانة أي الولاية بمثابة من الأهمية إليه تعالىٰ، بحيث أمر الله تعالى الامام السابق أن يؤديها إلى الامام اللاحق، كما ستأتي الأخبار الدالة عليه.

أقول: لابد أولاً من ذكر الأحاديث الواردة في تفسير قوله تعالىٰ: **﴿إنا عرضنا الأمانة﴾**[1]، وقوله تعالىٰ: **﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلىٰ أهلها﴾**[2]، ثم التعقيب ببيان المراد منها فنقول:

في تفسير البرهان[3] ابن بابويه بإسناده عن المفضل بن عمر، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالىٰ خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، فجعل أعلاها وأشرفها أرواح محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة بعدهم عليهم السلام

---

١ ـ الأحزاب: ٧٢.

٢ ـ النساء: ٥٨.

٣ ـ تفسير البرهان ج٣ ص ٣٤٠.

فعرضها على السموات والأرض والجبال فغشيها نورهم.. إلىٰ أن قال: (أي الله تعالىٰ) فولايتهم أمانتي عند خلقي، فأيكم يحملها بأثقالها، ويدعيها لنفسه دون خيرتي فأبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها، وأشفقن من ادعاء منزلتها وتمني محلها عن عظمة ربّها ـ إلىٰ أن قال ﷺ: فلم يزل أنبياء الله بعد ذلك يحفظون هذه الأمانة، ويخبرون بها أوصياءَهم والمخلصين من أُممهم، فيأبون حملها ويشفقون من ادعائها، وحملها الإنسان الذي قد عرف فاصل كل ظالم منه إلىٰ يوم القيمة، وذلك قول الله عزوجل: **﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً﴾**[١].

وفيه، عنه بإسناده عن أبي بصير قال: سألت أبا عبدالله ﷺ عن قول الله عزوجل: **﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنه كان ظلوماً جهولاً﴾**، قال: «الأمانة الولاية والإنسان هو أبو الشرور المنافق».

وفيه عنه، عن الحسين بن خالد قال: سألت أبا الحسن علي بن موسى الرضا ﷺ عن قول الله عزوجل الآية، فقال: «الأمانة الولاية من ادعاها بغير حق كفر».

وفيه عن جابر، عن أبي جعفر ﷺ في قول الله تبارك وتعالىٰ الآية، قال: «هي الولاية أبين أن يحملنها وحملها الإنسان، والإنسان الذي حملها أبو فلان».

وفيه عن الصادق ﷺ عن قوله تعالىٰ الآية قال: «يعني بها ولاية علي بن أبي طالب ﷺ».

أقول: ومثله في تفسير نور الثقلين عن الكافي، عن أبي عبدالله ﷺ في قوله تعالىٰ الآية، قال: «هي ولاية أمير المؤمنين ﷺ».

---

١ ـ الأحزاب: ٧٢.

وفيه عن غوالي اللئالي وفي الحديث: «أن علياً عليه السلام إذا حضر وقت الصلوة يتململ ويتزلزل ويتلوّن، فيقال له: مالك ياأمير المؤمنين؟ فيقول: جاء وقت الصلوة، وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها».

وفي تفسير نور الثقلين[1] عن كتاب معاني الأخبار بإسناده عن يونس بن عبدالرحمن قال: سألت موسىٰ بن جعفر عليه السلام عن قول الله عزوجل: ﴿**إن الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلىٰ أهلها**﴾[2]، فقال: هذه مخاطبة لنا خاصّة أمر الله تبارك وتعالىٰ كل إمام منا أن يؤدّي الامام الذي بعده يوصي إليه، ثم هي جارية في سائر الأمانات، ولقد حدثني أبي عن أبيه أن علي بن الحسين عليه السلام قال لأصحابه: «عليكم بأداء الأمانة، فلو أن قاتل الحسين بن علي عليه السلام إئتمنني على السيف الذي قتله به لأديته إليه».

وفيه عن أُصول الكافي بإسناده عن أبي كهمش قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: عبدالله بن أبي يعفور يقرئك السلام، قال: «عليك وعليه السلام إذا أتيت عبدالله فاقرأه السلام وقل له: إن جعفر بن محمد يقول لك: انظر ما بلغ به علي عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله فالزمه، فإن علياً عليه السلام إنما بلغ ما بلغ به عند رسول الله صلى الله عليه وآله بصدق الحديث وأداء الأمانة».

ومثلها أخبار كثيرة.

وفي مقدمة تفسير البرهان عن الكافي، عن الرضا عليه السلام قال في حديث له: «إن الامام عليه السلام أمين الله في خلقه».

وفيه عن تفسير الفرات، عن الباقر عليه السلام قال: «نحن الأمانة التي عرضت على السموات والأرض والجبال».

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٤١١.

٢ ـ النساء: ٥٨.

وفيه عن كتاب سعد السعود: رأيت في تفسير عن الباقر عليه السلام في هذه الآية (أي آية رد الأمانة) أنه قال: «هذه الآية في أمر الولاية أن تسلّم إلىٰ آل محمد عليهم السلام».

أقول: قوله عليه السلام: «أن تسلّم إلىٰ آل محمد عليهم السلام»، معناه أن الدين الخالص الذي هو لله إنما هو الولاية، ومعنىٰ أن تسلم الولاية إلىٰ آل محمد عليهم السلام هو أن الواجب من الله تعالىٰ علىٰ خلقه أن يحفظوا هذه الولاية وأهلها، بأن يحفظوا أولاً أهل الولاية أي محمداً وآله الطاهرين، ثم ما هم عليهم السلام ثم عرضهم ودينهم، وأن يعرفوهم بما عرفهم الله، ويعرفوا منزلتهم التي رتّبهم الله ويقروهم فيها ويحبوهم ويتولوهم ويتبرأوا من أعدائهم، والواجب أيضاً هو الرد إليهم فيما اختلفوا، والتسليم لهم في كل حال، والتزام حدودهم، والقيام بأوامرهم، واجتناب نواهيهم علىٰ حسب ما حددوا بأن يبذلوا أنفسهم دونهم وماهم وأهلهم باللسان واليد والقلب وجميع جوارحهم، وأن لا يعصوهم في شيء من ذلك وأن يمتثلوا أوامرهم ويجتنبوا نواهيهم ويؤثروهم علىٰ أنفسهم في كل شيء، وبهذه الأُمور ونحوها يتحقق معنىٰ تسليم الولاية لآل محمد عليهم السلام وبمراعاة هذه الأُمور يتحقق كونها محفوظة.

والحاصل: أن الأمانة المحفوظة معناها أنه لابد من أن تحفظ هذه الأمانة، وحفظها بهذه الأُمور المذكورة، ويمكن أن يراد بكونها محفوظة ما ذكرناه في المخزونة في قوله والآية المخزونة بجميع معانيها، فإن المخزونة والمحفوظة يرجع كل منهما إلى الآخر معنىٰ بضرب من البيان، ويمكن أن يقال: إن معنىٰ كونها محفوظة أن ولايتهم، التي عرفت أنها المراد من الأمانة حسب بيان الأحاديث أنه تعالىٰ قد حفظها (أي الأمانة المفسّرة بالولاية) بأن جعلها في رعايته وحفظه، فلا يقدر أحد من الخلق أن يخفض قدرهم أو يغيرهم عما رتّبهم الله فيها.

وإلىٰ هذا الحفظ يشير ما ورد في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿**يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون**﴾[1].

---

١ ـ الصف : ٨.

ففي الكافي[١] عن أبي الحسن عليه السلام قال: سألته عن قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم﴾ قال: «يريدون ليطفؤا ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بأفواههم، قلت: قوله تعالىٰ: ﴿والله متم نوره﴾ قال: يقول: والله متم الامامة والامامة هي النور وذلك قوله عزوجل: ﴿فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا﴾[٢] قال: النور الامام».

ويمكن أن يراد من المحفوظة أنه تعالىٰ قد حفظ هذه الأمانة سواء فسّرت بالولاية، أو بأرواحهم الطيبة بلحاظ مظهريتها له تعالىٰ ولأسمائه الحسنىٰ بالعصمة والتأييد والتسديد، والإمداد الالهي والنور الربوبي بحيث لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وإنما كانوا عليهم السلام أمانة الله في خلقه، أوكانت ولايتهم أمانة الله في خلقه، لأن ولايتهم ولاية الله كما تقدمت الأحاديث الدالة عليها، فهي له تعالىٰ ظهرت بهم في الخلق.

وكذلك إذا فسّرت الأمانة بأنفسهم الشريفة، ضرورة أن أرواحهم بما هي مظاهره في الخلق، كما تقدم قول علي بن الحسين عليه السلام الدال علىٰ ذلك، فإنما هي أمانة منه تعالىٰ في الخلق، وهم المقصودون بالغاية من الخلق، كما قال تعالىٰ في الحديث القدسي، الذي ذكره المحقق الحر العاملي في الجواهر السنية في الأحاديث القدسية مخاطباً له صلى الله عليه وآله: «خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي».

وتقدم في حديث المفضل عن الصادق عليه السلام أن المعروض علىٰ السموات والأرض والجبال هو أرواحهم عليهم السلام، وكيف كان فالمعروض عليها هو الأمانة سواء فسّرت بأنفسهم الشريفة أو بولايتهم التي هي ولاية الله وكل منهما يرجع إلى الآخر بضرب من التأويل الحسن والواضح كما لا يخفىٰ، فإن عروض أرواحهم أيضاً بلحاظ ولايتهم كما لا يخفىٰ، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

---

١ ـ الكافي ج ٢ ص ٣٦٥.
٢ ـ التّغابُن : ٨.

قوله ﷺ: والباب المبتلىٰ به الناس

أقول: الكلام في شرح هذه الجملة في مقامين:

الأول: في المعنى المراد من الباب.

والثاني: في معنىٰ ابتلاء الناس به.

أما الأول: فلابد من ذكر أحاديث الباب ثم بيان المستفاد منها فنقول:

في مقدمة تفسير البرهان عن كتاب كنز الفوائد، عن أبي ذر: أن النبي ﷺ قال: «إن علياً باب الله الأكبر، فمن أراد الله فليدخل الباب»، الخبر.

وفي كتاب سُليم بن قيس قال: سمعت سلمان الفارسي ﷺ يقول: «إن علياً باب فتحه الله، من دخله كان مؤمناً، ومن خرج عنه كان كافراً».

ورواه الكليني عن الباقر ﷺ وفيه: «ومن لم يدخل فيه».

وفي المناقب عن علي ﷺ أنه قال في حديث له: «أنا باب الله الذي يؤتىٰ منه، ﴿ادخلوا الباب سجداً﴾، الخبر.

وفي معاني الأخبار عن الصادق ﷺ قال: قال علي ﷺ في خطبة: أنا باب حطّة».

وفي بعض الأخبار: أن الأئمة ﷺ باب القرآن، وباب الإيمان، وباب المقام، وأبواب الجنان، وباب الأحكام، والباب الاقصد، وباب اليقين، وباب التقوىٰ.

وروى الكفعمي عن الباقر ﷺ أنه قال في معنىٰ أنهم ﷺ باب الله: «إن الله احتجب عن خلقه بنبيه والأوصياء من بعده، وفوّض إليهم من العلم ما علم احتياج الخلق إليه، ولما استوفى النبي ﷺ علىٰ علي ﷺ العلوم والحكمة قال: أنا مدينة العلم وعلي بابها، وقد أوجب الله علىٰ خلقه الاستكانة لعلي ﷺ بقوله: ﴿ادخلوا الباب سجداً﴾، وقوله: ﴿حطّة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين﴾، أي الذين لا يرتابون في فضل الباب وعلو قدره»، الخبر.

وفي الكافي عن علي ﷺ أنه قال في حديث له: «أنه قد جعل الله للعلم أهلاً،

وفرض على العباد طاعتهم بقوله: ﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾[1]، فالبيوت هي بيوت العلم، الذي استودعه الأنبياء، وأبوابها أوصياؤهم»، انتهىٰ ما أردنا نقله منه.

وفي البحار[2] عن البصائر، عن هاشم بن أبي عمار قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «أنا عين الله، وأنا جنب الله، وأنا يد الله، وأنا باب الله».

وفي سفينة البحار[3] الباقر عليه السلام: «إن علياً باب فتحه الله ، فمن دخله كان مؤمناً، ومن خرج منه كان كافراً».

وفيه عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «بي أُنذرتم، وبعلي بن أبي طالب عليه السلام اهتديتم، وقرأ: ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾[4] وبالحسن عليه السلام أُعطيتم الإحسان، وبالحسين تسعدون، وبه تشبّثون، ألا وإن الحسين باب من أبواب الجنة، من عانده حرم عليه ريح الجنة».

وفي تفسير نور الثقلين[5] عن كتاب الاحتجاج للطبرسي، وعن الاصبغ بن نباتة قال: كنت عند أمير المؤمنين عليه السلام فجاءه ابن الكوّا فقال: ياأمير المؤمنين قول الله عزوجل: ﴿وليس البّر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقىٰ وأتوا البيوت من أبوابها﴾[6] فقال عليه السلام: «نحن البيوت، أمر الله أن يؤتىٰ أبوابها، نحن باب الله وبيوته التي يؤتىٰ منه، فمن بايعنا وأقرّ بولايتنا، فقد أتى البيوت من أبوابها، ومن خالفنا، وفضّل علينا غيرنا، فقد أتى البيوت من ظهورها، وأنهم عن الصراط لناكبون»، الحديث.

وفيه عن تفسير العياشي، عن سعد، عن أبي جعفر عليه السلام: قال: سألته عن هذه

---

١ ـ البقرة : ١٨٩.
٢ ـ البحار ج ٢٤ ص ١٩٤.
٣ ـ سفينة البحار ج ١ ص ١٠٨.
٤ ـ الرعد : ٧.
٥ ـ سفينة البحار ج ١ ص ١٠٨.
٦ ـ البقرة : ١٨٩.

الآية: ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقىٰ وأتوا البيوت من أبوابها﴾ فقال: «آل محمد ﷺ أبواب الله وسبيله والدعاة إلى الجنة، والقادة إليها، والأدلاء عليها إلىٰ يوم القيمة».

وفيه، وقال النبي ﷺ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، ولا تؤتى المدينة إلّا من بابها»، ويرویٰ: «أنا مدينة الحكمة».

وفيه[1] عن العيون بإسناده إلى الحسين بن خالد عن الرضا علي بن موسىٰ عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل أمة صدّيق وفاروق، وصدّيق هذه الأُمة وفاروقها علي بن أبي طالب، إن علياً سفينة نجاتها وباب حطّتها».

وفيه، عن الخصال في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وتعدادها قال علي عليه السلام: «وأما العشرون: فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول لي: مثلك في أُمتي مثل باب حطّة في بني إسرائيل، فمن دخل في ولايتك، فقد دخل الباب كما أمره الله عزوجل».

وفيه يقول أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل: «ونحن باب حطّة».

وفيه وفي كتاب التوحيد بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته: «أنا باب حطّة».

وفي روضة الكافي خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام وهي خطبة الوسيلة، قال فيها عليه السلام «ألا وإني فيكم أيها الناس كهارون في آل فرعون، وكباب حطّة في بني إسرائيل».

وفي المجمع: وروي عن الباقر عليه السلام قال: قال: «نحن باب حطّتكم».

أقول: وقد وردت أخبار كثيرة أن رسول الله ﷺ قال: «أنا مدينة العلم وعلي بابها».

إذا علمت هذه فنقول: قد يراد من الباب: الباب الذي ابتلى الله بني إسرائيل بدخولها سجّداً، وأن يقولوا حطّة أي هو حطّة لذنوبنا، أو حطّ عنا ذنوبنا، فدخلها

---

١ ـ تفسر نور الثقلين ج ١ ص ٧٠.

قوم منهم كذلك فنجوا، وقوم منهم لم يدخلوها فهلكوا، وإليهم الإشارة بقوله تعالىٰ ﴿فبدّل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم﴾[١] وقضيتهم مذكورة في التفاسير، وقد ذكروا وجوهاً لمعنى الباب في الآية فليراجع إليها، فالأئمة عليهم السلام كذلك أي بحكم ذلك الباب، فمن دخل في باب متابعتهم نجا، ومن لم يدخل هلك.

وقد يراد منه باب الحكم والعلم والمعارف، كما صرّح به النبي الأعظم صلى الله عليه وآله بقوله الذي رواه الخاصة والعامة: «أنا مدينة العلم وعليٌ بابها، ومن أراد المدينة (أي مدينة العلم والفضيلة والتوحيد) فليأتها من بابها».

وقد يراد منه أن لكل شيء باباً يناسبه، وباب الرحمن، وباب الجنان، وباب العلم والمعارف هو محمد وآله الطاهرون، وقد قال تعالىٰ: ﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾[٢].

ثم إن حقيقة هذا الباب هو مقام ولايتهم، التي هي ولاية الله تعالىٰ، وقد علمت أنها سنام الأمر، وأساس الأمر، وذروة الأمر وبها بيان التوحيد والنبوة والولاية ومعارف الدين، وحينئذ نقول: دخول الباب إنما هو بالدخول في ولايتهم، كما قال عليه السلام: «فمن بايعنا وأقرّ بولايتنا، فقد أتى البيوت من أبوابها»، ولابد من أن يكون الدخول فيها بالخشوع والخضوع لها، فإن بني إسرائيل أُمروا بالدخول سجداً تعظيماً لمحمد وآل محمد صلى الله عليه وآله ولولايتهم عليهم السلام وهكذا الباب في زماننا لابد من الدخول فيه سجداً، أي تعظيماً لهم ولولايتهم عليهم السلام.

يدل علىٰ ما ذكرناه ما رواه في تفسير البرهان[٣] قال الامام العسكري عليه السلام: قال الله تعالىٰ: اذكروا يابني إسرائيل إذ قلنا (لأسلافكم) اُدخلوا هذه القرية (وهي أريحا من بلاد الشام وذلك حين خرجوا من التيه) فكلوا منها (من القرية) حيث شئتم

---

١ ـ البقرة: ٥٩.

٢ ـ البقرة: ١٨٩.

٣ ـ تفسير البرهان ج ٢ ص ١٣.

رغداً (واسعاً بلا تعب) وادخلوا الباب (باب القرية) سجداً (مثّل الله عزوجل على الباب مثال محمد ﷺ وعلي ﷺ، وأمرهم أن يسجدوا تعظيماً لذلك المثال، ويجددوا علىٰ أنفسهم بيعتهما، واذكروا موالاتهما، وليذكروا العهد والميثاق المأخوذين عليهم لهما).

وقولوا:حطّة (أي قولوا:إن سجدونا لله تعالىٰ تعظيماً لمثال محمد وعلي عليهما وآلهما السلام، واعتقادنا لولايتهما حطة لذنوبنا ومحو لسيئاتنا) قال تعالىٰ: نغفر لكم (بهذا الفعل) خطاياكم (السالفة ونزيل عنكم آثامكم الماضية) وسنزيد المحسنين (من كان منكم لم يفارق الذنوب، التي فارقها من خالف الولاية، وثبت علىٰ ما أعطى الله من نفسه من عهد الولاية وإنا نزيدهم، فهذا الفعل زيادة درجات ومثوبات، وذلك قوله: وسنزيد المحسنين) الحديث.

وكيف كان فالباب هو ولايتهم، والدخول فيها هو الإقرار بها، ولابد من التواضع لها ولهم، فإن بني إسرائيل بهذا الملاك امروا بدخول الباب، فكذلك هذه الأُمه أُمروا بدخول هذا الباب (أي باب ولايتهم) تعظيماً لهم ﷺ وخضوعاً لهم ﷺ.

وأما المقام الثاني (أعني كون الناس قد ابتلوا بهذا الباب) فنقول:

معنىٰ كون الناس مبتلين بهذا الباب أن الله تعالىٰ امتحن عباده بولايتهم، فمن أقرّ بها صار مؤمناً ممتحناً، كما تقدمت الأخبار الدالة علىٰ أن المؤمن الممتحن هو المقرّ بولايتهم، وهذه الولاية هي التي أخذ الله تعالى الميثاق علىٰ جميع خلقه من الناطق منهم والصامت بقبولها، فمن قبلها صلح، ومن لم يقبلها فسد حتى الأنبياء بل والأئمة ﷺ فانه قد أخذ من الجميع قبول الولاية ونصرتها.

ففي تفسير البرهان[1] وروىٰ صاحب كتاب الوحدة بإسناده عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر الباقر ﷺ قال: قال أمير المؤمنين ﷺ: «إن الله تبارك وتعالىٰ

---

١ ـ تفسير البرهان ج ١ ص ٢٩٤.

أحد واحد، وتفرد في وحدانيته، ثم تكلم بكلمة فصارت نوراً، ثم خلق من ذلك النور محمداً وخلقني وذريتي، ثم تكلم بكلمة فصارت روحاً، فأسكنها الله تعالىٰ في ذلك النور، وأسكنه في أبداننا، فنحن روح الله وكلمته، وبنا احتجب من (عليخ) خلقه، فما زلنا في ظلّة خضراء حيث لا شمس ولا قمر، ولا ليل ولا نهار، ولا عين تطرف نعبده ونقدسه ونسبحه، وذلك قبل أن يخلق خلقه.

وأخذ ميثاق الأنبياء بالإيمان والنصرة لنا، وذلك قوله عزوجل: **﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه﴾**[1] يعني محمداً ﷺ ولتنصرن وصيه، فقد آمنوا بمحمد وينصرون وصيه وسينصرونه جميعاً، وإن الله أخذ ميثاقي مع ميثاق محمد بالنصرة بعضنا لبعض، فقد نصرت محمداً، وجاهدت بين يديه، وقتلت عدوه، ووفيت الله بما أخذ عليّ من الميثاق والعهد والنصرة لمحمد ﷺ ولم ينصرني أحد من أنبياء الله ورسله، وذلك لما قبضهم الله إليه وسوف ينصروني».

وفيه بإسناده عن فرج بن شيبة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول وقد تلا **﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به﴾** «يعني رسول الله (ولتنصرنه) يعني وصيه أمير المؤمنين، ولم يبعث الله نبياً ولا رسولاً، إلّا وأخذ الله عليه الميثاق لمحمد بالنبوة ولعلي بالإمامة».

وفيه عن بكير قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «إن الله أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا، وهم ذرّ يوم أخذ الميثاق على الذّر بالإقرار له بالربوبية ولمحمد ﷺ بالنبوة، وعرض الله علىٰ محمد ﷺ الأئمة الطيبين وهم أظلّة، وخلقهم من الطين الذي خلق منه آدم، قال: وخلق أرواح شيعتنا قبل أبدانهم بألفي عام، وعرض عليهم وعرّفهم رسول الله ﷺ علياً، ونحن نعرفهم في لحن القول».

---

١ ـ آل عمران: ٨١.

أقول: فقوله عليه السلام: «ولم يبعث نبياً ولا رسولاً، إلّا وأخذ عليه الميثاق لمحمد بالنبوة ولعلي بالامامة»، وقوله عليه السلام: «وعرض عليهم وعرّفهم رسول الله صلى الله عليه وآله علياً» وقوله عليه السلام في حديث أبي حمزة: «وإن الله أخذ ميثاقي مع ميثاق محمد بالنصرة بعضنا لبعض»، يدل علىٰ أن الأنبياء والأئمة عليهم السلام والناس خصوصاً الشيعة، قد أُخذ منهم الميثاق علىٰ نصرة الولاية حيث ما حلّت، وذلك لما علمت مراراً من أنها باطن النبوة ومظهر التوحيد، ومنها بيان الحقائق والمعارف، فهذه الولاية حقيقة الباب الذي ابتلىٰ به الناس بأن يقبلوها ويدخلوها سجداً أي تعظيماً لها.

ثم إن حقيقة الابتلاء به هو أنه تعالىٰ لما جعل هذا الباب المفسّر بالولاية باب السعادة في الدنيا والآخرة، وأوضح ذلك لعباده بنحو لا يشك فيه أحد، فأجرىٰ تكليفه علىٰ عباده، بأن يختاروا هذا الباب فهو (أي الباب) ميزان السعادة والشقاوة، وهو مما به الامتحان، وبه يتحقق قوله تعالىٰ: **﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيىٰ من حيّ عن بينة﴾**[١] فمن دخله حيّ عن بينة، ومن أنكره هلك عن بينة؛ لأنه تعالىٰ بيّن أن هذا الباب هو الميزان للحيوٰة الطيبة والهلاك والبوار الأبدي، وهو ميزان متابعة النفس والشيطان ومخالفتهما.

فهو سبحانه بيّن أن هذا الباب هو ميزان السعادة والشقاوة، وجعل في الخلق نفساً، وخلّىٰ بينهم وبين الشيطان الذي يزين لهم أعمالهم، ومنحهم الاختيار في دخول هذا الباب بنحو تقدم، وإن يتركوه فتسلط النفس والشيطان في ظرف وضوح حقانية الباب مع وجود الاختيار للناس، وهذه كلها أسباب الامتحان والابتلاء، وهذا ما يمتحن الله به عباده، وهذا معنىٰ قول النبي صلى الله عليه وآله فيما تقدم عن الخصال في الخصلة، التي هي العشرون لعلي عليه السلام: «مثلك في أُمتي مثل باب حطّة في بني إسرائيل فمن دخل في ولايتك، فقد دخل الباب كما أمره الله عزوجل».

وكيف كان فكل من آمن بالله ورسله وبالأئمة عليهم السلام فله هذا الابتلاء بهذا الباب؛

---

١ ـ الأنفال : ٤٢.

وذلك ليميز الخبيث من الطيب، وليظهر ممن كان إيمانه صوريّاً ما يكتمه من النفاق، ومن كان إيمانه حقيقياً ما يستره من الايمان الخالص، وإليه الإشارة بقوله تعالىٰ: ﴿الم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾[١] فالامتحان والفتنة للمؤمن، ليصير الامتحان له تمحيصاً.

والحاصل: أن المؤمن لا محالة مبتلىٰ وواقع في معرض الامتحان بهذا الباب باب الولاية وله تمحيص، بل وله البلاء والمصائب في امتحانه؛ ليصفوا عن أكدار الشرك وتخليص باطنه، فيلاقىٰ ربّه وهو طاهر مطهر، ووردت أحاديث كثيرة في امتحان المؤمن بالولاية وتمحيصه وابتلائه بالمصائب، كل ذلك لتطهيره وتخليصه من شوائب الشرك الخفي الباطني، فهنا ثلاثة أُمور: الامتحان بالولاية والتمحيص والابتلاء، وإلىٰ كل منها أحاديث كثيرة نذكر بعضها:

● أما بالنسبة إلى الامتحان بالولاية، في بصائر الدرجات[٢] بإسناده عن سدير الصيرفي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن أمركم هذا (أي ولاية الأئمة عليهم السلام) عرض على الملائكة فلم يقرّ به إلّا المقربون، وعرض على الأنبياء فلم يقرّ به إلّا المرسلون، وعرض على المؤمنين فلم يقرّ به إلّا الممتحنون».

وفيه[٣] عن الفضيل، عن أبي الحسن عليه السلام في قول الله تعالىٰ: ﴿يوفون بالنذر﴾[٤] «الذي أُخذ عليهم الميثاق من ولايتنا».

● وأما بالنسبة إلى التمحيص، في كتاب الغيبة للنعماني رحمه الله أحاديث كثيرة في التمحيص منها ص١٠٨ بإسناده إلىٰ أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: «مع القائم (عج) من العرب شيء يسير، فقيل له: إن من يصف هذا الأمر منهم لكثير قال: لابد للناس من أن يمحصوا ويميزوا ويغربلوا، وسيخرج من الغربال خلق

---

١ ـ العنكبوت: ١ ـ ٢.
٢ ـ بصائر الدرجات ص٦٧.
٣ ـ بصائر الدرجات ص٩٠.
٤ ـ الإنسان: ٧.

كثير».

وقال: وحدثنا علي بن الحسين.. إلىٰ أن قال: عن عبدالله بن أبي يعفور، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه سمعه يقول: «ويل لطغاة العرب من شرّ قد اقترب، قلت: جعلت فداك كم مع القائم من العرب؟ قال: شيء يسير، فقلت: والله إن من يصف هذا الأمر منهم لكثير!! فقال: لابد للناس من أن يمحصوا ويميّزوا ويغربلوا، ويخرج من الغربال خلق كثير».

● وأما بالنسبة إلى البلاء، ففي البحار عقد له باباً ذكر فيه ثمانية وثمانين حديثاً بألسنة مختلفة، ونحن نذكر بعضها.

ففي البحار[1] عن مجالس المفيد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن فيما ناجى الله به موسىٰ بن عمران: أن ياموسىٰ ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ من عبدي المؤمن، وإني إنما ابتليته لما هو خير، له وأنا أعلم بما يصلح عبدي، فليصبر علىٰ بلائي، وليشكر نعمائي، وليرض بقضائي أكتبه في الصديقين إذا عمل بما يرضيني وأطاع أمري».

وفيه عن جامع الأخبار قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «الجزع عند البلاء تمام المحنة، وقال عليه السلام: قال النبي صلى الله عليه وآله: إن البلاء للظالم أدب، وللمؤمن امتحان ،وللأنبياء درجة، وللأولياء كرامة».

أقول: جميع هذا الأحاديث دالة علىٰ أن المؤمن يمتحن بهذه الأُمور؛ ليعلم ثباته على الايمان والولاية لمحمد وآل محمد صلى الله عليه وآله ولعمري إن المؤمن الممتحن الصابر الاخذ بقوائم دينه لقليل.

ففي البحار في باب قلة عدد المؤمنين عن صفات الشيعة للصدوق بإسناده عن الفضل بن قيس، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال لي: «كم شيعتنا بالكوفة؟ قال: قلت

---

١ ـ البحار ج ٦٧ ص ٢٣٥.

خمسون ألفاً، فما زال يقول.. إلىٰ أن قال: والله لوددت أن يكون بالكوفة خمسة وعشرون رجلاً يعرفون أمرنا الذي نحن عليه، ولا يقولون علينا إلّا الحق».

وفيه عن الكافي بإسناده عن قتيبة الأعشىٰ قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «المؤمنة أعزّ من المؤمن، والمؤمن أعزّ من الكبريت الأحمر، فمن رأىٰ منكم الكبريت الأحمر؟».

وفيه عنه، عن كامل التمار قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «الناس كلّهم بهائم (ثلاثاً) إلّا قليل من المؤمنين والمؤمن غريب ثلاث مرّات».

قوله عليه السلام: من أتاكم نجا ومن لم يأتكم هلك.

أقول: لما ثبت كونهم عليهم السلام الباب المبتلىٰ به الناس، والممتحن به الناس، فلا محالة يكون النجاة والهلاك منوطاً بإتيان هذا الباب وعدمه، فهنا مقامان:

الأول: أن من أتاهم نجا.

الثاني: أن من لم يأتهم هلك.

أما الأول فنقول: إن إتيانهم إما يكون بمعرفتهم، أو بالردّ إليهم فيما اختلفوا وبالمعرفة بفرض طاعتهم وبوجوب النصيحة لهم عليهم السلام وباللزوم لجماعتهم وبموالاتهم، وبالاقتداء بهم، وبالكون معهم، وبالتسليم لهم في كل حال، يدل علىٰ هذا عدة من الأحاديث نذكر بعضها مما فيه الكفاية فنقول:

في الوافي عن الكافي، الأربعمائة، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه، وباب الأشياء ورضا الرحمن تعالى الطاعة للامام بعد معرفته، ثم قال: إن الله تعالىٰ يقول: **﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولّىٰ فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾**[1]».

وفيه عنه، بإسناده عن أبي سلمة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: «نحن

---

١ ـ النساء: ٨٠.

الذين رضا الله طاعتنا، لا يسع الناس إلّا معرفتنا، ولا يعذر الناس بجهالتنا، مَن عرفنا كان مؤمناً، ومن أنكرنا كان كافراً، ومن لم يعرفنا ولم ينكرنا كان ضالاً حتىٰ يرجع إلى الهدى، الذي افترض الله عليه من طاعتنا الواجبة، فإن يمت علىٰ ضلالته يفعل الله به ما يشاء».

وفيه، عنه، عن عبدالحميد بن أبي العلاء قال: دخلت المسجد الحرام، فرأيت مولى لأبي عبدالله عليه السلام فملت إليه لأسأله عن أبي عبدالله عليه السلام فإذا أنا بأبي عبدالله عليه السلام وساق الحديث.. إلىٰ أن قال: فلما خرج من المسجد قال لي: «ياأبا محمد والله لو أن ابليس سجد لله تعالىٰ بعد المعصية والتكبر عمر الدنيا، ما نفعه ذلك، ولا قبله الله تعالىٰ، ما لم يسجد لآدم كما أمر الله تعالىٰ أن يسجد له، وكذلك هذه الأُمة العاصية المفتونة بعد نبيها صلى الله عليه وآله وبعد تركهم الامام الذي نصبه نبيهم صلى الله عليه وآله فلن يقبل الله تعالىٰ لهم عملاً، ولن يرفع لهم حسنة حتىٰ يأتوا الله تعالىٰ من حيث أمرهم، ويتولوا الامام الذي أُمروا بولايته.

ويدخلوا في الباب الذي فتحه الله ورسوله لهم، ياأبا محمد إن الله افترض علىٰ أُمة محمد صلى الله عليه وآله خمس فرائض الصلوٰة والزكوٰة والصيام والحج وولايتنا، فرخص لهم في أشياء من الفرائض الأربعة، ولم يرخص لأحد من المسلمين في ترك ولايتنا لا والله ما فيها من رخصة».

وفيه، عنه بإسناده عن ابن أبي يعفور، عن أبي عبدالله عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله خطب الناس في مسجد الخيف فقال: «نضر الله عبداً سمع مقالتي، فوعاها وحفظها وبلّغها من لم يسمعها، فربّ حامل فقه غير فقيه، وربّ حامل فقه إلىٰ من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم اخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة المسلمين، واللزوم لجماعتهم، فإن دعوتهم محيطة من ورائهم، المسلمون إخوة تتكافىٰ دماؤهم ويسعىٰ بذمتهم أدناهم».

وفي حديث زاد في آخره: وهم يد علىٰ من سواهم.

أقول: لا يغل من الغلول أو الاغلال أي لا يخون، ويحتمل أن يكون من الغل بمعنى الحقد والشحناء أي لا يدخله حقد يزيله عن الحق، كذا ذكر المحقق الكاشاني في الوافي.

وفيه، عنه بإسناده، عن إسمعيل بن جابر قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: «أعرض عليك ديني الذي أدين الله تعالى؟ قال: فقال: هات، قال: فقلت: أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأن محمداً صلى الله عليه وآله عبده ورسوله، والإقرار بما جاء به من عند الله، وأن علياً كان إماماً فرض الله طاعته، ثم كان بعده الحسن إماماً فرض الله طاعته، ثم كان بعده الحسين إماماً فرض الله طاعته، ثم كان بعده علي بن الحسين إماماً فرض الله طاعته، حتىٰ انتهى الأمر إليه، ثم قلت: أنت يرحمك الله، قال: فقال: هذا دين الله ودين ملائكته».

وفيه، عنه بإسناده، عن العجلي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما نظر الله عزوجل إلىٰ ولي له، يجهد نفسه بالطاعة لامامه والنصيحة، إلّا كان معنا في الرفيق الأعلىٰ».

وفي الوافي أيضاً عن الكافي بإسناده عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أخبرني عن معرفة الامام منكم واجبة علىٰ جميع الخلق، فقال: «إن الله تعالىٰ بعث محمداً صلى الله عليه وآله إلى الناس أجمعين رسولاً وحجة لله علىٰ جميع خلقه في أرضه، فمن آمن بالله وبمحمد رسول الله، واتّبعه وصدقه، فإن معرفة الامام منا واجبة عليه، ومن لم يؤمن بالله وبرسوله ولم يتبعه ولم يصدقه ويعرف حقهما، فكيف تجب عليه معرفة الامام وهو لا يؤمن بالله ورسوله ويعرف حقهما؟

قال: قلت: فما تقول فيمن يؤمن بالله ورسوله، ويصدق رسوله في جميع ما أنزل الله، أيجب علىٰ أولئك حق معرفتكم؟ قال: نعم أليس هؤلاء يعرفون فلاناً وفلاناً؟ قلت: بلىٰ، قال: أترىٰ أن الله هو الذي أوقع في قلوبهم معرفة هؤلاء، والله ما أوقع ذلك في قلوبهم إلّا الشيطان، لا والله ما ألهم المؤمنين حقنا إلّا الله».

أقول: قد يقال: إن قوله عليه السلام: «فكيف تجب عليه معرفة الامام»، يدل علىٰ أن الكفار ليسوا مكلفين بشرايع الإسلام، وقد يقال: إن المراد من قوله عليه السلام هذا بيان التلازم، أي أن من لم يؤمن بالله ورسوله لا يؤمن بالأئمة عليهم السلام لا أنه إن من لم يؤمن بالله ورسوله، لا يجب عليه الإيمان بالأئمة وبالشرايع مثلاً.

والحاصل: أن إنكارهم لله ولرسوله لازم لانكارهم للأئمة عليهم السلام فهم منكرون لهما بالملازمة وفي عرض الآخر، فهم معاقبون على الفروع، كما هم معاقبون على الأُصول، ولهذا الكلام بحث موكول في محله، ولعله سيجيء في طيّ المباحث الآتية إن شاء الله.

وفيه، عنه بإسناده، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من سره أن يحيىٰ حياتي ويموت ميتتي، ويدخل الجنة التي وعدنيها ربي، ويتمسك بقضيب غرسه ربي بيده، فليتوّل علي بن أبي طالب عليه السلام وأوصياءَه من بعده عليهم السلام فإنهم لا يدخلونكم في باب ضلال ولا يخرجونكم من باب هدىٰ، فلا تعلموهم فإنهم أعلم منكم، وإني سألت ربي أن لا يفرق بينهم وبين الكتاب حتىٰ يردا عليّ الحوض هكذا وضمّ بين اصبعيه، وعرضه ما بين صنعاء إلىٰ إيلة، فيه قدحان فضة وذهب عدد النجوم».

أقول: صنعاء بلد باليمن كثيرة الأشجار والمياه تشبه دمشق، وقرية بباب دمشق، وإيلة (بالفتح والمثناة التحتانية) جبل بين مكة والمدينة، وبلد بين ينبع ومصر، كذا في الوافي.

وفيه، عنه، محمد، عن أحمد، عن البزنطي، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال سألته عن قول الله عزوجل: **﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾**[1] قال: «الصادقون هم الأئمة والصديقون بطاعتهم».

---

١ ـ التوبة : ١١٩.

أقول: قوله ﷺ: «والصديقون بطاعتهم»، يراد منه أن دليل كونهم الصادقين هو طاعتهم لله تعالىٰ، فإن الطاعة والعمل أبين دليل على الصدق والتصديق بالحق وما يلزمه، كما تقدمت الاشارة إليه.

ومثله أحاديث أُخر.

وفيه، عنه بإسناده، عن سدير قال: قلت لأبي جعفر ﷺ: إني تركت مواليك مختلفين يتبرأ بعضهم من بعض، قال: فقال: «وما أنت وذاك، إنما كلّف الناس ثلاثة: معرفة الأئمة ﷺ والتسليم لهم فيما ورد عليهم، والردّ إليهم فيما اختلفوا فيه».

وفيه، عنه بإسناده، عن كامل التّمار قال: قال أبو جعفر ﷺ: «قد أفلح المؤمنون، أتدري من هم؟ قلت: أنت أعلم، قال: قد أفلح المؤمنون المسلّمون، إن المسلّمين هم النجباء فالمؤمن غريب فطوبىٰ للغرباء».

أقول: المؤمن غريب هو المسلم النجيب، ولا ريب في أنه هكذا غريب لندرته وقلّة أمثاله.

وفيه عنه بإسناده عن الكاهلي قال: قال أبو عبدالله ﷺ: «لو أن قوماً عبدوا الله وحده لا شريك له، وأقاموا الصلوٰة، وآتوا الزكوٰة، وحجّوا البيت، وصاموا شهر رمضان، ثم قالوا لشيء صنعه الله عزوجل، أو صنعه رسول الله ﷺ إلّا صنع خلاف الذي صنع، أو وجدوا ذلك في قلوبهم، لكانوا بذلك مشركين، ثم تلا هذه الآية: ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتىٰ يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلّموا تسليماً**﴾[1]، ثم قال أبو عبدالله ﷺ: عليكم بالتسليم».

وفيه، عنه بإسناده، عن يحيىٰ بن زكريا الأنصاري، عن أبي عبدالله ﷺ قال: سمعته يقول: «من سرّه أن يستكمل الايمان كله، فليقل القول منّي في جميع الأشياء؛ قول آل محمد فيما أسرّوا وما أعلنوا، وفيما بلغني عنهم وفيما لم يبلغني».

وفيه، عنه بإسناده، عن الفضيل بن يسار قال: قال أبو جعفر ﷺ: «إن الروح

---

١ ـ النساء: ٦٥.

والراحة، والفلج والعون، والنجاح والبركة، والكرامة والمغفرة، والمعافاة واليسر، والبشرىٰ والرضوان، والقرب والنصر والتمكن، والرجاء والمحبة من الله تعالىٰ لمن تولّىٰ علياً عليه السلام وأتمّ به، وبرئ من عدوه، وسلّم لفضله وللأوصياء من بعده، حقاً عليّ أن أُدخلهم في شفاعتي، وحق علىٰ ربي تبارك وتعالىٰ أن يستجيب لي فيهم، فإنهم أتباعي، ومن تبعني فإنه منّي».

وفي البحار[1] عن أمالي ابن الشيخ بإسناده، عن يونس بن عبدالجبار، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما بال أقوام إذا ذكر عندهم آل إبراهيم عليه السلام فرحوا واستبشروا، وإذا ذكر عندهم آل محمد صلى الله عليه وآله اشمأزت قلوبهم، والذي نفس محمد بيده لو أن عبداً جاء يوم القيمة بعمل سبعين نبياً، ما قبل الله ذلك منه حتىٰ يلقاه بولايتي وولاية أهل بيتي».

وفيه، عن بصائر الدرجات بإسناده، عن يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وإنّي لغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدىٰ﴾[2] قال: «ومن تاب من ظلم، وآمن من كفر، وعمل صالحاً، ثم اهتدىٰ إلىٰ ولايتنا، وأومأ بيده إلىٰ صدره».

وفيه، عن بصائر الدرجات بإسناده، عن الثمالي قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: «إن الله اصطفىٰ محمداً بالرسالة، وأنبأه بالوحي، فأنال في الناس وأنال، وفينا أهل البيت معاقل العلم، وأبواب الحكمة، وضياء الأمر، فمن يحبنا منكم نفعه إيمانه، ويقبل منه عمله، ومن لم يحبنا منكم لم ينفعه إيمانه، ولا يقبل منه عمل».

أقول: أنال أي أعطىٰ وجاد وبثّ في الناس.

وفيه عن المحاسن بإسناده عن عمر بن ابان الكلبي، قال: قال لي أبو

---

١ ـ البحار ج٢٧ ص١٧٢.
٢ ـ طه: ٨٢.

عبدالله عليه السلام: «ما أكثر السواد؟ قلت: أجل ياابن رسول الله، قال: أما والله ما يحج لله غيركم، ولا يصلّي الصلاتين غيركم، ولا يؤتىٰ أجره مرتين غيركم، وإنكم لرعاة الشمس والقمر والنجوم وأهل الدين، ولكم تغفر ومنكم يقبل».

وفيه عن الخصال بإسناده عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله «من رزقه الله حبّ الأئمة من أهل بيتي، فقد أصاب خير الدنيا والآخرة، فلا يشكّن أحد أنه في الجنة، فإن في حبّ أهل بيتي عشرين خصلة؛ عشر منها في الدنيا وعشر في الآخرة.

أما في الدنيا: فالزهد والحرص على العمل، والورع في الدين، والرغبة في العبادة، والتوبة قبل الموت، والنشاط في قيام الليل، واليأس عما في أيدي الناس، والحفظ لأمر الله ونهيه عزوجل، والتاسعة بغض الدنيا، والعاشرة السخاء.

وأما في الآخرة: فلا ينشر له ديوان، ولا ينصب له ميزان، ويعطىٰ كتابه بيمينه، ويكتب له براءة من النار، ويبيّض وجهه، ويكسىٰ من حلل الجنة، ويشفع في مائة من أهل بيته، وينظر الله عزوجل إليه بالرحمة، ويتوج من تيجان الجنة، والعاشرة يدخل الجنة بغير حساب، فطوبىٰ لمحبّي أهل بيتي».

وفي البحار[1] عن عيون أخبار الرضا عليه السلام بالأسانيد الثلاثة، عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ياعلي إن الله قد غفر لك ولأهلك ولشيعتك، ومحبّي شيعتك، ومحبّي محبّي شيعتك، فأبشر فإنك الأنزع البطين، منزوع من الشرك بطين من العلم».

وفي البحار[2] عن بصائر الدرجات، بإسناده عن بريد، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «بنا عبد الله، وبنا عرف الله، وبنا وحد الله، ومحمد صلى الله عليه وآله حجاب الله».

أما الثاني أعني أن من لم يأتهم هلك: فيدل عليه أيضاً عدة كثيرة جداً من

---

١ ـ البحار ج٢٧ ص٧٩.
٢ ـ البحار ج٢٣ ص١٠٢.

الروايات، نذكر بعضها مما فيه الكفاية.

في البحار[1] عن عيون أخبار الرضا عليه السلام وبهذا الإسناد قال: قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «من أحبّك كان مع النبيين في درجتهم يوم القيمة، ومن مات وهو يبغضك فلا يبالي مات يهوديّاً أو نصرانياً».

وفيه عنه بهذا الإسناد قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وأخذ بيد علي عليه السلام: «من زعم أنه يحبني ولا يحب هذا فقد كذب».

وفي البحار[2] عن تفسير العياشي، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته: قال الله: ﴿اتبعوا ما أُنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكّرون﴾[3] ففي اتباع ما جاءكم من الله الفوز العظيم، وفي تركه الخطأ المبين».

وفيه عن بشارة المصطفىٰ بإسناده عن الثمالي، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام قال: «من دعا الله بنا أفلح، ومن دعاه بغيرنا هلك واستهلك».

وفيه[4] عن اكمال الدين بإسناده عن محمد بن الفضيل، عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ياعلي أنت والأئمة من ولدك بعدي حجج الله علىٰ خلقه، وأعلامه في بريته، فمن أنكر واحداً منهم فقد أنكرني، ومن عصىٰ واحداً منهم فقد عصاني، ومن جفا واحداً منهم فقد جفاني، ومن وصلكم فقد وصلني، ومن أطاعكم فقد أطاعني، ومن والاكم فقد والاني، ومن عاداكم فقد عاداني، لأنكم منّي خلقتم من طينتي وأنا منكم».

أقول: والأخبار في هذا الباب كالباب السابق كثيرة، وسيأتي تمام الكلام في هذا في شرح قوله عليه السلام: «ومن جحدكم كافر».

---

١ ـ البحار ج٢٧ ص٧٩.
٢ ـ البحار ج٢٣ ص١٠٢.
٣ ـ الأعراف : ٣.
٤ ـ البحار ج٢٢ ص٩٧.

وكيف كان فقد دلّت الأحاديث الكثيرة علىٰ وجوب معرفتهم، والردّ إليهم، وفرض طاعتهم، ووجوب النصيحة لهم، واللزوم بجماعتهم وموالاتهم والاقتداء بهم، والكون معهم، والتسليم لهم في كل حال، وإن من كان معهم، نجا وكان من المفلحين، وإن من لم يأتهم، أو ردّ عليهم، أو اعترض عليهم، أو عدل بهم سواهم، أو تقدمهم، أو تأخّر عنهم، أو قدم عليهم غيرهم، أو شك فيهم، أو في شيء في فضائلهم، أو مال بقلبه إلىٰ من فعل ذلك من الناس من أهل الخلاف والجور والظلم، وكان هذا الميل منه إليه بعد أن تبيّن الهدىٰ له، كما نرىٰ ذلك في بعض عوامنا المعاصرين فهو هالك وكان من الخاسرين، والحمد لله رب العالمين وصلىٰ علىٰ محمد وآله الطاهرين.

قوله عليه السلام: إلى الله تدعون، وعليه تدلّون، وبه تؤمنون، وله تسلّمون، وبأمره تعملون، وإلىٰ سبيله ترشدون، وبقوله تحكمون.

أقول: هذه الجمل السبع كأنها في حكم التعليل لقوله عليه السلام: «والباب المبتلىٰ به الناس من أتاكم نجا ومن لم يأتكم هلك»، وفي تقديم الظرف فيها إشارة إلىٰ أن مضمون هذه الجمل بنحو الأتم الأكمل منحصر فيهم عليهم السلام.

وكيف كان فقوله: «إلى الله تدعون»، قد تقدم في شرح قوله عليه السلام: «الدعاة إلى الله»، ما هو شرح لهذه الجملة، وتقدم بيان أقسام الدعوة من الدعوه بالحكمة والموعظة الحسنة، وبالمجادلة بالتي هي أحسن، وأيضاً تقدم في شرح قوله عليه السلام: «والأدلاء علىٰ مرضاة الله»، بيان معنى الدليل، وأنهم عليهم السلام أدلاء عليه وعلىٰ مرضاته علماً وعملاً وحالاً، فراجعه فإنه يفيد في المقام.

وأما قوله عليه السلام: «وبه تؤمنون»، فهم عليهم السلام أحسن مصاديق المؤمن، بل هم بولايتهم عين الايمان.

في اللوامع النورانية[1] للسيد البحراني رحمه الله: علي بن إبراهيم بإسناده إلىٰ

---

١ ـ اللوامع النورانية ص ٣٢٩.

عبدالرحمن بن كثير قال: سألت الصادق ﷺ عن قوله تعالىٰ: ﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار﴾[1] قال: «أمير المؤمنين ﷺ وأصحابه * والمفسدين في الأرض حبتر وزريق وأصحابهما، أم نجعل المتقين أمير المؤمنين ﷺ كالفجّار حبتر وزريق (ودلام خ) وأصحابهما». ذكره في البرهان أيضاً.

وفي البحار[2] بإسناده عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿أفمن كان مؤمناً﴾ الآية، قال ابن عباس ﵁: أما المؤمن فعلي بن أبي طالب ﷺ وأما الفاسق فعقبة بن معيط.

وفيه، وعن الحسين بن علي ﷺ أنه قال للوليد: «كيف تشتم عليّاً، وقد سمّاه الله مؤمناً في عشر آيات وسمّاك فاسقاً».

وفيه عن تفسير العياشي، عن عكرمة أنه قال: «ما أنزل الله جل ذكره: ﴿ياأيها الذين آمنوا﴾ إلّا ورأسها علي بن أبي طالب ﷺ».

وفيه عن كنز الفوائد بإسناده عن عبدالرحمن بن مسلم، عن أبي عبدالله ﷺ في قوله عزوجل: ﴿إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون﴾[3] إلىٰ آخر السورة، «نزلت في علي ﷺ وفي الذين استهزؤا به من بني أُمية، وذلك أن عليّاً مرّ علىٰ قوم من بني أُميّة والمنافقين فسخروا منه».

أقول: فعبّر تعالىٰ عن علي بقوله: من الذين آمنوا.

وفيه عن مناقب ابن شهر آشوب، أبو حمزة عن أبي جعفر ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿ياأيّها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءَكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الايمان﴾[4] قال: «فإن الإيمان ولاية علي بن أبي طالب ﷺ».

---

١ ـ صٓ : ٢٨.
٢ ـ البحار ج ٣٥ ص ٣٣٨.
٣ ـ المطففين: ٢٩.
٤ ـ التوبة : ٢٣.

الباقر عليه السلام «وزيد بن علي، ومن يكفر بالإيمان، قال: بولاية علي عليه السلام».

الباقر والصادق عليهما السلام **في قوله تعالىٰ: ﴿إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون﴾**[١] قالا: «إلىٰ ولاية علي عليه السلام».

وفيه عن تفسير القمي: **﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾**[٢] إلىٰ قوله: **﴿لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم﴾**[٣] «فإنها نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام وأبي ذر ومقداد وسلمان (رضوان الله عليهم).

وفيه عن كشف الغمة مما خرجه العزّ الحنبلي قوله تعالىٰ: **﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾**[٤] «المؤمن علي والفاسق الوليد».

وفيه عن تفسير فرات أبو القاسم العلوي معنعناً عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله «من الخير لعلي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام ما لم يقل لأحد قال: **﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أُولئك هم خير البرية﴾**[٥]، فعلي والله خير البرية».

أقول: ونظير هذه الأحاديث المروية عن الفريقين كثيرة جداً، وكيف لا وهم عليهم السلام المؤمنون بوجوده تعالىٰ وبوحدانيته، وجميع صفاته وأفعاله التي وصف الله بها نفسه، وأخبر بها أنه فعله؟ فهم عليهم السلام المؤمنون بقوله تعالىٰ: **﴿قل كل من عند الله﴾**[٦]، فهم عليهم السلام مؤمنون بأن جميع الأمور منه تعالىٰ وبه وله وإليه، وهم عليهم السلام مؤمنون بما عرف الله هم به من وصفه في ذواتهم المقدسة، فهم العارفون بما لا يشاركهم فيها أحد، وأيضاً هم عليهم السلام المؤمنون بوعده تعالىٰ ووعيده، وبكتبه ورسله

---

١ ـ غافر : ١٠.
٢ ـ الأنفال: ٢.
٣ ـ الأنفال : ٤.
٤ ـ السجدة : ١٨.
٥ ـ البينة : ٧.
٦ ـ النساء : ٧٨.

وملائكته، وبالقرآن وبنبيه، وأنهم عليهم السلام حججه علىٰ خلقه وأنهم مظاهره ومعانيه وأبوابه، وخزّان علمه، وحفظة سره إلىٰ آخر أوصافهم عليهم السلام فإنهم مؤمنون بذلك الايمان.

وإلىٰ هذا الأمور يدل ما في تفسير نور الثقلين عن الكافي بإسناده إلىٰ سلام عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿آمنا بالله وما أُنزل إلينا﴾[1]، قال: «إنما عنى بذلك علياً عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين وجرت بعدهم في الأمة عليهم السلام ثم يرجع القول من الله في الناس فقال: فإن آمنوا، يعني الناس بمثل ما آمنتم به يعني علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام، فقد اهتدوا وإن تولّوا فإنما هم في شقاق، قال عزّ من قائل: ﴿..فإنما هم في شقاق﴾[2].

في المجمع: وروىٰ عن الصادق عليه السلام أنه قال: «يعني في كفر».

أقول: قد دلّ هذا الحديث الشريف على أن الأئمة عليهم السلام هم المعنيّون في قوله: ﴿آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾، وهذا يشمل جميع ما أنزل إليهم عليهم السلام وهنا ملاحظة دقيقة وهي أن أصل الإيمان وحقيقته هو التصديق بكل حق والقيام به، ونفي كل باطل والاجتناب عنه، وهذا بحقيقته لا يكون إلّا لله تعالىٰ، فهو المؤمن بنفسه وبما قاله وعمله وأنزله بنحو الأتم الأكمل، ولهذا جعل الله تعالى الدين الخالص الذي لا يكون إلّا هكذا، أي لا يكون إلّا ما كان متعلقاً للإيمان به بنحو ما ذكر لنفسه فقال: ﴿ألّا لله الدين الخالص﴾.

ومن المعلوم أن غيره الذي يشوبه التغيير، ويلحقه التظنين، وتأخذه الغفلة والسهو، لا يمكنه الإيمان الحقيقي؛ لأنه حين ما تأخذه الغفلة والسهو يزول عنه، ويتغير عنه الاذعان والإيمان، فحينئذ لا يكون الايمان الحقيقي إلّا له تعالىٰ، فحينئذ نقول: إذا كان مصداق قوله تعالىٰ: ﴿آمنّا بالله﴾ هم الأئمة عليهم السلام بنحو قرّره الله تعالىٰ

---

١ ـ البقرة: ١٣٦.

٢ ـ البقرة: ١٣٧.

وأثبته وأمضاه بقوله تعالىٰ: ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به﴾[1] فإنه يدلّ علىٰ أنهم هم المؤمنون حقاً، فلا محالة يكون إيمانهم عليهم السلام كإيمانه تعالىٰ أي بنحو الحقيقة.

وبعبارة أخرىٰ: يكون إيمانهم عليهم السلام مظهراً لإيمانه تعالىٰ دون سائر الناس، وأما سائر الناس فإن كان إيمانهم بمثل ايمانهم عليهم السلام فقد اهتدوا، وإلا فلا. فإيمانهم مقياس وميزان لإيمان الناس، فكلّ إيمان كماً وكيفاً كان بمثل إيمانهم ومشابهاً له كان سبباً للهداية وإلا فلا، فتأمل تعرف.

أقول: بيان آخر في أن إيمانهم عليهم السلام هو الإيمان الحقيقي بحيث يليق أن يكون مظهراً أتم لإيمانه تعالىٰ وحاصله: أن الايمان قد يعبّر عنه بالتصديق القلبي، وهذا قد يلازم العمل، وهو ما إذا كان مع التصديق القبول والتعلق بمتعلق الإيمان المعبر عنه بالفارسية (بگرويدن) وقد لا يلازمه فيكون تصديقاً محضاً بدون التعلق والقبول بمتعلق الايمان، ومن المعلوم أن التصديق القلبي مهما كان أقوىٰ وأثبت في القلب كان تعلق القلب وقبوله لمتعلق الايمان أشدّ وأقوىٰ.

وهذا المعنىٰ مقول بالتشكيك فله مراتب كثيرة، فقد يكون التصديق والتعلق والقبول بنحو يلازم العمل الصوري فقط، كما ترىٰ ذلك في كثير من المقدسين الظاهريين، وقد يكون بنحو أقوىٰ يلازم الاتصاف بالأخلاق الحسنة، وإزالة الصفات الرذيلة، مضافاً إلى العمل فيكون صاحبه مشيه علىٰ طبق الصفات الحميدة، وقد يكون بنحو أقوىٰ من هذا بحيث يتعلق القلب بمتعلق الإيمان وهو الله تعالىٰ بنحو لا يلتفت إلىٰ غيره أبداً، ولكل من هذه الدرجات حالات ودرجات تخصّ بتلك الدرجة، كما أن لكل منها منافيات لا يدفعها إلّا قوة إيمانه في تلك الدرجة، وربما كان حال درجة سابقة منافياً لحال الدرجة اللاحقة كما لا يخفىٰ.

ولهذا المبحث بيان وشرح يطول ذكره، ولعل العارف بحقائق الإيمان ودرجاته

---

١ ـ البقرة: ١٣٧.

وموارد إطلاقاته لا يخفىٰ عليه شرح الكلام وبيانه في هذا المبحث، ثم إن كل أحد يدعىٰ أنه مؤمن إلّا أنه إذا قيس إيمانه بما ذكر من تلك المراتب والدرجات يعلم أن إيمانه ضعيف ويكون في بعض الدرجات، وأما الأئمة عليهم السلام فحيث انهم عليهم السلام في أعلىٰ درجات الايمان وأقوىٰ مراتبه بحيث لا يدانيهم أحد، فلا محالة أطلق القول المنصرف إلى الفرد الأكمل عليهم فقال عليه السلام: «وبه تؤمنون».

فبلحاظ أن إيمانهم مظهر لإيمانه تعالىٰ وأنه إيمان بالحقيقة، وأنه بنحو الاتم الأكمل الشامل لجميع الدرجات والمراتب كانت هذه الجملة أي قوله عليه السلام: «وبه تؤمنون»، من شؤون ولايتهم وخصائصهم، إذ علمت أنه لا يشاركهم أحد في إيمانهم كما لا يخفىٰ.

وأما قوله عليه السلام: «وله تسلمون»، فإما يقرأ بالتخفيف من أسلم يسلم وإما بالتشديد من سلّم يسلّم، أما الأول:

ففي الكافي[١] بإسناده عن سالم الخياط قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزوجل: ﴿**فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين * فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين**﴾[٢]، فقال أبو جعفر عليه السلام: «آل محمد لم يبق فيها غيرهم».

أقول: أي أنهم الكاملون في الإسلام ولا يحاذيهم أحد، وهذا من التأويل.

وفي اللوامع النورانية عن أمالي الشيخ بإسناده عن عبدالله بن العباس في هذه الآية ﴿**وله أسلم من في السمٰوات والأرض طوعاً وكرهاً**﴾ قال: أسلمت الملائكة في السماء والمؤمنون في الأرض طوعاً أولهم وسابقهم من هذه الآية علي بن أبي طالب عليه السلام ولكل أمة سابق. الحديث.

وفي غاية المرام عن ابن بابويه في أماليه بإسناده عن جابر بن عبدالله الأنصاري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «علي بن أبي طالب أقدم أمتي سلماً،

---

١ ـ الكافي ج ١ ص ٤٢٥.

٢ ـ الذاريات: ٣٥ـ٣٦.

وأكثرهم علماً، وأصحّهم ديناً، وأفضلهم يقيناً، وأحلمهم حلماً، وأسمحهم كفّاً، وأشجعهم قلباً، وهو الامام والخليفة بعدي».

وفيه عن ابن بابويه بإسناده عن الأعمش، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: «خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وعليه خميصة قد اشتمل بها، فقيل: يارسول الله من كساك هذه الخميصة؟ قال: كساني حبيبي وصفيّي وخاصّتي وخالصتي، والمؤدّىٰ عنّي ووصيّي ووارثي وأخي، وأوّل المؤمنين إسلاماً وأخلصهم إيماناً، وأسمح الناس كفاً سيد الناس بعدي قائد الغرّ المحجّلين إمام أهل الأرض علي بن أبي طالب، فلم يزل يبكي حتىٰ ابتلّ الحصىٰ من دموعه شوقاً إليه».

أقول: ومثله أحاديث كثيرة من الفريقين كما لا يخفىٰ.

وفي مقدمة تفسير البرهان[1] في الكافي وغيره عن الصادق عليه السلام في قوله تعالىٰ: **﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن﴾**[2] قال: «نزلت في علي، كان أول من أسلم وأخلص وجهه لله، وهو محسن أي مؤمن مطيع».

هذه بعض الأحاديث في هذا الباب ولا ريب في أنهم أحسن مصداق للمسلم حيثما أطلق في الآيات والأحاديث كما، لا يخفىٰ.

وأما الثاني أعني القراءة بالتشديد: فهم عليهم السلام المسلّمون له تعالىٰ في جميع الأُمور تشهد بذلك أفعالهم وأحوالهم، وتحمّلهم المصائب والحوادث الواقعة عليهم من الأعداء.

وكيف كان فالتسليم كما علمت سابقاً هو الانقياد والاخبات، وقد دلّت أحاديث كثيرة علىٰ أنهم عليهم السلام هم المخبتون في قوله تعالىٰ: **﴿وبشّر المخبتين﴾**[3].

---

١ ـ تفسير البرهان ص١٨٧.

٢ ـ لقمان: ٢٢.

٣ ـ الحج: ٣٤.

في مقدمة تفسير البرهان عن كنز الفوائد، عن الباقر عليه السلام في قوله عزوجل: ﴿وبشّر المخبتين﴾ الآية، قال: «نزلت فينا خاصّة».

أقول: أي أنهم المصداق الأتم لها (والله العالم).

ثم إن حقيقة الاسلام هو التسليم، ففي الكافي[1] في باب نسبة الاسلام: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن بعض أصحابنا رفعه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لانسبن الإسلام نسبة لا ينسبه أحد قبلي، ولا ينسبه أحد بعدي إلّا بمثل ذلك، إن الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والاقرار هو العمل، والعمل هو الأداء. إن المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه، ولكن أتاه من ربه فأخذه. إن المؤمن يرىٰ يقينه في عمله، والكافر يرىٰ إنكاره في عمله. فوالذي نفسي بيده ما عرفوا أمرهم، فاعتبروا إنكار الكافرين والمنافقين بأعمالهم الخبيثة.

وكيف كان فحقيقة التسليم له تعالىٰ لمّا كان، هو خلع الانية في التحقق، ومحق الذات عن التذوّت في قباله تعالىٰ عند ذكره تعالىٰ، وحيث إن العبد المسلّم (بالتشديد) الفاني عن نفسه عند توجهه إليه تعالىٰ، إنما يحصل له حالة الخلع والمحق المذكورين في محله، إذا ظهرت في قلبه أنوار عظمته وجلاله وجماله، فحينئذ لا محالة لا يبقىٰ له شيء من الآثار الخلقية، فيكون جميع ما يصدر من العبد حينئذ من المناجاة والدعاء والإجابات، والأمر والنهي والبعث، والمشي في جميع الأكوان الخلقية، والنزول إلى الرخص، وإلىٰ إصلاح أمر الخلق به تعالىٰ، أي يكون صدور جميع تلك الأمور به ومنه تعالىٰ.

فحينئذ يكون العبد الكذائي بجميع شؤونه من شؤونه تعالىٰ، فيكون إذن الله تعالىٰ وعينه ولسانه ويده وقلبه، وحكمه وعلمه، وأمره ومعانيه كلها وأبوابه

---

١ ـ الكافي ج ٢ ص ٤٥.

وبيوته، ومساجده إلىٰ غير ذلك مما نطقت به الأخبار وأثبتها لهم عليهم السلام هكذا، وهو تعالىٰ قد أقامهم عليهم السلام لنفسه هكذا، واصطفٰيهم لنفسه هكذا، ولم يبق لهم عليهم السلام في أفعالهم إلّا فعله تعالىٰ، وفي صفاتهم إلّا صفاته، وفي أسمائهم إلّا أسماؤه، ولا ريب في أن التسليم بهذا المعنىٰ إنما هو لهم عليهم السلام بما له من الآثار المذكورة، وحيث إنهم كاملون في التسليم، فلا محالة لهم تلك الآثار بكمالها وتمامها، وأما غيرهم فكل بحسب ما له من صفة التسليم وآثاره كما وكيفاً.

فمن هنا يعلم معنىٰ قوله عليه السلام: «وبأمره تعملون»، حيث أنه بعدما كانوا مسلمين له تعالىٰ بحقيقة التسليم فلا محالة يعملون بأمره وبإرادته لا بارادتهم، حيث علمت أنه ليس لهم أمر إلّا أمره، ولا إرادة إلّا إرادته، وفي هذه الجملة إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾[1] وقد تقدم شرحه.

وفي تفسير نور الثقلين[2] عن الاحتجاج للطبرسي رحمه الله عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل وفيه: «ألزمهم الحجة بأن خاطبهم خطاباً يدلّ علىٰ انفراده وتوحيده، وبأن لهم أولياء تجري أفعالهم وأحكامهم مجرىٰ فعله، فهم العباد المكرمون، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، قال السائل: من هؤلاء الحجج؟ قال: هم رسول الله صلى الله عليه وآله ومن حلّ محله أصفياء الله الذين قال: ﴿فأينما تولّوا فثمّ وجه الله﴾، الذين قرنهم الله بنفسه وبرسوله، وفرض على العباد من طاعتهم مثل الذي فرض عليهم منها لنفسه»، الحديث.

أقول: قوله عليه السلام: «تجري أفعالهم وأحكامهم مجرىٰ فعله»، صريح فيما ذكرناه في معنى التسليم، وإليه أيضاً يشير قوله عليه السلام في حديث الخرائج المتقدم بعد أن قال عليه السلام للخارجي: إخسأ: ولكنْ لله خزّان لا علىٰ ذهب ولا فضة، ولا إنكار علىٰ أسرار،

---

١ ـ الأنبياء: ٢٦ـ٢٧.

٢ ـ تفسير نور الثقلين ج٣ ص ٤٢١.

هذا تدبير الله أما تقرأ: **﴿بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾**[١].

فقوله: ولكن لله... الخ، إشارة إلىٰ مقامهم الإلهي الثابت لهم بالتسليم، وإلىٰ ما لهم من تلك الآثار الإلهية، ولهذا عبّر عليه السلام عن فعله بالنسبة إلى الخارجي بقوله عليه السلام: «هذا تدبير الله»، فكان فعله عليه السلام مصداقاً لتدبيره تعالىٰ، فافهم.

وكيف كان فهم عاملون بأمره ولا يسبقونه بالقول علىٰ حد قوله تعالىٰ: **﴿فلم تقتلوهم ولكنّ الله قتلهم﴾**[٢] وكونهم عاملين بأمره أيضاً علىٰ حدّ قوله تعالىٰ: **﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمىٰ﴾**[٣] فأبان الله تعالىٰ بهذين الآيتين وما أشبههما تفرّده بالصنع وحده لا شريك له، وقال تعالىٰ: **﴿ألا له الخلق والأمر﴾**[٤] ولا يتمّ هذا (أي التفرد بالصنع) مع ما يرىٰ من صدور الأفعال، وانتسابها إلى الأسباب الظاهرية والفاعلين من البشر، إلّا بأن يكون الفاعلون من البشر علىٰ حدّ ما وصفهم بقوله: **﴿لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾**[٥] الظاهر في كونهم فانين في قبضة قدرته تعالىٰ، بحيث تجري أفعالهم مجرىٰ أفعاله، كما صرّح به الحديث الآنف ذكره.

ومما ذكر يظهر صحة قوله تعالىٰ: **﴿قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات﴾**[٦] تحدياً للمشركين والكفار، بيانه: أنه تعالىٰ جعل فعل أوليائه فعله تعالىٰ بنحو ما تقدم ذكره، فهو تعالىٰ يعمل في الخلق بهم عليهم السلام بحيث يكون فعله فعلهم وبالعكس، وبهذه الجهة والمنزلة العظمىٰ تجري علىٰ أيديهم المعجزات فهم عليهم السلام يد الله وقدرته ومظاهره، والذي يدعي من

---

١ ـ الأنبياء : ٢٦ـ٢٧.

٢ ـ الأنفال : ١٧.

٣ ـ الأنفال : ١٧.

٤ ـ الأعراف : ٥٤.

٥ ـ الأنبياء : ٢٧.

٦ ـ الأحقاف : ٤.

دون الله تعالىٰ إن كان حقاً فلابد من أن تصدر علىٰ يديه المعجزات بنحو يعجز عنها الثقلان، وبنحو أيضاً تحكي عن أن أفعالهم أفعاله تعالىٰ لكونه معجزة.

فحينئذ يصحّ توبيخه تعالى المشركين وردّه إياهم بأن ما تدعون من دونه تعالىٰ، أروني ماذا خلقوا من الأرض من الأفعال الخارقة بنحو الاعجاز، ولو في الأرض والدنيا، وبهذا اللحاظ ذكر الأرض قبل السموات أم لهم شرك في السموات، كل ذلك إشارة وتلويح إلىٰ أن أولياءه عليهم السلام قد خلقوا من الأرض، كما ذكر عن عيسىٰ (علىٰ نبينا وآله وعليه السلام): **﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني﴾**[1] وكما ظهر من تلك المعجزات الكثيرة منهم عليهم السلام بل لهم شرك في السموات، أي يعملون فيها بإذنه تعالىٰ، فهم عليهم السلام عاملون فيها بإذنه تعالىٰ، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام ما مضمونه: أنه تعالىٰ أرىٰ موسىٰ عليه السلام ملكه في الملكوت حيث خرّ صعقاً، فراجع الحديث في تفسير البرهان في ذيل الآية المباركة.

وكيف كان فكل ما يعمله أولياؤه فهو حق، حيث إنه بإذنه تعالىٰ، وما يعمله غيرهم من الأباطيل فإنما هي إفك، فأفعالهم بل وما يعملون من المعجزات فكلها علىٰ ما كان يفعله عيسىٰ عليه السلام علىٰ ما حكاه الله تعالىٰ عنه، هذا وقد تقدم عنهم عليهم السلام: «اجعلوا لنا ربّا نؤوب إليه، وقولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا فقال السائل: نقول ما شئنا، فقال عليه السلام: وما عسىٰ أن تقولوا؟ والله ما خرج إليكم من علمنا إلّا ألف غير معطوفة»، وقد تقدم شرحه.

وأما قوله عليه السلام: «وإلىٰ سبيله ترشدون»، أي السبيل القويم والصراط المستقيم الذي مرّ بيانه، وبقوله تحكمون لا بالآراء والاستحسان والقياس كما هو دأب غيرهم.

وبعبارة أخرىٰ: ترشدون الخلق وتهدونهم إلى الطريق الحق، الذي لابد من التثبت عليه والتصلب فيه، وإلىٰ معرفته تعالىٰ وكيفية عبادته كما تقدم قوله عليه السلام: «لولانا ما عرف الله، لولانا ما عبد الله»، وتحكمون أيضاً بقوله تعالى المشار إليه

---

١ ـ المائدة: ١١٠.

بقوله تعالىٰ: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾[1].

ففي الكافي عن محمد بن سنان، وعن عبدالله سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام في هذه الآية: «لا والله ما فوض الله إلىٰ أحد من خلقه إلّا إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى الأئمة عليهم السلام يرشدون الناس إليه»، وإن كان المراد أنفسهم الشريفة؛ لما تقدم من أنهم السبيل إليه بل هم السبيل الأعظم، فحينئذ فما معنىٰ كونهم يرشدون الناس إلىٰ أنفسهم خاصة، فإنه مضافاً إلىٰ أنه لم يعهد منهم أنهم عليهم السلام أرشدوا الناس إلىٰ أنفسهم، إن الإرشاد إلىٰ أنفسهم خاصة سدّ منهم لباب التوحيد، وهو مناف لمقام ولايتهم وعبوديتهم وشأنهم كما لا يخفىٰ.

وكذا بعينه في قوله: «وبأمره تعملون»، باعتبار أن أمره تعالىٰ قد يطلق عليهم عليهم السلام وفي قوله: وبقوله تحكمون، فإنهم أيضاً قد أطلق أنهم قوله تعالىٰ

والجواب: إن أنفسهم الشريفة لها **اعتباران:**

الأول: اعتبار التشخيص، وأنهم مخلوقون مربوبون ولو بلحاظ علو مقامهم، ولا ريب في أنه لا معنىٰ لأنهم يرشدون الناس إلىٰ أنفسهم الشريفة بهذا الاعتبار.

والثاني: اعتبار أنهم سبيل الله من حيث قيامهم به تعالىٰ، وفناؤهم عن أنفسهم الشريفة البشرية، وأنهم مظاهره تعالىٰ، كما تقدم مراراً أنهم ليسوا إلّا مظاهر لجماله وجلاله ومعارفه تعالىٰ.

فبهذا الاعتبار لا يكون الإرشاد إلىٰ أنفسهم الشريفة إلّا إرشاداً إليه تعالىٰ حيث إنه سبيله حقاً فهم عليهم السلام بمثابة قوله: «من أحبّكم فقد أحبّ الله»، وقوله تعالىٰ ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾[2] كما لا يخفىٰ والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

---

١ ـ النساء: ١٠٥.

٢ ـ النساء: ٨٠.

قوله ﷺ: سعد من والاكم، وهلك من عاداكم، وخاب من جحدكم، وضلّ من فارقكم، وفاز من تمسّك بكم، وأمن من لجأ إليكم، وسلم من صدّقكم، وهدي من اعتصم بكم

أقول: السعادة ضد الشقاوه بمعنى الشدة والعسر، فمعناها هو الرخاء واليسر في شؤونه في الدارين الدنيا والآخرة.

وبعبارة أخرىٰ: هي الحيوٰة الطيبة فيهما كما أن قوله: «وهلك من عاداكم»، هو هلاك الدين، وهو من الشقاوه الحقيقية في الدارين وسيأتي تحقيقها قريباً.

وكيف كان فسعادة من والاهم في الدنيا يكون بأمور، منها: أنهم على الشريعة السمحة السهلة، وأنهم تكفّر عنهم عظائم الذنوب بقليل من البلايا من النقص في الأموال والأنفس والأمراض، وقد يكون البلاء لرفع الدرجة، والأخبار في هذا كثيرة جداً، ونحن نذكر بعضها مما فيه الكفاية.

في الشافي[1] عن الكافي، عن الصادق ﷺ: «أن المؤمن ليكرم على الله حتىٰ لو سأله الجنة بما فيها، أعطاه ذلك من غير أن ينقص من ملكه شيئاً، وإن الله ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء، كما يتعاهد الغائب أهله بالطرف، وأنه ليحميه الدنيا كما يحمى الطبيب المريض».

وفيه عنه ﷺ: «أنه ليكون للعبد منزلة عند الله فما ينالها إلّا باحدىٰ خصلتين: إما بذهاب ماله أو ببلية في جسده».

وفيه عنه، عن عبدالله بن أبي يعفور قال: شكوت إلىٰ أبي عبدالله ﷺ مما ألقىٰ من الأوجاع وكان مسقاماً، فقال لي: «ياعبدالله لو يعلم المؤمن ما له من الأجر في المصائب لتمنىٰ أنه قرض بالمقاريض».

وفيه عنه ﷺ سئل أيبتلى المؤمن بالجذام والبرص وأشباه هذا؟ قال: «وهل كتب البلاء إلّا على المؤمن».

---

١ ـ ما ذكرناه يكون عن الشافي للفيض ﵀.

وفيه عنه، عن الصادق عليه السلام: أن في كتاب علي عليه السلام: «إنّ أشد الناس بلاء النبيون ثم الوصيون، ثم الأمثل فالأمثل، وإنما يبتلى المؤمن على قدر أعماله الحسنة، فمن صحّ دينه وحسن عمله اشتد بلاؤه وذلك أن الله تعالىٰ لم يجعل الدنيا ثواباً لمؤمن، ولا عقوبة لكافر، ومن سخف دينه وضعف عمله قل بلاؤه، وإن البلاء أسرع إلى المؤمن التقي من المطر إلىٰ قرار الأرض».

وفيه عنه، عن الباقر عليه السلام: «إن الله تعالىٰ إذا أحبّ عبداً غتّه بالبلاء غتّاً، وثجّه بالبلاء ثجّاً، فإذا دعاه قال: لبيك عبدي لئن عجلت لك ما سألت إني علىٰ ذلك لقادر، ولئن ادّخرت لك فما ادخرت لك خير لك».

أقول: الغتّ الغمس، والثجّ الصبّ.

وفيه عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله: «لا حاجة لله فيمن ليس له في ماله وبدنه نصيب، أي ما يأخذه ليبلوه فيهما».

وفيه عنه، عن الصادق عليه السلام: «إن المؤمن ليهول عليه في نومه، فتغفر له ذنوبه، وإنه ليمتحن في بدنه فيغفر له ذنوبه».

وفيه عنه عليه السلام: «إذا أراد الله بعبد خيراً عجل عقوبته في الدنيا، وإذا أراد بعبد سوءاً أمسك عليه ذنوبه حتىٰ يوافىٰ بها يوم القيمة».

وفيه عنه، عن الصادق عليه السلام: «إن العبد إذا كثرت ذنوبه، ولم يكن عنده من العمل ما يكفّرها ابتلاه بالحزن ليكفّرها».

وفيه عن كتاب التمحيص، عن جابر: إن علي بن الحسين عليه السلام إذا كان رأى المريض قد برأ قال له: «يهنئك الطهور من الذنوب».

وفي المحكي عن الكاظم عليه السلام: «من عاش في الدنيا عيشاً هنيئاً فليتهم في دينه، فإن البلاء أسرع إلى المؤمن من اللمح بالبصر».

وعن الباقر عليه السلام: «طينة المؤمن من كل شيء إلّا الكذب والخيانة».

وعنه صلى الله عليه وآله: «إن ولي علي عليه السلام لن تزول له قدم حتىٰ تثبت له أُخرىٰ».

وعن سعدان بن مسلم، عن الصادق عليه السلام: «المؤمن مبتلىٰ طوبىٰ للمؤمن إذا صبر على البلاء وسلّم لله القضاء، قلت: جعلت فداك من المؤمن الممتحن؟ قال الذي امتحن بوليه وعدوّه، إذا مرّ باخوانه اغتابوه، وإذا مرّ بأعدائه لعنوه، فصبر علىٰ تلك المحنة كان مؤمناً ممتحناً».

وعن كتاب التمحيص، عن يونس بن يعقوب قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «ملعون كل بدن لا يصاب في كل أربعين يوماً، قلت: ملعون؟ قال: ملعون، قلت: ملعون؟ قال: ملعون، فلما رآني قد عظم ذلك عليّ قال: يا يونس إن من البلية الخدشة واللطمة والعثرة، والنكبة والهفوة، وانقطاع الشسع، واختلاج العين، وأشباه ذلك، إن المؤمن أكرم على الله من أن يمرّ عليه أربعون يوماً لا يمحصه فيها من ذنوبه ولو بغم يصيبه ما يدري ما وجهه، إن أحدكم ليضع الدراهم بين يديه فيزنها فيجدها ناقصة فيغم بذلك، ثم يعيد وزنها فيجدها سواء، فيكون ذلك حطّاً لبعض ذنوبه».

وعن كتاب مسكن الفؤاد للشهيد الثاني رحمه الله روي أن أسماء بنت عميس (رضوان الله عليها) لما جاءها خبر ولدها محمد بن أبي بكر أنه قتل وأُحرق بالنار في جيفة حمار، قامت إلىٰ مسجدها، فجلست فيه، وكظمت غيضها حتىٰ شخبت يداها دماً.

وفيه أيضاً عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «دعي النبي صلى الله عليه وآله إلىٰ طعام، فلما دخل إلىٰ منزل الرجل، نظر إلىٰ دجاجة فوق حائط قد باضت، فتقع البيضة علىٰ وتد في حائط فتثبت عليه ولم تسقط ولم تنكسر، فعجب النبي صلى الله عليه وآله فقال له الرجل: أعجبت من هذه البيضة؟ فوالذي بعثك بالحق نبياً ما رزيت شيئاً قط، فنهض رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يأكل من طعام الرجل شيئاً، وقال صلى الله عليه وآله: من لم يرزأ فما لله فيه من حاجة».

أقول: فهذه البلايا تكون من الله تعالىٰ للمؤمن؛ ليصلح بها حاله، ويدفع بها ما هو أعظم منها من عذاب الآخرة أو الدنيا مع ما فيها من الأجر العظيم، حيث إنها (أي البلايا) تكون من أعظم نعم الله تعالىٰ عليه، فيجب شكرها ولو أن الله تعالىٰ أعطى الرخاء لعبده بعد هذه البلايا، فهو عنده محمود جداً؛ لأنه حينئذ ترويح له وتفريج وتذكير له ليرجو في الشدة الرخاء، ثم أنه تعالىٰ لا يديم له الرخاء؛ لئلا يركن إلى الدنيا ودار الفناء، وهذا بخلاف ما إذا لم يبتله بالبلاء، فإن النعم إذا كانت من دون البلاء وغير مسبوقة بها، فلم تعظم في عين العبد ولم يشكرها بل ربما كفر بها كما ربما نرىٰ ذلك في بعض المترفين.

وكيف كان فالبلايا **قسمان**:

قسم منها يكون في الدين، وهذه البلايا مما أعاذ الله منها أولياءه من أن يبتليهم بها، كما صرحت به الأدعية والأخبار.

وقسم منها بلاء حسن، والبلايا الجميلة فإنها ترد علىٰ محبي أمير المؤمنين عليه السلام هدية من الله تعالىٰ إما لرفع الدرجة، فإن عند الله مقامات لأوليائه شريفة جداً، لا تنال إلّا بالمحن واحتمال البلايا في هذه الدنيا، وإما لتكون كفارة لذنوبه، وإما لتدفع بلايا أعظم منها، كما صرحت به الأحاديث المتقدمة، وإليه الاشارة في قوله تعالىٰ: ﴿وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً﴾[1] والمؤمنون قد جعل الله لهم بدناً على البلاء صابراً، وبالله وبقضائه راضياً، فلا يشكون البلوىٰ، فيبدل الله تعالىٰ لحمهم غير لحمه، ودمهم غير دمه، وبشرة غير بشرته، أي تكون هذه مما لم تعص الله فيه، بل يكون طاهراً طيباً كما ورد في الأخبار.

أقول: وقد ذكر بعضهم أموراً كثيرة لبيان السعادة الدنيوية لمن والاهم عليهم السلام ونحن نذكرها مختصراً لما فيها من المنافع والتنبيه قال:

---

١ ـ الأنفال : ١٧.

ومنها: أن المحب والموالي لهم يوفق للصواب في اعتقاداته وعلومه، وأفعاله وأقواله وأعماله، وهذا بخلاف غيرهم كما نرىٰ ذلك منهم.

ومنها: أن يجعل الله لهم قلباً ذاكراً ومتوجهاً إليه تعالىٰ، فيتلقىٰ من ملائكة الرحمن الإلهامات، والأفكار الصائبة الربوبية، فبها يعرف آيات الله تعالىٰ الآفاقية والأنفسية، ويعرفها حق معرفتها، وبهذه الجهة يخلص لله الوحدانية في جميع أفعاله وحاله وشؤونه، فيكون مصداقاً لقوله تعالىٰ: ﴿**ومن يؤت الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً**﴾[1] وهذا بخلاف غيرهم من المخالفين، فإنهم لتركهم الولاية قد أعمى الله قلوبهم، فهم لا يفقهون، بل هم مصداق لقوله تعالىٰ: ﴿**ولقد ذرأنا لجهنم**﴾[2] الآية.

ومنها: أن يرزقه الله زوجة صالحة تسرّه إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها.

ومنها: أن يبصره الله عيوب نفسه، فيشتغل بإصلاحها، وينصرف عن عيوب غيره، فيكون لما يرىٰ من عيوبه ماقتاً لنفسه، ويرىٰ نفسه مقصراً في طاعة ربّه، ومستح منه تعالىٰ، وخائف منه تعالىٰ غير آمن العقوبة، مع أنه راج منه تعالى المثوبة والمغفرة، وهذه أحوال العباد والمؤمنين العارفين، وقد رزقها الله تعالىٰ لمحب علي عليه السلام.

ومنها: أن يظهر الله تعالىٰ أعماله الصالحة للعباد، ليكون محبوباً عند القلوب، فمن رآه يستحسنه من عدو وصديق، ويرىٰ أنه عند الله تعالىٰ قد عامل الله بالعبودية له تعالىٰ وعامله الله تعالىٰ بالكرامة.

ومنها: أنه تعالىٰ يرزقه الحيوٰة الطيبة المشار إليها بقوله: ﴿**فلنحيينه حيٰوة طيبة**﴾[3]، المفسرة تارة بالقنوع كما عن القمي، وبالقناعة كما روي هذا عن علي عليه السلام أو مع القناعة كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله.

---

١ ـ البقرة: ٢٦٩.

٢ ـ الأعراف: ١٧٩.

٣ ـ النحل: ٩٧.

ومنها: أنه تعالىٰ يقبض روحه باختياره ورضاه؛ ليكون محباً للقاء الله تعالىٰ؛ لأن من كره لقاء الله كره لقاءه وملاقاته تعالىٰ مع الكراهة عذاب أليم للروح، وقد عصمه الله من ذلك، ويدل علىٰ هذا أخبار كثيرة نذكر بعضها.

ففي محاسن البرقي[1] عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «قال الله تبارك وتعالىٰ: ما ترددت عن شيء أنا فاعله كترددي عن المؤمن، فإني أحبّ لقاءه ويكره الموت، فازويه عنه، ولو لم يكن في الأرض إلّا مؤمن واحد لاكتفيت به عن جميع خلقي، ولجعلت له من إيمانه أنساً لا يحتاج معه إلىٰ أحد».

وفي فضائل الشيعة للصدوق رحمه الله الحديث الرابع والعشرون وبهذا الاسناد عن سدير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك يابن رسول الله، هل يكره المؤمن علىٰ قبض روحه؟ قال: «لا، إذا أتاه ملك الموت ليقبض روحه جزع عند ذلك، فيقول له ملك الموت: ياولي الله لا تجزع فوالذي بعث محمداً بالحق؛ لأنا أبـرّ بك، وأشفق عليك من الوالد الرحيم لولده حين حضره افتح عينيك وانظر قال: ويمثل له رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام هم رفقاؤك.

قال: فيفتح عينيه وينظر، وتنادىٰ روحه من قبل العرش: ياأيتها النفس المطمئنّة ارجعي إلىٰ محمد وأهل بيته وادخلي جنتي، قال: فما من شيء أحبّ إليه من انسلال روحه واللحوق بالمنادي».

وفي قرة العيون[2] للمحقق الكاشاني عن الكافي بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إن العبد إذا كان في آخر يوم من أيام الدنيا، وأول من يوم من أيام الآخرة، مثل له ماله وولده وعمله، فيلتفت إلىٰ ماله فيقول: والله إني كنت عليك حريصاً شحيحاً، فمالي عندك؟ فيقول: خذ مني كفنك، قال: فيلتفت إلىٰ ولده فيقول: والله إني كنت لكم محباً، وإني كنت عليكم محامياً، فمالي عندكم؟ فيقول: نـوديك إلىٰ حفرتك

---

١ ـ محاسن البرقي ص١٥٩.

٢ ـ قرة العيون ص٤٥٦.

فنواريك فيها، قال: فيلتفت إلىٰ عمله فيقول: والله إني كنت فيك لزاهداً، وإن كنت عليّ لثقيلاً، فمالي عندك؟ فيقول: أنا قرينك في قبرك ويوم نشرك حتىٰ اعرض أنا وأنت علىٰ ربك.

قال: فإن كان لله وليّاً أتاه أطيب ريحاً وأحسنهم (أحبهم خ ل) منظراً وأحسنهم رناشاً[١]، فقال: أبشر بروح وريحان وجنة نعيم، ومقدمك خير مقدم، فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح ارتحل من الدنيا إلى الجنة، وإنه ليعرف غاسله، ويناشد حامله أن يعجله، فإذا اُدخل قبره أتاه ملكا القبر كالبرق الخاطف فيقولان له: من ربّك وما دينك ومن نبيّك؟ فيقول: الله ربّي، وديني الاسلام، ونبيّي محمد صلى الله عليه وآله.

فيقولان له: ثبتك الله فيما يحبّ ويرضىٰ، وهو قول الله تعالىٰ: ﴿**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة**﴾[٢] ثم يفسحان له في قبره مدّ بصره، ثم يفتحان له باباً إلى الجنة، ثم يقولان له: نم قرير العين نوم الشاب الناعم، فإن الله تعالىٰ يقول: ﴿**أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً**﴾.

قال: وإذا كان لربّه عدوّاً، فإنه يأتيه أقبح من خلق الله زيّاً وريّاً، وأنتنه ريحاً فيقول: أبشر بنزل من حميم، وتصلية جحيم، وأنه ليعرف غاسله ويناشد حملته أن يحبسوه فإذا أدخل القبر أتاه ممتحنا القبر فالقيا عنه أكفانه، ثم يقولان له: من ربّك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري، فيقولان: لا دريت ولا هديت، فيضربان يافوخه بمزربة معهما ضربة، فما خلق الله تعالىٰ من دابة إلّا ويذعر لها ما خلا الثقلين، ثم يفتحان له باباً إلى النار، ثم يقولان له: نم بشرّ حال فيه من الضيق مثل ما فيه القنا من الزجّ، حتىٰ إن دماغه ليخرج من ضفره ولحمه، ويسلط الله عليه حيّات الأرض وعقاربها وهوامها، فتنهشه، حتىٰ يبعثه الله من قبره، وإنه ليتمنىٰ قيام

---

١ ـ الرناش ما ظهر من اللباس الفاخر.

٢ ـ ابراهيم : ٢٧.

الساعة مما هو فيه من الشر».

وفي كثير من الأخبار: أنه يسأل عن إمامه.

وعنه عليه السلام: «والله لا يبغضني عبد أبداً فيموت إلّا رآني عند موته حيث يكره، ولا يحبّني عبد أبداً فيموت علىٰ حبّي إلّا رآني عند موته حيث يحبّ».

وفي رواية عن الباقر عليه السلام: «ورسول الله صلى الله عليه وآله باليمين».

وعن الصادق عليه السلام في الميت: «تدمع عيناه عند الموت، قال: ذاك عند معاينة رسول الله فيرىٰ ما يسره، ثم قال: أما ترى الرجل يرىٰ ما يسّره وما يحبّه فتدمع عينه لذلك ويضحك».

وفي خبر آخر: فيقول له رسول الله صلى الله عليه وآله: «أما ما كنت ترجو فهو ذا أمامك، وأما ما كنت تخاف فقد أمنت منه».

وفي محاسن البرقي[1] عنه، عن ابن فضال، عن علي بن عقبة، عن عقبة بن خالد قال: دخلنا علىٰ أبي عبدالله عليه السلام أنا ومعلىٰ بن خنيس فقال: «ياعقبة لا يقبل الله عن العباد يوم القيمة إلّا هذا الذي أنتم عليه وما، بين أحدكم وبين أن يرىٰ ما تقرّ به عينه إلّا أن تبلغ نفسه هذه، وأومأ بيده إلى الوريد، قال: ثم اتّكأ وغمز إلى المعلّىٰ أن سله فقلت: يابن رسول الله إذا بلغت نفسه هذه فأيّ شيء يرىٰ؟ فردد عليه بضع عشرة مرّةً (أي شيء يرىٰ) فقال في كلها: يرىٰ، لا يزيد عليها، ثم جلس في آخرها فقال: ياعقبة، قلت: لبيك وسعديك.

فقال: أبيت إلّا أن تعلم؟ فقلت: نعم يابن رسول الله إنما ديني مع دمي، فإذا ذهب دمي كان ذلك، وكيف بك يابن رسول الله كل ساعة وبكيت، فرق لي فقال: يراهما والله، قلت: بأبي أنت وأُمي من هما؟ فقال: ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام ياعقبة لن تموت نفس مؤمنة أبداً حتىٰ تراهما، قلت: فإذا نظر اليهما المؤمن أيرجع إلى الدنيا؟ قال: لا، بل يمضي أمامه، فقلت له: يقولان شيئاً جعلت فداك؟ فقال: نعم

---

١ ـ محاسن البرقي ص ١٧٥ تحت رقم ١٠٨.

يدخلان جميعاً على المؤمن، فيجلس رسول الله ﷺ عند رأسه وعلي عليه السلام عند رجليه فيكبّ عليه رسول الله ﷺ فيقول: ياولي الله أبشر أنا رسول الله، إني خير لك مما تترك من الدنيا، ثم ينهض رسول الله ﷺ فيقدم عليه علي (صلوات الله عليه) حتىٰ يكبّ عليه فيقول: ياولي الله أبشر أنا علي بن أبي طالب الذي كنت تحبّني أما لأنفعنّك، ثم قال أبو عبدالله عليه السلام: أما إن هذا في كتاب الله عزّوجل، قلت: أين هذا جعلت فداك من كتاب الله؟ قال: في سورة يونس قول الله تبارك وتعالىٰ هاهنا: **﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرىٰ في الحيوٰة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾**[1]».

أقول: ونظير هذه الأحاديث كثيرة جداً، فيظهر منها أنه تعالىٰ قد خصّ شيعة علي وعباده الصالحين بالسعادة الدنيوية والأُخروية، بما ذكروا بأنه تعالىٰ لا يقبض روحه إلّا برضاه؛ لتكون باختياره محبّاً للقاء الله تعالىٰ؛ لأن من كره لقاء الله، كره الله لقاءَه وإنما يفعل الله تعالىٰ به ذلك (أي يقبض روحه) برضاه مع حبّه للقاء الله تعالىٰ لما ثبت في محله: أن الروح في حال النزع إن كانت مع حبّها له تعالىٰ كانت في نعيم مقيم وسرور وبهجة إلىٰ أن يدخل الجنة، وإن كانت مع كراهتها له تعالىٰ كانت في عذاب وشدة وضيق، كما علمته من بيان موت عدوّ الله تعالىٰ.

ولعمري إن هذه السعادة هي السعادة المنجية، التي لا يعدلها شيء، حيث يحضر عنده رسول الله ﷺ والأئمة عليهم السلام وأمير المؤمنين (روحي له الفداء) ويبشرونه بما سمعت، وهذه السعادة إنما هي لمن والاهم وآمن بسرّهم وعلانيتهم وأحبّهم، وأقرّ بفضلهم ومقامهم الذي رتبهم الله فيه، وجحد أعداءَهم وما يدعون لهم من المقام، وأبغضهم كما لا يخفىٰ، فالمقرون بولايتهم التشريعية والتكوينية التي مرّ مراراً بيانها له هذه السعادة الأبدية.

وأما قوله عليه السلام: «وهلك من عاداكم»، أي بالخلود في النار وبئس المصير، فكل

---

١ ـ يونس: ٦٣ـ٦٤.

ما كان من السعادة لمن والاهم يكون ضدّه لمن عاداهم من الشقاوة حرفاً بحرف، وتقدم ما لأعدائهم من العذاب، كما في الحديث المروي في الكافي عن أمير المؤمنين عليه السلام مضافاً إلىٰ أنه ورد في قوله تعالىٰ: ﴿**وقدمنا إلىٰ ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً**﴾[1].

في الكافي عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية، فقال: «إن كانت أعمالهم لأشدّ بياضاً من القباطي، فيقول الله عزوجل لها: ﴿**كوني هباءً منثوراً**﴾ وذلك أنهم كانوا إذا شرع لهم الحرام أخذوه». وفي رواية لم يدعوه.

وفي المحكي عن البصائر، عن الصادق عليه السلام أنه سئل أعمال من هذه؟ قال: «أعمال مبغضينا ومبغضي شيعتنا».

وعن القمي، عن الباقر عليه السلام قال: «يبعث الله يوم القيمة قوماً بين أيديهم نور كالقباطي، ثم يقال له: كن هباءً منثوراً، ثم قال: أما والله إنهم كانوا يصومون ويصلون، ولكن كانوا إذا عرض لهم شيء من الحرام أخذوه، وإذا ذكر لهم شيء من فضل أمير المؤمنين عليه السلام أنكروه. والهباء المنثور هو الذي تراه يدخل البيت من الكوه من شعاع الشمس».

وقوله عليه السلام: «وخاب من جحدكم»، أي لم ينل ما طلبه من الثواب وحسن العاقبة، بل خسر وهلك من أجل جحوده ولايتهم وإمامتهم، فهو خسر في الدنيا والآخرة وفي البرزخ، أما في الدنيا فلما ورد علىٰ قلوبهم من رين المعصية والطبع القلبي حتىٰ لم يوفّقوا إلى الحق لا في الاعتقاد، ولا في الأعمال، ولا في طهارة مولد، ولا برزق حلال، بل ورد عليهم في جميع ذلك ظلمات الباطل والشكوك، كل ذلك لجحودهم ولاية محمد وآله (صلوات الله عليهم أجمعين) ولاطاعتهم للطاغوت ومواليهم أئمة الكفر.

---

١ ـ الفرقان : ٢٣.

فالشيطان وليهم في الدينا والآخرة، يخرجهم من النور الذي أتت به الأنبياء، وأتىٰ به القرآن، وبيّنه الأئمة عليهم السلام من الدعوة إلىٰ قبول الولاية إلى الظلمات، التي هي ولاية أعدائهم كل ذلك لأجل جحودهم الولاية بعد ظهور الآيات القاطعات الظاهرات ببيان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بنحو حصل لهم اليقين بالحق، وبلزوم قبول ولاية الأئمة عليهم السلام وإليه يشير قوله تعالىٰ: **﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾**[1]، والأحاديث الدالة علىٰ ما ذكرنا كثيرة جداً، ونحن نذكر بعضها لمن أراد التبصر.

في ثواب الأعمال وعقاب الأعمال[2] عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لو أن كل ملك خلقه الله عزوجل، وكل نبي بعثه الله، وكل صديق، وكل شهيد شفعوا في ناصب لنا أهل البيت أن يخرجه الله عزوجل من النار ما أخرجه الله أبداً، والله عزوجل يقول في كتابه: **﴿ماكثين فيه أبداً﴾**[3]».

أقول: الآية واردة لخلود أهل الجنة والاستشهاد به إما بلحاظ المعنىٰ أو أنها قريبة المضمون لقوله تعالىٰ حكاية عن مالك جهنم: إنكم ماكثون، أو أنه اشتبه الراوي في النقل لاقتراب اللفظين في الاثنين وهو الأظهر.

وفيه[4] بإسناده عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الجنة تشتاق لاحباء علي عليه السلام يشتد ضوؤها لاحباء علي عليه السلام وهم في الدنيا قبل أن يدخلوها، وإن النار لتغيظ ويشتد زفيرها علىٰ أعداء علي عليه السلام وهم في الدنيا قبل أن يدخلوها».

وفيه[5] بإسناده عن محمد بن جعفر، عن أبيه عليه السلام قال: «نزل جبرئيل عليه السلام على

---

١ ـ النمل : ١٤.
٢ ـ ثواب الأعمال.. ص٢٤٧.
٣ ـ الكهف : ٣.
٤ ـ ثواب الأعمال.. ص٢٤٧.
٥ ـ ثواب الأعمال.. ص٢٥٠.

النبي ﷺ فقال: يامحمد السلام يقرئك السلام، ويقول: خلقت السموات السبع وما فيهن والأرضين السبع وما عليهن، وما خلقت موضعاً أعظم من الركن والمقام، ولو أن عبداً دعاني منذ خلقت السموات والأرضين، ثم لقيني جاحداً (لك و) لولاية علي لأكببته في سقر».

فعلم من هذه الأحاديث ونحوها هلاكهم في الآخرة، وأما هلاكهم في البرزخ فلما علمت من حديث أمير المؤمنين عليه السلام في حال قبض روح الأعداء.

وأما قوله عليه السلام: «وضلّ من فارقكم».

أقول: ضل أي تاه وضاع وبطل، والضلالة هو ضد الرشاد، فصاحبها لا يهتدي إلىٰ شيء من الحق لما فارق الأئمة؛ وذلك لأن الحق بتمامه وكماله ومراتبه فيهم ومنهم وإليهم، وهم أهله ومعدنه، كما سيجيء في شرح قوله عليه السلام: «إن ذكر الخير..الخ»، فالمفارق لهم كالمتحير لا يدري أين يذهب في طريق الحق وتكون أعمالهم أيضاً هباءً منثوراً كما تقدمت الأحاديث الدالة عليه.

وكيف كان فمن فارقهم فقد هلك هلاك الشقاء أبد الآبدين، ولا يكاد يرى السعادة، لأنه فقد كل خير بتركه لولاية محمد وآله الطاهرين.

وقد يقال: معنىٰ ضلّ من فارقكم بتركه متابعتهم، هو بيان حال المستضعفين المفارقين لهم من دون نصب وعناد، فإنهم الضّالون ولله فيهم المشية إن يشأ يعذبهم وإن يشأ يعف عنهم كما ورد عنهم.

أقول: الظاهر يعمّ هذا: ومن فارقهم من عناد بعد ثبوت الحجة عليه كما لا يخفىٰ.

وأما قوله عليه السلام: «فاز من تمسك بكم».

أي فاز فوزاً عظيماً، ونال ما أراد من النعيم المقيم بتمسكه واعتصامه بهم عليهم السلام وقد مضىٰ في شرح قوله عليه السلام: «من اعتصم بكم فقد اعتصم بالله».

ثم إن الفوز أي النجاة من النار ومن غضب الجبار، والظفر بالخير والسعادة

الأبدية، إنما هو بالتمسك بهم أي بأن يعتقد بولايتهم الخاصة، التي هي التولي بهم، والتبري من أعدائهم، وهي الراجعة إلىٰ معرفة الله سبحانه، ومعرفة أوليائه وأنبيائه، والإيمان بسرهم وعلانيتهم، وما بيّنوه من صفة التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد، والصلوة والزكوة والحج والصوم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجميع التكاليف الشرعية والآداب الإلهية.

فمن تمسك بهذه الأُمور كلها من حيث العقائد والأعمال، فقد فاز بجميع شؤون الخير والسعادة، ومن قصّر فيما يرجع إلى الأعمال بعدما اعتقد بما يرجع منها إلى العقائد والضروريات، فهو من العصاة الذي يرجىٰ في حقه التوبة والشفاعة، وهو مع هذا في خطر عظيم، إذ ربما يؤدي في المعاصي إلىٰ إنكار ولايتهم عليهم السلام والعياذ بالله منه.

وأما قوله عليه السلام: «وأمن من لجأ إليكم».

أقول: لجأ إلى الحصن، لجأ بالتحريك مع الهمزة من بابي نفع وتعب، والتجأ إليه أي اعتصم، فالحصن ملجأ (بفتح الجيم).

ويقال: الجأت ظهري إليك أي اعتمدت في أموري إليك، كما يعتمد الانسان بظهره إلىٰ ما يستند إليه.

والأمن هو الأمان، والأمنة مصدر آمنت، والامنة الذي يثق بكل شيء، وأمن يأمن (بفتح العين) أمناً وآمناً وأماناً وأمنة، اطمأن فهو آمن وأمين وأمن وأمن الاسد سلم أي منه، والأمان الطمأنينة والعهد والحماية والذمة، وأمن يأمن (بكسر العين) أمناً وثق به وأركن إليه.

وحينئذ فمعناه من اعتمد من أموره، أي أمور دينه كله إليكم، واعتصم بكم فيها فهو أمن، أي دخل في وثاقكم وعهدكم وحمايتكم وذمتكم واطمأن بكم، وسلم مما يكرهه من المعاصي، ومن ضررها وعقوباتها ومن الخطإ في الاعتقادات والجهل والضلالة، فيها ومن تسلط الشيطان عليه في أن يسلبه الايمان والتوحيد

والولاية.

في تفسير نور الثقلين[١] عن روضة الكافي، عن زيد الشحّام قال: دخل قتادة ابن دعامة البصري علىٰ أبي جعفر عليه السلام وساق الحديث.. إلىٰ أن قال عليه السلام «ويحك ياقتادة ذلك من خرج من بيته بزاد وراحلة وكراء حلال يروم هذا البيت عارفاً بحقّنا فهو يهوانا قلبه، قال الله عزوجل: ﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم﴾[٢] ولم يعن البيت فيقول: إليه، فنحن والله دعوة إبراهيم (صلى الله عليه) من هوانا قلبه قبلت حجّته وإلّا فلا، ياقتادة فإذاكان كذلك كان آمناً من عذاب جهنم يوم القيمة، قال قتادة: لا جرم والله لا فسّرتها إلّا هكذا، فقال أبو جعفر عليه السلام: ويحك ياقتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به».

ومن المعلوم أن من لجأ إليهم بأن عرف حقّهم وهواهم بقلبه، فهو لا محالة أمن من عذاب جهنم يوم القيمة، ولا ريب أيضاً، أن ولايتهم عليهم السلام موجبة للأمن من المعاصي الكبيرة من مثل الشرك والضلالة، والخروج من الدين، بل لو كانت بتمامها موجودة في أحد لآمنته من جميع المعاصي كما لا يخفىٰ، ومنه يظهر آمنهم من الضلالة في الاعتقادات علىٰ أن الظاهر منه أن الملتجأ إليهم أمن من العذاب وسوء العاقبة، وذلك بتوفيق منه تعالىٰ له للتوبة، والخروج عما ليس فيه رضاه تعالىٰ.

وأما قوله عليه السلام: «وسلم مَن صدّقكم».

أي وسلم من العذاب والهلكة من صدّقكم في إمامتكم وسائر شؤونكم، وببيان آخر: من صدقكم: بأن آمن وقبل ولايتهم الحقيقية واعتقد بولايتهم التكوينية والتشريعية التي هي منصب إلهي تال لمنصب الرسالة الإلهية، بأن عقد قلبه وفؤاده بالمعرفة بها، وحسن اعتقاده بها، وثبت عليها قلباً، وأقرّ بها لساناً، وقام عملاً بما تقتضيه من الإتيان بجميع ما أمر الله به، وترك جميع ما نهاه عنه.

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٤ ص٣٢٩.

٢ ـ ابراهيم : ٣٧.

فقوله: وسلم من صدقكم، يساوق قوله: «سعد من والاكم»، أي صدق بولايتكم.

ولعله إليه يشير ما في المحكي عن تفسير العياشي، عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: أصلحك الله أي شيء إذا عملته استكملت حقيقة الإيمان؟ قال: «توالي أولياءَ الله محمداً وعلياً وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسن ثم انتهى الأمر إلينا، ثم ابني جعفر وأومأ إلىٰ جعفر وهو جالس، فمن والىٰ هؤلاء فقد والىٰ أولياء الله، وكان مع الصادقين كما أمره الله» الحديث.

ومعنىٰ سلم أي سلم في دينه من جميع المضار والمكاره الدنيوية والأُخروية ومن العذاب الأخروي وكان من الآمنين يوم القيمة.

وأما قوله عليه السلام: «وهدي من اعتصم بكم»، أي إلىٰ طريق النجاة، ولعله إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿واعتصموا بحبل الله﴾[1]، وقد ورد أن المراد بالحبل الأئمة عليهم السلام فمن اعتصم بهم، فقد اعتصم بحبل الله، وهدي إلى الهداية الإلهية، وإلىٰ كل خير في الدنيا والآخرة.

ثم إن حقيقة الهداية عامة شاملة لجميع مصاديقها من الوصول إلىٰ أقصى الغايات، التي هي معرفته تبارك وتعالىٰ، وهذه تترتب علىٰ كمية الاعتصام وكيفيتها، فمن كان اعتصامه بهم عليهم السلام أشدّ وأقوىٰ، كانت هدايته أحسن وأبلغ إلىٰ جميع مراتبها، رزقنا الله تعالىٰ حقيقة الاعتصام بهم بمحمد وآله الطاهرين.

قوله عليه السلام: من اتّبعكم فالجنة مأواه، ومن خالفكم فالنار مثواه

أقول: المأوى: المنزل. والمثوىٰ (بالفتح): المنزل من ثوىٰ بالمكان يثوىٰ ثواء (بالمد) إذا قام فيه.

أقول: كون متابعتهم عليهم السلام سبباً لدخول الجنة، ومخالفتهم سبباً لدخول النار، مما

---

١ ـ آل عمران: ١٠٣.

قد أجمعت عليه الأخبار من الطرفين بحد لا يكاد يحصىٰ، ونحن نذكر بعضها، وإن كان قد تقدم كثير منها، ثم نُشير إلىٰ سرّ هذا الأمر، فنقول:

ففي الشافي عن الكافي، عن النبي ﷺ: «من سرّه أن يحيىٰ حيوتي ويموت ميتتي،ويدخل الجنة التي وعدنيها ربي، ويتمسك بقضيب غرسه ربي بيده، فليتول علي بن أبي طالب، وأوصياءَه من بعده، فإنهم لا يدخلونكم في باب ضلال، ولا يخرجونكم من باب هدىٰ، فلا تعلموهم فإنهم أعلم منكم، وإني سألت ربي أن لا يفرق بينهم وبين الكتاب حتىٰ يردا عليّ الحوض هكذا وضمّ بين اصبعيه، وعرضه ما بين صنعاء إلىٰ ايلة فيه قدحان فضة وذهب عدد النجوم».

وفي ثواب الأعمال وعقاب الأعمال[1] للصدوق ﵀ بإسناده عن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبدالله ﷺ: «كل ناصب وإن تعبّد واجتهد يصير إلىٰ هذه الآية: ﴿عاملة ناصبة * تصلىٰ ناراً حامية﴾[2]».

وفيه[3] بإسناده عن حنان بن سدير، عن أبيه قال: سمعت أبا جعفر ﵇ يقول: «إن عدوّ علي ﵇ لا يخرج من الدنيا حتىٰ يجرع جرعة من الحميم، وقال: سواء علىٰ من خالف هذا الأمر صلّىٰ أم زنا».

وفي حديث آخر قال الصادق ﵇: «الناصب لنا أهل البيت لا يبالي صام أم صلّىٰ، زنا أم سرق، أنه في النار أنه في النار».

وفي المحكي عن أبي الحسن محمد بن أحمد بن علي بن الحسين بن شاذان في مناقبه من طرق العامة أن أمير المؤمنين ﵇ قال: قال رسول الله ﷺ: «ياعلي أنت أمير المؤمنين وإمام المتقين، ياعلي أنت سيد الوصيين، ووارث علم النبيين، وخير الصديقين، وأفضل السابقين، ياعلي أنت زوج سيدة نساء العالمين، وخليفة خير

---

١ ـ ثواب الأعمال.. ص٢٤٧.

٢ ـ الغاشية : ٣ـ٤.

٣ ـ ثواب الأعمال.. ص ٢٥٠.

المرسلين، ياعلي أنت مولى المؤمنين، ياعلي أنت الحجة بعدي على الناس أجمعين، استوجب الجنة من تولاك، واستحق دخول النار من عاداك.

ياعلي والذي بعثني بالحق بالنبوة واصطفاني علىٰ جميع البرية، لو أن عبداً عبد الله ألف عام، ما قبل الله ذلك منه إلّا بولايتك، وولاية الأئمة من ولدك، وإن ولايتك لا يقبلها الله إلّا بالبراءة من أعدائك وأعداء الأئمة من ولدك، بذلك أخبرني جبرئيل عليه السلام فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر».

وفي كتاب طوالع الأنوار عن مناقب ابن شاذان، عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إذا كان يوم القيمة أمر الله ملكين يقعدان على الصراط، فلا يجوز أحد إلّا ببراءة علي بن أبي طالب عليه السلام ومن لم يكن له براءة علي أمير المؤمنين كبّه علىٰ منخريه في النار، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿وقفوهم إنهم مسؤولون﴾ فقلت: فداك أبي وأمّي يارسول الله ما معنىٰ براءة أمير المؤمنين؟ قال: مكتوب لا إله إلّا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وصي رسول الله».

وفيه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسئل عن قوله تعالىٰ ﴿ألقيا في جهنم كل كفّار عنيد﴾[1]: «ياعلي إذا جمع الله الناس يوم القيمة في صعيد واحد، كنت أنا وأنت يومئذ عن يمين العرش، فيقول الله تعالىٰ: يامحمد صلى الله عليه وآله وياعلي عليه السلام قوما وألقيا من أبغضكما وكذّبكما في النار».

وفيه عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إلىٰ أن قال عن الله تعالىٰ «وإني آليت بعزّتي أن لا أُدخل النار أحداً تولاه (يعني علياً عليه السلام) وسلّم له وللأوصياء من بعده، ولا أُدخل الجنة من ترك ولايته والتسليم له وللأوصياء من بعده، وحقّ القول منّي لأملأن جهنم وأطباقها من أعدائه ولأملأن الجنة من أوليائه ومن شيعته».

---

١ ـ ق : ٢٤.

وفي المحكي عن أمالي الطبرسي بإسناده عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها زخّ في النار».

هذا بعض أحاديث الباب، وهي كثيرة جداً كما لا يخفىٰ على المتتبع، بقي الكلام في بيان سرّ هذا الأمر فنقول أولاً:

روي في بصائر الدرجات في باب خلق أبدان الأئمة عليهم السلام بإسناده عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إن الله خلقنا من أعلىٰ عليين، وخلق قلوب شيعتنا مما خلقنا منه، وخلق أبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوي إلينا، لأنها خلقت مما خلقنا، ثم تلا هذه الآية: **﴿كلّا إن كتاب الأبرار لفي عليين * وما أدراك ما عليون * كتاب مرقوم * يشهده المقربون﴾**[1]، وخلق عدونا من سجّين، وخلق قلوب شيعتهم مما خلقهم منه، وأبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوي إليهم؛ لأنها خلقت مما خلقوا منه، ثم تلا هذه الآية: **﴿كلّا إن كتاب الفجّار لفي سجّين * وما أدراك ما سجّين * كتاب مرقوم﴾**[2]».

وفيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن الله خلق المؤمن من طينة الجنة، وخلق الناصب من طينة النار، وقال: إذا أراد الله بعبد خيراً طيّب روحه وجسده، فلا يسمع من الخير إلّا عرفه، ولا يسمع شيئاً من المنكر إلّا أنكره، قال: وسمعته يقول: الطينات ثلاثة، طينة الأنبياء والمؤمن من تلك الطينة، إلّا أن الأنبياء هم صفوتها، وهم الأصل، ولهم فضلهم، والمؤمنون الفرع من طينة لازب، كذلك لا يفرّق الله بينهم وبين شيعتهم، وقال: طينة الناصب من حماء مسنون، وأما المستضعفون فمن تراب، لا يتحوّل مؤمن عن إيمانه، ولا ناصب عن نصبه، ولله فيهم المشية جميعاً».

وفيه بإسناده عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده عليهم السلام قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: «ثم إن الله بعث جبرئيل إلى الجنة، فأتاه بطينة من طينتها، وبعث ملك

---

١ ـ المطففين: ١٨و١٩و٢٠و٢١.

٢ ـ المطففين: ٧و٨و٩.

الموت إلى الأرض، فجاء بطينة من طينتها، فجمع الطينتين، ثم قسّمها نصفين، فجعلنا من خير القسمين، وجعل شيعتنا من طينتنا، فما كان من شيعتنا مما يرغب بهم عنه من الأعمال القبيحة، فذاك مما خالطهم من الطينة الخبيثة، ومصيرها إلى الجنة، وما كان في عدونا من برّ وصلوة وصوم ومن الأعمال الحسنة، فذاك لما خالطهم من طينتنا الطيّبة ومصيرهم إلى النار».

وفيه في باب ضلال الذين ضلّوا من أئمة الحق بإسناده عن معلّىٰ بن خنيس، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل: **﴿ومن أضلّ ممن اتّبع هواه بغير هدى من الله﴾**[1]، من يتخذ دينه رأيه بغير إمام هدىٰ (من الله الهدىٰ) الظاهر (من أئمة الهدىٰ).

وفيه بإسناده عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزوجل: **﴿ومن أضلّ ممن اتّبع هواه بغير هدىٰ من الله﴾** قال: «عنى الله بها من اتخذ دينه رأيه من غير إمام من أئمة الهدىٰ».

فالمستفاد من هذه الأحاديث أن من خلق من طينتهم، فلا محالة يتّبعهم فتصير الجنة مأواه، ومن خلق من طينة الأعداء، فلا محالة يخالفهم باختياره، فيصير إلى النار. إذكل شيء يرجع إلىٰ أصله كما حقق في محله، ثم أنه لما كان في هذا شبهة الجبر خصوصاً بالنسبة إلى المخالفين فقال عليه السلام في ذيل حديث أبي حمزة: «ولله فيهم المشية جميعاً»، وفي بعض الأحاديث الأُخر: «وجعل فيهم البداء».

وحاصله: أن المخالفين ليسوا مجبورين في اختيار الكفر والمعصية، بل لله فيهم المشية، فيمكن في بعض الظروف والشرائط أن يختاروا الإيمان والطاعة، كيف ومطلقات الآيات والأحاديث الدالة علىٰ أن من أخذ بالدين وتمسّك به، فهو من الناجين كما دلّ عليه حديث معلىٰ بن خنيس ونحوه، فإنه ظاهر في أن من اتخذ دينه رأيه، أي اتخذه كذلك بسوء اختياره لا بالجبر كما لا يخفىٰ، وهيهنا أبحاث دقيقة موكولة إلىٰ مظانها.

---

١ ـ القصص: ٥٠.

قوله عليه السلام: ومن جحدكم كافر، ومن حاربكم مشرك، ومن ردّ عليكم في أسفل درك من الجحيم

أقول: قال بعض الأعاظم: وقد دلّت أخبار كثيرة علىٰ كفر المخالفين، يحتاج جمعها إلىٰ كتاب مفرد، والجمع بينها وبين ما علم من أحوالهم عليهم السلام من معاشرتهم ومواكلتهم ومجالستهم ومخالطتهم، يقتضي الحكم بكفرهم، وخلودهم في الآخرة في النار، وجريان حكم الاسلام عليهم في الدنيا رأفة ورحمة بالطائفة المحقّة، لعدم إمكان الاجتناب عنهم قال: «ومن حاربهم مشرك بالله»، وقد قال صلى الله عليه وآله: «ياعلي حربك حربي، ومن حاربه فقد حارب الله تعالىٰ»، ويجري لآخرهم ما يجري لأولهم، ومن رد عليهم شيئاً من أقوالهم أو أخبارهم في أسفل درك من الجحيم.

أقول: لابد من بيان أمور ثلاثة بما لها من الأحكام.

الأول: معنى الجحد والحكم بأن جاحدهم كافر.

الثاني: معنى المحاربة معهم والحكم بأن المحارب لهم مشرك.

والثالث: معنى الردّ عليهم والحكم بأن الراد عليهم في أسفل درك من الجحيم.

أما الأول: فاعلم بأنّ الجحود هو الإنكار مع العلم يقال: جحد حقّه جحداً وجحوداً، أي أنكره مع علمه بثبوته، كما في المجمع وإليه يشير قوله تعالىٰ: **﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾**[1] أي جحدوا بالآيات بألسنتهم واستيقنوها في قلوبهم، والاستيقان أبلغ من الايقان، والكفر ضد الإيمان، وقد كفر بالله جحد، فالكفر قد فسّر بالجحود، كما أن الجحود من أحد أقسام الكفر.

في الشافي عن الكافي قيل للصادق عليه السلام: أخبرني عن وجوه الكفر في كتاب الله، قال: «الكفر في كتاب الله تعالىٰ علىٰ خمسة أوجه»:

منها: كفر الجحود، والجحود علىٰ قسمين والكفر بترك ما أمر الله، وكفر البراءة وكفر النعمة، فأما كفر الجحود فهو الجحود بالربوبية وهو قول من يقول: لا ربّ

---

١ ـ النمل : ١٤.

ولا جنة وهو قول صنف (صنفين خ ل) من الزنادقة يقال لهم: الدهرية، وهم الذين يقولون: وما يهلكنا إلّا الدهر، وهو دين وضعوه لأنفسهم بالاستحسان منهم علىٰ غير تثبت منهم، ولا تحقيق لشيء مما يقولون قال الله تعالىٰ: **﴿إن هم إلّا يظنون﴾** إن ذلك كما يقولون وقال: **﴿إنّ الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾** يعني بتوحيد الله تعالىٰ.

فهذا أحد وجوه الكفر، وأما الوجه الآخر من الجحود علىٰ معرفة، وهو أن يجحد الجاحد وهو يعلم أنه حق قد استيقن عنده، وقد قال الله تعالىٰ: **﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾** الحديث.

أقول: قد يقال: إن قوله عليه السلام: «ومن جحدكم كافر» يراد به القسم الثاني من الجحود نظراً إلىٰ ثبوت الأدلة الشرعية القطعية من الآيات والأحاديث علىٰ ثبوت ولايتهم وإمامتهم، ووجوب إطاعتهم، وتقدمهم علىٰ غيرهم في الوصاية والخلافة، وسائر شؤون الدين من الفريقين بحيث لا يرتاب فيه أحد، ومع ذلك كيف نرىٰ من المخالفين إنكار فضلهم عليهم السلام وجحد مقام إمامتهم، فالمخالف قد جحد وهو يعلم أن ولايتهم حق، وقد استيقن بها قلباً كما لا يخفىٰ، وهذا الجحد والانكار إنما هو من جهة الظلم والعلو ومتابعة الهوىٰ، فربما يوافق مع الاقرار بالتوحيد والرسالة إلّا أنه ينكر الولاية.

والحاصل: أنه جحود للولاية وكفر بها لا للربوبية، وقد يقال: إن الجاحد لولايتهم كافر بالمعنى الأول، أي يلازم جحد ولايتهم جحد الربوبية وإنكارها بدعوىٰ أن الايمان بالله وبربوبيته وآياته وكتبه ورسله واليوم الآخر مقرون بالإيمان بهم، فمن لم يؤمن بهم لم يؤمن بالله ولا بربوبيته وآياته وكتبه ورسله واليوم الآخر دلتّ علىٰ هذا نصوص كثيرة لا تحصىٰ من الفريقين ومن أعدائهم ونحن نشير إلىٰ بعضها.

فمنها ما رواه في غاية المرام[١] عن أمالي ابن بابويه بإسناده عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: قال رسول الله ﷺ: «ياحذيفة إن حجة الله عليك بعدي علي بن أبي طالب، الكفر به كفر بالله، والشرك به شرك بالله، والشكّ فيه شكّ في الله، والالحاد فيه إلحاد في الله، والإنكار له الإنكار لله، والإيمان به إيمان بالله؛ لأنه أخو رسول الله ووصيه وإمام أُمته ومولاهم، وهو حبل الله المتين وعروته الوثقى التي لا انفصام لها، وسيهلك فيه اثنان ولا ذنب له محب غـال ومـقصر. يـاحذيفة لا تـفارقن عـلياً فتفارقني، ولا تخالفنّ عليّاً فتخالفني، إن علياً مـني وأنـا مـنه مَـن أسـخطه فـقد أسخطني، ومن أرضاه فقد أرضاني».

أقول: ونظيره كثير.

ومنها ما في ثواب الأعـمال وعـقاب الأعـمال للـصدوق بـإسناده عـن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالىٰ جعل عليّاً عليه السلام علماً بينه وبين خلقه، ليس بينهم وبينه علم غيره، فمن تبعه كان مؤمناً، ومـن جـحده كـان كافراً، ومن شك فيه كان مشركاً».

وفيه بإسناده عن الحسين بن أبي العلاء قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «لو جحد أمير المؤمنين عليه السلام جميع من في الأرض، لعذّبهم الله جميعاً وأدخلهم النار».

رواهما البرقي في المحاسن أيضاً.

وفي المحاسن[٢] بإسناده عن أبان بن تغلب قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «إذا قدمت الكوفة إن شاء الله فارو عني هذا الحديث: من شهد أن لا إله إلّا الله وجبت له الجنة، فقلت: جعلت فداك يجيئني كل صنف من الأصناف فأروي لهم هذا الحديث؟ قال: نعم، ياأبان بن تغلب إنه إذا كان يوم القيٰمة جمع الله تبارك وتعالى الأولين والآخرين في روضة واحدة، فيسلب لا إله إلّا الله إلّا من كان علىٰ هذا الأمر».

---

١ ـ غاية المرام ص٦٠٦.

٢ ـ المحاسن ص١٨.

وفي المحكي عن مناقب بن شاذان، عن أمير المؤمنين.. إلىٰ أن قال: عن رسول الله ﷺ عن الله عزوجل.. إلىٰ أن قال تعالىٰ: «وإن لم يشهد أن لا إله إلّا أنا وحدي أو شهد بذلك، ولم يشهد أن محمداً ﷺ عبدي ورسولي، أو شهد بذلك ولم يشهد أن علي بن أبي طالب عليه السلام خليفتي، أو شهد بذلك ولم يشهد أن الأئمة من ولده حججي، فقد جحد نعمتي، وصغّر عظمتي، وكفر بآياتي وكتبي ورسلي، إن قصدني حجبته، وإن سألني حرمته، وإن ناداني لم أسمع نداءه، وإن دعاني لم أستجب دعاءه، وإن رجاني خيّبته، وذلك جزاؤه مني، وما أنا بظلام للعبيد»، الحديث.

وفي بصائر الدرجات عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إن ولايتنا عرضت على السموات والأرض والجبال والأمصار ما قبلها قبول أهل الكوفة».

وفي الجواهر السنية في الأحاديث القدسية للشيخ الحر العاملي رحمه الله عن مناقب الخوارزمي بإسناده عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق آدم، ونفخ فيه من روحه، عطس آدم فقال: الحمد لله، فقال الله: حمدني عبدي وعزتي وجلالي لولا عبدان أُريد أن أخلقهما في دار الدنيا ما خلقتك، قال: يارب أيكونان منّي؟ قال: نعم ياآدم ارفع رأسك فانظر، فرفع رأسه فإذا على العرش: لا إله إلّا الله محمد نبي الرحمة وعلي مقيم الحجة، من عرف حق علي زكىٰ وطاب، ومن أنكر حقه لعن وخاب، أقسمت بعزتي أُدخل الجنة من أطاعه وإن عصاني، وأن أُدخل النار من عصاه وإن أطاعني».

وفيه ص[1] عن أبي سليمان عنهم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليلة أُسري بي إلى السماء، قال لي الجليل جلّ جلاله: آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربه، فقلت: والمؤمنون، فقال: صدقت يامحمد، من خلفت في أُمتك؟ قلت: خيرها، قال: علي بن أبي طالب؟ قلت: نعم يارب، قال يامحمد.. إلىٰ أن قال تعالىٰ: وعرضت

---

١ ـ الجواهر السنية.. ص٣١٢.

ولايتكم علىٰ أهل السموات والأرض، فمن قبلها كان عندي من المـؤمنين، ومـن جحدها كان عندي من الكافرين»، الحديث.

وعن الكافي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الله نصب عليّاً علماً بينه وبين خلقه، فمن عرفه كان مؤمناً، ومن أنكره كان كافراً، ومن جهله كان ضالّاً، ومن نصب معه شيئاً كان مشركاً، ومن جاء بولايته دخل الجنة، ومن جاء بعداوته دخل النار».

وفيه عن أبي إبراهيم عليه السلام قال: «إن علياً باب من أبواب الجنة، فمن دخل بابه كان مؤمناً، ومن خرج من بابه كان كافراً، ومن لم يدخل فيه ولم يخرج منه كان في الطبقة، التي لله تعالىٰ فيهم المشية».

وفي حديث آخر عنه عليه السلام: «إن علياً باب من أبواب الهدىٰ».

أقول: وهذه الأحاديث صريحة في أن منكر ولايتهم كان من الكافرين، نـعم حكماً وفي القيمة، وإنما يعامل معهم بالطهارة تسهيلاً للأُمة المحقة كما تقدم، ويؤيد هذا بل يدل علىٰ كفرهم الباطني أنه كـان الكـثير مـن أعـداءَهـم يـصرّحون في خلواتهم بانكار البعث والرسالة والربوبية. وكيف كان فولايتهم ومحبتهم والاتباع لهم قد جمع فيه جميع أنحاء الإيمان والإسلام، فلم يخرج عن ولايتهم شيء منهما وهم مبينهما، كما أن عداوتهم وخلافهم قد جمعا جميع أنحاء الكفر وأحواله لا يخرج عنهما شيء منه.

بل كما قـال بـعض الأعـاظم: ليس للكـفر مـعنىٰ في الحـقيقة إلّا عـداوتهـم ومخالفتهم؛ لأن العارف بولايتهم يعاين الحق والباطل والإيمان والكفر بنور الولاية فيقبل الايمان ويجتنب الكفر كما هو المشاهد فلا لله معصية إلّا معصيتهم، ولا طاعة إلّا طاعتهم، ولا معرفة لله إلّا معرفتهم وبسبيل معرفتهم، كل ذلك للعارف بولايتهم كما لا يخفىٰ، ثم إن الكتب قد صرّحت بقضايا عن المخالفين دلّت علىٰ كفرهم الباطني، ولعلنا نذكر بعضها فيما يأتي.

ثم أنه قد ثبت في محله أن الولاية باطن النبوة، وهي مظهر للتوحيد، فالتوحيد

ظاهر في الولاية وبها، وهي باطن النبوة بمعنىٰ أن النبي لم يأت عنه تعالىٰ إلّا بالولاية، فمقام النبوة الذي هو أعلى المقامات، وصاحبها أقرب الخلق إليه تعالىٰ، إنما هو متقوّم بالولاية الكلية الإلهية، وهي سارية فيه ﷺ ثم فيهم عليهم السلام كما لا يخفىٰ.

فهذه العناوين الثلاثة مرتبطة كل منها بالآخر ارتباطاً ذاتياً، فبفقدان أحدها يفقد الكل، وهذا هو الوجه بسلب التوحيد عن منكري الولاية يوم القيمة كما تقدم، وقد تقدم في صدر الشرح ما يوضح لك هذا فراجعه.

وأما قوله عليه السلام: «ومن حاربكم مشرك».

أقول: المراد من المحاربة معهم هو أن يشهر السيف لقتالهم عليهم السلام طاعة لأولياء الشيطان، ويدخل فيها من أطلق لسانه في سبّهم وسبّ محبيهم حبّاً لأولياء الشيطان، وبغضاً لهم ولأولياء الرحمن، ومن ردّ عليهم أو عارضهم فيما يحكمون به، وما يأمرون به وما ينهون عنه كل ذلك بعدما تبين له هدايتهم عليهم السلام وبل يمكن أن يقال: دخول من أبغضهم بقلبه لرضا الطواغيت في المحاربة معهم.

ثم إن المراد من الشرك الذي يكون ثابتاً لمن حاربهم إما شرك الطاعة أي من حاربهم فقد جعل لله تعالىٰ شريكاً، وهو الطواغيت في إطاعته تعالىٰ، وإما شرك عبادة بأن جعل بذلك شريكاً في المعبودية، وتوضيحه: أن من أطاع النبي والأئمة فقد أطاع الله لقوله تعالىٰ: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾[1] المفسّر بهم عليهم السلام كما تقدم، ولقوله تعالىٰ: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾[2] وهذا بخلاف من حاربهم وأطاع الطواغيت، فإن طاعتهم وحربهم يرجع إلىٰ إنكار ولاية أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام وقد علمت آنفاً أن إنكار إمامتهم مساوق لإنكار التوحيد والرسالة، فالمحارب لهم منكر معنىٰ لربوبيته تعالىٰ مطلقاً، أو موجب لجعل الشريك في عبادته تعالىٰ، فإن عبادته الخالصة هي ما كانت مع الإقرار بالولاية،

---

١ ـ النساء: ٥٩.

٢ ـ النساء: ٨٠.

وأما مع الانكار، لها، فكأنه عبد الله وعبد الطاغوت كما لا يخفىٰ.

وأما الأحاديث الدالة علىٰ أن حربهم حرب الرسول ﷺ كثيرة واردة في متفرقات الأبواب.

ففي غاية المرام[1] في حديث طويل عن علي عليه السلام.. إلىٰ أن قال: وقد قال رسول الله ﷺ: «أما ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ، سلمك سلمي، وحربك حربي.. الخ.

وفي ثواب الأعمال وعقاب الأعمال[2] بإسناده عن معلىٰ بن الخنيس قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: قال الله عزوجل: «ليأذن بحرب مني من أذل عبدي المؤمن، وليأمن من غضبي من أكرم عبدي المؤمن».

أقول: هذه الجمل الثلاث وإن كانت مشتركة في أن صاحبها في الضلالة إلّا أن الجاحد لهم يكون كافراً بلحاظ الإنكار القلبي، والمحارب يكون مشركاً بلحاظ الحرب والمعارضة لهم والرد عليهم، وإن لم يعمل بعمل من مثل الحرب والسب، بل بمجرد الرد لأقوالهم فهو في درك الجحيم.

ثم إن المراد من الرد ما يعمّ رد ما لا يفهمه فرده بأن نفاه واقعاً، وهذا لما علمت من أن ما ورد منهم واشمأزّت منه القلوب، فلابد من ردّ علمه إليهم، وليس لنا إنكاره، فإن الانكار علىٰ حدّ الشرك، وقد تقدمت أحاديثه، وما كان ثقيلاً علىٰ نفسه كما إذا تبين حكمهم عليهم السلام في بعض الموارد بما لم يعلم وجهه لنا، وكان الحكم ثقيلاً، أو تبين له بعض الأمور العظيمة الراجعة إلىٰ ولايتهم المطلقة الصعبة، فردّه كما هو المراءى من المخالفين حيث ينكرون ويردون فضائل الأئمة عليهم السلام.

بل وبعض الناس المنتحلين إلىٰ ولايتهم كما في زماننا هذا فنراهم، يردون بعض فضائلهم المهمة وما يرده لشهوة نفسه، كمن غلبت عليه البطالة والشهوات

---

١ ـ غاية المرام ص٣٥٩.

٢ ـ ثواب الأعمال.. ص ٢٨٤

النفسانية فرد عليهم ما ثبت له من فضائلهم أو حكماً من أحكامهم، وما كان ردّه عليهم بعد ثبوته له من الله تعالىٰ ورسوله ﷺ ظلماً وعلواً، كما هو شأن أئمة الضلال، الذين هم طلع شجرة الزقوم، بل ربما يقال: إن هذا الأمر هو المراد دون السابقة، ولكن الظاهر التعميم كما لا يخفىٰ.

ثم إن المراد من الرد التكذيب، وترك العمل بما حكموا، وأما الترك بدون التكذيب كما هو شأن فسقة الناس ممن يقبلون قولهم ولا يعملون به، فهو من المعاصي قابل للعفو.

وبعبارة أخرىٰ: فهو من المعاصي في الفروع لا في الأصول.

أقول: وفي غاية المرام[1] في حديث الأربعين مما رواه في أحاديث الغدير، وهو حديث طويل وفيه: قال ﷺ: «معاشر الناس سيكون من بعدي أئمة يدعون إلى النار، ويوم القيمة لا ينصرون، إن الله وأنا بريئان منهم، معاشر الناس إنهم وأنصارهم وأشياعهم وأتباعهم في الدرك الأسفل من النار، ولبئس مثوى المتكبرين».

بقي هنا شيء وهو بيان المراد من أسفل درك من الجحيم، فنقول: المستفاد من الأحاديث أن الكائن في أسفل درك الجحيم إنما هم رؤوس أئمة الضلال.

في تفسير البرهان[2] في ذيل قوله تعالىٰ: **﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين * لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم﴾**[3] بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام عن أبيه، عن جده عليهم السلام قال: «للنار سبعة أبواب، باب يدخل منه فرعون وهامان وقارون، وباب يدخل منه المشركون والكفار ممن لم يؤمن بالله طرفة عين، وباب يدخل منه بنو أمية هو لهم خاصة لا يزاحمهم فيه أحد وهو باب لظىٰ، وهو باب

---

١ ـ غاية المرام ص٩٩.

٢ ـ تفسير البرهان ج٢ ص٣٤٥.

٣ ـ الحجر: ٤٣و٤٤.

سقر وهو باب الهاوية، تهوىٰ بهم سبعين خريفاً، فكلما فارت بهم فورة قذف بهم في أعلاها سبعين خريفاً، فلا يزالون هكذا أبداً مخلّدين.

وباب يدخل منه ـ مبغضونا ومحاربونا وخاذلونا، وأنه لأعظم الأبواب وأشدّها حرّاً، قال محمد بن فضيل الزرقي (راوي الحديث عنه عليه السلام): فقلت لأبي عبدالله عليه السلام: الباب الذي ذكرته عن أبيك عن جدك، يدخل منه بنو أمية، يدخل من مات منهم على الشرك، أو من أدرك منهم الإسلام؟ فقال: لا أمّ لك ألم تسمعه يقول: وباب يدخل منه المشركون والكفار؟ فهذا الباب يدخل منه كل مشرك وكل كافر لا يؤمن بيوم الحساب، وهذا الباب الآخر يدخل منه بنو أمية؛ لأنه هو لأبي سفيان ومعاوية وآل مروان خاصة يدخلون من ذلك الباب فتحطبهم النار حطباً، لا تسمع لهم فيها واعية، ولا يحيون فيها ولا يموتون».

أقول: وعسكر بن هوسر كناية عن بعض خلفاء بني أمية أو بني العباس، وكذا أبو سلامة كناية عن أبي جعفر الدوانيقي، ويحتمل أن يكون عسكر كناية عن عايشة وساير أهل الجمل، إذ كان إسم جمل عايشة عسكراً، وروي أنه كان شيطاناً، كذا في ذيل تفسير البرهان.[1]

وفيه[2] ثم قال (أي علي بن إبراهيم): وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿وإن جهنم لموعدهم﴾[3]، «فوقوفهم على الصراط، وأما لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم فبلغني (والله أعلم) إن الله جعلها (أقول: لا يخفىٰ أن قوله: أما لها سبعة أبواب، فهو كلام علي بن إبراهيم رحمة الله عليه؛ ولذا قال: فبلغني والله أعلم أن الله.. الخ، فإن هذا النحو من الكلام ليس من نحو كلام الامام عليه السلام فقوله: إن الله جعلها.. الخ، أول الرواية ينقلها بالمعنىٰ مرسلاً كما لا يخفىٰ)

---

١ ـ تفسير البرهان ج ٢ ص ٣٤٥.
٢ ـ تفسير البرهان ج ٢ ص ٣٤٦.
٣ ـ الحجر : ٤٣.

سبع درجات أعلاها الجحيم، يقوم أهلها على الصفا منها تغلىٰ أدمغتهم فيها كغلي القدور بما فيها.

والثانية لظىٰ نزاعة للشوىٰ تدعو من أدبر وتولىٰ وجمع فأوعىٰ.

والثالثة سقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر.

والرابعة الحطمة ومنها ثبور شرر كالقصر، كأنها جمالات صفر، تدق كل من صار إليها كالكحل (مثل الكحل) فلا تموت الروح كلما صاروا كالكحل (مثل الكحل) عادوا.

والخامسة الهاوية فيها ملك، ويدعون: يامالك أغثنا، فإذا أغاثهم جعل لهم آنية من صفر من نار، فيه صديد ماء يسيل من جلودهم كأنه مهل، وإذا رفعوا ليشربوا منه تساقط لحم وجوههم فيها من شدة حرّها، وهو قول الله: **﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً﴾**[١] ومن هوىٰ فيها هوىٰ سبعين عاماً في النار كلما احترق جلده بدل جلداً غيره.

والسادسة هي السعير فيها ثلاثمائة سرادق في كل سرادق ثلاثمائة قصر من نار، في كل قصر ثلاثمائة بيت من نار، في كل بيت ثلاثمائة لون من عذاب النار فيها حيّات من نار، وجوامع من نار، وعقارب من نار، وسلاسل من نار، وأغلال من نار، وهو الذي يقول الله: **﴿إنا أعتدنا للكافرين سلاسلاً وأغلالاً وسعيراً﴾**[٢].

والسابعة جهنم وفيها الفلق وهو جبّ في جهنم إذا فتح أسعر النار سعيراً، وهو أشد النار عذاباً، وأما صعود فجبل من صفر من نار وسط جهنم، وأما آثام فهو واد من صفر مذاب تجري حول الجبل فهو أشد النار عذاباً».

وفيه[٣] عن محمد بن يعقوب، وعن ابن بابويه، ونحن نذكر اللفظ للثاني

---

١ ـ الكهف : ٢٩.

٢ ـ الإنسان : ٤.

٣ ـ تفسر البرهان ج ٤ ص ٤٠٨.

بإسناده عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿وجيء يومئذ بجهنّم﴾[1] سئل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أخبرني الروح الأمين أن الله لا إله غيره إذا جمع الأولين والآخرين، أتىٰ بجهنم تقاد بألف زمام، آخذ كل زمام مائة ألف ملك من الغلاظ الشداد، ولها هدّة وتغيّظ وزفير، وإنها لتزفر الزفرة فلولا أن الله عزوجل أخّرهم إلى الحساب لأهلكت الجميع، ثم يخرج منها عنق يحيط بالبر والفاجر، فما خلق الله عزوجل عبداً ولا نبياً إلّا نادىٰ: ربّ نفسي نفسي، وأنت تنادي يانبي الله: أمتي أمتي، ثم يوضع عليها صراط أدق من حدّ السيف (كذا) عليه ثلاث قناطر، أما واحدة فعليها الأمانة والرحم» الحديث، وقد تقدم.

وفي البحار عن معاني الأخبار بالإسناد إلى المفضل بن عمر، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، فجعل أعلاها وأشرفها أرواح محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة بعدهم (صلوات الله عليهم أجمعين) وساق الحديث في قصة آدم وحواء.. إلىٰ أن قال: قالا: ربنا فأرنا ظالميهم في نارك حتىٰ نراها، كما رأينا منزلتهم في جنتك، فأمر الله تبارك وتعالى النار فأبرزت جميع ما فيها من ألوان النكال والعذاب، وقال الله عزوجل مكان الظالمين لهم المدعين لمنزلتهم في أسفل درك منها: ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها أُعيدوا﴾ فيها» الحديث.

وفيه[2] عن الخصال، عن أبي الحسن موسىٰ عليه السلام في حديث طويل يقول فيه: «ياإسحق إن في النار لوادياً يقال له: سقر، لم ينفس منذ خلقه الله، لو أذن الله عزوجل له في التنفس بقدر مخيط لأحترق ما علىٰ وجه الأرض وإن أهل النار ليعوذون من حرّ ذلك الوادي ونتنه وقذره وما أُعد الله فيه لأهله، وإن في ذلك الوادي لجبلاً يتعوّذ جميع أهل ذلك الوادي من حرّ ذلك الجبل ونتنه وقذره، وما

---

١ ـ الفجر: ٢٣.

٢ ـ تفسير البرهان ج ٢ ص ٣١١.

أعد الله فيه لأهله، وإن في ذلك الجبل لشعباً يتعوذ جميع أهل ذلك الجبل من حرّ ذلك الشعب ونتنه وقذره وما أعد الله فيه لأهل. وإن في ذلك الشعب لقليباً يتعوذ جميع أهل ذلك الجبل من حرّ ذلك القليب ونتنه وقذره، وما أعد الله فيه لأهله، وإن في ذلك القليب لحيّة يتعوذ جميع أهل ذلك القليب من حيث تلك الحية ونتنها وقذرها، وما أعد الله في أنيابها من السم لأهلها، و إن في جوف تلك الحية لصناديق فيها خمس من الأمم السالفة، واثنان من هذه الأمة، قال: قلت: جعلت فداك ومن الخمسة ومن الاثنان؟ قال: فأما الخمسة فقابيل الذي قتل هابيل، ونمرود الذي حاج إبراهيم في ربّه فقال: أنا أُحيي وأُميت، وفرعون الذي قال: أنا ربكم الأعلىٰ، ويهود الذي هوّد اليهود، وبولس الذي نصّر النصارىٰ، ومن هذه الأُمة الأعرابيان».

وفيه[1] ص ٣١٢ عن أمالي الصدوق، عن النبي ﷺ في سياق قصة يحيىٰ عليه السلام قال: قال زكريا عليه السلام: حدثني جبرئيل عليه السلام عن الله عزوجل: «أن في جهنم جبلاً يقال له السكران، في أصل ذلك الجبل واد يقال له الغضبان لغضب الرحمن تبارك وتعالىٰ، في ذلك الوادي جبّ قامته مائة عام، في ذلك الجب توابيت من نار، في تلك التوابيت صناديق من نار، وثياب من نار، وسلاسل من نار وأغلال من نار».

وفيه عن تفسير فرات بن إبراهيم، محمد بن أحمد معنعناً عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم: «ياعلي إن جبرئيل أخبرني أن أُمّتي تغدر بك من بعدي، فويل ثم ويل ثم ويل لهم (ثلاث مرات) قلت: يارسول الله وما ويل؟ قال: واد في جهنم أكثر أهله معادوك، والقاتلون لذريتك، والناكثون لبيعتك، فطوبىٰ ثم طوبىٰ ثم طوبىٰ (ثلاث مرات) لمن أحبّك ووالاك، قلت: يارسول الله وما طوبىٰ؟ قال: شجرة في دارك في الجنة، ليس دار من دور شيعتك في الجنة إلّا وفيها غصن

---

١ ـ تفسير البرهان ج ٢ ص ٣١٢.

من تلك الشجرة، تهدل عليهم بكل ما يشتهون»، أي ترسل وترخىٰ عليهم.

أقول: هذا بعض الأحاديث في بيان طبقات جهنم وبيان الأسفل منها، وهناك أحاديث أُخر في بيان درجات النار ودركاتها، وفيها اختلاف في البيان فلبيانها والجمع بينها مقام آخر. وكيف كان فالمراد من الذين ردّ عليهم أئمة الضلال واتباعهم وإن كان ظاهر بعض الأحاديث أن الأسفل منها لأئمة الضلال كما لا يخفىٰ، ثم إن الظاهر من الأسفل هو ما كان أنزل دركاتها، إما بلحاظ المكان المستلزم لشدة العذاب، وإما بلحاظ كيفية العذاب.

وبعبارة أُخرىٰ: ليس للمكان من حيث هو هو دخل في شدة العذاب إلّا بلحاظ الضيق والبعد، وهما يرجعان إلىٰ أشده بلحاظ الكيف، فحقيقة الأسفلية لها تتحقق بشدة كيفية العذاب، كما هو ظاهر من بعض تعابير الأحاديث.

ثم إن الوجه في كونهم في أسفل درك من الجحيم أنهم بعدما بيّن لهم الرسول الأعظم ﷺ الحق وأنه في ولايتهم عليهم السلام بأحسن البيان والتوضيح بما لا مزيد عليه، وبحيث انقطع عنهم العذر في تركه، ومع هذا قابلوه بالإنكار والجحود والعداوة الشديدة، وسعوا غاية جهدهم في أذىٰ أهل بيته بما لا يقدر علىٰ مثله أحد من المنافقين والمشركين والكافرين، بل نقول: إن أئمة الجور وأتباعهم المخصوصين بهم قد أسّسوا الشبهات والعناد والجحود للحق لجميع الخلق، ممن كان من زمانهم أو يكون إلىٰ يوم القيٰمة.

أسّسوا ذلك ببدعهم وصفاتهم الرذيلة القائمة بأحقادهم الباطنية لمحمد وآله الطاهرين، وببطلانهم وبعدهم عن الحق والحقيقة، فثمرات نفاقهم وكفرهم وشركهم وعداوتهم باقية في قلوب أتباعهم إلى القيٰمة، فأتباعهم معذبون باضلالهم وهم (أي أئمة الضلال) معذبون بقدر عذاب أتباعهم، مع ما لهم من العذاب، **﴿وليحملُنّ أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليسئلُنّ يوم القيٰمة عما كانوا يفترون﴾**[1].

---

١ ـ العنكبوت: ١٣.

وقد دلّت أحاديث كثيرة علىٰ هذا منها:

ما في تفسير البرهان[1] علي بن إبراهيم، قال الله عزوجل: ﴿ليحملوا أوزارهم كاملة﴾ الآية، قال: قال: يحملون آثامهم، يعني الذين غصبوا أمير المؤمنين عليه السلام وآثام كل من إقتدىٰ بهم وهو قول الصادق عليه السلام: «والله ما اهرقت محجمة من دم، ولا قرع عصا بعصا، ولا غصب فرج حرام، ولا أُخذ مال من غير حلة إلّا وزر ذلك لفي أعناقهما، من غير أن ينقص من أوزار العاملين شيء».

وفيه بإسناده عن الكميت بن زيد الأسدي قال: دخلت علىٰ أبي جعفر عليه السلام فقال: «والله يا كميت لو كان عندنا مال لأعطيناك منه، ولكن لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لحسان بن ثابت: لن يزال معك روح القدس ما دمت منّا (ما ذبيت عنا، خ) قال: قلت: أخبرني عن الرجلين؟ قال: فأخذ الوسادة فكسرها في صدره، ثم قال: يا كميت ما أُهرق محجمة من دم، ولا أخذ مال من غير حلّة، ولا قلب حجر عن حجر إلّا ذاك في أعناقهما».

ومثله أخبار أُخر كثيرة كما لا يخفىٰ.

قوله عليه السلام: أشهد أن هذا سابق لكم فيما مضىٰ، وجار لكم فيما بقي

قال بعض الأعلام: أي جار لكم فيمن مضىٰ وتقدم منكم، وجار لكم فيما بقي منكم، قال: وما تستعمل في أولي العقول كثيراً، والمعنىٰ سابق لكم فيما مضىٰ من الأزمنة السالفة أو الكتب المتقدمة، وجار لكم فيما بقي منها.

وقال بعضهم: أشهد أن هذا أي وجوب متابعتكم، أو كل واحد من المذكورات في الزيارة سابقاً لكم فيما مضىٰ من الأئمة أو في الكتب المتقدمة.

وقال بعضهم: هذه إشارة إلىٰ ما شهد به من أول الزيارة إلىٰ هنا، يعني أن ما

---

١ ـ تفسير البرهان ج ٢ ص ٣٦٤.

شهدت إنما هي لكم من أول ما خلقكم إلىٰ ما شاء الله تعالىٰ إلى الأبـد مـن غـير اختصاص بعالم دون عالم، أو زمان دون زمان، بل لازم لذواتكم من بدو خلقكم وإبداء أنواركم.

أقول: إن ما ذكر في الزيارة من الجمل، إنما هو بيان لشؤون ولايـتهم المـطلقة الإلهية تشريعية أو تكوينية، ولا ريب، أنها ثابتة لهم من حيث إن أرواحهم، التي هي مظهر لجماله وجلاله، وهي محطّ لتلك الشؤون الإلهـية، ولا ريب في أن تـلك الشؤون ثابتة لهم بلحاظ حقيقتهم، وهي خارجة عن الزمان والمكان، فـلا محـالة تكون تلك ثابتة لهم في جميع الأزمنة والدهور، لا تختص لهم بزمان دون زمان لعدم دخالته فيها نفياً وإثباتاً، وأيضاً إن تلك الشؤون لما كانت لحقيقة أنفسهم الطاهرة بلحاظ اشتمالها للروح القدسي كما تقدم، فمهما ظهرت تلك الروح القدسي فلا محالة ثبتت تلك الآثار والشؤون الإلهية، فلا محالة حينئذ لا تختص بواحد منهم بل تعمّ جميعهم عليهم السلام في حال ظهور الروح القدسي فيهم كما يظهر ذلك من أخبار كثيرة.

فمنها ما في البحار[1] عن أمالي ابن الشيخ بإسناده عن سعيد الأعـرج قـال: دخلت أنا وسليمان بن خالد علىٰ أبي عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام فـابتداني فـقال: «ياسليمان ما جاء عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يؤخذ به، وما نهىٰ عنه ينهىٰ عنه، جرىٰ له من الفضل ما جرىٰ لرسول الله صلى الله عليه وآله ولرسوله الفضل علىٰ جميع من خلق الله، العائب علىٰ أمير المؤمنين في شيء كالعائب على الله وعلىٰ رسوله صلى الله عليه وآله والراد عليه في صغير أو كبير علىٰ حدّ الشرك بالله.

كان أمير المؤمنين عليه السلام باب الله الذي لا يؤتىٰ إلّا منه، وسبيله الذي من تمسّك بغيره هلك، كذلك جرىٰ حكم الأئمة عليهم السلام من فوق الأرض ومن تحت الثرىٰ، أما علمت أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: أنا قسيم الله بين الجنة والنار، وأنا الفاروق الأكبر (وأنا الصادق الأكبر خ ل) وأنا صاحب العصا والميسم، ولقد أقرّ لي جمـيع

---

١ ـ البحار ج ٢٥ ص ٣٥٢.

الملائكة والروح بمثل ما أقرّوا لمحمد صلى الله عليه وآله ولقد حملت مثل حمولة محمد، وهو حمولة الرب، وإن محمداً صلى الله عليه وآله يدعىٰ فيكسىٰ فيستنطق فينطق، وأُدعىٰ فأُكسىٰ وأُستنطق فأنطق، ولقد أُعطيت خصالاً لم يعطها أحد قبلي، علمت البلايا والقضايا وفصل الخطاب».

أقول: المستفاد منه أن مقامهم عليهم السلام مقامه صلى الله عليه وآله في وجوب الاطاعة لهم في جميع الأُمور والإقرار بفضلهم عليهم السلام وذلك لأنهم كمحمد صلى الله عليه وآله في كونهم حملوا حمولة الرب، ولعمري إن هذا هو السرّ في كونهم كمحمد صلى الله عليه وآله في تلك الشؤون كما لا يخفىٰ.

وفيه[1] عن قرب الإسناد، ابن عيسىٰ، عن البزنطي، عن الرضا أنه عليه السلام كتب إليه: قال أبو جعفر عليه السلام: «لا يستكمل عبد الايمان حتىٰ يعرف أنه يجري لآخرهم ما يجري لأولهم في الحجة والطاعة، والحلال والحرام سواء، ولمحمد صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام فضلهما»، الخبر.

وفيه[2] عن إكمال الدين بإسناده عن الثمالي، عن أبي جعفر، عن أبيه عن جده الحسين (صلوات الله عليهم) قال: دخلت أنا وأخي علىٰ جدي رسول الله صلى الله عليه وآله فأجلسني علىٰ فخذه. وأجلس أخي الحسن علىٰ فخذه الآخر، ثم قبّلنا وقال: «بأبي أنتما من إمامين سبطين اختاركما الله مني ومن أبيكما ومن أُمكما، واختار من صلبك ياحسين تسعة أئمة تاسعهم قائمهم، وكلهم في الفضل والمنزلة سواء عند الله تعالىٰ».

وفيه[3] عن بصائر الدرجات بإسناده عن الحارث النظري، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: «رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن في الأمر والنهي والحلال والحرام نجري مجرىٰ واحد، فأما رسول الله وعلي (عليهما وآلهما السلام) فلهما فضلهما».

---

١ ـ البحار ج ٢٥ ص ٣٥٣.

٢ ـ البحار ج ٢٥ ص ٣٥٦.

٣ ـ البحار ج ٢٥ ص ٣٥٧.

وفي حديث آخر بعده عن أبي الحسن عليه السلام قال: «نحن في العلم والشجاعة سواء، وفي العطايا علىٰ قدر ما نؤمر».

وفيه[١] عن كتاب المحتضر، ومنه عن زيد الشحام قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أيّما فضل الحسن عليه السلام أم الحسين عليه السلام؟ فقال: «إن فضل أولنا يلحق بفضل آخرنا، وفضل آخرنا يلحق بفضل أولنا، وكل له فضل، قال: قلت له: جعلت فداك وسّع عليّ في الجواب، فإني والله ما سألتك الأمر تاداً (أي طالباً لمعرفتكم) فقال: نحن من شجرة طيبة، برأنا الله من طينة واحدة، فضلنا من الله، وعلمنا من عند الله، ونحن أمناؤه علىٰ خلقه، والدعاة إلىٰ دينه، والحجاب فيما بينه وبين خلقه، أزيد يا زيد؟ فقلت: نعم.

فقال: خلقنا واحد، وعلمنا واحد، وفضلنا واحد، وكلنا واحد عند الله تعالىٰ، فقال: أخبرني بعدّتكم؟ فقال: نحن إثنا عشر هكذا حول عرش ربنا عزوجل في مبتدءا خلقنا، أولنا محمد صلى الله عليه وآله وأوسطنا محمد صلى الله عليه وآله وآخرنا محمد صلى الله عليه وآله».

أقول: هذا الحديث الشريف أوضح التسوية بما لا مزيد عليه وبما هو وجه لها، ونحن نسأل الله تعالى التوفيق لاطاعتهم، والمشي في صراطهم بحقهم، والحشر معهم يوم القيمة بمحمد وآله الطاهرين.

قوله عليه السلام: وإن أرواحكم ونوركم وطينتكم واحدة، طابت وطهرت، بعضها من بعض.

أقول: الروح هو ما يشير الانسان بقوله: أنا، أعني النفس الناطقة المستعدة ببيان وفهم الخطاب، ولا تفنىٰ بفناء الجسد، وإنه جوهر لا عرض، وهي المعنى في القرآن والحديث، وقد تحير العقلاء في حقيقتها، واعترف كثير بالعجز عن معرفتها

---

١ ـ البحار ج ٢٥ ص ٣٦٣.

حتىٰ قيل: إن قول أمير المؤمنين عليه السلام: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه»، معناه أنه كما لا يمكن التوصل إلىٰ معرفة النفس، لا يمكن التوصل إلىٰ معرفة الرب، ومما يعضد هذا قيل: قوله تعالىٰ: ﴿ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾[1] وكيف كان فهي غير داخلة في البدن بالجزئية والحلول، بل هي منزهة عن صفات الجسمية متعلق بالجسم تعلق التدبير والتصرف فقط.

وقال بعض الأعلام ما حاصله: أن حقيقة الانسان هو جوهرة لطيفة ملكوتية، وهي تستخدم هذا البدن الجسماني في حاجاته مسخّراً له تسخير المولىٰ لخدمه، وهي روح لتوقف حياة البدن عليه، وقلب لتقلبه في الخواطر، وعقل لاكتسابه العلوم واتصافه بالمدركات.

أقول: فروح كل أحد ما هو حقيقته الأولية، التي خلقها الله تعالىٰ، وهي منشأ ومأوىٰ للكمالات، وحينئذ نقول: المراد من أرواحهم (والله ورسوله والأئمة عليهم السلام أعلم) هو الروح القدسي أو هو مع ساير أرواحهم.

ففي بصائر الدرجات[2] بإسناده عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن علم العالم؟ فقال: «ياجابر إن في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس وروح الإيمان وروح الحيوة وروح القوّة وروح الشهوة، فبروح القدس ياجابر علمنا (عرفوا) ما تحت العرش إلىٰ ما تحت الثرىٰ، ثم قال: ياجابر إن هذه الأرواح يصيبه الحدثان إلّا أن روح القدس لا يلهو ولا يلعب».

وفيه[3] بإسناده عن أبي بصير قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا وما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان؟﴾[4] قال: «خلق من خلق الله أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع

---

١ ـ الإسراء: ٨٥.
٢ ـ بصائر الدرجات ص٤٤٧.
٣ ـ بصائر الدرجات ص٤٥٥.
٤ ـ الشورىٰ: ٥٢.

رسول الله ﷺ يخبره ويسدده وهو مع الأئمة عليهم السلام من بعده».

أقول: فلهم عليهم السلام روح القدس كالأنبياء، بل لهم بنحو الأتم الأكمل.

ثم إن المراد من نوركم هو الروح ويكون تفسيراً له، كما سيجيء من أنه تعالىٰ خلقهم من نوره، أو النور الذي يكون لهم كالعمود، فيرون به جميع الأُمور، ويعلمون به جميع الأشياء.

ففيه[1] بإسناده عن إسحق الحريري قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فسمعته وهو يقول: «إن لله عموداً من نور، حجبه الله عن جميع الخلائق، طرفه عند الله وطرفه الآخر في أذن الامام، فإذا أراد الله شيئاً أوحاه في أذن الامام».

وفيه بإسناده عن أبي حمزة الثمالي قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «إن الامام منا يسمع الكلام في بطن أمه حتىٰ إذا سقط على الأرض، أتاه ملك فيكتب علىٰ عضده الأيمن: ﴿وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم﴾، حتىٰ إذا شبّ رفع الله له عموداً من نور يرىٰ فيه الدنيا وما فيها، لا يستر عنه منها شيء».

ومثله كثير بألسنة مختلفة.

فالمستفاد منها أن المراد من أرواحهم أي حقيقتهم، التي بها حياتهم في عوالمهم واحدة ومن نورهم هو إما عالم عقلهم حيث يراد من العقل في الأحاديث كما فسّر قوله ﷺ: «أول ما خلق الله نوري»، بقوله ﷺ: «أول ما خلق الله العقل»، أو يراد من نورهم ذلك العمود النوراني المذكور في الأحاديث، وهو الموهوب لهم منه تعالىٰ، فتكون حينئذ الإضافة في أرواحكم بيانية، وفي أنواركم لاميّة كما لا يخفىٰ.

وأما قوله: «طينتكم»، ففي المجمع: والطينة: الخلقة، وطانه الله على الخير جبله عليه.

وفيه[2] بإسناده عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام قال: «إن الله خلق محمداً من

---

١ ـ بصائر الدرجات ص٤٣٩.

٢ ـ بصائر الدرجات ص١٤.

طينة من جوهرة تحت العرش، وإنه كان لطينته نضح، فجبّل طينة أمير المؤمنين عليه السلام من نضح طينة رسول الله صلى الله عليه وآله وكان لطينة أمير المؤمنين عليه السلام نضح، فجبل طينتنا من فضل طينة أمير المؤمنين عليه السلام وكانت لطينتنا نضح، فجبل طينة شيعتنا من نضح طينتنا، فقلوبهم تحن إلينا، وقلوبنا تعطف عليهم تعطف الوالد، على الولد ونحن خير لهم، وهم خير لنا، ورسول الله صلى الله عليه وآله لنا خير، ونحن له خير».

أقول: في المجمع: والجبّل (بكسر الجيم وتشديد الباء) الخلق.

قيل: والمراد من النضح: الجزء كالفضل المستعمل في الجزء في قولهم عليهم السلام: «خلقوا من فاضل طينتنا».

وكيف كان فهذه الجمل تشير إلىٰ حقيقة الروحية والنورية، وإلىٰ عالم مثالهم المعبر عنه بالطينة، أو إلىٰ عالم أجسامهم، وتشير إلىٰ أن عالمهم المثالي هو العالم الذي منه خلق أرواح شيعتهم.

ففي بصائر الدرجات[1] عن جابر الجعفي قال: كنت مع محمد بن علي عليه السلام فقال عليه السلام: «ياجابر خلقنا نحن ومحبينا (محبونا ظ) من طينة واحدة، بيضاء نقية من أعلىٰ عليين، فخلقنا نحن من أعلاها، وخلق محبونا من دونها، فإذا كان يوم القيمة إلتفّت العليا بالسفلىٰ، وإذا كان يوم القيمة ضربنا بأيدينا إلىٰ حجزة نبينا، وضرب أشياعنا بأيديهم إلىٰ حجزتنا، فأين ترىٰ يصيّر الله نبيه وذريته، وأين ترىٰ يصير ذريته محبيها؟ فضرب جابر يده علىٰ يده فقال: دخلناها وربّ الكعبة ثلاثاً».

وفيه[2] عن محمد بن مروان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: «خلقنا من نور عظمته، ثم صوّر خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكنا نحن خلقنا (خلقنا وبشرا) نورانيين، لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً، وخلق أرواح شيعتنا من أبداننا (من طينتنا خ) وأبدانهم من طينة

---

١ ـ بصائر الدرجات ص١٦.

٢ ـ بصائر الدرجات ص٢٠.

مخزونة مكنونة أسفل من تلك الطينة، ولم يجعل الله لأحد في مثل ذلك الذي خلقهم منه نصيباً إلّا للأنبياء والمرسلين، فلذلك صرنا نحن وهم الناس، وصار سائر الناس همجاً في النار وإلى النار».

أقول: فهذا الحديث الشريف بيّن أنّ حقيقتهم النورانية وأرواحهم، إنما هي من نور عظمته تعالىٰ، وأما طينتهم التي هي عبارة عن عالمهم المثالي، فهي من طينة مخزونة من تحت العرش، ثم إنه تعالىٰ جعل ذلك النور في الصورة المخلوقة من تلك الطينة العرشية، ولم يشاركهم في هذه الخلقة أحد، ثم إنه تعالىٰ خلق أرواح الشيعة من أبدانهم أي من تلك الطينة المخلوقة منها أمثالهم الشريفة.

ثم إن المستفاد من قوله عليه السلام: «إلّا الأنبياء»، أنهم (أي الأنبياء) لم يكونوا في مرتبتهم الروحية والنورية، بل هم في مرتبة خلق شيعتهم كما لا يخفىٰ، وكفىٰ بهذا شرفاً لهم عليهم السلام ولشيعتهم، ثم إن قوله عليه السلام: «واحدة»، تشير إلىٰ أن أرواحهم في عالم الأرواح واحدة، وأنوارهم في عالم النورانية وأمثالهم وأجسامهم في عالمها واحدة.

والحاصل: أنهم عليهم السلام في كل مرتبة من مراتب الخلقة متحدون في تلك المرتبة، لا يتفاضل بعضهم علىٰ بعض، يدل علىٰ هذا عدة من الأحاديث نحن نذكر بعضها تيمناً وتبركاً.

ففي البحار[1] عن كنز الفوائد: روى الصدوق رحمه الله في كتاب المعراج عن رجاله إلىٰ ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يخاطب علياً عليه السلام ويقول: «ياعلي إن الله تبارك وتعالىٰ كان ولا شيء معه، فخلقني وخلقك روحين من نور جلاله، فكنّا أمام عرش ربّ العالمين نسبح الله ونقدسه ونحمده ونهلله، وذلك قبل أن يخلق السموات والأرضين، فلما أراد أن يخلق آدم خلقني وإياك من طينة واحدة من طينة عليين، وعجننا بذلك النور، وغمسنا في جميع الأنوار وأنهار الجنة.

---

١ ـ البحار ج ٢٥ ص ٣.

ثم خلق آدم واستودع صلبه تلك الطينة والنور، فلما خلقه استخرج ذريته من ظهره، فاستنطقهم وقررهم بالربوبية، فأول خلق إقراراً بالربوبية أنا وأنت والنبيون علىٰ قدر منازلهم وقربهم من الله عزوجل، فقال الله تبارك وتعالىٰ: صدقتما وأقررتما يامحمد وياعلي وسبقتما خلقي إلىٰ طاعتي، وكذلك كنتما في سابق علمي فيكما، فأنتما صفوتي من خلقي والأئمة من ذريتكما وشيعتكما، وكذلك خلقتكم.

ثم قال النبي ﷺ: ياعلي فكانت الطينة في صلب آدم، ونوري ونورك بين عينيه، فما زال ذلك النور ينتقل بين أعين النبيين والمنتجبين حتىٰ وصل النور والطينة إلىٰ صلب عبدالمطلب، فافترق نصفين، فخلقني الله من نصفه، واتخذني نبيّاً ورسولاً، وخلقك من النصف الآخر فاتخذك خليفة (علىٰ خلقه) ووصياً ووليا، فلما كنت من عظمة ربي كقاب قوسين أو أدنىٰ قال لي: يامحمد من أطوع خلقي لك؟ فقلت: علي بن أبي طالب عليه السلام فقال عزوجل: فاتخذه خليفة ووصياً، فقد اتخذته صفياً ووليا، يامحمد كتب اسمك واسمه علىٰ عرشي من قبل أن أخلق الجنة محبة مني لكما، ولمن أحبّكما وتولاّكما وأطاعكما.

فمن أحبكما وأطاعكما وتولاّكما كان عندي من المقربين، ومن جحد ولايتكما، وعدل عنكما كان عندي من الكافرين الضالين، ثم قال النبي ﷺ: ياعلي فمن ذا يلج بيني وبينك، وأنا وأنت من نور واحد وطينة واحدة، فأنت أحق الناس بي في الدنيا والآخرة، وولدك ولدي، وشيعتكم شيعتي، وأولياؤكم أوليائي، وأنتم معي غداً في الجنة».

وفيه البحار[١] ومما رواه من كتاب منهج التحقيق بإسناده عن محمد بن الحسين، رفعه عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: «إن الله تعالىٰ خلق أربعة عشر نوراً من نور عظمته قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام

---

١ ـ البحار ج ٢٥ ص ٤.

فهي أرواحنا، فقيل له: يابن رسول الله عدّهم بأسمائهم، فمن هؤلاء الأربعة عشر نوراً؟ فقال: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين عليهم السلام وتاسعهم قائمهم، ثم عدّهم بأسمائهم، ثم قال: نحن والله الأوصياء الخلفاء من رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن المثاني التي أعطاها الله نبيّنا، ونحن شجرة النبوة، ومنبت الرحمة، ومعدن الحكمة، ومصابيح العلم، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، وموضع سرّ الله، ووديعة الله جلّ اسمه في عباده، وحرم الله الأكبر وعهده المسؤول عنه.

فمن وفىٰ بعهدنا، فقد وفىٰ بعهد الله، ومن خفره[1] فقد خفر ذمة الله وعهده، عرفنا من عرفنا، وجهلنا من جهلنا، نحن الأسماء الحسنى، التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلّا بمعرفتنا، ونحن والله الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، إن الله تعالىٰ خلقنا فأحسن خلقنا، وصورنا فأحسن صورنا، وجعلنا عينه علىٰ عباده، ولسانه الناطق في خلقه، ويده المبسوطة عليهم بالرأفة والرحمة، ووجهه الذي يؤتىٰ منه، وبابه الذي يدل عليه، وخزان علمه، وتراجمة وحيه، وأعلام دينه، والعروة الوثقىٰ، والدليل الواضح لمن اهتدىٰ. وبنا أثمرت الأشجار وأينعت الثمار، وجرت الأنهار، ونزل الغيث من السماء، ونبت عشب الأرض، وبعبادتنا عبد الله، ولولانا ما عرف الله، وأيم الله لولا وصيّة سبقت، وعهد أخذ علينا؛ لقلت قولاً يعجب منه أو يذهل منه الأولون والآخرون».

أقول: هذا ظاهر في خلق الطينة المتعلقة بعالم المثال لهم، أو خلق أبدانهم عليهم السلام كما لا يخفىٰ.

وفيه[2] عن كمال الدين، عن أبي حمزة الثمالي، قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: «إن الله عزوجل خلق محمداً وعلياً والأئمة الأحد عشر من نور عظمته أرواحاً في ضياء نوره، يعبدونه قبل خلق الخلق، يسبّحون الله عزوجل،

---

١ ـ قوله عليه السلام: خفره، أي نقضه.

٢ ـ البحار ج ٢٥ ص ١٥.

ويقدسونه، وهم الأئمة الهادية من آل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين).

وأما قوله عليه السلام: «طابت وطهرت بعضها من بعض».

أقول: هذه الجملة لعلها تشير إلىٰ أمرين:

الأول: تشير إلىٰ أن تناسلهم عن آبائهم كان طيباً طاهراً، بأن كان عن نكاح صحيح دون السفاح، أو وقوع النكاح بدون الشرط اللازم، وأيضاً كان التناسل من آباء وأمهات مؤمنين ومؤمنات لا غيرهم، كما دلّت عليه أخبار كثيرة من أنهم عليهم السلام كان تناسلهم من أصلاب النبيين عليهم السلام.

في تفسير البرهان[1] علي بن جعفر بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: **﴿الذي يراك حين تقوم * وتقلبك في الساجدين﴾**، قال: في أصلاب النبيين عليهم السلام».

وفيه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله ..إلىٰ أن قال صلى الله عليه وآله: «فلم يزل ينقلنا الله عزوجل من أصلاب طاهرة إلىٰ أرحام طاهرة حتىٰ انتهىٰ إلىٰ عبدالمطلب، فقسّمنا نصفين، فجعلني في صلب عبدالله، وجعل علياً عليه السلام في صلب أبي طالب، وجعل فيّ النبوة والبركة، وجعل في علي الفصاحة والفروسية، وشقّ لنا اسمين من أسمائه فذو العرش محمود وأنا محمد صلى الله عليه وآله والله الأعلىٰ وهذا علي عليه السلام».

وفيه[2] عن محمد بن العباس بإسناده عن أبي الجارود قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزوجل: **﴿وتقلبك في الساجدين﴾**[3] قال: «يرىٰ تقلّبه في أصلاب النبيين من نبي إلىٰ نبي، حتىٰ أخرجه من صلب أبيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم عليه السلام».

وفيه عنه، عن الشيخ أبي محمد الفضل بن شاذان بإسناده، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن الامام العالم موسىٰ بن جعفر الكاظم عليه السلام قال: «إن الله تبارك وتعالىٰ

---

١ ـ تفسير البرهان ج٣ ص١٩٢.

٢ ـ تفسير البرهان ج٣ ص١٩٣.

٣ ـ الشعراء: ٢١٩.

خلق نور محمد ﷺ من نور اخترعه من نور عظمته وجلاله، وهو نور لاهـوتية الذي بدا منه، وتجلىٰ لموسىٰ بن عمران لطلب رؤيته، فما ثبت ولا استقر، ولا طاقة له لرؤيته حتىٰ خرّ صعقاً مغشياً عليه، وكان ذلك النور نور محـمد ﷺ فـلما أراد أن يخلق محمداً ﷺ منه، قسّم ذلك النور شطرين، فخلق من الشطر الأول محمداً ﷺ ومن الشطر الآخر علي بن أبي طالب عليه السلام ولم يخلق من ذلك النور غيرهما.

خلقهما بيده، ونفخ فيهما بنفسه لنفسه، وصوّرهما علىٰ صورتهما، وجعلهما أُمناء له، وشهداء علىٰ خلقه، وخليفته علىٰ خليقته، وعيناً له عليهم، ولساناً له إليهم، قد استودع فيهما علمه، وعلّمهما البيان، واستطلعهما علىٰ غيبه، وجعل أحدهمـا نفسه والآخر روحه، ولا يقوم واحد بغير صاحبه، ظاهرهما بشرية، وباطنهما لاهوتية، ظهرا للخلق علىٰ هياكل الناسوتية حتىٰ يطيقوا رؤيتهما، وهو قوله تعالىٰ ﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾[1] فهما مقاما ربّ العالمين، وحجابا خالق الخلائق أجمعين، بهما فتح بدء الخلق، وبهما يختم الملك والمقادير.

ثم اقتبس من نور محمد فاطمة ابنته عليها السلام كما اقتبس نوره من نوره، واقتبس من نور فاطمة وعلي والحسن والحسين عليهم السلام كاقتباس المصابيح، هم خلقوا من الأنوار، وانتقلوا من ظهر إلىٰ ظهر، ومن صلب إلىٰ صلب، ومن رحم إلىٰ رحـم في الطـبقة العليا من غير نجاسة، بل نقلاً بعد نقل، لا أنه من ماء مهين، ولا نطفة جشرة كسائر خلقه، بل أنوار انتقلوا من أصلاب الطاهرين إلىٰ أرحام المطهرات؛ لأنهـم صـفوة الصفوة، اصطفاهم لنفسهم، وجعلهم خزّان علمه، وبلّغا عنه إلىٰ خلقه، أقامهم مقام نفسه، لا يرىٰ ولا يدرك، ولا تعرف كيفية انيته، فهؤلاء الناطقون المـبلغون عـنه، المتصرفون في أمره ونهيه، فبهم يظهر قدرته، ومنهـم ترىٰ آياته ومعجزاته، فـبهم ومنهم عرف عبادة نفسه[2]، وبهم يطاع أمره، ولولاهم ما عـرف الله، ولا يـدرى

---

١ ـ الأنعام: ٩.

٢ ـ أقول: الظاهر عباده نفسه.

كيف يعبد الرحمن، فالله يجري أمره كيف يشاء فيما يشاء ﴿لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون﴾[١]».

أقول: هذا الحديث الشريف من غرر أحاديثهم المتضمنة لغوامض معارفهم وعلومهم عليهم السلام وله شرح كثير لا يسع المقام ذكره، مضافاً إلىٰ غموضه، وإني لست من أهل التحقيق فيه، صرفنا عنه النظر، وكيف كان فبيّن هذا كيفية خلقتهم النورانية، وكيفية خلقتهم الجسمانية والمادية، وإن لها شأناً يخصّهم عليهم السلام ولا يشاركهم فيها أحد.

والحاصل: أن قوله: «بعضها من بعض» إشارة إلىٰ أن تناسلهم كان بعضها من بعض في حال الطيب والطهارة في الأصلاب والأرحام، وبالنسبة إلىٰ ساير ما يجب مراعاته في التناسل، لحصول طيب الولادة وطهارتها من الإيمان، والأعمال الصالحة، والصفات الحميدة والتوحيد، كلها بالنسبة إلى الوالدين، وهذه كلها كانت بالنسبة إلىٰ آبائهم وأُمهاتهم عليهم السلام موجودة كما أشار إليه قوله في زيارة الوارث «أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة، لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها، ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها».

فظهر أن أرواحهم ونورهم وطينتهم في الطيب والطهر مما ذكر من النقائص واحدة، لا تفاضل فيها بوجه من الوجوه، وهذا يستفاد من قوله: «بعضها من بعض» الظاهر في الاتحاد.

وبعبارة أُخرىٰ: أن قوله عليه السلام: «بعضها من بعض»، وإن كان ظاهره الفصل بينهم، وإلّا لما كان هذا «بعض» وهذا «بعض» إلّا أن قوله: من بعض، يعطي الاتحاد في الواقع يعني أن هذا الفصل يكون في ظاهر الخلقة وفي عالم القلب والفؤاد الظاهري، وأما في النور والواقع فهم واحد، ولذا كان بعضهم من بعض، فالمغايرة في

---

١ ـ الأنبياء: ٢٣.

الظاهرة، وفي الفؤاد والقلب والصورة الظاهرية، وأما في عالم النور فهم واحد، وإليه يشير ما تقدم من قوله عليه السلام: «كلنا محمد صلى الله عليه وآله».

والحاصل: أن كل ما فرض بعضها منها في الظاهر، فهو من البعض الآخر في الواقع، وذلك البعض الآخر في الظاهر أيضاً من هذا البعض في الواقع، فالفصل في الظاهر والاتحاد في الواقع، وإن شئت قلت: فالفصل في عالم المثال والقلب والفؤاد، والتشخصات الخلقية والاتحاد في الواقع وعالم العقل والنور، الذي خلق من نور عظمته تعالىٰ، ومن هذا البيان تنحل مسألة عويصة، وهي أنه قد دلّت أحاديث وجمل منهم عليهم السلام علىٰ أنهم واحد في الرتبة والفضل والعلم، ودلّت أحاديث أُخر علىٰ تفاضلهم عليهم السلام في بعض الأُمور، وحاصل الحل: أن ما دلّ علىٰ اتحادهم في العلم، فهو محمول وظاهر في الواقع والجهة النورانية، وما دلّ علىٰ اختلاف درجاتهم، فهو محمول وظاهر في الظاهر والجهات الشخصية.

ثم إن التحقيق في المسألة يتوقف علىٰ بيان الأقوال فيهم عليهم السلام ثم بيان ما يساعده الدليل منهم عليهم السلام في ذلك فنقول: ذهب بعضهم إلىٰ أن الأربعة عشر عليهم السلام كلهم في جميع الأمور الظاهرية والباطنية سواء، وبعضهم ذهب إلىٰ أن محمداً وعلياً (صلى الله عليهما وآلهما) سواء دون غيرهما منهم، ومنهم من يفضل عليّاً عليه السلام علىٰ محمد صلى الله عليه وآله وهذا قول الغرابية الكفرة القائلين بأن محمداً بعلي أشبه من الغراب بالغراب والذباب بالذباب وقالوا: بعث جبرئيل عليه السلام إلىٰ علي عليه السلام فغلط وذهب إلىٰ محمد صلى الله عليه وآله وهم يلعنون (لعنهم الله) صاحب الريش، يعنون جبرئيل عليه السلام.

وبعضهم من يستثني محمداً صلى الله عليه وآله وعلياً عليه السلام ويسوي بين الباقين عليهم السلام، وهذه الأقوال لا يعبأ بها.

ثم إنه لا ريب من العلماء والأدلة في أن محمداً صلى الله عليه وآله أفضل من الكل، ثم فضل علي بعده على الباقين، ثم إنهم اختلفوا في الباقين، فمنهم من قدم فاطمة عليها السلام على الباقين كما هو في الذكر، فإنهم يذكرونها بعد علي عليه السلام المذكور بعد النبي صلى الله عليه وآله ثم

يذكرون سائر الأئمة عليهم السلام، ومنهم من فضّل الحسنين عليهما السلام عليها وعلى التسعة من ذرية الحسين عليه السلام وهم (أي التسعة) سواء إلّا علي عليه السلام فإنه أفضل، ومنهم من جعل محمداً صلى الله عليه وآله أفضل الخلق أجمعين، ثم علي ثم الحسن ثم الحسين ثم القائم (عج) ثم الأئمة الثمانية ثم فاطمة عليها السلام ثم إنهم اختلفوا في أن التفاضل على القول به في موارده هل هو لزيادة العلم أوله وللعمل، أو هو محض عناية الله تعالىٰ لهم، أو لزيادة سائر الصفات في بعضهم على البعض كالقوة والشجاعة والكرم وغير ذلك.

إذا علمت هذا فنقول: ينبغي أن يجعل موضوع النزاع في موردين:

الأول: في عالم الظاهر وعالم المادة والجسمانيات.

الثاني: في عالم الواقع والأنوار، والمظهرية للولاية الكلية الإلهية، فنقول:

أما الأول: فلا ريب في أن عالم الجسم والمادة يكون في غاية الضيق بالنسبة إلىٰ عالم الأنوار والواقعيات، كما لا يخفىٰ هذا علىٰ أهله، ولا ريب في أن الحقائق والواقعيات تظهر في عالم الظاهر والجسمانيات في مواردها محدودة مرعياً فيها الحكم والمصالح الموجبة لتحديدها كماً وكيفاً، فلو أن أشخاصاً متعددة كانوا في الامكانات الأولية علىٰ حدّ سواء ومرتبة واحدة، ولكن لا ريب في أن كل واحد منهم يظهر إمكاناته علىٰ حسب ما تقتضيه الظروف والشرائط كماً وكيفاً، فلو أن أحداً منهم أعطىٰ من إمكاناته لواحد عشرة والآخر مائة فإنه وإن كان في الظاهر من أعطى المائة يحسب أسخىٰ من الذي أعطىٰ عشرة، إلّا أن هذا التفاضل صوري اقتضته الحكمة والظروف والشرائط في العالم الامكانية، وإلّا فالمعطىٰ عشرة له أن يعطىٰ مائة، والمعطىٰ مائة له أن يعطى العشرة إذا اقتضت الحكمة ذلك.

وكيف كان فالتفاضل صوري بلحاظ عالم الملك والمادة، وأما بلحاظ الواقع فجميعهم سواء، ولا ريب في أن التفاضل الصوري لا يوجب مفضولية المعطي عشرة في المثال بالنسبة إلى المعطي مائة، فالتفاضل الصوري تفاضل في الظاهر، إلّا أنه ليس مما يوجب نقصاً في المفضل عليه صورة كما لا يخفىٰ، فما دلّ من الأحاديث

علىٰ تفضيل بعضهم علىٰ بعض في الصورة يكون هكذا، وهذا ليس نقصاً للمفضّل عليه واقعاً كما لا يخفىٰ، ولما ذكرنا شواهد كثيرة في الشرع والأحاديث، وفي العرف كما لا يخفىٰ على المتتبع.

وأما الثاني: (أعني عالم الواقع والأنوار المظهرية لجماله وجلاله) فنقول:

في البحار[1] عن كتاب المختصر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: «إن الله تعالىٰ خلق أربعة عشر نوراً من نور عظمته، قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام فهي أرواحنا، فقيل له: يابن رسول الله عدّهم بأسمائهم فمن هؤلاء الأربعة عشر نوراً؟ فقال: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين وتاسعهم قائمهم، ثم عدهم بأسمائهم ثم قال: نحن والله الأوصياء الخلفاء من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله» الحديث بطوله.

وفيه عن كتاب المقتضب مسنداً عن سلمان الفارسي (رحمة الله تعالىٰ عليه) قال: دخلت علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله فلما نظر إليّ قال: «ياسلمان إن الله عزوجل لم يبعث نبياً ولا رسولاً إلّا جعل له اثني عشر نقيباً، قال: قلت: يارسول الله عرفت هذا من الكتابين؟ قال: ياسلمان فهل علمت نقبائي الاثني عشر الذين اختارهم الله للامامة من بعدي؟ فقلت: الله ورسوله أعلم، قال: ياسلمان خلقني الله من صفاء نوره، فدعاني فأطعته، وخلق من نوري علياً فدعاه إلىٰ طاعته فأطاعه، وخلق من نوري ونور علي عليه السلام فاطمة فدعاها فأطاعته، وخلق مني ومن علي ومن فاطمة الحسن والحسين فدعاهما فأطاعاه.

فسمانا الله عزوجل بخمسة أسماء من أسمائه، فالله المحمود وأنا محمد، والله العلي وهذا علي، والله فاطر وهذه فاطمة، والله الاحسان وهذا الحسن، والله المحسن وهذا الحسين، ثم خلق من نور الحسين تسعة أئمة فدعاهم فأطاعوه، قبل أن يخلق الله سماء مبنية، أو أرضاً مدحية، أو هواء أو ماء أو ملكاً أو بشراً، وكنّا بعلمه أنواراً

---

١ ـ البحار ج ٢٥ ص ٤.

نسبحه ونسمع له ونطيع» الحديث بطوله.

أقول: ومثله أحاديث كثيرة، وقد تقدم بعضها أيضاً.

وكيف كان فالمستفاد منها أن نورهم وعلومهم سواء بالنسبة إلىٰ علم الدين والحلال والحرام، وأما من حيث الذات، فربما يقال: إن المستفاد من حديث بصائر الدرجات كما في البحار[1] بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام أو عمّن رواه، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلنا: الأئمة بعضهم أعلم من بعض؟ قال: «نعم، وعلمهم بالحلال والحرام وتفسير القرآن واحد».

وفيه، عنه، عن أبي بصير قال: قال أبو عبدالله عليه السلام «ياأبا محمد كلّنا نجري في الطاعة والأمر مجرىٰ واحداً وبعضنا أعلم من بعض».

وفيه، عنه، عن بعض رجاله، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ليس شيء يخرج من عند الله إلّا بدأ برسول الله، ثم أمير المؤمنين، ثم بمن بعده؛ ليكون علم آخرهم من عند أولهم، ولا يكون آخرهم أعلم من أولهم».

وفيه، عنه، عن أبي الصباح مولىٰ آل سام قال: كنّا عند أبي عبدالله عليه السلام أنا وأبو المغرى إذ دخل علينا رجل من أهل السواد فقال: السلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، قال له أبو عبدالله عليه السلام: «عليك السلام ورحمة الله وبركاته، ثم اجتذبه وأجلسه إلىٰ جنبه، فقلت لأبي المغرى، أو قال لي أبو المغرى: إن هذا الاسم ماكنت أرىٰ أحداً يسلم به إلّا علي أمير المؤمنين علي (صلوات الله عليه) فقال لي أبو عبدالله عليه السلام: ياأبا الصباح أنه لا يجد عبد حقيقة الايمان حتىٰ يعلم أن لآخرنا ما لأولنا».

وفيه، عنه، عن مالك بن عطية، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: الأئمة يتفاضلون قال: «أما في الحلال والحرام فعلمهم فيه سواء، وهم يتفاضلون فيما سوىٰ ذلك».

---

١ ـ البحار ج ٢٥ ص ٣٥٨.

فالمستفاد من هذه الأحاديث أنهم عليهم السلام في العلم الظاهر واحد، وأما من حيث الواقع والذات فهم متفاوتون، فحينئذ نقول: لا ريب في أنهم عليهم السلام في العلم بالأحكام والحلال والحرام، وما يحتاجون إليه الناس واحد، كما أنه لا ريب في أنهم في وجوب طاعتهم أيضاً واحد، هذا ولكن هل لهم تفاضل فيما سوىٰ ذلك مما يختص كل واحد منهم به؟

فربما يقال: نعم، نظراً إلىٰ قوله عليه السلام فيما تقدم، قلنا: الأئمة بعضهم أعلم من بعض؟ فقال: نعم، وعلمهم بالحلال والحرام وتفسير القرآن واحد، فإن قوله عليه السلام: نعم، يدل علىٰ أعلمية بعضهم عليهم السلام من بعض بعد تسويتهم في علم الحلال والحرام وتفسير القرآن، فحينئذ نقول:

ربما يقال: معنىٰ أعلمية بعضهم من بعض هو أن حقيقة الأئمة عليهم السلام هو التجلي الإلهي في سرّه، بل الامام عليه السلام ليس إلّا ذلك التجلي، وكنه هذا التجلي هو ما ظهر هو تعالىٰ للإمام عليه السلام فهو إمام به وحقيقته، التي هي آية ربه الكبرىٰ، هو ذلك التجلي الالهي، ولا ريب في أن هذا التجلي كان أولاً في عالم السرمد والغيب الخارج عن الزمان والمكان لمحمد صلى الله عليه وآله قبل أن يكون لعلي عليه السلام، وكان أيضاً ظهور هذا التجلي لعلي عليه السلام قبل الحسن عليه السلام وله عليه السلام قبل الحسين عليه السلام وللحسين عليه السلام قبل القائم (عج) وله (عج) قبل الثمانية عليهم السلام وهم عليهم السلام قبل فاطمة عليها السلام.

هذا بحسب بعض الأحاديث وإن كان يظهر من بعضها أنه كان التجلي لمحمد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام في مرتبة واحدة، ثم لفاطمة عليها السلام ثم للحسن والحسين عليهما السلام ثم لسائر الأئمة عليهم السلام، وقد تقدمت بعض الأحاديث الدالة علىٰ ترتيب هذا الخلق والتجلي فيهم عليهم السلام، ثم إن التجلي فيهم عليهم السلام كيف ما كان يختلف كيفاً، ولعله بلحاظ اختلافه كيفاً قالوا: بعضنا أعلم، أي أعرف، أي أشدّ تجلياً من بعض والله العالم بهم.

وإني أستغفر الله تعالىٰ من هذا البيان، وإنما قلته بحسب الظاهر، وإلّا فإنّا آمنّا بالله، وبما أنزله علىٰ نبيه صلى الله عليه وآله وعليهم عليهم السلام وآمنا بنبيه صلى الله عليه وآله وبهم عليهم السلام لا نفرق بين

أحد منهم ونحن له مسلمون وبما منحهم الله تعالىٰ ورتبهم فيه مقرون مذعنون، والحمد لله رب العالمين.

قوله عليه السلام: خلقكم الله أنواراً، فجعلكم بعرشه محدقين

أقول: شرح هذه الجملة من المشكلات، ومحل اختلاف الأنظار، ونحن نذكر مما فضل الله تعالىٰ علينا من فهمنا فنقول: يقع الكلام في **جهات ثلاث**:

الأولىٰ: في معنىٰ إنه تعالىٰ خلقهم أنواراً.

الثانية: في معنى العرش.

الثالثة: في معنىٰ كونهم عليهم السلام محدقين بالعرش

أما الأولىٰ فنقول: المستفاد من الأخبار الكثيرة أن للنبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام بل ولغيرهم من ساير الناس نحوين من الخلقة، أحدهما الخلقة الروحية والنورية، وثانيهما الخلقة المادية والصورية والجسمية.

فقوله عليه السلام: «خلقكم الله أنواراً»، يشير إلى الخلق الأول، وقوله عليه السلام: «حتىٰ منّ علينا فجعلكم في بيوت أذن الله ..الخ»، يشير إلى القسم الثاني من الخلق، وهذان مما دلّ كثير من الأخبار عليهما، وأما الثاني فظاهر معناه من الأخبار، وستعلم بعضها فيما يأتي، وأما الأول (أعني ما دلّ علىٰ خلقهم عليهم السلام النوري) فاختلف في معناه، ونحن نذكر بعض الأحاديث في الباب، ثم نعقبه بما يستتبع من الكلام، فنقول وعليه التكلان.

في البحار[1]، روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «كان الله ولا شيء معه، فأول ما خلق نور حبيبه محمد صلى الله عليه وآله قبل خلق الماء والعرش والكرسي، والسموات والأرض، واللوح والقلم، والجنة والنار، والملائكة، وآدم وحواء بأربعة وعشرين

---

١ ـ البحار ج ١٥ ص ٢٧.

وأربعمائة ألف عام، فلما خلق الله تعالىٰ نور نبينا محمد ﷺ بقي ألف عام بين يدي الله عزوجل واقفاً يسبح ويحمده، والحق تبارك وتعالىٰ ينظر إليه ويقول: ياعبدي أنت المراد والمريد، وأنت خيرتي من خلقي، وعزتي وجلالي لولاك ما خلقت الأفلاك، من أحبّك أحببته، ومن أبغضك أبغضته، فتلألأ نوره، وارتفع شعاعه، فخلق منه اثني عشر حجاباً» الحديث.

أقول: ولعلّ هذا الحديث هو المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام في معاني الأخبار، وقد ذكره في البحار في هذا المجلد في الصفحة الرابعة باختلاف يسير، فراجع.

وفيه البحار[1]، عن بصائر الدرجات بإسناده عن علي بن معمّر، عن أبيه قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿هذا نذير من النذر الأُولىٰ﴾[2] قال: «يعني به محمداً ﷺ حيث دعاهم إلى الإقرار بالله في الذّر الأول».

أقول: قوله عليه السلام: «في الذر الأول»، سيجيء معناه قريباً إن شاء الله.

وفيه[3] عن تفسير الفرات بإسناده عن قبيصة بن يزيد الجعفي قال: دخلت على الصادق عليه السلام وعنده ابن ظبيان والقاسم الصيرفي فسلّمت وجلست وقلت: يابن رسول الله أين كنتم قبل أن يخلق الله سماء مبنيّة، وأرضاً مدحية، أو ظلمة، أو نوراً؟ قال: «كنا أشباح نور حول العرش، نسبح الله قبل أن يخلق آدم عليه السلام بخمسة عشر ألف عام، فلما خلق الله آدم عليه السلام فرغنا في صلبه، فلم يزل ينقلنا من صلب طاهر إلىٰ رحم مطهّر حتىٰ بعث الله محمداً ﷺ»، الخبر.

أقول: قوله: أين كنتم، يستفاد منه أنهم كانوا مخلوقين قبل خلق السماء والأرض وغيرهما، وكان هذا أمراً مسلماً عند الشيعة، وإنما سؤاله عنه عليه السلام من حيث إنهم أين كانوا، فقوله عليه السلام: «كنا أشباح نور حول العرش»، يشير إلى الخلق

---

١ ـ البحار ج ١٥ ص ٣.
٢ ـ النجم: ٥٦.
٣ ـ البحار ج ١٥ ص ٧.

الأول، وقوله: «فلما خلق آدم عليه السلام فرغنا في صلبه»، يشير إلى الخلق الثاني.

وفيه، عنه بإسناده، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «خلقني نوراً تحت العرش قبل أن يخلق آدم عليه السلام باثني عشر ألف سنة، فلما أن خلق الله آدم عليه السلام فأقبل ينتقل ذلك النور من صلب إلىٰ صلب، حتىٰ افترقنا في صلب عبدالله بن عبدالمطلب وأبي طالب، فخلقني ربّي من ذلك النور، لكنه لا نبي بعدي».

وفيه، عنه، عن أبي ذر الغفاري، عن النبي صلى الله عليه وآله في خبر طويل في وصف المعراج ساقه.. إلىٰ أن قال: قلت: «ياملائكة ربي هل تعرفونا حق معرفتنا؟ فقالوا: يانبي الله وكيف لا نعرفكم وأنتم أول ما خلق الله خلقكم أشباح نور من نوره في نور من سناء عزّه، ومن سناء ملكه، ومن نور وجهه الكريم، وجعل لكم مقاعد في ملكوت سلطانه وعرشه على الماء، قبل أن تكون السماء مبنيّة، والأرض مدحية، ثم خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم رفع العرش إلى السماء السابعة فاستوىٰ علىٰ عرشه، وأنتم أمام عرشه تسبحون وتقدسون وتكبرون؟

ثم خلق الملائكة من بدء ما أراد من أنوار شتّىٰ، وكنا نمرّ بكم وأنتم تسبحون وتحمدون، وتهللون وتكبرون، وتمجدون وتقدسون، فنسبّح ونقدّس، ونمجّد ونكبّر، ونهلل بتسبيحكم وتحميدكم، وتهليلكم وتكبيركم، وتقديسكم وتمجيدكم، فما أنزل من الله فإليكم، وما صعد إلى الله فمن عندكم فلم لا نعرفكم، اقرأ علياً منّا السلام».

فقوله: «وأنتم أول ما خلق الله»، يشير إلى الخلق الأول يوضحه قولهم: «قبل أن تكون السماء مبنية.. الخ»، وقولهم: «وأنتم أمام عرشه تسبحون.. الخ»، يدلّ علىٰ أنهم عليهم السلام كانوا أنواراً ذاكرين لله تعالىٰ بالتسبيح والتحميد والتهليل وغيرهما، لا أنهم كانوا أشباح صور بلا شعور ودرك، كما ذهب الصدوق والسيد المرتضىٰ (رحمة الله عليهما) وسيجيء بيان رد قولهما وأنه مخالف لما ثبت بتواتر الأخبار وضرورة الدين، وقولهم: «ثم خلق الملائكة»، يشير إلىٰ سبق خلقهم خلقها، كما دلت عليه

أخبار أُخر، وسيجيء بعضها، بل الأحاديث دلت علىٰ أن خلقها من خلقهم عليهم السلام كما سنشير إليه.

وقولهم: فما نزل من الله فإليكم، وما صعد إلى الله فمن عندكم، يستفاد من كمال قربهم عليهم السلام منه تعالىٰ، بحيث لا أقرب منهم إليهم تعالىٰ، كما دلّت عليه أحاديث كثيرة، وساعده الوجدان العرفاني كما حقق في محله وحاصله: أن ما نزل من ذاته المقدسة، فأول ما يتلقاه هو أنفسكم الشريفة لقربها إليه تعالىٰ، وإليه يشير قوله عليه السلام في الزيارة: «إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليكم» الزيارة.

وقولهم: «وما صعد إلى الله فمن عندكم»، ما صعد من الخلق من حقيقة العبودية، والحمد والثناء والدعاء من الخلق، فيمر بكم وأنتم تتلقونه ثم منكم يصعد إليه تعالىٰ، إذ لا طريق إليه تعالىٰ إلّا منكم؛ لأنكم أقرب الخلق إليه تعالىٰ، وهو تعالىٰ قد احتجب بكم، كما في الحديث: «احتجب ربنا بنا».

وكيف كان فحيث إن أنوارهم وخلقهم النوراني، قد أمكنها الله في مقام بين الوجوب والإمكان، وبين الحق والخلق، فلا محالة لا ينزل من الخلق إلّا إليهم، وما يصعد إليه إلّا منهم ومن عندهم، وهذا المقام هو المشار إليه بقولهم: «وجعل لكم مقاعد في ملكوت سلطانه» فتدبر تعرف إن شاء الله.

وفيه، عن منتخب البصائر بإسناده عن سلمان الفارسي (رضوان الله عليه) في حديث طويل قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «ياسلمان، فهل علمت مَن نقبائي ومَن الاثني عشر الذين اختارهم الله للإمامة بعدي؟ فقلت: الله ورسوله أعلم، قال: ياسلمان خلقني الله من صفوة نوره ودعاني فأطعت، وخلق من نوري علياً فدعاه فأطاعه، وخلق من نوري ونور علي فاطمة فدعاها فأطاعته، وخلق مني ومن علي وفاطمة الحسن والحسين فدعاهما فأطاعاه، فسمانا بالخمسة الأسماء من أسمائه.

الله المحمود وأنا محمد، والله العلي وهذا علي، والله الفاطر وهذه فاطمة، والله ذو الإحسان وهذا الحسن، والله المحسن وهذا الحسين، ثم خلق منا من صلب الحسين

تسعة أئمة فدعاهم فأطاعوه قبل أن يخلق الله سماء مبنية، وأرضاً مدحية، أو هواء أو ملكاً أو بشراً، وكنا بعلمه نوراً نسبحه ونسمع ونطيع» الخبر.

أقول: قوله ﷺ: «قبل أن يخلق الله»، ظرف لقوله: «ياسلمان خلقني الله من صفوة نوره»، فدل علىٰ تقدم خلق أرواحهم علىٰ خلق السماء والأرض والمذكورات بعدهما، وقوله ﷺ: «فأطعت»، وقوله ﷺ «فأطاعه»، وهكذا ما ذكره ﷺ من اطاعتهم عليهم السلام يدل علىٰ أنهم عليهم السلام كانوا مطيعين له حين كونهم أنواراً، وأصرح منها قوله ﷺ: «وكنا بعلمه نوراً نسبحه ونسمع ونطيع»، فإن التسبيح والسمع والإطاعة لا تكون إلّا من العاقل الشاعر، لا من الصورة والشبح، وخلق التقدير والتصوير، كما ذهب إليه بعض من لا خبرة له بالمعارف الإلهية.

فإن قلت: قوله ﷺ: «وكنا بعلمه»، ظاهر في الوجود العلمي، لا المخلوق الخارجي، ولو في ظرف الأظلة، وعالم المشية المعبر عنه بالفيض الأقدس.

قلت: لابد من صرف النظر عن الظهور البدوي، فإن قوله عليه السلام: «كنّا»، يراد منه كان التامة المشار به إلى الوجود في مرتبة الواحدية وعالم المشية، وهو الكون المجرد عن الصورة والمادة، بل هو صرف الوجود بمفاد كان التامة المعبر عنه بالفيض الأقدس.

فقوله: «بعلمه»، لا يراد منه في علمه، أي إنه تعالىٰ عالم بأنه يخلق هذا النور هكذا، بل الباء سببية، أي كنا موجودين بسبب علمه، نظير ما تقدم من قوله عليه السلام في الزيارة: «واختاركم بعلمه»، أي اختاركم بالعلم بأن أعمل فيكم علمه، بحيث جعلكم محلاً لأسمائه الحسنىٰ، لا أنه خلقكم مجملة مهملة من غير علم ورويّة علىٰ أن قوله ﷺ «نسبح ونسمع ونطيع»، ظاهر فيما قلنا من أنهم عليهم السلام كانوا عاقلين شاعرين مكلفين، فهو قرينة علىٰ صرف الظهور المذكور المدعىٰ إلىٰ ما ذكرناه، كما لا يخفىٰ.

وفيه، عن كنز جامع الفوائد بإسناده، عن الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال

أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالىٰ أحد واحد توحّد في وحدانيته، ثم تكلّم بكلمة فصارت نوراً، ثم خلق من ذلك النور محمداً صلى الله عليه وآله وخلقني وذريتي، ثم تكلّم بكلمة فصارت روحاً، فأسكنه الله في ذلك النور وأسكنه في أبداننا، فنحن روح الله وكلماته، وبنا احتجب عن خلقه، فما زلنا في ظلة خضراء حيث لا شمس ولا قمر، ولا ليل ولا نهار، ولا عين تطرف، نعبده ونقدسه ونسبحه قبل أن يخلق الخلق»، الخبر.

أقول: قوله عليه السلام: «ثم تكلم بكلمة فصارت نوراً»، هذا النور هو الحقيقة المحمدية والعلوية، قوله: «ثم تكلم»، إلىٰ قوله: «فأسكنه الله في ذلك النور»، هذا الروح هو القوة الفعالية العقلية التي بها تتحقق الفعل والانفعال من ذلك النور، فالنور حقيقة محضة للأشياء المعبر عنها بعالم المشية والفيض الأقدس، والروح هو الحيوٰة، التي بها الفعل والانفعال، وهو المعبر عنه بالعقل الفعّال، ثم انه لما كان هذا الخلق قبل خلق الزمان ومنشئه. فلا محالة لا يكون المراد من قوله عليه السلام: «ثم»، التراخي الزماني بل الرتبي، فعليه فلا منافاة أن يكون أول الخلق نوره صلى الله عليه وآله أو روحه كما صرح بهما في الأحاديث الأُخر، فكلاهما في رتبة تكون أولاً بالنسبة إلىٰ ساير الخلق ومراتبه كما لا يخفىٰ.

قوله: «وبنا احتجب عن خلقه»، إشارة إلىٰ قربهم بالنسبة إليه تعالىٰ، بحيث لا حجاب أقرب منهم إليه تعالىٰ، وكثيراً أطلق الحجب عليهم، ففي الزيارة: «وعلىٰ أوصيائه الحجب»، وفي الحديث في شأن النبي صلى الله عليه وآله: «هو الحجاب الأكبر»، والتعبير عنهم بالحجب، إنما هو بالنسبة إلىٰ غيرهم، ومعنىٰ كونهم حجاباً له تعالىٰ هو أنهم عليهم السلام بحقيقتهم النورية في مرحلة قابلة للاتصال به تعالىٰ والأخذ منه الخير ثم الإفاضة إلى الخلق، وسيجيء قوله عليه السلام: «يفصل نورنا عن نور ربنا، كما يفصل نور الشمس عنها»، وهذا معنىٰ اتصالهم روحاً به تعالىٰ، فالله تعالىٰ لا يعرفه حق المعرفة إلّا هم، لقربهم دون غيرهم، فهم عليهم السلام حجاب له تعالىٰ عن الخلق، ولذا لا سبيل إلىٰ معرفته إلّا بهم عليهم السلام كما تقدم، وذلك لأنهم الحجب له تعالىٰ لا غيرهم فتأمل تعرف،

وقوله عليه السلام: «فما زلنا.. الخ»، إشارة إلىٰ تقدم هذا الخلق لهم عليهم السلام بالنسبة إلىٰ غيرهم، كما يشير إليه أيضاً قوله عليه السلام: «قبل خلق الخلق».

وفيه، عن كنز جامع الفوائد، عن محمد بن الحسن الطوسي رحمه الله في كتابه مصباح الأنوار بإسناده، عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إن الله خلقني وخلق علياً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق آدم عليه السلام حين لا سماء مبنية، ولا أرض مدحية، ولا ظلمة ولا نور، ولا شمس ولا قمر، ولا جنة ولا نار، فقال العباس: فكيف كان بدء خلقكم يارسول الله؟ فقال: ياعم لما أراد الله أن يخلقنا تكلّم بكلمة خلق منها نوراً، ثم تكلم بكلمة أخرىٰ فخلق منها روحاً، ثم مزج النور بالروح فخلقني وخلق علياً وفاطمة والحسن والحسين، فكنا نسبحه حين لا تسبيح، ونقدسه حين لا تقديس.

فلما أراد الله تعالىٰ أن ينشئ خلقه فتق نوري فخلق منه العرش، والعرش من نوري، ونوري من نور الله، ونوري أفضل من العرش، ثم فتق نور أخي علي فخلق منه الملائكة، فالملائكة من نور علي، ونور علي من نور الله، وعلي أفضل من الملائكة، ثم فتق نور ابنتي فخلق منه السموات والأرض، فالسموات والأرض من نور ابنتي فاطمة، ونور ابنتي فاطمة من نور الله، وابنتي فاطمة أفضل من السموات والأرض، ثم فتق نور ولدي الحسن فخلق منه الشمس والقمر، فالشمس والقمر من نور ولدي الحسن، ونور الحسن من نور الله، والحسن أفضل من الشمس والقمر، ثم فتق نور ولدي الحسين فخلق منه الجنة والحور العين فالجنة والحور العين من نور ولدي الحسين ونور ولدي الحسين من نور الله وولدي الحسين أفضل من الجنة والحور العين»، الخبر.

أقول: قوله صلى الله عليه وآله: «إن الله خلقني وخلق علياً»، إشارة إلى الخلق الأول، وقوله صلى الله عليه وآله: «لما أراد الله أن يخلقنا»، إشارة إلىٰ كيفية هذا الخلق الأول لهم عليهم السلام، وقوله صلى الله عليه وآله: «فلما أراد الله تعالىٰ أن ينشئ خلقه»، إشارة إلىٰ كيفية خلقه تعالىٰ سائر خلقه من المذكورين في الحديث، فمن جملتها يستفاد أن نورهم عليهم السلام منشأ

لخلق تلك الأُمور المذكورة، فيستلزم تقدم خلقهم النوري عليها كما لا يخفىٰ، ثم إن كون نورهم عليهم السلام منشأ لخلق تلك الأمور، إنما يصحّ إذا كـان نـورهم شـيئا مـثبتاً حقيقياً موجوداً، قابلاً لأن يخلق منه تلك الأمور، فلو كان نورهم صرف الشبح أو صورة محضة أو صوراً علمية محضة كما زعمه بعض من لا معرفة له بالأئمة عليهم السلام لما صح انتشاء تلك الأُمور من تلك الأنوار المقدسة كما لا يخفىٰ.

وأما قوله صلى الله عليه وآله: «فتق نوري فخلق منه العرش»، فـالمراد مـن العـرش (والله العالم) هو جميع ما سوى الله تعالىٰ فإنه كما سيجيء قريباً أن العـرش يـطلق عـلىٰ أمور، منها جميع ما سوى الله تعالىٰ كما يستفاد من تفسير قوله تـعالىٰ: ﴿الرحـمن على العرش استوىٰ﴾[1] بقوله عليه السلام كما سيجيء أي استوىٰ علىٰ ما دقّ وجـلّ وإن قربه بالنسبة إلى الأشياء سواء، وسيجيء متن حديثه، فقوله: «فخلق منه العرش»، أي جميع ما سوى الله، ضرورة أن نوره كما تقدمت الإشارة إليه هو عـالم المشـية والفيض الأقدس، الذي فيه حقيقة جميع الأشياء بلا صورة ولا مادة، وحينئذ فمعنىٰ خلق العرش منه هو انتشاؤه منه تفصيلاً في لباس الصورة والمادة، كل بحسب مـا تقتضيه الحكمة الإلهية والمشية الأزلية.

وفيه، عن معاني الأخبار بإسناده، عن أبي ذر (رحمة الله عليه) قـال: سمـعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «خلقت أنا وعلي بن أبي طالب من نور واحد نسبح الله يمنة العرش قبل أن خلق آدم بألفي عام، فـلما أن خـلق آدم عليه السلام جـعل ذلك النـور في صلبه»، الحديث.

أقول: قد ظهر لك مما تقدم دلالة هذا الحديث علىٰ ما ذكرنا.

وفيه، عنه، عن الصادق عليه السلام قال: «إن محمداً صلى الله عليه وآله وعلياً عليه السلام كانا نوراً بين يدي الله جلّ جلاله، قبل خلق الخلق بألفي عام، وإن الملائكه لما رأت ذلك النور رأت له

---

١ ـ طه: ٥.

أصلاً، وقد انشعب منه شعاع لامع، فقالت: إلاهنا وسيّدنا ما هذا النور؟ فأوحى الله عزوجل إليهم: هذا نور من نوري أصله نبوّة، وفرعه إمامة، فأما النبوة فلمحمد عبدي ورسولي، وأما الإمامة فلعلي حجتي وولي، ولولاهما ما خلقت خلقي»، الخبر.

أقول: قوله عليه السلام: «وإن الملائكة لما رأت»، أي بعد أن خلقها الله تعالىٰ، قوله عليه السلام: «رأت له أصلاً، وقد انشعب منه شعاع لامع».

أقول: أي رأت الملائكة أن ذلك النور كأنه حامل لحقائق الأمور، ومشتمل علىٰ حقائق الأشياء بنحو الأصليه، أي بدون صورة ومادة، بل بنحو الحقيقة المحضة، وهذا ظاهر في أن هذا النور وهو نورهم عليهم السلام شيء مخلوق في عالمه، وكان أصلاً مثبتاً موجوداً لا صورة وشبحاً وتقديراً فإن المرئي صورة لا يكون له أصالة وحقيقة كما لا يخفىٰ. نعم إذا أراد الله بعبد خيراً أعطاه فهم ذلك النور كما أعطاه للملائكة.

وفيه، عن علل الشرايع بإسناده، عن المفضل قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام «يامفضل أما علمت أن الله تبارك وتعالىٰ بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وهو روح إلى الأنبياء عليهم السلام وهم أرواح قبل خلق الخلق بألفي عام؟ قلت: بلىٰ، قال: أما علمت أنه دعاهم إلىٰ توحيد الله وطاعته واتباع أمره، ووعدهم الجنة علىٰ ذلك، وأوعد من خالف ما أجابوا إليه وأنكره النار؟ فقلت: بلىٰ»، الخبر.

أقول: قوله عليه السلام: «أما علمت»، يشعر بأن بعثة النبي صلى الله عليه وآله وهو روح المستلزم لتقدم خلقه علىٰ عالم الأجسام والأجساد كان أمراً مسلماً معلوماً، وكيف لا يكون كذلك وقد تواترت الأحاديث بذلك عنهم عليهم السلام كما علمت؟ ويستفاد منه أيضاً أنه تعالىٰ قد بعث محمداً صلى الله عليه وآله وهو روح على الأنبياء وهم أرواح فدعاهم إلىٰ آخر ما ذكر، فهذا ينادى بالصراحة علىٰ تقدم خلق روحه صلى الله عليه وآله وأرواحهم عليهم السلام بالملازمة المعلومة من سائر الأحاديث علىٰ خلق أرواح السائرين، وعلىٰ خلق الأبدان

والأجساد.

ثم أنه كيف يمكن بعثة النبي ﷺ عليهم عليهم السلام في عالم الأرواح ودعاهم إلى التوحيد مع أنه ﷺ يكون شبحاً وصورة محضة وهل هذا إلّا جهالة بحقيقة ما خلقهم الله تعالىٰ؟ ثم أنه لا يمكن عقلاً حمل هذا الحديث علىٰ تحقق هذه الدعوة بعد خلق الثاني وخلق الأبدان؛ وذلك لأن النبي ﷺ صار موجوداً في الأبدان بعد انقضاء الأنبياء وموتهم، فكيف يمكن دعوته ﷺ لهم إلى التوحيد بعد الخلق المادي؟ فلا محالة يدل بالعقل والصراحة علىٰ تقدم خلقه ﷺ لخلق الأول النوري علىٰ خلق الأبدان كما لا يخفىٰ، ولعمري هذا دليل قاطع علىٰ ردّ من أنكر تقدم خلق أنوارهم عليهم السلام.

وفيه، عن أمالي الشيخ بإسناده، عن أبي خالد الكابلي، عن ابن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا إني عبد الله وأخو رسوله وصديقه الأول قد صدّقته وآدم بين الروح والجسد، ثم إني صديقه الأول في أُمتكم حقّاً، فنحن الأولون ونحن الآخرون».

وفيه عن تفسير القمي بإسناده، عن ابن سنان قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «أوّل من سبق من الرسل إلىٰ (بلىٰ) رسول الله ﷺ وذلك أنه كان أقرب الخلق إلى الله تبارك وتعالىٰ»، الخبر.

أقول: صراحة هذا الخبر علىٰ ما ذكرناه أوضح من الشمس.

وفيه، عن علل الشرايع بإسناده، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن بعض قريش قال لرسول الله ﷺ: بأي شيء سبقت الأنبياء وفضّلت عليهم، وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ قال: إني كنت أول من أقرّ بربي جلّ جلاله، وأول من أجاب حيث أخذ الله ميثاق النبيين علىٰ أنفسهم: ﴿ألست بربكم قالوا بلىٰ﴾[1]، فكنت أول نبي قال بلىٰ، فسبقتهم إلى الإقرار بالله عزوجل».

---

١ ـ الأعراف : ١٧٢.

أقول: قوله ﷺ: «فكنت أول نبي قال بلى»، لا يستقيم معناه، إلّا بالتقدم المذكور، وإلّا فلا ريب في أنه ﷺ كان آخرهم موجوداً خارجياً، وقد سبق الأنبياء بما لهم من الإقرار قبله، والقول بأنه بلحاظ عالم الذر الصلبي، وأن المعنىٰ أن فيه ﷺ قابلية الإقرار أزيد من غيره وأمثاله شطط من الكلام.

وفيه، عن العلل بإسناده، عن داود الرقي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «لما أراد الله عزوجل أن يخلق الخلق خلقهم ونشرهم بين يديه، ثم قال لهم: مَن ربّكم؟ فأول من نطق رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) فقالوا: أنت ربّنا، فحملهم العلم والدين، ثم قال للملائكة: هؤلاء حملة ديني وعلمي وأُمنائي في خلقي، وهم المسؤولون، ثم قال لبني آدم: أقرّوا لله بالربوبية ولهؤلاء النفر بالطاعة والولاية، فقالوا: نعم ربنا أقررنا، فقال الله جلّ جلاله للملائكة: اشهدوا، فقالت الملائكة: شهدنا علىٰ أن لا تقولوا غداً: **﴿إنا كنّا عن هذا غافلين﴾**[1]، أو يقولوا: **﴿إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾**، ياداود الأنبياء مؤكدة عليهم في الميثاق».

أقول: إن الخلق بمعنى الإيجاد أو بمعنى التقدير يطلق علىٰ موارد فأولاً بالقرائن، لابد من أن يعلم أن المراد منه خلق الإيجاد، كما في هذه الأحاديث بقرينة ترتيب آثار الإيجاد والوجود عليه من الإقرار والطاعة والدعوة وتحميل العلم، فإنها قرينة علىٰ أن المراد من الخلق فيها هو الإيجاد لا التقدير، ثم إن خلق الإيجاد حيث كان ذا مراتب، فالأحاديث قد وردت لبيانه في مراتبه المختلفة المتعاقبة، فهذا الحديث الشريف يراد من الخلق فيه في قوله عليه السلام: «لما أراد الله عزوجل أن يخلق الخلق»، هو خلق الأرواح أعم من أرواحهم ومن أرواح الملائكة والآدميين.

ولا ريب فيأن هذا الخلق وإن كان خلق الأرواح وهي قبل الأبدان، إلّا أنه

---

١ ـ الأعراف: ١٧٢.

يراد منه الخلق بلحاظ خلق الملائكة والأرواح الأُخرىٰ، وقد علمت أن خلق أرواحهم متأخرة عن خلق أرواحهم وأنوارهم عليهم السلام وسيجيء في بيان الوجه لاختلاف ألسنة الأحاديث في بيان قبلية خلق الأرواح تارة بألفين وأخرىٰ بأربعة عشر ألفاً، وثالثة بغيرها مما تقدم من الاختلاف أنّه محمول علىٰ اختلاف تقدم خلق الأرواح وتأخرها بالنسبة إليهم عليهم السلام وبالنسبة إلىٰ غيرهم من الملائكة والآدميين، فتدبّر تعرف قوله عليه السلام: «فأول من نطق رسول الله صلى الله عليه وآله» إلىٰ قوله: «فقالوا: أنت ربنا»، ظاهر فيما قلنا من أن المراد من الخلق الأول النوري الذين كانوا موجودين في عالم المشية والفيض الأقدس.

ولذا قال عليه السلام: «فحملهم العلم والدين»، فإن هذا قرينة قاطعة علىٰ أن المراد منه الخلق الحقيقي لا الصوري والأشباحي كما ذهب إليه بعض، ضرورة أنه لا معنىٰ لتحميل العلم والدين الصورة والشبح علىٰ أن قوله تعالىٰ للملائكة: «هؤلاء حملة ديني»، إلىٰ قوله: «وهم المسؤولون»، لا يصح حسن تعبيره إلّا إذا كان بنحو الوجود الحقيقي، ولا معنىٰ لارتكاب المجاز باعتبار ما يؤول وفيما يأتي، فإنه مضافاً إلىٰ أنه ينافي قوله: «حملهم العلم والدين»، كما علمت خلاف الظاهر من قوله صلى الله عليه وآله: «أنت ربنا»، كما لا يخفىٰ.

ويدل علىٰ ما قلنا صريحاً قوله عليه السلام: «ياداود الأنبياء مؤكدة عليهم في الميثاق» فإن قوله عليه السلام: «في الميثاق»، إشارة إلىٰ عالم الأرواح وظرف لقوله: «مؤكدة عليهم» فهو ظرف لغو ولا معنىٰ للتأكيد بالنسبة إلى الصور والأشباح في الميثاق كما لا يخفىٰ.

ولعمري إن ارتكاب المجاز في جميع هذه الأحاديث وصرفها عن ظاهرها جرأة على الله تعالىٰ، أعاذنا الله تعالىٰ منه.

وفيه[1]، عن الكافي بإسناده، عن محمد بن سنان قال: كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فأجريت اختلاف الشيعة، فقال: «يامحمد إن الله تبارك وتعالىٰ لم يزل

---

١ ـ البحار ج ١٥ ص ١٩.

متفرداً بوحدانيته، ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة فكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء، فأشهدهم خلقها، وأجرىٰ طاعتهم عليها، وفوض أمورها إليهم، فهم يحللون مايشاءُون ويحرمون مايشاءُون ولن يشاءُوا إلّا أن يشاء الله تبارك وتعالىٰ، ثم قال: يامحمد هذه الديانة التي من تقدمها مرق، ومن تخلف عنها محق، ومن لزمها لحق، خذها إليك يامحمد».

أقول: دلالة هذا الحديث على المدعىٰ من جهات، وعمدتها قوله عليه السلام: «فأشهدهم خلقها»، إذ من المعلوم أن اشهاده تعالىٰ خلقه إياهم لا معنىٰ له، إلّا إذا كانوا عليهم السلام موجودين عاقلين شاعرين في صقع عبّر عنه بألف دهر، ولعلك تقدر على الاستشهاد بساير جمل الحديث بنحو تقدم في أمثاله فلا نعيد.

وفيه، عن كتاب فضائل الشيعة، عن أبي سعيد الخدري، وفي تفسير البرهان عن ابن بابويه بإسناده، عن أبي سعيد الخدري، واللفظ للثاني: قال: كنّا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أقبل إليه رجل فقال: يارسول الله أخبرني عن قول الله عزوجل لابليس: ﴿استكبرت أم كنت من العالين﴾[1]، من هم يارسول الله الذين هم أعلىٰ من الملائكة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين، كنا في سرادق العرش، نسبّح الله فسبّحت الملائكة بتسبيحنا قبل أن خلق الله آدم عليه السلام بألفي عام.

فلما خلق الله عزوجل آدم عليه السلام أمر الملائكة أن يسجدوا له، ولم يؤمروا بالسجود إلّا لأجلنا، فسجدت الملائكة كلهم أجمعون إلّا إبليس أبىٰ أن يسجد فقال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿ياإبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين﴾، قال: من هؤلاء الخمسة المكتوب أسماؤهم في سرادق العرش؟ فنحن باب الله الذي يؤتىٰ منه، بنا يهتدي المهتدون، فمن أحبّنا أحبّه الله وأسكنه جنته، ومن أبغضنا أبغضه الله وأسكنه ناره، ولا يحبنا إلّا من طاب مولده».

---

١ ـ ص: ٧٥.

أقول: المستفاد من هذا الحديث الشريف أن النبي والأئمة وفاطمة الزهراء (عليه وعليهم السلام) خلقهم في قبال خلق آدم والملائكة، فهم قسم ثالث للخلق آدم والملائكة والعالين، فالتفصيل المستفاد من الآية المباركة قاطع للشركة فهم أي(العالين) منفصلون ذاتاً خلقاً عن آدم والملائكة، فقوله تعالىٰ: ﴿أم كنت من العالين﴾[1]، يعني أنك لم تسجد إمّا للاستكبار أو لكونك من العالين الذين لم يؤمروا بالسجود لآدم.

ومن المعلوم أن جعل العالين قسيماً للملائكة، وخارجاً عنهم تخصّصاً في الأمر بالسجود، إنما يصح إذا كان العالون موجودين عاقلين شاعرين، وإلّا فجعل الصورة والشبح قسيماً للملائكة، ثم توبيخ الشيطان في ترك السجود، وبيان وجه العذر له في تركه بأنه أكان من العالين أي من الصور والشبح مما لا يستقيم من عاقل، فضلاً عن الرب الجليل العالم، وقوله ﷺ: «كنا في سرادق العرش»، إلىٰ قوله ﷺ: «بألفي عام»، صريح أيضاً في المدعىٰ، ثم إن السرادق هو كل ما أحاط بشيء كما في المجمع، فإضافة السرادق إلى العرش بيانية، فالعرش هو الذي محيط بكل شيء، فهو سرادق لكل شيء، فحينئذ معنىٰ كنا في سرادق العرش يعني في عالم هو محيط بجميع الأشياء، وكونهم فيها هو وجودهم فيها وإحاطتهم بها.

وأما كيفية هذا الكون فسيجيء توضيحه في الجهة الآتية في بيان كيفية كونهم عليهم السلام محدقين بالعرش، وحيث إن العرش موجود كما علمت فهو بمعنىٰ عالم المشية، التي فيها حقائق الأشياء بدون صورة ومادة كما تقدم ويأتي، فلا محالة يراد من قوله عليه السلام: «كنّا»، أي وجدنا.

وبعبارة أخرىٰ: يراد من الكون فيه ما هو مفاد كان التامة، فحينئذ فما يلوح عن بعض من أنه فرق بين قولهم: كنا، أو خلقنا، فإن الثاني ظاهر في الخلق

---

١ ـ ص: ٧٥.

الخارجي دون الأول، فإنه ظاهر في الكون العلمي خصوصاً إذا حمل العرش على معنى العلم فمدفوع جداً، ضرورة أن العرش لا يراد منه العلم في الحديث، بل المراد عالم المشية المطلقة المعبر عنه بالفيض الأقدس وهو مخلوق جداً، وأنه يستفاد من ترتيب آثار الموجود الخارجي عليهم عليهم السلام إن المراد من قوله عليه السلام: «كنّا»، هو الوجود بمفاد كان التامة، لا الوجود العلمي كما لا يخفى.

وفيه، عن كمال الدين بإسناده، عن أبي حمزة قال: سمعت علي بن الحسين عليهما السلام يقول: «إن الله عزوجل خلق محمداً وعلياً والأئمة الأحد عشر من نور عظمته أرواحاً في ضياء نوره (من نور عظمته فأقامهم أشباحاً في ضياء نوره خ ل) يعبدونه قبل خلق الخلق، يسبحون الله عزوجل، ويقدسونه وهم الأئمة الهادية من آل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين)».

وفيه، عنه بإسناده، عن المفضّل قال: قال الصادق عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى خلق أربعة عشر نوراً قبل خلق الخلق بأربعة عشر ألف عام فهي أرواحنا، فقيل له: يابن رسول الله ومَن الأربعة عشر؟ فقال: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين آخرهم القائم، الذي يقوم بعد غيبته فيقتل الدجال، ويطهر الأرض من كل جور وظلم».

وفيه، عن رياض الجنان بإسناده إلى جابر الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ياجابر كان الله ولا شيء غيره لا معلوم ولا مجهول، فأول ما ابتدأ من خلقه أن خلق محمداً صلى الله عليه وآله وخلقنا أهل البيت معه من نور عظمته، فأوقفنا أظلّة خضراء بين يديه حيث لا سماء ولا أرض ولا مكان، ولا ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر»، الخبر.

وفيه[1] وعن جابر بن عبدالله قال: قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله: أول شيء خلق الله ما هو؟ فقال: «نور نبيّك ياجابر خلقه الله ثم خلق منه كل خير».

---

١ ـ البحار ج ١٥ ص ٢٤.

وفيه، عن جابر أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «أول ما خلق الله نوري، ابتدعه من نوره، واشتقه من جلال عظمته».

وفيه، عن الكافي، عن المفضّل قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: كيف كنتم حيث كنتم في الأظلة؟ فقال: «يامفضل كنا عند ربنا ليس عنده أحد غيرنا في ظلة خضراء، نسبحه ونقدسه، ونهلله ونمجده وما من ملك مقرب ولا ذي روح غيرنا حتىٰ بدا له في خلق الأشياء، فخلق ما شاء كيف شاء من الملائكة وغيرهم، ثم أنهىٰ علم ذلك إلينا».

أقول: هذا الحديث ناصّ في كونهم عليهم السلام مخلوقين مسبّحين ومقدسين له تعالىٰ مع العقل والشعور قبل خلق الملائكة أو ذي روح، ودلّ علىٰ أنه تعالىٰ أنهىٰ (أي جعل وأعطىٰ) علم كيفية الخلق بأصنافها وأحوالها إليهم عليهم السلام.

وفيه، عنه، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن الله كان إذ لا كان، فخلق الكان والمكان، وخلق نور الأنوار، الذي نوّرت منه الأنوار، وأجرىٰ فيه من نور الذي نوّرت منه الأنوار، وهو النور الذي خلق منه محمداً وعلياً، فلم يزالا نورين أولين إذ لا شيء كوّن قبلهما، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهرين في الأصلاب الطاهرة حتىٰ افترقا في أطهر طاهرين في عبدالله وفي أبي طالب عليهما السلام».

قوله عليه السلام: «فلم يزالا نورين»، إشارة إلى الخلق الأول؛ ولذا وصفهما بأولين وأوضحه، أي تقدم خلقهما علىٰ غيرهما بقوله عليه السلام: «إذ لا شيء كون قبلهما»، وقوله عليه السلام: «فلم يزالا يجريان في أطهر طاهرين.. الخ»، إشارة إلى الخلق الثاني أي المثالي والجسماني كما لا يخفىٰ.

وفيه، عنه، عن جابر بن يزيد قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «ياجابر إن الله أول ما خلق خلق محمداً وعترته الهداة المهتدين، فكانوا أشباح نور بين يدي الله قلت: وما الأشباح؟ قال: ظل النور أبدان نورانية بلا أرواح، وكان مؤيداً بروح واحد، وهي روح القدس، فبه كان يعبد الله وعترته، ولذلك خلقهم حلماء علماء بررة أصفياء

يعبدون الله بالصلوة والصوم والسجود، والتسبيح والتهليل، ويصلون الصلوات ويحجّون ويصومون».

أقول: قوله عليه السلام: «أول ما خلق»، إلىٰ قوله: «ولذلك خلقهم حلماء»، إشارة إلى الخلق الأول، قوله عليه السلام: «أشباح نور»، الاضافة بيانية، أبدان نورانية بلا أرواح يدل علىٰ كون الاضافة بيانية، والمراد من قوله: «بلا أرواح»، أي بلا روح حيوانية لا مطلقاً، وذلك لما تقدم وتقرر في محله أن لهم في الدنيا أرواحاً خمسة إحداها روح القدس، فالمنفي هنا هو الأرواح الحيوانية، وأما القدسية فلا، بل هي فيهم في ذلك الصقع الربوبي، ولذا قال عليه السلام: «وكان مؤيداً بروح واحد وهي روح القدس».

فكل واحد منهم عليهم السلام في تلك الحالات كان ذا روح قدسية بها كان يُعبد الله تعالىٰ كما قال عليه السلام: «فبه كان يعبد الله»، وتذكير الضمير إما بلحاظ ما ذكر، أو أن المؤنث المجاز بعدما كان معلوم المراد لا ضير في إرجاع ضمير المذكر إليه، إذ علامة التأنيث والتذكير معرفات، فإذا علم المراد فالمشي علىٰ خلاف القاعدة لا بأس به، مضافاً إلىٰ أنه قد اشتهر أن الأمر في التذكير والتأنيث سهل فتدبر، قوله عليه السلام: «ولذلك خلقهم حلماء»، إشارة إلى الخلق الثاني الجسمي، وقوله: «ولذلك: بيان لعلّة خلقهم في الدنيا حلماء.. الخ»، والوجه فيه أنهم عليهم السلام بعدما كانوا عليهم السلام في الخلق الأول مؤيدين بروح القدس، وكانت هذه الروح حقيقتهم في جميع عوالمهم اللاحقة بهم، فلا محالة كانوا في الخلق الثاني حلماء.. الخ.

وفي تفسير البرهان[1] بإسناده عن داود بن كثير الرقي، قال: قلت لأبي عبدالله جعفر بن محمد عليهما السلام: جعلت فداك أخبرني عن قول الله عزوجل: ﴿والسابقون السابقون * أولئك المقربون﴾[2] قال: «نطق الله بهذا يوم ذرأ الخلق في الميثاق، قبل أن يخلق الخلق بألفي سنة، فقلت: فسّر لي ذلك فقال: إن الله عزوجل لما أراد أن

---

١ ـ تفسير البرهان ج ٤ ص ٢٧٥.

٢ ـ الواقعة: ١٠و١١.

يخلق الخلق من طين، رفع لهم ناراً وقال لهم: أُدخلوها، فكان أول من دخلها محمد وأمير المؤمنين والحسن والحسين وتسعة من الأئمة إماماً بعد إمام، ثم اتبعهم شيعتهم فهم والله السابقون».

وفي البحار[1] عن كمال الدين وعيون الأخبار وعلل الشرايع بإسنادهم، عن الهروي، عن الرضا، عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما خلق الله عزوجل خلقاً أفضل منّي ولا أكرم عليه منّي، قال علي عليه السلام: فقلت: يارسول الله أنت أفضل أو جبرئيل؟ فقال صلى الله عليه وآله: ياعلي إن الله تبارك وتعالىٰ فضّل أنبياءه المرسلين علىٰ ملائكته المقربين، وفضلني علىٰ جميع النبيين والمرسلين والفضل بعدي لك ياعلي وللأئمة من بعدك، وإن الملائكة لخدّامنا وخدّام محبينا، ياعلي الذين يحملون العرش ومَن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا.

ياعلي لولا نحن ما خلق آدم ولا حوّا، ولا الجنة ولا النار، ولا السماء ولا الأرض، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلىٰ معرفة ربنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه؛ لأن أول ما خلق الله عزوجل خلق أرواحنا، فأنطقنا بتوحيده وتحميده، ثم خلق الملائكة فلما شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً، استعظموا أمرنا فسبّحنا لتعلم الملائكة، إنا خلق مخلوقون وإنه منزّه عن صفاتنا، فسبّحت الملائكة بتسبيحنا، ونزّهته عن صفاتنا، فلما شاهدوا عظم شأننا هللنا لتعلم الملائكة أن لا إله إلّا الله، وإنّا عبيد ولسنا بآلهة يجب أن نعبد معه أو دونه فقالوا: لا إله إلّا الله.

فلما شاهدوا كبر محلنا كبّرنا لتعلم الملائكة أن الله أكبر من أن ينال عظم المحل إلّا به (من أن ينال وإنه عظيم خ ل) فلما شاهدوا ما جعله لنا من العزّ والقوة قلنا: لا حول ولا قوة إلّا بالله، لتعلم الملائكة أن لا حول لنا ولا قوة إلّا بالله، فلما شاهدوا ما أنعم الله به علينا، وأوجبه لنا من فرض الطاعة قلنا: الحمد لله، لتعلم الملائكة ما

---

١ ـ البحار ج٢٦ ص٣٣٥.

تحقق لله تعالىٰ ذكره علينا من الحمد علىٰ نعمه، فقالت الملائكة الحمد لله، فبنا اهتدوا إلىٰ معرفة توحيد الله وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده»، الحديث.

أقول: هذا الحديث الشريف صريح في تقدم خلقهم قبل الملائكة وأنهم عليهم السلام كانوا عالمين ومهللين، ومقدسين ومسبّحين وممجدين، وهذه آثار المخلوق الذي يكون ذا عقل وشعور وكمال، لا من كان صرف الصورة والظل بمنزلة الفيء، كما لا يخفىٰ، بل المستنبط منه لأهل التحقيق أنهم عليهم السلام إذ كانوا هناك كانوا مظاهر لجلال الله وجماله وقدرته وكماله بما لها من المعاني الحقيقية، التي هي الأسماء الحسنىٰ لله تعالىٰ، فلأجل ظهورهم كذلك في نظر الملائكة استعظموهم عليهم السلام فسبّحوا وهللوا وكبّروا. وحوقلوا وحمدوا الله تعالىٰ؛ لئلا تقع الملائكة في الشرك، أو في عبادة غير الله تعالىٰ، ولا ريب في أنهم عليهم السلام لو كانوا مجرد الصورة والشبح لما توهمت الملائكة ذلك، ولما احتيج إلى التسبيح والتهليل وغير ذلك لدفع الشرك عنهم، كما لا يخفىٰ.

وفي مرآة العقول[1] بإسناده، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الله عزوجل خلق الخلق،فخلق من أحب مما أحب، وكان ما أحب أن خلقه من طينة الجنة، وخلق من أبغض مما أبغض، وكان ما أبغض أن خلقه من طينة النار، ثم بعثهم في الظلال، فقلت: وأي شيء الظلال؟ فقال: ألم تر إلىٰ ظلّك في الشمس شيئاً وليس بشيء، ثم بعث منهم النبيين فدعوهم إلى الإقرار بالله عزوجل وهو قوله عزوجل: ﴿**ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله**﴾[2] ثم دعوهم إلى الإقرار بالنبيين، فأقرّ بعضهم وأنكر بعض، ثم دعوهم إلىٰ ولايتنا فأقرّ بها والله من أحبّ، وأنكرها من أبغض، وهو قوله: ﴿**فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل**﴾[3] ثم قال أبو جعفر عليه السلام: كان التكذيب ثمة».

---

١ ـ مرآة العقول ج٧ ص٣.

٢ ـ الزخرف : ٨٧.

٣ ـ يونس : ٧٤.

أقول: قوله: «ثم بعثهم في الظلال»، إشارة إلى الخلق الأول، وهو خلق الأرواح قبل الأبدان، إلّا أنه ربما يقال بل قد قيل: بأن المراد من الظلال المفسّر بقوله عليه السلام: «شيئاً وليس بشيء»، هو أن الحيوٰة والتكليف في ذلك الوقت لا يصيران سبباً للثواب والعقاب كأفعال النائم، ولا يبقىٰ إذ ليس له وجود بل مثال وحكاية عن الحيوٰة والتكليف في الأبدان، وهذا نظير ما يسمى الوجود الذهني بالوجود الظلّي لعدم كونه منشأً للآثار ومبدأً للأحكام، فإذاً المراد من الحيوٰة في ذلك الوقت هو الصورة والشبح.

ولكن فيه أن المراد بالظل هو عالم الأرواح، أو المثال علىٰ اختلاف بينهما كما سيأتي، وإنما شبه الروح بالظل للطافته وعدم كثافته، أو علىٰ قول مردود من كونه تابعاً لعالم الأجساد الأصلية.

وكيف كان فالمراد به عالم الأرواح أو الذّرّ المبائن لعالم الأجسام الكثيفة، وهو للطافته يحكي عن هذا العالم المادي، كما حقق في محله، فهو ظل (أي عالم الأرواح ظل) بالنسبة إلىٰ عالم المادة، وإليه يشير قول أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه كما في مرآة العقول[1]: «إلّا أن الذرية أفنان أنا شجرتها، ودوحة أنا ساقيها، وإني من أحمد صلى الله عليه وآله بمنزلة الضوء من الضوء، كنا أضلالاً تحت العرش قبل البشر، وقبل خلق الطينة التي كان منها البشر أشباحاً حالية لا أجساماً نامية».

فأطلق عليه السلام علىٰ أرواحهم أضلالاً، ثم إن قوله عليه السلام: «بعثهم في الضلال»، يشير إلىٰ ما قلنا، ضرورة أن البعث يطلق علىٰ من بعث من ذوي الأرواح لا مجرد الصورة، ويؤكده قوله عليه السلام: «ثم بعث منهم النبيين»، أي في ذلك العالم، كما لا يخفىٰ فحينئذ قوله: «شيئاً»، أي روحاً، وليس بشيء أي شيء جسمي كما لا يخفىٰ.

وفيه[2] عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: كيف أجابوا وهم ذرّ؟ قال:

---

١ ـ مرآة العقول ج٧ ص٣١.

٢ ـ مرآة العقول ج٧ ص٣٦.

«جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه يعني في الميثاق».

أقول: قوله: «يعني في الميثاق»، ظرف لقوله: «جعل فيهم»، أي في عالم الميثاق والذر.

وفيه[١]، عن العياشي عن تفسيره بإسناده، عن الأصبغ بن نباتة، عن علي عليه السلام قال: أتاه ابن الكواء فقال: ياأمير المؤمنين أخبرني عن الله تعالىٰ هل كلّم أحداً من ولد آدم قبل موسىٰ عليه السلام؟ فقال عليه السلام: «قد كلّم الله جميع خلقه برّهم وفاجرهم، وردّوا عليه الجواب، فثقل ذلك علىٰ ابن الكواء، ولم يعرفه، فقال له: كيف كان ذلك ياأمير المؤمنين؟ فقال له: أو ما تقرأ كتاب الله إذ يقول لنبيّه: ﴿**وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم علىٰ أنفسهم ألست بربكم قالوا بلىٰ**﴾[٢] فأسمعهم كلامه وردّوا عليه الجواب، كما تسمع في قول الله يابن الكواء قالوا بلىٰ.

فقال لهم: «إني أنا الله لا إله إلّا أنا وأنا الرحمن» فأقرّوا له بالطاعة والربوبية، وميّزا الرسل والأنبياء والأوصياء، وأمر الخلق بطاعتهم، فأقرّوا بذلك في الميثاق، فقالت الملائكة: شهدنا عليكم يابني آدم أن تقولوا يوم القيمة: ﴿**إنّا كنّا عن هذا غافلين**﴾[٣]» ثم قال العياشي: قال أبو بصير: قلت لأبي عبدالله عليه السلام أخبرني عن الذر حيث أشهدهم علىٰ أنفسهم ألست بربكم قالوا بلىٰ، وأسرّ بعضهم خلاف ما أظهر، كيف علموا القول حيث قيل لهم: ألست بربكم؟ قال: «إن الله جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه»:

وروي أيضاً عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله: ﴿**ألست بربكم**﴾[٤]، قلت: قالوا بألسنتهم؟ قال: «نعم، وقالوا بقلوبهم، قلت: وأيّ شيء

---

١ ـ مرآة العقول ج٧ ص٣٧.

٢ ـ الأعراف: ١٧٢.

٣ ـ الأعراف: ١٧٢.

٤ ـ الأعراف: ١٧٢.

كانوا يومئذ قال: صنع فيهم ما اكتفىٰ به».

أقول: قوله عليه السلام في حديث ابن الكواء: «فأسمعهم كلامه وردّوا عليه الجواب»، ظاهر فيما قلناه، علىٰ أنه لو كان خلقهم في الذر وعالم الأرواح خلق صورة وشبح لما كان ما ذكره عليه السلام جواباً لابن الكواء، فإنّ سؤاله هل كلم أحداً من وُلد آدم سؤال عن تحقق المكالمة مع من يصح معه المكالمة، لا مع الصور والشبح والجواب أيضاً كذلك، وأصرح من هذا قوله عليه السلام في حديث أبي بصير: «صنع فيهم ما اكتفىٰ به» أو قوله: «جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه»، أي من العقل والشعور وهو دليل الحيوة لا الشبح والصورة.

وفي تفسير البرهان[1] وغيره في ذيل الآية المباركة ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم﴾ الآية، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام.. إلىٰ أن قال عليه السلام: «فخرجوا كالذر، فعرفهم وأراهم نفسه، ولولا ذلك لم يعرف أحد ربّه»، الحديث.

وفي حديث آخر عنه عليه السلام.. إلىٰ أن قال عليه السلام: «فخرجوا كالذر، فعرفهم وأراهم صنعه، ولولا ذلك لم يعرف أحد ربّه»، الحديث.

وفيه تفسير البرهان[2] عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: ﴿وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم علىٰ أنفسهم ألست بربكم قالوا بلىٰ﴾[3]، قلت: معاينة كان هذا؟ قال: «نعم، فثبتت المعرفة ونسوا الموقف وسيذكرونه، ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ورازقه، فمنهم أقرّ بلسانه في الذر ولم يؤمن بقلبه فقال الله: ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل﴾».

وفيه، عنه عليه السلام.. إلىٰ أن قال: «فثبتت المعرفة في قلوبهم ونسوا الموقف وسيذكرونه يوماً، ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ومن رازقه».

---

١ ـ تفسير البرهان ج ٢ ص٤٧.

٢ ـ تفسير البرهان ج ٢ ص٤٨.

٣ ـ الأعراف: ١٧٢.

وفيه[1] عن طريق العامة يرفعه إلىٰ حذيفة اليماني قال: قال رسول الله ﷺ: «لو يعلم الناس متىٰ سمي علي أمير المؤمنين ما أنكروا فضله، سمي أمير المؤمنين وآدم بين الروح والجسد»، الحديث.

أقول: ومثلها كثير بهذه المضامين، وهذه كما ترىٰ صريحة فيما نحن بصدده فقوله: «فعرفهم نفسه أو أراهم صنعه» وقوله عليه السلام: «ولولا ذلك لم يدر.. الخ»، وقوله عليه السلام: «نعم»، بعد السؤال بقوله: «قلت: معاينة كان هذا؟» صريح فيما قلناه.

أقول: الأخبار الدالة علىٰ ما ذكرنا كثيرة جداً، وقد ذكرها المجلسي رحمه الله في البحار في كتاب السماء والعالم ج ٦١ وذكر الأقوال فيها، وما اختلف فيها من أقوال العلماء، وذكرها أيضاً في مرآة العقول ج ٧ كذلك، والعجب من المفيد (رضوان الله تعالىٰ عليه) كيف أنكر ظواهر هذه الأحاديث ومداليلها المقطوعة، مستدلاً تارة بأنها أحاديث آحاد، وقد علمت أنها فوق حدّ التواتر، وأُخرىٰ بأنها مما قد بنت الغلاة عليها أباطيل كثيرة، وصنّفوا فيها كتباً لغواً فيها وهزواً فيما أثبتوه منه في معانيها، وذكر أيضاً أن ما نسبوه من كتاب الأشباح والأظلة إلىٰ محمد بن سنان لم يعلم صحة النسبة، مضافاً إلىٰ أنه قد طعن عليه بالغلو.

وثالثة بأن الأخبار التي جاءت بأن ذرية آدم عليه السلام استنطقوا في الذّر فنطقوا فأخذ عليهم العهد فأقرّوا، فهي من أخبار التناسخية، وقد خلطوا فيها ومزجوا الحق بالباطل، ورابعة بأن الأرواح لو كانت مخلوقة قبل الأجساد للزم أن تقوم الأرواح بأنفسها، ولا تحتاج إلىٰ آلات تعلّقها، ولكنّا نعرف ما سلف لنا من الأرواح قبل خلق الأجساد، كما نعرف أحوالنا بعد خلق الأجساد، وهذا محال لا خفاء بفساده، هذا ولنعم ما قاله المجلسي رحمه الله قال في مرآة العقول[2]: وأقول: طرح ظواهر الآيات والأخبار المستفيضة بأمثال تلك الدلائل الضعيفة والوجوه السخيفة جرأة

---

١ ـ تفسير البرهان ج ٢ ص ٤٨.

٢ ـ مرآة العقول ج ٧ ص ٤٤.

على الله وعلىٰ أئمة الدين، ولو تأملت فيما يدعوهم إلىٰ ذلك من دلائلهم، وما يرد عليها من الاعتراضات الواردة؛ لعرفت أن بأمثالها لا يمكن الاجتزاء علىٰ طرح خبر واحد،فكيف يمكن طرح تلك الأخبار الكثيرة الموافقة لظاهر الآية الكريمة بها وبأمثالها.

أقول: ومما يهون الخطب أن العصمة مختصة بأهلها.

وقال ﷺ في البحار[1] في كتاب السماء والعالم: وأقول: قيام الأرواح بأنفسها، أو تعلقها بالأجساد المثالية، ثم تعلقها بالأجساد العنصرية مما لا دليل علىٰ امتناعه.

أقول: فقوله (أي المفيد ﷺ) فيما تقدم: إن الأرواح لو كانت مخلوقة للزم.. الخ، ليس إيراداً وارداً على القول بأن الأرواح خلقت قبل الأبدان؛ لعدم الدليل علىٰ امتناع ما قاله.

ثم قال المجلسي ﷺ: وأما عدم تذكر الأحوال السابقة، فلعلّه لتقلبها في الأطوار المختلفة أو لعدم القوى البدنية، أو كون تلك القوىٰ قائمة بما فارقته من الأجساد المثالية أو لاذهاب الله تعالىٰ تذكر هذه الأمور عنها لنوع من المصلحة كما ورد: إن الذكر والنسيان من صنعه تعالىٰ، مع أن الانسان لا يتذكر كثيراً من أحواله الطفولية والولادة، والتأويل الذي ذكره (أي المفيد) للحديث في غاية البعد، ولا سيما مع الإضافات الواردة في الأخبار المتقدمة.

أقول: فإن المفيد ﷺ قد أول تلك الأحاديث بكثرتها علىٰ فرض صحتها علىٰ خلق الأشباح والصورة، وقد علمت فيما تقدم أن كثيراً من أخبار الباب يأبىٰ ذلك التأويل فراجع، وأيضاً قد علمت قوله ﷺ فيما تقدم: «ونسوا الموقف فسيذكرونه»، فإنه صريح في أن الأرواح قد نست تلك الحالات الكائنة لها في الذر؛ لأنها قد صارت في أسفل سافلين، ومحجوباً بالحجب النورية والظلمانية، كما صرحت به

---

١ ـ البحار ج ٦١ ص ١٤٤.

الأحاديث، وقوله عليه السلام: «فسيذكرونه»، ظاهر في أنه إذا رفعت الحجب، تتذكر الأرواح حالاتها السابقة، كما لا يخفىٰ، والله الموفق للصواب.

هذا بعض الكلام في شرح قوله عليه السلام: «خلقكم الله أنواراً»، وأما الكلام في الجهة الثانية وهي معنى العرش فنقول وعليه التوكل: نذكر أولاً معنى العرش لغة وما ذكره الأكابر في معناه، ثم نذكر الأحاديث الواردة في شرحه، ثم نعقبه بما ألهمنا الله تعالىٰ في شرحه فنقول:

في المنجد: العرش مصدر جمعه أعراش وعروش وعرشه وعرش، سرير الملك إلىٰ أن قال: المظلة الخيمة، البيت الذي يستظل فيه، القصر.. إلىٰ أن قال: ركن الشيء وقوامه، يقال: ثل عرشه، أي ذهب عزه وهي أمره، ومن البيت سقفه، ومن القوم رئيسهم، عرش الطائر: عشّه.

وفي البحار[1] قال الشيخ المفيد رحمه الله: العرش في اللغة الملك.. إلىٰ أن قال: وقال تعالىٰ مخبراً عن واصف ملك ملكة سبإ: ﴿وأُوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم﴾[2] يريد بها ملك عظيم، فعرش الله ملكه، إلىٰ.. أن قال: وأما العرش الذي تحمله الملائكة فهو بعض الملك، وهو عرش خلقه الله تعالىٰ في السماء السابعة وتعبد الملائكة بحمله وتظيمه، كما خلق سبحانه بيتاً في الأرض، وأمر البشر بقصده وزيارته والحج إليه وتعظيمه.. الخ.

وقال السبزواري رحمه الله في شرح قوله عليه السلام: «يامن له العرش والثرىٰ»: العرش قد يطلق ويراد به علمه المحيط، وقد يطلق ويراد به الفيض المقدس، وقد يطلق ويراد به عالم العقل، وقد يطلق ويراد به الفلك الاطلس.

وأما الروايات الواردة في الباب فكثيرة جداً، ونحن نذكر بعضها، ومنه يظهر أيضاً معنى العرش بنظر الشرع فنقول:

---

١ ـ البحار ج٥٨ ص٧.
٢ ـ النمل : ٢٣.

ففي البحار[١] عن الخصال والمعاني والعياشي والدر المنثور في حديث أبي ذر، عن النبي ﷺ قال: «ياأبا ذر ما السموات السبع في الكرسي إلّا كحلقةٍ ملقاة في أرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة علىٰ تلك الحلقة».

أقول: قوله ﷺ: «ما السموات»، إلىٰ قوله ﷺ: «في أرض فلاة»، بيان لعظمة الكرسي من حيث الكبر الصوري على السموات، لما سيأتي من أن الكرسي يطلق على الموجود الفعلي في عالم ما سوىٰ، وهذا بخلاف العرش فإنه يطلق عليه وعلى العلم الذي لا نهاية له.

وقوله ﷺ: «فضل العرش.. الخ»، بيان لعظمة العرش من حيث المعنىٰ والصورة على الكرسي؛ وذلك لأن العرش قد يراد منه العلم (أي علمه تعالىٰ) ولعله هو المراد منه هنا، وحينئذ فالعظمة للعرش بلحاظ العلم هو العظمة المعنوي ولذا عبر عنها بالفضل.

وبعبارة أخرىٰ: عظمة العرش على الكرسي من جميع الجهات من الصوري والمعنوي كما لا يخفىٰ.

وفيه[٢] الفقيه والعلل والمجالس للصدوق، روي عن الصادق عليه السلام أنه سئل لم سميت الكعبة كعبة؟ قال: «لأنها مربعة، فقيل له: ولم صارت مربعة؟ قال: لأنها بحذاء البيت المعمور وهو مربع فقيل له: ولم صار البيت المعمور مربعاً؟ قال: لأنه بحذاء العرش وهو مربع، فقيل له: ولِم صار العرش مربعاً؟ قال: لأن الكلمات التي بني عليها الاسلام أربع، سبحان الله، والحمد لله ولا إله إلّا الله، والله أكبر».

أقول: في المنجد في معنى المكعب: المجسم الذي له ستة سطوح مربعة متساوية،.. إلىٰ أن قال في معنى الكعبة: كل بيت مربع (الغرفة) البيت الحرام بمكة، سميت بذلك لتربيعها، وقيل: لنتوئها، أي خروجها من موضعه من غير أن ينفصل،

---

١ ـ البحار ج٥٨ ص٥.
٢ ـ البحار ج٥٨ ص٥.

فهو ناتي أي مرتفع كالبيت ونحوه، كذا يستفاد من اللغة.

أقول: فالبناء المعروف في مسجد الحرام إنما سمي كعبة؛ لأنه الجسم الذي له ستة سطوح مربعة، وإن لم تكن متساوية؛ ولتربيعها وخروجها عن سطح الأرض سميت كعبة، فمنه يعلم وجه تسمية الكعبة بكعبة ولذا قال عليه السلام في وجهه: لأنها مربعة، فإن كل مربع هكذا، فهو كعبة بالمعنى العام، وأما وجه تربيع ساير ما ذكره عليه السلام فهو يرجع إلىٰ أن الكلمات التي بني عليها الاسلام أربع، فحينئذ فالمستفاد منه أن العرش الذي معناه العلم، كما هو الظاهر منه في هذا الحديث هو مفاد تلك الكلمات الأربع، التي هي حقايق العلم وأصوله، وحيث إن العلم بلحاظ المعنىٰ ينقسم إلىٰ أربعة وهو التنزيه والتحميد والتهليل والتكبير ويرجع إليها جميع العلوم والمعارف.

وحيث إن هذه الأربع كلمات أمور معنوية، فلا محالة لابد من أن تكون مظاهره في عالم الملك، الذي هو بعض مصاديق العرش أيضاً أربعة بالنحو الذي ذكره عليه السلام وأما كون حقائق العلم هي تلك الأربع كلمات؛ لأن التوحيد الحقيقي الذي هو نتيجة الشرع والخلق، والمقصود الأعلىٰ منها إذا ظهر في قلب الولي بعد مشيه علىٰ طبق الشرع ومرضاته تعالىٰ، فأول ما يتلقىٰ منه تعالىٰ في القلب هو تنزيهه تعالىٰ عما لا يليق بجنابه المقدس، ثم بعدما يرى العبد ما يرىٰ من وحدانيته المقدسة المنزهة فيقدح في قلبه تحميده تعالىٰ، فيكون شراشر وجوده حامداً له، ثم بعدما وجد ما وجد يهلله تبارك وتعالىٰ، وينفي عنه كل ضد وند.

فهو بشراشر وجوده مصداق لقوله: لا إله إلّا الله، ويتحقق فيه مفاده، ثم بعد ذلك يرىٰ عظمته تعالىٰ في قلبه، كل بحسب قربه إليه تعالىٰ، فلا محالة يكبره بقلبه بحقيقة التكبير، فيكون بحقيقته مكبراً له تعالىٰ من أن يوصف، فإذا تحقق قلب العبد والولي بالكلمات الأربع تلك فهو حائز بالعلم والمعرفة الحقيقية، ويستلزمه أنه يعلم سائر العلوم الدخيلة لحصول تلك الكلمات الأربع فحينئذ صحّ أن يقال: قلب المؤمن عرش الرحمن، ولعله بهذا اللحاظ يطلق العرش عليه كما سيأتي، فتدبر.

وفيه(١)، الكافي، عن عدة من أصحابه، عن أحمد بن محمد البرقي رفعه قال: سأل الجاثليق أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: أخبرني عن الله عزوجل يحمل العرش أو العرش يحمله؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الله عزوجل حامل العرش والسموات والأرض، وما فيهما وما بينهما، وذلك قول الله عزوجل: ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً﴾(٢)، قال: فأخبرني عن قوله: ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾(٣) فكيف ذاك؟ وقلت: إنه يحمل العرش والسموات والأرض.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إن العرش خلقه الله تبارك وتعالىٰ من أنوار أربعة: نور أحمر منه احمرت الحمرة، ونور أخضر منه اخضرت الخضرة، ونور أصفر منه اصفرت الصفرة، ونور أبيض منه ابيض البياض، وهو العلم الذي حمله الله الحملة، وذلك نور من نور عظمته، فبعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين، وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون، وبعظمته ونوره ابتغىٰ من في السموات والأرض من جميع خلائقه إليه الوسيلة بالأعمال المختلفة والأديان المشتبه (المتشتتة خ.ل) فكل شيء محمول يحمله الله بنوره وعظمته وقدرته، لا يستطيع لنفسه ضرّاً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حيوٰة ولا نشوراً، فكل شيء محمول، والله تبارك وتعالى الممسك لهما أن تزولا، والمحيط بهما من شيء، وهو حيوٰة كل شيء، ونور كل شيء، سبحانه وتعالىٰ عمّا يقولون علواً كبيراً.

قال له: فأخبرني عن الله عزوجل أين هو؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: هو هيهنا وهيهنا وفوق وتحت، ومحيط بنا ومعنا وهو قوله: ﴿ما يكون من نجوىٰ ثلاثة إلّا هو رابعهم ولا خمسة إلّا هو سادسهم ولا أدنىٰ من ذلك ولا أكثر إلّا هو معهم أينما

---

١ ـ البحار ج٥٨ ص٩.

٢ ـ فاطر : ٤١.

٣ ـ الحاقة : ١٧.

كانوا﴾[١]، فالكرسي محيط بالسموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرىٰ ﴿وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السرّ وأخفىٰ﴾ وذلك قوله تعالىٰ: ﴿وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم﴾[٢]، فالذين يحملون العرش هم العلماء الذين حملهم الله علمه، وليس يخرج من هذه الأربعة شيء خلق الله في ملكوته، وهو الملكوت الذي أراه الله أصفياءه وأراه خليله عليه السلام فقال: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين﴾[٣]، وكيف يحمل حملة العرش (الله) وبحياته حييت قلوبهم وبنوره اهتدوا إلىٰ معرفته».

أقول: هذا الحديث من غوامض علومهم عليهم السلام فلا يصل إلىٰ معناه إلّا من شملته العناية الإلهية، فنقول: قوله عليه السلام: «وليس يخرج من هذه الأربعة»، أي الأربعة أنوار التي هي معنى العرش في قوله عليه السلام: «إن العرش خلقه الله تبارك وتعالىٰ من أنوار أربعة»، فيستفاد منه أن العرش أعظم مصداقاً من الكرسي، فإن الكرسي محيط بالسموات والأرض، والعرش محيط بالكرسي.

وإليه يشير قوله عليه السلام ما فيه ص١٧ عن الدر المنثور، عن أبي ذر قال: سئل النبي صلى الله عليه وآله عن الكرسي؟ فقال: «ياأبا ذر ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسي، إلّا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة علىٰ تلك الحلقة».

أقول: قد تقدم معنى الحديث.

فإن قلت: في البحار[٤] عن تفسير علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النضر عن موسىٰ بن بكر، عن زرارة، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: ﴿وسع كرسيه السموات

---

١ ـ المجادلة : ٧.
٢ ـ البقرة : ٢٥٥.
٣ ـ الأنعام : ٧٥.
٤ ـ البحار ص٢٢.

والأرض﴾، السموات والأرض وسعن الكرسي، أم الكرسي وسع السموات والأرض؟ قال: «بل الكرسي وسع السموات والأرض والعرش، وكل شيء خلق الله في الكرسي» فالمستفاد منه على الظاهر أن الكرسي أعظم من العرش.

قلت: إن قرئ والعرش (منصوباً) عطفاً على الأرض، أو مرفوعاً بالابتداء، ويكون كل شيء معطوفاً عليه، فحينئذ فالمراد بالكرسي العلم؛ ليرادف معناه مع العرش، كما أن ما ورد من أن العرش محيط بالكرسي محمول على العلم، وقد يقال: إن العرش في هذا الحديث معطوف على الكرسي أي والعرش أيضاً وسع السموات والأرض، فالمعنىٰ أن الكرسي والعرش كلاً منهما وسع السموات والأرض، وحينئذ فالمراد بكل شيء خلق الله (كل ما خلق الله فيهما).

وكيف كان فالعرش كما يستفاد من كثير من أخبار الباب أوسع من الكرسي، وكيف كان وهو بمعنى العلم والعلم أوسع ما يكون في عالم ما سوى الله تعالىٰ، وما ورد من كونه في الكرسي أو ما يساويه محمول علىٰ ساير معانيه كما لا يخفىٰ، وأما تلك المعاني الأربعة التي هي معنى العرش من الأنوار الأربعة فقد يقال: بأن المراد منها هي الجواهر القدسية، التي هي وسائط جوده تعالىٰ، وألوانها كناية عن اختلاف أنواعها، الذي هو سبب اختلاف الأنواع الرباعية في هذا العالم الحسي كالعناصر والأخلاط وأجناس الحيوانات، أعني الانسان والبهائم والسباع والصور ومراتب الإنسان أعني الطبع والنفس الحساسة والنفس المتخيلة والعقل،وأجناس المولدات كالمعدن والنبات والحيوان والانسان.

وقيل: إنه تمثيل لبيان تفاوت تلك الأنوار بحسب القرب والبعد من نور الأنوار، فالنور الأبيض هو الأقرب، والأخضر هو الأبعد، فكأنه ممتزج بضرب من الظلمة، والأحور هو المتوسط بينهما ثم ما كان بين كل اثنين ألوان أُخرىٰ كألوان الصبح والشفق المختلفة الألوان؛لقربها وبعدها من نور الشمس.

وقيل: المراد بها صفاته تعالىٰ، فالأخضر قدرته علىٰ إيجاد الممكنات وإفاضة

الأرواح، التي هي عيون الحياة ومنابع الخضرة، والأحمر غضبه وقهره على الجميع بالاعدام والتعذيب، والأبيض رحمته ولطفه علىٰ عباده قال تعالىٰ: ﴿أما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله﴾[١].

وقيل: إن المراد من النور الأصفر العبادة وصورة لها وهذا كما أن الصفرة هي المشاهدة في وجوه العابدين المتهجدين، ولأنه إذا رأى العارف في المنام صفرة يعبر بأنه يوفق للعبادة، وقد ورد في الخبر أيضاً أنه ألبسهم الله من نوره لما خلوا به فتأمل، ومن النور الأبيض العلم؛ ولذا عبر اللبن المرئي في المنام بالعلم الخالص عن الشكوك والشبهات، والنور الأحمر المحبة وهو المشاهد في وجوه المحبين عند طغيانها، ومن النور الأخضر المعرفة وهو العلم المتعلق بذاته تعالىٰ وصفاته سبحانه.

كما هو المستفاد مما روي عن الرضا عليه السلام أنه سئل عما يروىٰ أن محمداً صلى الله عليه وآله رأىٰ ربّه في صورة الشاب الموفق في صورة أبناء ثلاثين سنة رجلاه في خضرة؟ فقال عليه السلام: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله حين نظر إلىٰ عظمة ربه كان في هيئة الشاب الموفق وسن أبناء ثلاثين سنة، فقال الراوي: جعلت فداك من كانت رجلاه في خضرة؟ قال: ذاك محمد صلى الله عليه وآله كان إذا نظر إلىٰ ربه بقلبه جعله في نور مثل نور الحجب حتىٰ يستبين له ما في الحجب، إن نور الله منه أخضر ومنه أحمر ومنه أبيض ومنه غير ذلك.. الخ».

فالظاهر من الحديث الشريف أنه صلى الله عليه وآله كان حينئذ في كمال العرفان وخائضاً في بحار معرفة الرحيم المنان، وكانت رجلاه في النور الأخضر، وقائماً في مقام من المعرفة لا يطيقها أحد من الملائكة والبشر.

وفيه[٢] عن تفسير علي بن إبراهيم، ﴿والملك علىٰ أرجائها ويحمل عرش

---

١ ـ آل عمران: ١٠٧.

٢ ـ البحار ج٥٢ ص٢٧.

ربك فوقهم يومئذ ثمانية * يومئذ تعرضون﴾[١]، قال: «حملة العرش ثمانية، لكل واحد ثماني أعين كل عين طباق الدنيا».

وفي حديث آخر: «حملة العرش ثمانية: أربعة من الأولين، وأربعة من الآخرين، فأما الأربعة من الأولين فنوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ عليهم السلام وأما الأربعة من الآخرين فمحمد وعلي والحسن والحسين (صلوات الله عليهم أجمعين) ومعنىٰ يحملون العرش يعني العلم».

وفيه، عن الخصال بإسناده، عن حفص بن غياث قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إن حملة العرش ثمانية لكل واحد منهم ثماني أعين، كل عين طباق الدنيا».

ومنه، عن ابن الوليد، عن الصفار مرسلاً قال: قال الصادق عليه السلام: «إن حملة العرش أحدهم علىٰ صورة ابن آدم، يسترزق الله لولد آدم، والثاني علىٰ صورة الديك، يسترزق الله للطير، والثالث علىٰ صورة الأسد، يسترزق الله للسباع، والرابع علىٰ صورة الثور، يسترزق الله للبهائم، ونكس الثور رأسه منذ عبد بنو إسرائيل العجل، فإذا كان يوم القيمة صاروا ثمانية».

وفيه[٢] عن معاني الأخبار بإسناده، عن المفضل بن عمر قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن العرش والكرسي ما هما؟ فقال: «العرش في وجه هو جملة الخلق والكرسي وعاؤه، وفي وجه آخر هو العلم الذي أطلع الله عليه أنبياءه ورسله وحججه، والكرسي هو العلم الذي لم يطلع عليه أحداً من أنبيائه ورسله وحججه».

وفيه [٣] عن كتاب تأويل الآيات الظاهرة نقلاً عن كتاب محمد بن العباس بن ماهيار بإسناده، عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في قوله تعالىٰ:

---

١ ـ الحاقة: ١٧و١٨.

٢ ـ البحار ج٥٢ ص٥٨.

٣ ـ البحار ج٥٢ ص٣٥.

﴿الذين يحملون العرش ومن حوله﴾، قال: «يعني محمداً وعليّاً والحسن والحسين ونوحاً وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ عليهم السلام».

وفيه[1] في بعض الكتب عن علي بن الحسين عليه السلام: «إن في العرش تمثال جميع ما خلق الله».

أقول: هذا بعض الأحاديث في الباب.

قال المجلسي رحمه الله في البحار[2]: تحقيق وتوفيق، اعلم: أن ملوك الدنيا لما كان ظهورهم وإجراء أحكامهم علىٰ رعيتهم إنما يكون عند صعودهم علىٰ كرسي الملك، وعروجهم علىٰ عرش السلطنة، ومنهما تظهر آثارهم، وتتبين أسرارهم، والله سبحانه لتقدسه عن المكان لا يوصف بمحل ولا مقرّ، وليس له عرش، ولا كرسي يستقر عليهما بل يطلقان علىٰ أشياء من مخلوقاته، أو صفاته الكمالية علىٰ وجه المناسبة، فالكرسي والعرش يطلقان علىٰ معان:

أحدها: جسمان عظيمان خلقهما الله تعالىٰ فوق سبع سموات، وظاهر أكثر الأخبار أن العرش أرفع وأعظم من الكرسي ويلوح من بعضها العكس.

أقول: قد علمت أن العرش أعظم، وما يلوح منه العكس قد علمت تأويله مما لا ينافي كون العرش أعظم.

قال رحمه الله: والحكماء يزعمون ان الكرسي هو الفلك الثامن، والعرش هو الفلك التاسع، وظواهر الأخبار تدل علىٰ خلاف ذلك من كونهما مربعين ذاتي قوائم وأركان.

أقول: قد علمت أن العرش قد يطلق على العلم، فهو بهذا المعنىٰ ينافي قول الحكماء، وأما ساير استعمالاته فيمكن حملها علىٰ ما قاله الحكماء بضرب من التأويل.

---

١ ـ البحار ج٥٢ ص٣٦.

٢ ـ البحار ج٥٨ ص٣٧.

قال ﷺ: وربما يؤوّلان بالجهات والحدود والصفات، التي بها استحقا التعظيم والتكريم، ولا حاجة لنا إلىٰ هذه التكلفات، وإنما سميا بالاسمين لبروز أحكامه وتقديراته من عندهما، وإحاطة الكروبيين والمقربين وأرواح النبيين والأوصياء بهما وعروج من قربه من جنابه إليهما، كما أن أوامر الملوك وأحكامهم وآثار سلطنتهم وعظمتهم تبدو منهما ويطيف مقربو جنابهم وخواص ملكهم بهما، وأيضاً لما كانا أعظم مخلوقاته الجسمانية، وفيهما من الأنوار العجيبة، والآثار الغريبة ما ليس في غيرهما من الأجسام، فدلالتها علىٰ وجوده وعلمه وقدرته وحكمته سبحانه أكثر من ساير الأجسام؛ فلذا خصّا بهذين الاسمين من بينهما، وحملتهما في الدنيا جماعة من الملائكة كما عرفت، وفي الآخرة إما الملائكة أو أُولو العزم من الأنبياء مع صفوة الأوصياء عليهم السلام كما عرفت.

ويمكن أن يكون نسبة الحمل إليهم مجازاً؛ لقيام العرش بهم في القيٰمة، وكونهم الحكام عنده والمقربين له به.

وثانيها: العلم كما عرفت إطلاقهما في كثير من الأخبار، وقد مرّ الفرق بينهما في معاني الأخبار وغيره، وذلك أيضاً لأن منشأ ظهوره سبحانه علىٰ خلقه العلم والمعرفة، وبه يتجلىٰ على العباد، فكأنه عرشه وكرسيه سبحانه وحملتهما نبينا وأئمتنا عليهم السلام لأنهم خزان علم الله في سمائه وأرضه، لا سيّما ما يتعلق بمعرفته سبحانه.

وثالثها: الملك وقد مرّ اطلاقهما عليه في خبر (حنان) والوجه ما مرّ أيضاً.

ورابعها: الجسم المحيط وجميع ما في جوفه أو جميع خلق الله كما ذكره الصدوق ﷺ ويستفاد من بعض الأخبار، إذ ما من شيء في الأرض ولا في السماء وما فوقها إلّا وهي من آيات وجوده، وعلامات قدرته، وآثار وجوده وفيضه وحكمته، فجميع المخلوقات عرش عظمته وجلاله وبها تجلىٰ على العارفين بصفات كماله، وهذا أحد المعاني التي خطرت ببالي الفاتر في قولهم عليهم السلام وارتفع فوق كل منظر، فتدبر.

وخامسها: إطلاق العرش علىٰ كل صفة من صفاته الكمالية والجلالية، إذ كل منها مستقر لعظمته وجلاله، وبها يظهر لعباده علىٰ قدر قابليتهم ومعرفتهم، فله عرش العلم وعرش القدرة، وعرش الرحمانية، وعرش الرحيمية، وعرش الوحدانية، وعرش التنزه كما مرّ في خبر حنان وغيره.

وقد أوّل الوالد ﷺ الخبر الذي ورد في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿الرحمن على العرش استوىٰ﴾[1]، إن المعنىٰ استوىٰ من كل شيء، فليس شيء أقرب إليه من شيء، إن المراد بالعرش هنا عرش الرحمانية والظرف حال أي الرب سبحانه حال كونه علىٰ عرش الرحمانية استوىٰ من كل شيء، إذ بالنظر إلى الرحيمية التي هي عبارة عن الهدايات والرحمات الخاصة بالمؤمنين أقرب، أو المراد أنه تعالىٰ بسبب صفة الرحمانية حال كونه علىٰ عرش الملك والعظمة والجلال استوىٰ نسبته إلىٰ كل شيء، وحينئذ فائدة التقييد بالحال نفي توهم أن هذا الاستواء مما ينقص من عظمته وجلاله شيئاً.

وسادسها: إطلاق العرش علىٰ قلب الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وكمّل المؤمنين، فإن قلوبهم مستقر محبته ومعرفته سبحانه كما روي: «إن قلب المؤمن عرش الرحمن» وروي أيضاً في الحديث القدسي: «لم تسعني سمائي ولا أرضي، ووسعني قلب عبدي المؤمن»، ثم اعلم أن اطلاقها علىٰ بعض المعاني عند التصريح به، أو إقامة القرائن عليه لا ينافي وجوب الإذعان بالمعنى الأول الذي هو الظاهر من أكثر الآيات والأخبار، والله المطلع على الأسرار.

أقول: لا ريب في أن المستفاد من اللغة وموارد استعمال لفظ العرش أنه موضوع لما به ظهور العظمة والعلو لمن له العظمة والعلو، وقد يكون هو (أي المستعمل فيه العرش) مظهر للعلو للشيء كما في استعماله في السقف وأشباهه.

---

١ ـ طه : ٥.

وكيف كان لا ريب أيضاً في أن ظهور العظمة والعلو حسب مظاهرهما من العرش مختلف كماً وكيفاً وموضوعاً، فقد يكون شيء مظهراً لبروز العظمة والعلو من حيث العلم، وقد يكون من حيث القدرة، وقد يكون من حيث السطوة، وقد يكون من حيث العظمة، وهكذا ففي أيّ مورد من الموارد المعنوية أو الخارجية يكون فيه ظهور لكمال وجلال وجمال منه تعالىٰ فهو عرشه.

ولا ريب في أن مظاهره مختلفة، فكون العلم عرشاً له تعالىٰ باعتبار ظهور علمه، الذي لا يشذّ عنه شيء من السعة والإحاطة الحاكية عن عظمته العلمية تبارك وتعالىٰ، وكذا الجسم المحيط كما تقدم بما فيه من الموجودات، فإنما صار عرشاً لظهور مظاهر قدرته وخلقه وآياته عليه تعالىٰ، وكذا كون قلوب الأنبياء والأئمة عليهم السلام عرشاً له تعالىٰ باعتبار ظهور كمالاته تعالىٰ فيها، وكذا قلب المؤمنين كل علىٰ حسب كمال إيمانه، وظهور آثاره تعالىٰ فيه، وقس عليه ساير موارد الإطلاقات، فإن الألفاظ كما حقق في محله موضوعة للمعاني العامة، وما ذكر من موارد الاستعمال إنما هو بيان مصاديقه.

فاستعمال العرش في جميع الموارد بنظر العرف والشرع يكون بنحو الحقيقة إذ إنها مصاديق لذلك المعنى العام الذي عرفته، ثم إن التميز بين موارد استعماله في العظمة والعلو شدة وضعفاً إنما هو ببيان النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام فبه تظهر عظمة موارد استعماله، وليس لغيرهم هذه القدرة كما لا يخفىٰ، ومنه يعلم أن أعظم موارد استعمال العرش في العظمة والعلو بحيث لا ثاني له هو قلب النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام ثم الأنبياء ثم الأولياء الأمثل فالأمثل كما لا يخفىٰ، فتدبّر تعرف بعونه تعالىٰ، والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على النبي وآله.

وأما الكلام في الجهة الثالثة أعني معنىٰ كونهم عليهم السلام محدقين بالعرش، نذكر أولاً أحاديث فمنها يظهر معنىٰ كونهم عليهم السلام محدقين، فنقول:

في تفسير البرهان[1] وروىٰ صاحب كتاب المقتضب في إمامة الاثني عشر بإسناده، عن أبي سليمان (سلمىٰ) راعي رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليلة أُسري بي إلى السماء قال لي الجليل جلّ جلاله: ﴿آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربه﴾، فقلت: والمؤمنون كل آمن بالله، فقال تعالىٰ: صدقت يـامحمد، مـن خلّفت في أُمتك؟ قال: خيرها، قال الله تعالىٰ: علي بن أبي طالب عليه السلام؟ قلت: نـعم، قال: يامحمد إني اطلعت علىٰ اطلاعة فاخترتك منها، فشققت لك اسماً من أسمائي، فلا أذكر في موضع إلّا ذكرت معي، فأنا المحمود وأنت محـمد، ثم اطـلعت الثـانية فاخترت منها علياً وشققت له اسماً من أسمائي فأنا الأعلىٰ وهو علي.

يامحمد إني خلقتك وخلقت علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولده من نوري، وعرضت ولايتكم علىٰ أهل السموات والأرض، فمن قبلها كان عندي من المؤمنين، ومن جحدها كان عندي من الكافرين، يامحمد لو أن عبداً من عبادي عبدني حتىٰ ينقطع أو يصير كالشن البالي، ثم آتاني جاحداً لولايتكم ما غفرت له حتىٰ يقرّ بولايتكم، يامحمد تحبّ أن تراهم؟ قلت: نعم، فقال لي: التفت عـن يمـين العرش، فالتفت فإذا بعلي وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسىٰ بن جعفر وعلي بن موسىٰ ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والمهدي في ضحضاح من نور قيام يصلون، وهو في وسطهم (يعني المهدي) كأنه كوب درّي، فقال: يامحمد هـؤلاء الحـجج، وهـو الثـائر مـن عترتك، وعزتي وجلالي إنه للحجة الواجبة لأوليائي والمنتقم من أعدائي».

وفي المحكي عن الاحتجاج، عن القاسم بن معاوية بن عمار قـال: قـلت لأبي عبدالله عليه السلام: هؤلاء يروون حديثاً في معراجهم أنه لما أسري بـرسول الله ﷺ رأىٰ على العرش: لا إله إلّا الله محمد رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق، فقال: (سبحان الله غيّروا كل شيء حتىٰ هذا؟! قلت: نعم، قال: إن الله عزوجل لما خلق العرش كتب

---

١ ـ تفسير البرهان ج٣ ص٢٦٦.

علىٰ قوائمه: «لا إله إلّا الله محمد رسول الله علي أمير المؤمنين» ولما خلق الله عزوجل الماء كتب علىٰ مجراه: «لا إله إلّا الله محمد رسول الله علي ولي الله» ولما خلق الله عزوجل الكرسي كتب علىٰ قوائمه: «لا إله إلّا الله محمد رسول الله علي ولي الله أمير المؤمنين» ولما خلق الله عزوجل اللوح كتب فيه: «لا إله إلّا الله محمد رسول الله علي أمير المؤمنين».

ولما خلق الله عزوجل اسرافيل كتب علىٰ جبهته: «لا إله إلّا الله محمد رسول الله علي ولي الله أمير المؤمنين» ولما خلق الله عزوجل جبرئيل كتب علىٰ جناحيه: «لا إله إلّا الله محمد رسول الله علي ولي الله أمير المؤمنين» ولما خلق الله عزوجل السموات كتب علىٰ أكنافها: «لا إله إلّا الله محمد رسول الله علي أمير المؤمنين» ولما خلق الله عزوجل الأرضين كتب في أطباقها: «لا إله إلّا الله محمد رسول الله علي أمير المؤمنين» ولما خلق الله عزوجل الجبال كتب في رؤوسها: «لا إله إلّا الله محمد رسول الله علي أمير المؤمنين» ولما خلق الله عزوجل الشمس كتب عليها: «لا إله إلّا الله محمد رسول الله علي أمير المؤمنين» ولما خلق الله عزوجل القمر كتب عليه: «لا إله إلّا الله محمد رسول الله علي أمير المؤمنين» وهو السواد الذي ترونه في القمر، فإذا قال أحدكم: «لا إله إلّا الله محمد رسول الله، فليقل: علي أمير المؤمنين»).

أقول: قد علمت سابقاً أن العرش يطلق علىٰ وجه علىٰ جملة الخلق، وعلى العلم الذي اطلع الله عليه أنبياءه كما عن الصادق عليه السلام وعلمت أن في العرش تمثال جميع ما خلق الله كما عن السجاد عليه السلام وما ذكره بعضهم من أن العرش يراد منه الجواهر القدسية، التي هي وسائط جوده تعالىٰ بأنحائها، أي أنحاء الجواهر من العناصر والأخلاط، وأجناس الحيوانات من الانسان وغيره، وأقسامها وأجناس المولدات من المعادن والنبات وغيرها، بل يشمل العرش الملائكة بأقسامها.

والحاصل أنه يراد جميع ما سواه تعالىٰ، فإنما يرجع إلىٰ قول الصادق والسجاد عليهما السلام كما لا يخفىٰ.

فحينئذ معنىٰ أنهم عليهم السلام محدقون بعرشه أي أنهم مطيفون ومحيطون بهذه الأمور كلها إحاطةً علماً وقدرةً كما تقدم من قول النبي صلى الله عليه وآله: «وكان نوري محيطاً بالعلم ونور علي محيطاً بالقدرة»، واختصاص كل منهما بأحدهما بلحاظ المظهرية وأن الاحاطة العلمية التي كانت له صلى الله عليه وآله أعظم وأشمل من غيره كما لا يخفىٰ كما يقتضيه مقام النبوة، وإليه يشير ما في حديث أبي سلمان راعي رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله تعالىٰ: «فلا أذكر في موضع إلّا ذكرت معي»، فإنه تعالىٰ يذكر علماً أو صفة وهم عليهم السلام مظهر لها، فحقيقتهم هو العلم والصفات الإلهية، كما قال علي عليه السلام: «والله نحن الأسماء الحسنىٰ».

فالوقوف به تعالىٰ وقوف بهم عليهم السلام لأنه لا طريق إلى الوقوف به تعالىٰ إلّا بالوقوف بهم، كما يشير إليه قوله عليه السلام: «ومن قصده توجه بكم»، وسيأتي بيانه.

وكيف كان فكونهم محدقين بعرشه أي عالمين ومحيطين ومطيفين بجميع ما سواه تعالىٰ حتى الملائكة إحاطة علمية وقدرتية، وإلىٰ هذه الاحاطة وشمول القدرة يشير ما ذكر آنفاً عن الاحتجاج من كتابته لا إله إلّا الله محمد رسول الله علي ولي الله وأمير المؤمنين علىٰ جميع الأشياء المذكورة في الحديث، الشاملة لجميع ما سواه تعالىٰ، ومعنىٰ كتابتها عليها أنه لما كان جميع الأشياء موجودة بأسمائه الحسنىٰ، فكل موجود مما فيه من تلك الأسماء كماً وكيفاً، كما أُشير إليه في دعاء كميل: «وبأسمائك التي ملأت أركان كل شيء».

وحقيقة تلك الأسماء بأنواعها ومصاديقها الخارجية، إنما هي حقيقتهم كما علمت من قوله عليه السلام: «ونحن الأسماء الحسنىٰ»، وهذه الأسماء هي الجهة الربوبية في الأشياء، التي بها تستفيض الأشياء الفيض منه تعالىٰ لا نفسها، ومن هذه الجهة قيامها به تعالىٰ، وهي جهة الربط بينها وبينه تعالىٰ، وبهذا اللحاظ لا يكاد يخفىٰ شيء من الموجودات عنهم عليهم السلام، كيف وهم سبب الخلق كما تقدم، أي سبب قيامها به تعالىٰ وسبب وجودها منه تعالىٰ، وسبب أرزاقها منه تعالىٰ، فحقيقتهم في

الأشياء موجودة بنحو يشابه وجوده تعالىٰ فيها بلا كيفية، كيف وهم في الوجود أشبه به تعالىٰ من وجود غيرهم؛ لأنهم وجه الله الذي لا يبيد ولا يهلك، كما دلت عليه الأخبار الكثيرة.

وفي المحكي عن الاختصاص، عن سماعة قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فأرعدت السماء فأبرقت، فقال أبو عبدالله عليه السلام: «أما أنه ما كان من أمر هذا الرعد ومن هذا البرق فإنه من أمر صاحبكم، فقلنا: من صاحبنا؟ قال: أمير المؤمنين عليه السلام».

أقول: يدل هذا علىٰ أن ما يقع في الخارج فإنما هو بأمرهم، كيف لا وهم سببها، كما علمت أن هذا جار في جميعهم عليهم السلام ولا يختص بأمير المؤمنين عليه السلام إلّا في إمرة المؤمنين، فإنها مختصة به (صلوات الله عليه) نعم له عليه السلام الفضل الذي يخصّه، وهذا ثابت بدليل الاشتراك كما لا يخفىٰ وقد تقدمت أحاديثه.

أقول: وإلىٰ هذه الدقيقة والحقيقة المحمدية والعلوية يشير ما ورد في الأخبار من أنهم عليهم السلام يظهرون في الصور كيف ما شاءُوا بل هذا الظهور منهم في كل شيء لكل شيء، فحينئذ كونهم محدقين بالعرش بالفعل، معناه أنهم بأشباههم النورية ظاهرون فيها وبإيجاداتهم وتأثيراتهم بالله تعالىٰ وبإذنه تعالىٰ وبإيجاده تعالىٰ وصنعه لما صنع بهم، يظهر الموجودات بأسرها من وجودهم وأرزاقهم وحياتهم ومماتهم، فافهم وتأمل.

والحاصل: أن معنىٰ كونهم محدقين بالعرش أنهم محيطون وعالمون بها ومطيفون بها، يدل عليه كتابة أسمائهم وحقيقتهم عليها، وأن العرش (أي ما سواه) مستند إليهم في الوجود وفي الاستفاضة منه تعالىٰ، وأنهم عليهم السلام المظهرون لما أودع الله تعالىٰ في العرش وفي الأشياء من حكمه ومصالحه وعلومه، وآثار قدرته ووجوده تعالىٰ؛ لأنهم عليهم السلام خزان علمه وحفظة سره، وهم مفاتيح تلك الأمور، فهم الخازنون لها والمظهرون لها كلاً منها بإذنه تعالىٰ، كيف وهم عليهم السلام حقيقتها الأصلية

التي بها وجودهم، فالموجودات في الحقيقة آثار وجودهم، وهم وهي من آثار وجوده تعالىٰ، يدل علىٰ هذا قولهم عليهم السلام فيما تقدم: «لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها».

وبعبارة أُخرىٰ: أنه تعالىٰ خلق الخلق بملاك رحمته الرحيمية والرحمانية للمؤمنين وغيرهم، بل لساير الموجودات وهم عليهم السلام حقيقة الرحمة الإلهية قال تعالىٰ: ﴿وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين﴾[1]، وقال تعالىٰ: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾[2] الآية، وقد فسر الرحمة والفضل بمحمد وعلي (عليهما وآلهما السلام) في كثير من الأخبار الواردة في تفسير تلك الآيات كما لا يخفىٰ، ومن عندهم آثار كل شيء، الذي بها وجوده وأصل وجوده، كل ذلك لأنهم عليهم السلام مستفيضون منه تعالى العلم والحقائق، ثم يفيضونها للموجودات لكل بحسبه ولسان استعداده وطلبه الذاتي، كما تقدم في بيان الولاية الكلية الإلهية التكوينية الثابتة لهم عليهم السلام، هذا بعض الكلام في المقام، وله الحمد أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

قوله عليه السلام: حتّىٰ منّ علينا بكم، فجعلكم في بيوت أذِنِ الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه.

أقول: شرح هذه الجمل من جهات:

الجهة الأُولىٰ: في بيان منن الله تعالىٰ بأن جعلهم في بيوت.. الخ، فنقول:

لا ريب في أن المقصود من الخلق هو معرفة الخالق، كما تقدم من قول الحسين عليه السلام: «أيها الناس إن الله ما خلق الخلق إلّا ليعرفوه» الحديث، ومن الحديث المشهور من قوله تعالىٰ: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أُعرف، فخلقت الخلق لكي أُعرف»، وأيضاً ثبت في محله أن الخلق بما هم جاهلون وعاجزون، لا يقدرون علىٰ

---

١ ـ الأنبياء: ١٠٧.

٢ ـ البقرة: ٨٣.

تحصيل معرفته تعالىٰ، كما قال السجاد عليه السلام: «وإنه لا طريق إلىٰ معرفتك إلّا بالعجز عن معرفتك»، أي لابد للخلق من الإقرار بالعجز، فحينئذ يتفضل الباري عليهم بالمعرفة، وفي الكافي باب منعقد لخصوص أن المعرفة من صنع الله تعالىٰ.

فحينئذ ينحصر حصول المعرفة به تعالىٰ في أن يعرفهم الله تعالىٰ نفسه، وهو تعالىٰ أحب أن يعرف، وأن يعرفوه بما عرفهم من نفسه بلسان نبيه والأئمة عليهم السلام.

وبعبارة أُخرىٰ: أن يعرفوه بسبيل معرفتهم، وقد تقدم في موارد من الشرح أنه لا سبيل إلىٰ معرفته إلّا بسبيل معرفتهم، فراجع، فحينئذ اقتضت الحكمة الإلهية علىٰ أن خلق ما شاء من خلقه علىٰ حقيقة معرفته، وعلىٰ كونهم محالاً لمعرفته؛ ليتوسل الخلق بسبيل معرفتهم إلىٰ معرفته تعالىٰ، وتقدم أيضاً قول الباقر عليه السلام: «فنحن أول خلق ابتدأ الله، وأول خلق عبد الله وسبحه، ونحن سبب خلق الخلق، وسبب تسبيحهم وعبادتهم من الملائكة والآدميين فبنا عرف الله، وبنا وحد الله، وبنا عبد الله، وبنا أكرم الله من جميع خلقه»، الحديث ذكره السيد البحراني رحمه الله في غاية المرام ص١٠٤.

ومثله كثير كما لا يخفىٰ، فسبحان من جعل الأئمة عليهم السلام في أول الخلق النعمة الكبرىٰ، والآلاء العظمىٰ علىٰ من سواهم، فما لله تعالىٰ نعمة أعظم منها علينا، حيث إنه تعالىٰ خلقهم، وأنهىٰ إليهم علمه، وأشهدهم أمر خلقه، وجعلهم الهداة إليه، فمن اهتدىٰ بهم نجا، ومن تخلف عنهم هلك، وجعلهم أعضاد الخلق إلىٰ كل خير من سعادة الدنيا والآخرة فلا يسعد من سعد إلّا بهم، ولا يشقي من شقىٰ إلّا بمخالفتهم وترك متابعتهم، بل علمت أنه تعالىٰ بفضل وجودهم أوجد من سواهم وما سواهم، فرزق الخلق ونجاتهم وهدايتهم في الدارين، وقبول عبادتهم، ودفع البلاء عنهم، ووصولهم إلىٰ كل خير، إنما هو بهم وبمتابعتهم وبقبول ولايتهم عليهم السلام فلا منّة حينئذ أعظم من مننه تعالىٰ علينا من هذه النعمة، ونحن نذكر حديثاً جامعاً قد ذكر فيه هذه النعماء.

ففي تفسير نور الثقلين[1]: قال علي بن إبراهيم ﷺ في قول الله عزوجل: **﴿الله نور السموات والأرض﴾**، إلىٰ قوله تعالىٰ: **﴿والله بكل شيء عليم﴾** فإنه حدثني أبي، عن عبدالله بن جندب قال: كتبت إلىٰ أبي الحسن الرضا ﷺ أسأله عن تفسير هذه الآية؟ فكتب إليّ الجواب:

أما بعد: «فإن محمداً ﷺ كان أمين الله في خلقه، فلما قبض النبي كنّا أهل البيت ورثته، فنحن أُمناء الله في أرضه، عندنا علم المنايا والبلايا وأنساب العرب ومولد الاسلام، وما من فئة تضل مائة وتهدي مائة إلّا ونحن سائقها وقائدها وناعقها، وإنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الايمان وحقيقة النفاق.

وإن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم، أخذ الله عزوجل علينا وعليهم الميثاق، يردون موردنا، ويدخلون مدخلنا، ليس علىٰ ملة الاسلام غيرنا وغيرهم إلىٰ يوم القيمة، نحن الآخذون بحجزة نبينا، ونبينا الآخذ بحجزة ربنا، الحجزة النور وشيعتنا آخذون بحجزتنا، من فارقنا هلك، ومن تبعنا نجا، والمفارق لنا والجاحد لولايتنا كافر، ومتبعنا وتابع أوليائنا مؤمن، لا يحبنا كافر ولا يبغضنا مؤمن، فمن مات وهو يحبنا كان حقاً على الله أن يبعثه معنا، نحن نور لمن تبعنا، وهدىً لمن اهتدىٰ بنا، ومن لم يكن منا فليس من الاسلام في شيء، بنا فتح الله الدين وبنا يختمه، وبنا أطعمكم الله عشب الأرض، وبنا أنزل الله قطر السماء، وبنا أمنكم الله عزوجل من الغرق في بحركم، ومن الخسف في برّكم.

وبنا نفعكم الله في حياتكم وفي قبوركم وفي محشركم، وعند الصراط، وعند الميزان، وعند دخولكم الجنان، مثلنا في كتاب الله عزوجل **﴿كمثل مشكوة﴾** المشكوة في القنديل فنحن المشكوة **﴿فيها مصباح﴾** المصباح محمد ﷺ **﴿المصباح في زجاجة﴾** من عنصره **﴿الزجاجة كأنها كوكب درّي يوقد من شجرة مباركة**

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج٣ ص٦٠٦.

زيتونة لا شرقية ولا غربية﴾[1] لا دعية ولا منكرة **﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار﴾** القرآن **﴿نور على نور﴾** امام بعد إمام **﴿يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم﴾** فالنور علي (صلوات الله عليه) يهدي لولايتنا من أحب، وحق على الله أن يبعث ولينا مشرقاً وجهه، منيراً برهانه، ظاهرة عند الله حجته»، الحديث.

أقول: قد دل هذا الحديث علىٰ أنه تعالىٰ منّ علينا بهم في الدارين، بما ذكر فيه من النعماء والآلاء والألطاف ونحن نشكر الله تعالىٰ كما ينبغي، لكرم وجهه وعزّ جلاله علىٰ هذه النعمة العظمىٰ والمنّة الجسيمة، وله الحمد والشكر أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

الجهة الثانية: في بيان معنى البيوت التي أذن الله أن ترفع ، .. الخ.

أقول: قال الشارح المجلسي ﵀: إشارة إلىٰ أن هذه الآيات التي بعد آية النور وردت فيهم، كما أن الآيات التي بعدها وردت في أعداءهم كما ورد في الأخبار المتكثرة، والمراد بالبيوت البيوت المعنوية التي هي بيوت العلم والحكمة وغيرهما من الكمالات، والذكر فيها كناية عن الاستفاضة منهم، والصورية التي هي بيوت النبي والأئمة عليهم السلام في الحيوة وفي مشاهدهم بعد الوفاة.

أقول: لابد من ذكر الأحاديث الواردة في الباب ثم بيان المستفاد منها، فنقول:

في تفسير نور الثقلين[2] بإسناده، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عزوجل: **﴿في بيوت اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه﴾**[3]، قال: «هي بيوت الأنبياء وبيت علي منها».

وفيه، عن المناقب لابن شهر آشوب، أبو حمزة الثمالي في خبر: لما كانت السنة

---

١ ـ النور : ٣٥.

٢ ـ تفسير نور الثقلين ج٣ ص٦٠٧.

٣ ـ النور : ٣٦.

التي حج فيها أبو جعفر محمد بن علي ولقيه هشام بن عبدالملك، أقبل الناس يتساءلون عليه، فقال عكرمة: من هذا؟ عليه سيماء زهرة العلم لأخزينه، فلما مثل بين يديه ارتعدت فرائصه واسقط في أيدي أبي جعفر عليه السلام وقال: يابن رسول الله لقد جلست مجالس كثيرة بين يدي ابن عباس وغيره، فما أدركني ما أدركني آنفاً، فقال له أبو جعفر عليه السلام: «ويلك ياعبيد أهل الشام إنك بين يدي بيوت اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه».

وفيه عن كتاب كمال الدين وتمام النعمة، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام حديث طويل وفيه يقول عليه السلام: «إنما الحجة في آل إبراهيم لقول الله عزوجل: **﴿فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾**[1] والحجة الأنبياء وأهل بيوتات الأنبياء حتىٰ تقوم الساعة؛ لأن كتاب الله ينطق بذلك ووصية الله جرت بذلك في العقب، من البيوت التي رفعها الله تبارك وتعالىٰ على الناس فقال: **﴿في بيوت اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه﴾**، وهي بيوتات الأنبياء والرسل والحكماء وأئمة الهدىٰ».

وفيه عن روضة الكافي، أبان، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل: **﴿في بيوت اذن الله أن ترفع﴾** قال: «هي بيوت النبي صلى الله عليه وآله».

وفيه، عن أُصول الكافي، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: «وصل الله طاعة ولي أمره بطاعة رسوله وطاعة رسوله، بطاعته، فمن ترك طاعة ولاة الأمر لم يطع الله ولا رسوله، وهو الاقرار بما أُنزل من عند الله عزوجل: **﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾**[2] والتمسوا البيوت التي اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه فإنه أخبركم أنهم: **﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلوة وإيتاء الزكوة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾**، الحديث.

---

١ ـ النساء: ٥٤.

٢ ـ الأعراف: ٣١.

وفيه[١] عن أبي حمزة الثمالي قال: قال أبو جعفر عليه السلام لقتادة: «من أنت؟ قال: أنا قتادة بن دعامة البصري، فقال له أبو جعفر عليه السلام: أنت فقيه أهل البصرة؟ قال: نعم، فقال له أبو جعفر عليه السلام: ويحك ياقتادة إن الله خلق خلقاً من خلقه، فجعلهم حججاً علىٰ خلقه، فهم أوتاد في أرضه، قوّام بأمره، نجباء في علمه، اصطفاهم قبل خلقه، أظلة عن يمين عرشه، قال: فسكت قتادة طويلاً، ثم قال: أصلحك الله، والله لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدام (الظاهر قدامهم) فما اضطرب قلبي قدام واحد منهم ما اضطرب قدّامك.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: أتدري أين أنت بين يدي ﴿**في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدو والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلوة وإيتاء الزكوة**﴾[٢] فأنت ثم ونحن أُولئك، فقال له قتادة: صدقت والله جعلني الله فداك، والله ما هي بيوت حجارة ولا طين»، الحديث.

وفيه، عن أُصول الكافي بإسناده، عن صالح بن سهل الهمداني قال: قال أبو عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل: ﴿**الله نور السموات والأرض**﴾[٣]، إلىٰ قوله: قلت: ﴿**أو كظلمات**﴾ قال: «الأول وصاحبه، يغشاه موج الثالث، ﴿**من فوقه موج**﴾ ظلمات الثاني ﴿**بعضها فوق بعض**﴾ معاوية لعنه الله وفتن بني أُمية ﴿**إذا أخرج يده**﴾ المؤمن في ظلمة فتنتهم ﴿**لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً**﴾ إماماً من ولد فاطمة عليها السلام ﴿**فما له من نور**﴾ إمام يوم القيمة».

أقول: معنىٰ جعلهم في البيوت تنزّلهم عليهم السلام عن عالم إطلاق الحقائق والأسماء الربوبية إلىٰ عالم حدود الخلقية؛ لتربية الخلق وتهذيبه، فلا محالة تكون بيوتهم بيوت العلم والحكمة والتوحيد والمعارف، فهي بذاتها الطاهرة الإلهية، تقتضي أن

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج٣ ص٦٠٩.
٢ ـ النور: ٣٦و٣٧.
٣ ـ النور: ٣٥.

ترفع ذاتاً لرفعة العلم والحكمة، ويذكر فيها اسمه تعالىٰ؛ لأنها مظاهره تعالىٰ ومظاهر صفاته وجلاله وجماله، فلا محالة لا يذكر اسمه إلّا فيها كما لا يخفىٰ.

وإلىٰ هذا يشير قوله عليه السلام في حديث الكافي عن أبي عبدالله عليه السلام: «فإنه أخبركم أنهم ﴿رجال لا تلهيهم﴾ الآية، أي أخبركم أنهم (يعني أن البيوت) إنما هي رجال».

ومن المعلوم أن الرجال المعبر عنها بالبيوت لا يراد منها إلّا بلحاظ كونها مظهراً للعلم والتوحيد والكمالات كما لا يخفىٰ، وبهذا المعنىٰ يفسّر قوله عليه السلام: بيوت النبي وبيت علي والأئمة عليهم السلام، ويفسر بها قوله عليه السلام: والتمسوا البيوت التي اذن الله أن ترفع.. الخ، فالتماس البيوت أي التماس أُولئك الرجال بما هم مظاهر العلم والحكمة والكمال كما لا يخفىٰ.

ثم إن كون المراد من البيوت بيوت العلم والمعارف لا ينافي إرادة البيت الظاهري أيضاً كما هو ظاهر قوله: «هي بيوت النبي»، وقوله عليه السلام: «وبيت علي منها أو من أفاضلها» كما في بعض الأحاديث، لأن تلك البيوت الصورية قد تشرفت بأُولئك الرجال، الذين هم بيوت العلم والحكمة، فاكتسبت منهم رفعة، فبهذا اللحاظ قد أذن الله تعالىٰ أن ترفع ويذكر فيها اسمه، ويلحق بها مشاهدهم المشرفة بعد وفاتهم بالملاك المذكور كما لا يخفىٰ.

وأما قوله عليه السلام: «اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه»، فالكلام فيها في أمرين:

الأول: بيان المراد من اذن الله أن ترفع.

الثاني: بيان المراد من اذن أن يذكر فيها اسمه، وفيه بيان معنى الذكر فنقول:

أما الأول: المراد من الاذن إما الاذن الشرعي التكليفي بأن أذن الله، أي أمر الله تعالىٰ عباده أمراً تكليفياً بتعظيم تلك البيوت ورفع شأنها، سواء أُريد منها البيوت الظاهرية من مساكنهم عليهم السلام وكذا مشاهدهم الشريفة، أو أُريد منها البيوت المعنوية من العلم والحكمة والمعارف ومن أنوارهم المقدسة، نعم إذا أُريد منها المساكن والمشاهد الظاهرية فرفعها بتعظيمها واحترامها بما يليق بها، لا رفع بنائها وتزيينها،

إلّا إذا كان في تركها إهانة لها، فحينئذ ترفيع بنائها وتزيينها بما يناسب رفع شأنها، ومنه يعلم حرمة تخريبها، وإزالة ما به احترامها مما يوجب زينتها كما لا يخفىٰ.

وإن أريد منها البيوت المعنوية فرفعها واجب بالطريق الأولىٰ إذ علمت أنها كذلك المقصود الأصلي منها، فاحترامها حينئذ بالاهتمام بها بمعارفها، والمتابعة لها والاعتقاد بها والعمل علىٰ مقتضاها كما لا يخفىٰ.

وإما يكون المراد من الاذن الاذن التكويني الالهي، بمعنىٰ أنه تعالىٰ قدّر وقضىٰ، وحكم في اللوح المحفوظ برفعها، وقد أظهر الله تعالىٰ هذه الرفعة في مظاهر الأكوان والأعيان الوجودية، فهم عليهم السلام بلحاظ حقائقهم النورية وظواهرهم البشرية في منتهى الرفعة من العلم والمعارف والحكمة والظهور بها وتمكنهم بتلك الأُمور في القلوب مطلقاً بحيث لا يمكن إنكار فضلهم حتىٰ من أعاديهم، كما سيجيء بيانه أيضاً في قوله عليه السلام: «فبلغ الله بكم أشرف محل المكرمين.. الخ»، ولعله إليه يشير قوله تعالىٰ: ﴿**يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمّ نوره ولو كره الكافرون**﴾[1]، وقوله تعالىٰ: ﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**﴾[2].

ففي تفسير نور الثقلين[3] في تفسير العياشي، عن أحمد بن محمد قال: وقف عليّ أبو الحسن الثاني عليه السلام في بني زريق فقال لي وهو رافع صوته: «ياأحمد، قلت: لبيك، قال: إنه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله جهد الناس علىٰ إطفاء نور الله، فأبى الله إلّا أن يتم نوره بأمير المؤمنين».

وفيه، عن قرب الاسناد للحميري، معاوية بن حكيم، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: وعدنا أبو الحسن عليه السلام ليلة إلىٰ مسجد دار معاوية فجاء فسلّم فقال:

---

١ ـ الصف : ٨.

٢ ـ التوبة : ٣٣.

٣ ـ تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٢١١.

«إن الناس قد جهدوا علىٰ إطفاء نور الله حين قبض الله تبارك وتعالىٰ رسول الله ﷺ وأبى الله إلّا أن يتم نوره، وقد جهد علي بن أبي حمزة علىٰ إطفاء نور الله حين قبض أبو الحسن فأبى الله إلّا أن يتم نوره، وقد هداكم الله لأمر جهله الناس فأحمدوا الله علىٰ ما منّ عليكم به».

وفيه[1]، عن أصول الكافي بإسناده عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال: قلت: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق﴾ قال: «هو الذي أمر رسوله بالولاية لوصيه، والولاية هي دين الحق، قلت: ليظهره على الدين كله؟ قال: يظهر علىٰ جميع الأديان عند قيام القائم (عج) قال: يقول الله: ﴿والله متم نوره﴾ ولاية القائم (عج) ﴿ولو كره الكافرون﴾ بولاية علي، قلت: هذا تنزيل؟ قال: نعم، أما هذا الحرف فتنزيل وأما غيره فتأويل»، الحديث.

أقول: قوله عليه السلام: «جهد الناس علىٰ إطفاء نور الله، فأبى الله إلّا أن يتم نوره بأمير المؤمنين»، المراد من نور الله هو مقام ولايتهم وحقائقهم النورانية بما هي مظاهر للعلم والمعارف والأسماء الإلهية كما لا يخفىٰ، وقد أبى الله إلّا أن يتم بأمير المؤمنين أي بحقيقته وبيانه وأحواله وأفعاله، وإظهار مقامه في الخلق، ومنه يعلم معنى الحديث الثاني كما لا يخفىٰ.

ثم إن إذنه التكويني برفعها بالنسبة إلى البيوت المعنوية، فظاهر مما ذكرنا، وأما إذا أُريد منها البيوت الظاهرية فمشاهدهم عليهم السلام فأيضاً هو تعالىٰ قد قدّر ترفيعها بظهور الكرامات والمعجزات والاستضاء بها، وإنها مورد لاحترام الناس خصوصاً لأهل الولاية كما لا يخفىٰ فإنها مظاهر للكرامات وموارد للاحترام، وإن أزال المعاندين عن بعضها صورة الحرم والقبة والضريح لها كما في أئمة البقيع عليهم السلام إلّا أنها مع ذلك آثار العظمة تظهر منها خصوصاً لأهلها كما لا يخفىٰ وسيجيء.

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٢١٢.

وأما الثاني: أعني بيان إذنه تعالىٰ أن يذكر فيها اسمه، وفيه أيضاً بيان المراد من الذكر فنقول:

إذنه تعالىٰ أن يذكر في تلك البيوت اسمه الذي فيه ذكره تعالىٰ، إذ هو تعالىٰ يذكر ويدعىٰ بأسمائه فهو يكون علىٰ قسمين:

الأول: أن يُذكر في تلك البيوت أسماؤه تعالىٰ من الأذكار الواردة عنهم عليهم السلام أو القرآن الكريم حيث إنهم عليهم السلام يقرأونها حق قراءته.

والحاصل: أن المراد من ذكر أسمائه في تلك البيوت أنه تعالىٰ لا يذكر إلّا بأسمائه كما قال تعالىٰ: **﴿ولله الأسماء الحسنىٰ فادعوه بها﴾**[1]، وهذه الأسماء لا تتحقق في الخارج بحيث توجب ذكره تعالىٰ بها كما ينبغي، إلّا إذا ذكرت في بيوتهم أما بذكرهم عليهم السلام تلك الأسماء، أو بتعليمهم العباد تلك الأسماء لكي يذكروا بها ربّهم.

وبعبارة أُخرىٰ: أنه تعالىٰ اذن أن يذكر اسمه في تلك البيوت لا في غيرها؛ لأجل أنهم عليهم السلام يبيّنون تلك الأسماء كماً وكيفاً، وأنه كيف يجب أن يذكر الله بها لما علمهم الله تعالىٰ ذلك، فيستفاد منه الحصر أي إنما اذن الله تعالىٰ أن يذكر اسمه فيها لا في غيرها؛ لأن غيرهم لا يعرفونها، ولا يعلمون بيان ذكر تلك الأسماء، التي بها ذكر الله تعالىٰ، وهذا المعنىٰ يستفاد من كثير من الأخبار كما لا يخفىٰ، فجميع الأسماء التي فيها ذكر الله من الأسماء اللفظية أو المعنوية.

وبعبارة أخرىٰ: كل صفة تستحقّه ذاته المقدسة الجليلة مما يوجب تسبيحه تعالىٰ أو تقديسه أو تحميده أو تهليله أو تكبيره أو غيرها مما تدل علىٰ صفة له تعالىٰ، أو اسم له، التي بها يكون ذكره تعالىٰ ذكراً لفظياً أو عملياً أو حالياً أو قلبياً أو اعتقاداً، أو سائر الوظائف التي تجب على العباد الإتيان بها؛ لتعظيمه تعالىٰ من الشعائر الدينية، فإنما هي بتمامها تذكر في تلك البيوت، ويصدر بيانها منها لا من

---

١ ـ الأعراف: ١٨٠.

غيرها، لما تقرر من أن العبادات والأسماء الإلهية توفيقية كما تقدمت الإشارة إليه سابقاً.

الثاني: أن يكون المراد من إذنه تعالىٰ أن يذكر فيها اسمه هو أن حقيقة ذكره تعالىٰ بأسمائه الحسنىٰ، التي يدعىٰ بها لا يتحقق تكويناً إلّا في تلك البيوت، أي بيوت العلم والحكمة والمعارف، أي تلك الأنوار المقدسة، التي هي حقائقهم النفيسة الشريفة، فهم عليهم السلام الذين يذكرون الله تعالىٰ بتلك الأسماء كما ينبغي لكرم وجهه وعزّ جلاله، فيكون مفاد هذه الجملة علىٰ هذا المعنىٰ مفاد قوله تعالىٰ: ﴿**سبحان الله عما يصفون * إلّا عباد الله المخلصين**﴾[1]، ومفاد قوله تعالىٰ في حديث المعراج: «ويعظمونني حق عظمتي».

وذلك مقتضىٰ كونهم عليهم السلام حقيقة الأسماء الحسنىٰ الإلهية، كما روي عن أمير المؤمنين وعن الصادق عليهما السلام من قولهما: «والله نحن الأسماء الحسنىٰ»، ومقتضىٰ كونهم محال معرفة الله بالبيان المتقدم، ومقتضىٰ كونهم عند الله، وأن لهم مقام العندية المشار إليها في قوله تعالىٰ: ﴿**ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته**﴾ الآية وقد تقدم بيانها وبيان ما ورد من الأحاديث في شرحها، وعلىٰ هذا ففي الحقيقة أن ذكره تعالىٰ بأسمائه لا يتحقق إلّا منهم عليهم السلام، وأما من غيرهم فلا يتحقق ذكره تعالىٰ بأسمائه كما هو حقه.

وتوضيح هذا يتوقف علىٰ بيان الذكر له تعالىٰ فنقول: قال السبزواري عند قوله: «ياخير الذاكرين»: حقيقة الذكر حضور المذكور لدى الذاكر إما بذاته أو بوجهه.. إلىٰ أن قال: وهو تعالىٰ خير الذاكرين بحسب ذاكريته لنفسه؛ لأن علمه بنفسه أتم من علمنا به؛ لكون الأول (أي علمه بنفسه) بالكنه، والثاني (أي علمنا به) بالوجه.

---

١ ـ الصافات: ١٥٩و ١٦٠.

أقول: والمستفاد منه أن حقيقة الذكر التي هي حضور المذكور فرع العلم والمعرفة بالمذكور، وحيث إنه تعالىٰ أعلم وأعرف بنفسه من غيره فذكره تعالىٰ خير الذاكرين أي أتم من ذكر الذاكرين، وأما ذكر غيره تعالىٰ من عباده فبالوجه الذي به أي بذلك الوجه يذكر المذكور (أي الله تعالىٰ) فذكر غيره تعالىٰ له تعالىٰ لا يكون إلّا بالوجه، وهذا الوجه هو حقيقة الأسماء الحسنىٰ الإلهية، وحيث إنه ثبت في محله أنهم عليهم السلام وجه الله الذي لا يهلك ولا يبيد، كما وردت به أحاديث في ذيل قوله تعالىٰ: **﴿كلّ شيء هالك إلّا وجهه﴾**[1]، وسيأتي بيانها في شرح قوله عليه السلام: «ومن قصده توجه بكم».

فلا محالة هم الذين يذكرون الله بالوجه الأتم؛ لأنهم عليهم السلام حقيقة تلك الأسماء، والمشاهدون لأنوار جماله وجلاله بحيث لا يساويهم في هذه الرتبة أحد، وأما من سواهم، فمن كان أعرف به تعالىٰ وأعلم به تعالىٰ تحقق في قلبه من أسمائه الحسنىٰ بنحو أوجب معرفته به تعالىٰ من سنخ معرفتهم عليهم السلام به تعالىٰ، فهو بتلك المرتبة الموجبة لتحقق الوجه الإلهي لهذا العبد، فهو ذاكر له تعالىٰ بتلك المرتبة.

ومن المعلوم أن تحصيل الذكر بالوجه، وبتلك الأسماء الحسنى الإلهية لا يكون إلّا ببيانهم، بل وإلّا باعطائهم وتسديدهم وتنويرهم عليهم السلام القلوب، ولا يكاد يحصل هذا إلّا بالتوسل بهم وبالسلوك الصحيح الشرعي.

وبعبارة أخرىٰ: أن ذكره تعالىٰ بالوجه بالأسماء والأدعية المأثورة عنهم، وخصوصاً بالقرآن الكريم، وإن كان بيانا لذكره تعالىٰ إلّا أن الحقيقة منها، والسير في مراتبها، لا يكون إلّا لمن كان مهذّباً وسالكاً سبيل الشرع، ومتخلقاً بأخلاق الله تعالىٰ، ومنزهاً نفسه من الصفات الرذيلة والعلائق المادية، فهذا يمكنه ذكره تعالىٰ بتلك الأسماء والأذكار حسب تصفية باطنه وأنسه به تعالىٰ كما لا يخفىٰ، والناس في هذه الحالات متفاوتون جداً كما لا يخفىٰ.

---

١ ـ القصص: ٨٨.

قوله عليه السلام: وجعل صلواتنا عليكم، وما خصّنا به من ولايتكم طيباً لخلقنا، وطهارة لأنفسنا، وتزكية لنا، وكفّارة لذنوبنا

قال الشارح المجلسي رحمه الله: وجعل عطف علىٰ اذن بالخبرية أو الانشائية الدعائية، ولا بأس به لكونه بصورتها كما في قوله تعالىٰ: ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾[١]، صلواتنا عليكم، وما خصنا به من ولايتكم،طيباً مفعول ثان لجعل، لخلقنا (بالضم) أي جعلكم الله في بيوت تصير الصلوٰة فيها، وإظهار الولاية سبباً لكرامة الله علينا بالأخلاق الحسنة، أو يكون عطفاً علىٰ من وهو أظهر، وطهارة لأنفسنا من الرذائل كما حلّانا بالفضائل، وتزكية لنا من الأعمال القبيحة، أو في القيمٰة.

وقد يقال: قوله: «لخلقنا» (بالفتح)، إشارة إلىٰ ما استفاض في الروايات من أنّ ولايتهم وحبهم عليهم السلام علامة طيب الولادة، أو بالضم أي جعل صلواتنا عليكم وولايتنا بكم سبباً لتزكية أخلاقنا، وطهارة لأنفسنا من الرذائل، وسبباً لتحليتها بالفضائل وتزكية لنا من الاعتقادات الفاسدة والمذاهب الباطلة الكاسدة.

أقول: لابد من ذكر الأخبار الواردة الدالة علىٰ أن الصلوة عليهم، وقبول ولايتهم توجب طيب الخلق والخلق، وتزكية الباطن، وكفارة الذنوب، ثم نعقبه بما يناسب المقام من الكلام فنقول:

ففي البحار[٢] عن أمالي الصدوق والعيون بإسناده، عن علي بن الحسين بن فضّال، عن أبيه قال: قال الرضا عليه السلام: «من لم يقدر علىٰ ما يكفّر به ذنوبه، فليكثر من الصلوٰة علىٰ محمد وآله، فإنها تهدم الذنوب هدماً، وقال عليه السلام: الصلوٰة علىٰ محمد وآله تعدل عند الله عزوجل التسبيح والتهليل والتكبير».

---

١ ـ آل عمران: ١٧٣.

٢ ـ البحار ج ٩٤ ص ٤٧.

وفيه[١]، عن أمالي الطوسي بإسناده، عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «صلاتكم عليّ إجابة لدعائكم وزكوة لأعمالكم».

وفيه عن جامع الأخبار، وقال النبي صلى الله عليه وآله: «ياعلي من صلّىٰ عليّ كل يوم أو كل ليلة وجبت له شفاعتي، ولو كان من أهل الكبائر».

وفيه، عنه وقال النبي صلى الله عليه وآله: «من صلىٰ عليّ مرة، خلق الله تعالىٰ يوم القيٰمة علىٰ رأسه نوراً، وعلىٰ يمينه نوراً، وعلىٰ شماله نوراً، وعلىٰ فوقه نوراً، وعلىٰ تحته نوراً، وفي جميع أعضائه نوراً».

وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «صلاتكم عليّ جواز دعائكم، ومرضاة لربكم، وزكوٰة لأعمالكم».

وفيه[٢]، عن جمال الاسبوع بإسناده عن عبدالرحمن بن كثير قال: سألته عن قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿إن الله وملائكته يصلّون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً﴾[٣]، فقال: «صلوٰة الله تزكية له في السماء، قلت: ما معنىٰ تزكية الله إياه؟ قال: زكاه بأن برأه من كل نقص وآفة يلزم مخلوقاً، قلت: فصلوٰة المؤمنين؟ قال: يبرّؤنه ويعرّفونه بأن الله قد برأه من كل نقص هو في المخلوقين من الآفات التي تصيبهم في بنية خلقهم، فمن عرفه ووصفه بغير ذلك فما صلّىٰ عليه.

قلت: فكيف نقول ونحن إذا صلّينا عليهم؟ قال: تقولون: اللهم إنا نصلّي علىٰ محمد نبيّك وعلىٰ آل محمد كما أمرتنا، به وكما صلّيت أنت عليه، فكذلك صلاتنا عليه».

أقول: المستفاد من هذه الروايات الكثيرة وقد ذكرنا بعضها أن الصلوٰة عليهم توجب غفران الذنوب حتى الكبائر، بل في بعضها كان كيوم ولدته أمّه، وتوجب

---

١ ـ البحار ج ٩٤ ص ٥٤.

٢ ـ البحار ج ٩٤ ص ٧١.

٣ ـ الأحزاب : ٥٦.

زكوة الأعمال وإن يبرأه الله تعالىٰ من كل نقص وآفة، وأنها مرضاة للرب، وسبب لاستجابة الدعاء.

وفي البحار[١]، عن المحاسن بإسناده، عن أبي عبدالله المدائني قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إذا يرد علىٰ قلب أحدكم حبّنا فليحمد الله علىٰ أولى النعم، قلت: علىٰ فطرة الاسلام؟ قال: لا، ولكن علىٰ طيب المولد، إنه لا يحبنا إلّا من طابت ولادته، ولا يبغضنا إلّا الملزق الذي تأتي به أُمه من رجل آخر فتلزمه زوجها، فيطلع علىٰ عوراتهم ويرثهم أموالهم، فلا يحبّنا ذلك أبداً، ولا يحبنا إلّا من كان صفوة من أي الجيل كان».

وفيه[٢]، عن الإرشاد بإسناده، عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «ألا أُسرك ألا أُمنحك ألا أُبشّرك؟ فقال: بلىٰ يارسول الله بشرني، قال: خلقت أنا وأنت من طينة واحدة، ففضلت منها فضلة فخلق الله منها شيعتنا، فإنهم يدعون بأسماء آبائهم لطيب مولدهم، فإذا كان يوم القيمة دعي الناس بأسماء أُمهاتهم سوىٰ شيعتنا».

وفيه[٣]، عن الكنز روى شيخ الطائفة رحمه الله بإسناده، عن زيد بن يونس الشحام قال: قلت لأبي الحسن موسىٰ عليه السلام: الرجل من مواليكم عاص يشرب الخمر، ويرتكب الموبق من الذنب نتبرأ منه؟ فقال: تبرّأوا من عمله ولا تتبرّأوا من خيره، وأبغضوا عمله، فقلت: يسع لنا أن نقول: فاسق فاجر؟ فقال: لا، الفاسق الفاجر الكافر الجاحد لنا ولأوليائنا، أبى الله أن يكون ولينا فاسقاً فاجراً، وإن عمل ما عمل، ولكنّكم قولوا: فاسق العمل فاجر العمل مؤمن النفس خبيث الفعل طيب الروح والبدن، لا، والله لا يخرج ولينا من الدنيا إلّا والله ورسوله ونحن عنه راضون

---

١ ـ البحار ج٢٧ ص١٥٢.

٢ ـ البحار ج٢٧ ص١٥٥.

٣ ـ البحار ج٢٧ ص٢٧.

يحشره الله علىٰ ما فيه من الذنوب مبيضاً وجهه، مستورة عورته، آمنة روعته، لا خوف عليه ولا حزن.

وذلك أنه لا يخرج من الدنيا حتىٰ يصفىٰ من الذنوب إما بمصيبة في مال أو نفس أو ولد أو مرض، وأدنىٰ ما يصنع بولينا أن يريه الله رؤيا مهولة، فيصبح حزيناً لما رآه، فيكون ذلك كفارة له أو خوفاً يرد عليه من أهل دولة الباطل، أو يشدّد عليه عند الموت، فيلقى الله عزوجل طاهراً من الذنوب آمنة روعته بمحمد وأمير المؤمنين (صلوات الله عليهما وآلهما) ثم يكون أمامه أحد الأمرين رحمة الله الواسعة، التي هي أوسع من أهل الأرض جميعاً، أو شفاعة محمد وأمير المؤمنين (صلوات الله عليهما وآلهما) فعندها تصيبه رحمة الله الواسعة، التي كان أحق بها وأهلها وله إحسانها وفضلها».

أقول: قوله عليه السلام: «طيب الروح والبدن»، يدل علىٰ أن الشيعة والمحب لهم ووليّهم يكون بسبب قبول ولايتهم طيب الروح والبدن وهو طهارة النفس كما قال عليه السلام: «وطهارة لأنفسنا»، وإما كونه سبباً لكفارة الذنوب فظاهر، وتدلّ عليه أخبار كثيرة جداً.

وفيه[1]، عن كتاب المحتضر، ومنه عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ياعلي إن جبرئيل أخبرني عنك بأمر قرّت به عيني وفرح به قلبي، قال: يامحمد، قال الله عزوجل: اقرأ محمداً مني السلام وأُعلمه أنّ علياً إمام الهدىٰ ومصباح الدجىٰ والحجة علىٰ أهل الدنيا وأنه الصديق الأكبر والفاروق الأعظم وإنّي آليت وعزتي وجلالي أن لا أُدخل النار أحداً تولّاه وسلّم له وللأوصياء من بعده، حق القول مني لأملأن جهنم وأطباقها من أعدائه ولأملأن الجنة من أوليائه وشيعته».

وفيه[2]، عن كتاب فضائل الشيعة للصدوق رحمه الله بإسناده، عن ابن عباس قال:

---

١ ـ البحار ج٢٧ ص١٣٢.

٢ ـ البحار ج٢٧ ص١٣٦.

قال رسول الله ﷺ: «حبّ علي بن أبي طالب عليه السلام يأكل السيئات، كما تأكل النار الحطب».

وفي البحار[١]، عن تفسير القمي بإسناده، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: **﴿وإنّي لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدىٰ﴾**[٢]، قال: «ألا ترىٰ كيف اشترط ولم تنفعه التوبة أو الايمان والعمل الصالح حتىٰ اهتدىٰ؟ والله لو جهد أن يعمل ما قبل منه حتىٰ يهتدي، قال: قلت: إلىٰ من جعلني الله فداك؟ قال: إلينا».

وفيه[٣]، عن بصائر الدرجات، محمد بن عيسىٰ، عن صفوان، عن يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالىٰ: **﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدىٰ﴾**[٤] قال: «ومن تاب من ظلم، وآمن من كفر، وعمل صالحاً، ثم اهتدىٰ إلىٰ ولايتنا، وأومأ بيده إلىٰ صدره».

وفي الشموس الطالعة[٥] للاردوبادي رحمه الله عن الرضا عليه السلام، عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «حبنا أهل البيت يكفّر الذنوب، ويضاعف الحسنات، وإن الله ليتحمل من محبينا أهل البيت ما عليهم من مظالم العباد، إلّا ما كان منهم علىٰ اصرار وظلم المؤمنين فيقول للسيئات: كوني حسنات».

وفيه، عن القمي، عن الصادق عليه السلام إنه سئل عن قوله تعالىٰ: **﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخّر﴾**[٦] فقال: «ما كان له ذنب ولا هم بذنب، ولكنّ الله حمله ذنوب شيعته ثم غفرها له».

وفيه، عن العيون، عن الرضا، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول

---

١ ـ البحار ج٢٧ ص١٦٨.
٢ ـ طه : ٨٢.
٣ ـ البحار ج٢٧ ص١٠٧٦
٤ ـ طه : ٨٢.
٥ ـ الشموس الطالعة ص٣٧٢.
٦ ـ الفتح : ٢.

الله عليه السلام: «إذا كان يوم القيمة ولينا حساب شيعتنا»، فمن كانت مظلمته فيما بينه وبين الناس استوهبناها فوهبت لنا، ومن كانت مظلمته فيما بينه وبيننا كنا أحق من عفا وصفح.

أقول: والأخبار في هذا الباب كثيرة كما علمت.

ثم إن المراد من الصلوٰة هو قول: «اللهم صلّ علىٰ محمد وآل محمد»، ونحوه مما ورد في المأثور، وقد يقال: إن المراد منها هو الصلوات اليومية، إما بلحاظ اشتمالها على الصلوٰة عليهم، وإما بلحاظ ما تقدم من أنهم عليهم السلام أصل الصلوٰة بلحاظ حقائقها الحاكية عن عبودية العبد وربوبية الرب بأنحائها وشؤونها، والصلوة المأتي بها منا إنما هي التلبس بتلك الحالات، التي أصلها يكون لهم عليهم السلام، وحينئذ كان صلواتنا تكون عليهم، أي لهم بلحاظ التشبّه بهم، وأخذ تلك الحالات الصلواتية منهم، فتأمل.

وكيف كان فالصلوٰة والولاية أوجبتا طيب الخلق والخلق وطهارة النفس وكفارة الذنوب، والسرّ في ذلك هو أنه قد ثبت من أخبار كثيرة قد مضىٰ شطر منها في طي الشرح، ويأتي أيضاً أن الشيعة ومحبيهم خلقوا من فاضل طينتهم، وثبت في محله في المعارف الإلهية أن الانسان الكامل هو حجة الله وهم محمد وآله الطاهرون، بما لهم من الشؤون في التوحيد وآثاره المعبر عنها بالرسالة والولاية، وما لها من الآثار، فهم عليهم السلام مظاهره تعالىٰ وحقائق الأسماء الحسنىٰ الإلهية.

والشيعة حيث إنهم خلقوا من فاضل طينتهم، فلا محالة يكون أصلهم منهم عليهم السلام فهم بالذات والأصل كما صرحت به الرواية المتقدمة طيب الروح والبدن؛ لكونهم من فرع تلك الطينة العلية، التي خلقت منها أبدان وعالم المثال لمحمد وآله الطاهرين، ثم إنهم (أي الشيعة) بعد الاختلاط في بعض العوالم بأرواح الأعداء الذين خلق طينتهم من الطينة السجّين، قد اكتسبوا منهم آثارهم من المعاصي، فإذا كان أحد من الشيعة محباً لهم عليهم السلام ومقراً بولايتهم، فقد استمسك قلباً بالعروة

الوثقىٰ (أعني حقيقتهم) التي هي مظهر التوحيد والولاية.

ولا ريب في أن هذا الارتباط أقوىٰ من الحال الذي حصل لهم من ذلك الاختلاط الموجب للمعاصي فلا محالة يؤثر هذا الارتباط الواقعي المعنوي أثره فيوجب طيب الخلق والخلق والنفس وكفارة الذنوب، وإنما كانت الصلوة عليهم عليهم السلام سبباً لتلك الأُمور؛ لأن الصلوة عليهم ترجع حقيقة العبد إلىٰ أصله، بأن يجدد الارتباط، ويستمد من أنوارهم، فيغلب تلك الأنوار حينئذ علىٰ قلبه، فيطهر ما صدر منه من المعصية فيكون غاسلاً لها.

ولعله إليه يشير ما رواه في البحار[1] عن معاني الأخبار بإسناده عن موسىٰ بن جعفر، عن أبيه عليه السلام قال: «من صلّىٰ على النبي صلى الله عليه وآله فمعناه أني أنا على الميثاق والوفاء الذي قبلت حين قوله: ﴿ألست بربكم قالوا بلىٰ﴾[2]».

وفيه[3] وقال النبي صلى الله عليه وآله: «من صلىٰ عليّ مرة خلق الله تعالىٰ يوم القيٰمة علىٰ رأسه نوراً، وعلىٰ يمينه نوراً، وعلىٰ شماله نوراً، وعلىٰ فوقه نوراً، وعلىٰ تحته نوراً، وفي جميع أعضائه نوراً».

ومن المعلوم أن خلق النور لتلك المواضع إنما هو ظهور أنوار ولايتهم فيها، فالأنوار حينئذ تغسل آثار المعاصي، فيكون من أهل الجنة، وإليه يشير ما فيه أيضاً قال صلى الله عليه وآله: «لن يلج النار من صلّىٰ عليّ»، وقال عليه السلام: «الصلوة على نور الصراط، ومن كان له على الصراط من النور، لم يكن من أهل النار».

وفي رواية عبدالرحمن بن عوف، أنه صلى الله عليه وآله قال: «جاءني جبرئيل وقال: إنه لا يصلي عليك أحد، إلّا ويصلي عليه سبعون ألف ملك، ومن صلىٰ عليه سبعون ألف ملك كان من أهل الجنة».

---

١ ـ البحار ج ٩٤ ص ٥٤.

٢ ـ الأعراف: ١٧٢.

٣ ـ البحار ج ٩٤ ص ٦٤.

أقول: نقله عن جامع الأخبار.

وقد صرّح بما ذكرنا كثير من الأخبار، كما لا يخفىٰ على المتتبع لها.

وبعبارة أخرىٰ: السرّ في ذلك كله ما ذكره بعض الشارحين من أن حبّهم عليهم السلام وولايتهم نور من كل ظلمة، وحيوة من كل موت، وطهر من كل دنس ورجس، وشفاء لما في الصدور، وهدىً ورحمة للمؤمنين، فإذا تفضل الله بهما علىٰ عبد كان منيراً ظاهراً ببعض الأعمال الصالحات وباطنه بحسن الاعتقاد والاقتصاد والسداد، فإذا وقعت منه سيئة فلم تصدر من قلبه، بل وقعت منه وقلبه منكر عليه، فتكون مجتثة ليست متأصّلة فيه مع تأصّل النور فيه؛ لأنهم خلقوا من طينة أئمتهم عليهم السلام وهي نور ومن ماء ولايتهم وهو نور، وحين خاطبهم في الذر أجابوه فغمسهم في رحمته وهي نور، فالأنوار متأصّلة فيه ولا نفاد لها.

وظلمة السيئة مجتثة نافذة؛ لعدم تأصّلها وقلّتها، فإذا وقعت منه وندم عليها استولت عليها تلك الأنوار فمحقها بواسطة الندم؛ لأن الندم علىٰ فعل السيّئة من نور ولايتهم، إذ معناه تجديد العهد المأخوذ عليه، وكذا عدم الاصرار، ومنه عدم العزم على البقاء على المعصية، فإن تلك الأنوار تمحوها، كما نقول في النهر الجاري إذا تنجس موضع منه فتغير بالنجاسة فزال التغيير بتدافعه، فإنه يطهر ولا يحتاج إلىٰ نزح ما فيه النجاسة، الذي هو مثل البلاء للمؤمن، الذي يكون مكفّراً للسيئة، بل تلك الأنوار التي أشرنا إليها هي أنهار تجري من الكوثر، وهي بكثرة جريانها وتدافعها تزيل التغيير، الذي حدث من المعصية المجتثة، فيطهر صاحبها، ولا يحتاج إلى البلاء الذي هو نزع المتنجس وإزالة النجاسة؛ لأن حبّهم يستهلك الذنوب كما أن الماء الذي له مادة تجري يستهلك النجاسة فلا يحمل خبثاً، كما هو حكم الكرّ إذا لم يتغير منه ما يبقىٰ بعده كرّ لم يتغير، وكالجاري إذا لم تتغير المادة، فالتغيير في المؤمن الذي لا يبقىٰ معه كرّ غير متغير، وهو ولاية أعدائهم، فإن من كان كذلك والعياذ بالله كان نجساً، لا يطهر أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم، وأما الذي يبقىٰ معه

حال المعصية أصل الايمان، الذي هو بمنزلة بقاء كرّ طاهر يطهر بزوال النجاسة كما مثّلنا؛ لأن المحب خلقه الله من النور وغمسه في الرحمة يعود إلى الرحمة.

وفي الكافي بسنده إلىٰ أبي عبيدة الحذاء قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الاستطاعة وقول الناس بها وتلا هذه الآية: ﴿ولا يزالون مختلفين﴾[1]، قال: «ياأبا عبيدة الناس مختلفون في إصابة القول وكلهم هالك، قال: قلت: قوله: ﴿إلّا من رحم ربك﴾[2] قال: هم شيعتنا ولرحمته خلقهم وهو قوله، ولذلك خلقهم، يقول: لطاعة الامام، الرحمة التي يقول: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾[3]، يقول: علم الامام، وسع علمه الذي هو من علمه كل شيء»، الحديث.

أقول: هذا البيان أحسن بيان للمقصود، وهو مطابق ومأخوذ من الأحاديث الواردة من الأئمة عليهم السلام ونحن نسأل الله تعالىٰ أن يثبّتنا علىٰ ولايتهم في الدنيا والآخرة بمحمد وآله الطاهرين.

قوله عليه السلام: فكنّا عنده مسلّمين بفضلكم، ومعروفين بتصديقنا إيّاكم.

أقول: الفاء سببية، أي أنه تعالىٰ لما جعل صلاتنا عليكم وموالاتنا لكم سبباً لطيب خلقنا.. الخ، فعلم منه إنا كنا في علمه تعالىٰ مسلّمين، أي لكوننا في علمه مسلّمين بفضلكم صار سبباً لجعله تعالىٰ صلاتنا وموالاتنا لكم طيباً لخلقنا.. الخ.

وكيف كان فالكلام يقع في أمرين:

الأول: في بيان إنا كنا مسلّمين بفضلهم عليهم السلام.

الثاني: في بيان كوننا معروفين بتصديقنا إيّاهم، فنقول:

أما الأول: فقد دلت أحاديث كثيرة علىٰ أن شيعتهم ومحبيهم هم الذين قبلوا ولايتهم، وسلّموا بفضلهم في عالم الأرواح وعالم الذر.

١ـ هُود: ١١٨.

٢ـ هُود: ١١٩.

٣ـ الأعراف: ١٥٦.

في بصائر الدرجات ص٨ بإسناده، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الله خلق الخلق، فخلق من أحبّ مما أحبّ، وكان ما أحبّ أن يخلقه (خلقه) من طينة الجنة، وخلق من أبغض مما أبغض، وكان ما أبغض أن يخلقه من طينة النار، ثم بعثهم في الضلال، قال: قلت: أي شيء الضلال؟ قال: ألم تر إذا ضلّل في الشمس شيء وليس بشيء، ثم بعث فيهم النبيين يدعونهم إلى الإقرار بالله وهو قوله: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله﴾[1]، ثم دعاهم إلى الإقرار بالنبيين، فأقرّ بعضهم، وأنكر بعضهم، ثم دعاهم إلىٰ ولايتنا فأقرّ بها والله من أحبّ، وأنكرها من أبغض وهو قوله: ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل﴾، ثم قال أبو جعفر عليه السلام: كان التكذيب ثمّة».

وفي البحار[2] عن الكنز بإسناده، عن محمد بن حمران قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام فقوله: عزوجل: ﴿فأما إن كان من المقربين﴾[3]، قال: ذاك من كانت له منزلة عند الإمام، قلت: ﴿وأما إن كان من أصحاب اليمين﴾[4]، قال: ذاك من وصف هذا الأمر، قلت: ﴿وأما إن كان من المكذبين الضالين﴾[5]، قال: الجاحدين للامام».

وفيه[6]، عن بصائر الدرجات بإسناده، عن عبدالله بن جندب عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه كتب إليه في رسالة: «إن شيعتنا مكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم، أخذ الله علينا وعليهم الميثاق، يردون موردنا، ويدخلون مدخلنا، ليس علىٰ ملة الاسلام غيرنا وغيرهم».

وفيه[7]، عن بصائر الدرجات بإسناده، عن أصبغ بن نباتة، أن أمير

---

١ ـ الزخرف : ٨٧.
٢ ـ البحار ج ٢٤ ص ٤.
٣ ـ الواقعة : ٨٨.
٤ ـ الواقعة : ٩٠.
٥ ـ الواقعة : ٩٢.
٦ ـ البحار ج٢٦ ص١٢٣.
٧ ـ البحار ج٢٦ ص ١٣٠.

المؤمنينعليه السلام صعد المنبر، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: «ياأيها النـاس إن شـيعتنا خلقوا من طينة مخزونة قبل أن يخلق آدم بألفي سنة، لا يشذّ فيها (منها خ) شاذ ،ولا يدخل منها داخل، وإني لأعرفهم حين ما أنظر إليهم؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وآله لما تفل في عيني وأنا أرمد قال: اللهم أذهب عنه الحرّ والقرّ والبرد، وبصّره صديقه من عدوه، فلم يصبني رمد بعد ولا حرّ ولا برد، وإني لأعرف صديقي من عدوي»، الحديث.

وفيه، عن الاختصاص بإسناده، عن عبدالله بن الفضل الهاشمي قال: قـال لي أبو عبدالله عليه السلام: «ياعبدالله بن الفضل إن الله تبارك وتعالىٰ، خلقنا من نور عظمته، وصنعنا برحمته، وخلق أرواحكم منّا، فنحن نحنّ إليكم، وأنتم تحنّون إلينا، والله لو جهد أهل المشرق والمغرب أن يزيدوا في شيعتنا رجلاً، أو لينقصوا منهـم رجلاً ما قدروا علىٰ ذلك، وإنهـم لمكـتوبون عـندنا بأسمائـهم وأسماء آبـائهم وعشـائرهم وأنسابهم، ياعبدالله بن الفضل ولو شئت لرأيتك اسمك في صحيفتنا قـال: ثم دعـا بصحيفة فنشرها، فوجدتها بيضاء ليس فيها أثر الكتابة، فقلت: يابن رسول الله ما أرىٰ فيها أثر الكتابة، فمسح يده عليها، فوجدتها مكـتوبة، ووجـدت في أسـفلها اسمي، فسجدت لله شكراً».

أقول: قد دلّت هذه الأحاديث وغيرها (وهي كثيرة جدّاً) عـلىٰ أن شـيعتهم ومحبيهم قد سلّموا بفضلهم عليهم السلام عند الله وذلك بـقبول ولايـتهم في عـالم الأرواح والذّر، كما تقدم كثير من أخبار هذا الباب، ونقل في بعض النسـخ مسـمّين بـدل مسلّمين، وعلىٰ هذا يناسب ما ذكرنا من أن أسماءَهم عندهم عليهم السلام.

وكيف كان فالشيعة والمحبّ لهم من بـدو خـلقهم كـانوا مسـلّمين بـفضلهم، ومذكورين في جملة محبيهم وأهل ولايتهم.

وبعبارة أُخرىٰ: أنهم كانوا في عـلمه تـعالىٰ، وفي اللـوح المحـفوظ مكـتوبين بأسمائهم، أي كانت حقائقهم وأنفسهم النـورانـية مسـلّمين أي مـنقادين لطـاعة الأئمة عليهم السلام والاقتداء بهم والولاية لهـم والبراءة من أعدائهم، وقـد يـقرأ بـتخفيف

اللام، أي كنا مسلمين بفضلكم، أي كنا سلماً لكم، أي سلماً بفضلكم، ومشينا في ذلك طريق العدل والانصاف، وعدم التعدي بالنسبة إليكم وإلىٰ رسول الله ﷺ وإلىٰ مواليكم أيضاً، وهذا السلم هو حقيقة الإيمان لما ورد من أن من لم يسلم لهم ولفضلهم وولايتهم كان ناقصاً في الإسلام الحقيقي، بل كان كافراً واقعاً، وإن جرىٰ عليه حكم الاسلام ظاهراً، كما هو المستفاد من كثير من الأخبار.

في البحار[1]، عن أمالي الصدوق بإسناده، عن شريف المكي قال: حدثني محمد بن علي الباقر عليه السلام «وما رأيت محمدياً قطّ يعدله، قال: حدّثنا جابر بن عبدالله الأنصاري قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: أيها الناس من أبغضنا أهل البيت، بعثه الله يوم القيمة يهوديّاً، قال: قلت: يارسول الله وإن صام وصلّىٰ وزعم أنه مسلم؟ فقال: وإن صام وصلّىٰ وزعم أنه مسلم».

وفيه، عن عيون أخبار الرضا عليه السلام ص ٢٣٢ بالأسانيد الثلاثة، عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «حرمت الجنة علىٰ من ظلم أهل بيتي، وعلىٰ من قاتلهم، وعلى المعين عليهم، وعلىٰ من سبّهم ﴿أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيٰمة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم﴾.

وفي تفسير البرهان[2]، عن جابر بن يزيد قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام في قول الله عزوجل: ﴿ربما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾[3]، قال: «هو إذا خرجت أنا وشيعتي، وخرج عثمان وشيعته وثقل بني أمية فعندها يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين».

أقول: قد طبّق الذين كفروا علىٰ عثمان وشيعته كما لا يخفىٰ.

وفيه، عن الامام العسكري عليه السلام في حديث شفاعة الأئمة للشيعة، وأنه يفدىٰ

---

١ ـ البحار ج٢٧ ص٢١٨.

٢ ـ تفسير البرهان ج٢ ص٣٢٥.

٣ ـ الحجر : ٢.

للشيعة من النصاب.. إلىٰ أن قال عليه السلام: «وذلك ما قال الله عزوجل: ﴿ربما يودّ الذين كفروا﴾، يعني بالولاية لو كانوا مسلمين (بفتح السين وتشديد اللام) في الدين، منقادين للإمامة ليُجعل مخالفوهم فداءَهم».

فالمستفاد من هذه الأخبار ونظائرها: أن المخالفين لهم ملحقون باليهود والكفار يوم القيٰمة.

وأما الثاني: أعني بيان كوننا معروفين بتصديقنا إيّاهم، فإما يراد منه كوننا معروفين عند عامة الناس بأنّا من شيعتكم وأتباعكم والمصدقين بكم وبولايتكم وبما قلتم وعملتم، سواء أريد بالناس هذه الأمة أو الأمم السابقة، فإن الكتب السماوية السابقة قد أخبرت بوصف محبيهم ووصف أعدائهم، وإما إنّا معروفون عند أهل السماء من الملائكة المستغفرين للشيعة، وكيف كان فالشيعة معروفون بكونهم مصدّقين بهم عليهم السلام عند هؤلاء، وتدل عليه عدة من الأحاديث.

ففي البحار[١]، عن كنز الفوائد بإسناده، عن أبي بصير قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: «ياأبا محمد إن لله ملائكة تسقط الذنوب عن ظهر شيعتنا، كما تسقط الريح الورق من الشجر اوان سقوطه، وذلك قوله عزوجل: ﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾[٢]، واستغفارهم والله لكم دون هذا الخلق، ياأبا محمد فهل سررتك؟ قال: فقلت: نعم».

وفيه[٣]، عن تفسير القمي بإسناده، عن حمّاد، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه سئل: هل الملائكة أكثر أم بنو آدم؟ فقال: «والذي نفسي بيده لملائكة الله في السموات أكثر من عدد التراب في الأرض، وما في السماء موضع قدم إلّا وفيها ملك يسبّحه ويقدّسه، ولا في الأرض شجرة ولا مدر إلّا وفيها ملك موكل بها، يأتي الله كل يوم

---

١ ـ البحار ج ٢٤ ص ٢٠٩.
٢ ـ غافر: ٧.
٣ ـ البحار ج ٢٤ ص ٢١٠.

بعملها (بعلمها خ) والله أعلم بها، وما منهم أحد إلّا ويتقرب كل يوم إلى الله بولايتنا أهل البيت، ويستغفر لمحبينا، ويلعن أعداءنا ويسأل الله أن يرسل عليهم العذاب إرسالاً.

أقول: والأخبار بهذا المضمون كثيرة، وهي تدل علىٰ معروفية شيعتهم ومحبيهم عندهم كما لا يخفىٰ.

وفيه، عن تفسير القمي بإسناده، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿**وكذلك حقّت كلمة ربّك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار**﴾ يعني بني أُمية ﴿**الذين يحملون العرش**﴾ «يعني رسول الله صلى الله عليه وآله والأوصياء من بعده عليهم السلام يحملون علم الله ﴿**ومن حوله**﴾ يعني الملائكة ﴿**يسبّحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا**﴾ أي شيعة آل محمد ﴿**ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا**﴾ من ولاية فلان وفلان وبني أمية ﴿**واتبعوا سبيلك**﴾ أي ولاية علي ولي الله ﴿**وقهم عذاب الجحيم**﴾.

﴿**ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم**﴾ يعني من تولّىٰ علياً عليه السلام فذلك صلاحهم ﴿**وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته**﴾ يعني يوم القيٰمة ﴿**وذلك هو الفوز العظيم**﴾ لمن نجّاه الله من هؤلاء يعني من ولاية فلان وفلان، ثم قال: ﴿**إن الذين كفروا**﴾ يعني بني أُمية ﴿**ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان**﴾[1] يعنى إلىٰ ولاية علي عليه السلام فتكفرون».

أقول: فدلّت هذه الرواية علىٰ كفر بني أُمية.

وكيف كان فالمستفاد من هذه وأمثالها أن الشيعة يوم القيٰمة أيضاً معروفون

---

١ ـ غافر: ٦ ـ ١٠

عند أهل المحشر بسبب تلك الكرامات التي تشملهم من الله تعالىٰ، فجميع هذه المعروفية لهم في تلك الأماكن والمواطن فإنما هي بسبب تصديقهم ولاية الأئمة والإيتام بهم عليهم السلام في جميع أمور الدين كما لا يخفىٰ.

قوله عليه السلام: *فبلغ الله بكم أشرف محل المكرمين، وأعلىٰ منازل المقرّبين، وأرفع درجات المرسلين*

الكلام يقع في مقامين:

الأول: في معنى الباء في بكم، فهل هي للتعدية كما هي الظاهر، فإن بلغ لا يتعدىٰ إلّا بالتضعيف، أو الباء بالنسبة إلى المفعول الثاني، فيقال: بلّغه منه (بالتشديد) أو بلغ به الأمر الكذائي، أي بلّغه ذلك الأمر الكذائي، فعلىٰ كونه للتعدية، فمعناه أنه تعالىٰ بلّغهم أي الأئمة عليهم السلام أشرف محل المكرمين.. الخ، وهو ظاهر، ويؤيده أيضاً قوله فيما بعد حتىٰ لا يبقىٰ ملك مقرب، إلىٰ قوله: «إلّا عرّفهم جلالة أمركم».

فإن هذا السياق يعطي أن المبلغ (بالفتح) هم الأئمة عليهم السلام بحيث عرف جميع الخلق مقامهم العالي، فتكون الجمل مفادها مفاد قوله عليه السلام فيما بعد: «آتاكم الله ما لم يؤت أحداً من العالمين»، وسيأتي شرحه، علىٰ أن جعل الباء سببية لا يلائم قوله: «حيث لا يلحقه لاحق، ولا يفوقه فائق، ولا يطمع في إدراكه طامع»، إذ معناه حينئذ أنه تعالىٰ بلغ بكم غيركم من النبيين والمؤمنين من الشيعة إلىٰ مقام لا يفوقهم فائق.. الخ حتى الأئمة عليهم السلام فيلزم منه أفضلية الشيعة والأنبياء منهم عليهم السلام مع أنه كما سنذكره قريباً الأمر بالعكس.

والقول: بأن المراد من أشرف محل المكرمين.. الخ إنما هو بحسب إمكان ذاتهم وقابلياتهم، وهذا لا ينافي أفضلية الأئمة عليهم السلام منهم لأكملية قابلياتهم من غيرهم مجاز في الكلام، فإنه تأويل وإلزام بلا ملزم، علىٰ أن سياق الكلام يأباه، فإن الكلام مسوق لبيان أن المبلغين (بالفتح) قد بلغوا إلىٰ ما لا يمكن أن يلحقه لاحق، أو يفوقه

فائق، أو لا يطمع في إدراكه طامع، وحينئذ فحمل هذه علىٰ حسب القابلية الذاتية بحيث تكون فوقهم درجات بلا نهاية لغيرهم حمل مستهجن، كما لا يخفىٰ.

والحاصل: أن المبلغين (بالفتح) هم الأئمة عليهم السلام علىٰ أن يكون الباء للتعدية وزايدة، كما لا يخفىٰ، وإما كونه سببية وإن المبلغين (بالفتح) غيرهم، فيحتاج تصحيحه إلىٰ تكلّف بارد خارج عن سياق الكلام وفهم العرف السالم، كما لا يخفىٰ، ثم إن هذه الجمل الثلاث من المكرمين والمقربين والمرسلين حيث إنها ذات مراتب كما يستفاد من الآيات، كما لا يخفىٰ.

فقوله عليه السلام: «فبلغ الله بكم أشرف محل المكرمين، وأعلىٰ منازل المقربين، وأرفع درجات المرسلين»، يبين أنه تعالىٰ جعلهم في أكمل وأعلىٰ وأرفع وأشرف تلك المراتب، وهي مرتبة ولايتهم المطلقة التكوينية والتشريعية، التي هي دون مرتبة الربوبية المطلقة، وفوق مرتبة الكمالات المتصورة لأحد، كيف وقد عرفت أن حقيقتهم النورانية منفصلة من نور ذاته تعالىٰ، وأنه تعالىٰ احتجب بهم، وسيأتي بعض الأخبار الموضحة لهذا إن شاء الله.

المقام الثاني: في أفضليتهم عليهم السلام على الجميع.

قال الشارح المجلسي رحمه الله: «فبلغ الله بكم»، أي بلغكم أشرف محل المكرمين، وأفضل مراتبهم، وأعلىٰ منازل المقربين (من المرسلين) وأرفع درجات المرسلين، وهي درجات نبينا صلى الله عليه وآله فيلزم منه أفضليتهم عليهم السلام علىٰ الأنبياء كما ذكره العلامة النيسابوري في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وأنفسنا وأنفسكم﴾[1]، بأنه لا تزال الشيعة قديماً وحديثاً يستدلّون بهذه الآية علىٰ أفضلية علي عليه السلام علىٰ جميع الأنبياء، بأنه نفس النبي صلى الله عليه وآله وهو أفضل منهم.

وقال: ويؤيده ما روي عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «من أراد أن ينظر إلىٰ آدم في علمه،

---

١ ـ آل عمران: ٦١.

وإلىٰ نوح في عبادته، وإلىٰ إبراهيم في خلّته، وإلىٰ موسىٰ في هيبته، وإلىٰ عيسىٰ في زهده، وإلىٰ يحيىٰ في ورعه، فلينظر إلىٰ علي بن أبي طالب عليه السلام فإن فيه سبعين خصلة من الأنبياء بأنّ كل واحد منهم امتاز عن سائرهم بخصلة واحدة من هذه الخصال، فمن اجتمع فيه جميعها يكون أفضل».

والأخبار عندنا متواترة بذلك في جميع الأئمة عليهم السلام.

أقول: نذكر بعضها ثم نعقبها بالكلام فنقول: منها: ما تقدم آنفاً عن حماد بن عيسىٰ، ومنها: ما في بصائر الدرجات[١]، عن أبي الصباح الكناني، عن أبي جعفر عليه السلام قال سمعته يقول: «والله إن في السماء لسبعين صفاً من الملائكة، لو اجتمع عليهم أهل الأرض كلهم، يحصون عدد كل صف منهم ما أحصوهم، وإنهم ليدينون بولايتنا».

وفيه عن سدير الصيرفي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن أمركم هذا عرض على الملائكة فلم يقرّ به إلّا المقربون».

وفيه[٢]، بإسناده، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزوجل: **﴿ولقد عهدنا إلىٰ آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً﴾**[٣]، قال: «عهد الله في محمد صلى الله عليه وآله والأئمة من بعده عليهم السلام فترك، ولم يكن له عزم فيهم أنهم هكذا، وإنما سمّىٰ أولو العزم أولو العزم؛ لأنه عهد الله في محمد والأوصياء من بعده والمهدي وسيرته، فأجمع عزمهم أن ذلك كذلك وللإقرار به».

وفيه[٤]، بإسناده عن حذيفة بن أسيد الغفار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما تكاملت النبوة لنبي في الأظلة حتىٰ عرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي، ومثّلوا

---

١ ـ بصائر الدرجات ص٦٧.
٢ ـ بصائر الدرجات ص٧٠.
٣ ـ طٰه: ١١٥.
٤ ـ بصائر الدرجات ص٧٣.

له فأقروا بطاعتهم وولايتهم».

وفيه[١]، بإسناده عن عبدالأعلىٰ قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «ما نبئ نبي قط إلّا بمعرفة حقنا وبفضلنا عمّن سوانا».

ومثله كثير في بابه.

وفيه بصائر الدرجات[٢]، بإسناده عن أبي الحسن الأول عليه السلام وساق الحديث..إلىٰ أن قال عليه السلام: «إن الله يقول في كتابه: ﴿**ولو أن قرآناً سيّرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلّم به الموتىٰ**﴾[٣]، فقد ورثنا نحن هذا القرآن، فعندنا ما يقطع به الجبال، ويقطّع به البلدان، ويحيي بن الموتىٰ بإذن الله، ونحن نعرف ما تحت الهواء، وإن كان في كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر من الأمور التي أعطاه الله الماضين النبيين والمرسلين، إلّا وقد جعله الله ذلك كلّه لنا في أُمّ الكتاب، إن الله تبارك وتعالىٰ يقول: ﴿**وما من غائبة في السماء والأرض إلّا في كتاب مبين**﴾[٤]، ثم قال جلّ وعزّ ﴿**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا**﴾[٥]، فنحن الذين اصطفانا الله، فقد ورثنا علم هذا القرآن الذي فيه تبيان كل شيء».

وفيهبصائر الدرجات[٦]، عن بعض الصادقين يرفعه إلىٰ جعفر قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «يمصون الثماد، ويدعون النهر العظيم، قيل له: ومن النهر العظيم؟ قال: رسول الله صلى الله عليه وآله وإنه والعلم الذي أتاه الله، إن الله جمع لمحمد صلى الله عليه وآله سنن النبيين من آدم هلّم جرّاً إلىٰ محمد صلى الله عليه وآله، قيل له: وما تلك السنن؟ قال: علم النبيين، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله صير ذلك كلّه عند أمير المؤمنين عليه السلام فقال له الرجل: يابن رسول فأمير

---

١ ـ بصائر الدرجات ص ٧٤.
٢ ـ بصائر الدرجات ص ١١٤.
٣ ـ الرعد : ٣١.
٤ ـ النمل : ٧٥.
٥ ـ فاطر : ٣٢.
٦ ـ بصائر الدرجات ص١١٧.

المؤمنين أعلم أو بعض النبيين؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: اسمعوا ما يقول: إن الله، يفتح مسامع من يشاء إني حدثت أن الله جمع لمحمد صلى الله عليه وآله علم النبيين وأنه جعل ذلك كله عند أمير المؤمنين، وهو يسألني هو أعلم أم بعض النبيين».

وفيه[١]، بإسناده، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن اسم الله الأعظم علىٰ ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنما كان عند آصف منها حرف فتكلم به، فخسف به الأرض ما بينه وبين سرير بلقيس، ثم تناول السرير بيده، ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين، وعندنا نحن من الاسم اثنان وسبعون حرفاً، وحرفاً عند الله استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم».

وغيره كثير وفي بعضها: «واحتجب حرفاً لئلا يعلم ما في نفسه، ويعلم ما في نفس العباد».

وفيه[٢] بإسناده، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه عن أمير المؤمنين عليه السلام في قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿قل كفىٰ بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾[٣] فقال: «أنا هو الذي عنده علم الكتاب، وقد صدقه الله وأعطاه الوسيلة في الوصية، ولا تخلىٰ أُمته من وسيلة الله وإلى الله فقال: ﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾[٤].

وفي البحار[٥]، عن تفسير القمي قال الصادق عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم﴾ الآية، «كان الميثاق مأخوذاً عليهم لله بالربوبية، ولرسوله بالنبوة، ولأمير المؤمنين والأئمة بالإمامة، فقال: ﴿ألست بربكم﴾ ومحمد نبيكم وعلي إمامكم، والأئمة الهادون أئمتكم؟ فـ﴿قالوا بلىٰ﴾، فقال الله:﴿أن تقولوا يوم

---

١ ـ بصائر الدرجات ص٢٠٧.
٢ ـ بصائر الدرجات ص٢١٧.
٣ ـ الرعد : ٤٣.
٤ ـ المائدة : ٣٥.
٥ ـ البحار ج٢٦ ص٢٦٨.

القيمة﴾ (أي لئلا تقولوا يوم القيمة) ﴿إنا كنا عن هذا غافلين﴾، فأوّل ما أخذ الله عزوجل الميثاق على الأنبياء بالربوبية، وهو قوله: ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم﴾[١]، فذكر جملة الأنبياء ثم أبرز أفضلهم بالأسامي فقال: ومنك يا محمد، فقدم رسول الله ﷺ لأنه أفضلهم ومن نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ بن مريم، فهؤلاء الخمسة أفضل الأنبياء ورسول الله أفضلهم»، الحديث.

وفيه، عن عيون أخبار الرضا بهذا الإسناد قال: قال علي عليه السلام: «نحن أهل البيت، لا يقاس بنا أحد، فينا نزل القرآن، وفينا معدن الرسالة».

وفيه، عن التفسير للعسكري عليه السلام وساق الحديث.. إلىٰ أن قال تعالىٰ: «ياموسىٰ أما علمت أن محمداً ﷺ أفضل عندي من جميع ملائكتي وجميع خلقي».

أقول: هذه جملة من الأحاديث دلّت علىٰ أفضليتهم علىٰ جميع الخلق حتى الأنبياء السابقين، وقد وردت أحاديث كثيرة دالة علىٰ هذا في متفرقات الأبواب، خصوصاً باب استشفاع الأنبياء بهم في موارد اضطرارهم وهي كثيرة جداً فمنها:

ما في البحار[٢] عن الاختصاص، ابن سنان، عن المفضل بن عمر قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالىٰ توحّد بملكه، فعرّف عباده نفسه، ثم فوّض إليهم أمره، وأباح لهم جنته، فمن أراد الله أن يطهّر قلبه من الجن والانس عرّفه ولايتنا، ومن أراد أن يطمس علىٰ قلبه أمسك عنه معرفتنا، ثم قال: يامفضل والله ما استوجب آدم أن يخلقه الله بيده، وينفخ فيه من روحه إلّا بولاية علي عليه السلام وما كلّم الله موسىٰ تكليماً إلّا بولاية علي عليه السلام ولا أقام الله عيسىٰ بن مريم آية للعالمين إلّا بالخضوع لعلي عليه السلام، ثم قال: أجمل الأمر ما استأهل خلق من الله النظر إليه إلّا بالعبودية لنا».

وقد عقد المجلسي رحمه الله في البحار ج٢٦ باباً فيه أن دعاء الأنبياء استجيب

---

١ ـ الأحزاب: ٧.

٢ ـ البحار ج٢٦ ص ٢٩٤.

بالتوسل بهم عليهم السلام وفيه أحاديث كثيرة.

وذكر السيد الشبّر (رضوان الله تعالىٰ عليه) في شرحه وعن الزيّات قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: «أي شيء تقول الشيعة في موسىٰ وعيسىٰ وأمير المؤمنين عليهم السلام قلت: يزعمون أن موسىٰ وعيسىٰ أفضل من أمير المؤمنين عليه السلام قال: أيزعمون أن أمير المؤمنين عليه السلام علم ما علم رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قلت: نعم، لكن لا يقدمون علىٰ أُولي العزم من الرسل أحداً، قال أبو عبدالله عليه السلام: فخاصمهم بكتاب الله، قلت: في أي موضع منه؟ قال: قال الله لموسىٰ: ﴿**وكتبنا له في الألواح من كل شيء**﴾[1]، وقال لعيسىٰ ﴿**ولأُبين لكم بعض الذي تختلفون فيه**﴾[2]، وقال تبارك وتعالىٰ لمحمد صلى الله عليه وآله: ﴿**وجئنا بك علىٰ هؤلاء شهيداً**﴾[3]، ﴿**ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء**﴾[4]».

أقول: وجه المخاصمة: أنه تعالىٰ أعطىٰ لموسىٰ من كل شيء، أي من الأشياء بعضها، فإن كلمة من للتبعيض (لا كلها)، وقال في حق عيسىٰ: ﴿**ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه**﴾ (لا كله) فالمعطىٰ لهم بعض الأُمور، وأما في حق محمد صلى الله عليه وآله قال: ﴿**وجئنا بك علىٰ هؤلاء شهيداً**﴾، أي علىٰ هؤلاء الأنبياء، ولا ريب في أن الشاهد مهيمن على المشهود عليه وفائق عليه بالعلم والقدرة، فهو أفضل منه، وقال في حقه صلى الله عليه وآله أيضاً: ﴿**ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء**﴾[5]، فأعطاه الله تعالىٰ ما فيه تبيان لكل شيء.

ومن المعلوم أن هذا أفضل من المعطي له البعض، إذ الأفضلية إنما هو بالعلم والمعارف كما لا يخفىٰ، يدل عليه ما فيه أيضاً عن الصادق عليه السلام قال: «إن الله خلق أولي العزم من الرسل، وفضلهم بالعلم، وأورثنا علمهم، وفضلنا عليهم في علمهم،

---

١ ـ الأعراف: ١٤٥.

٢ ـ الزخرف: ٦٣.

٣ ـ النساء: ٤١.

٤ ـ النمل: ٨٩.

٥ ـ الزخرف: ٦٣.

وعلّم رسول الله ﷺ ما لم يعلموا، وعلمنا علم الرسول وعلمهم»، الحديث.

أقول: فهم عليهم السلام علموا جميع العلوم دونهم كما لا يخفىٰ، فهم أفضل منهم، ثم إنهم عليهم السلام في الفضل والعلم كرسول الله ﷺ وله ﷺ خصائص امتاز بها عنه عليهم السلام ذكرت في محله.

أقول: والسرّ في كونهم (أي النبي والزهراء والأئمة عليه وعليهم السلام) أفضل من الأنبياء فضلاً عن غيرهم هو أن هؤلاء عليهم السلام مظاهر الجلال والجمال لله تعالىٰ، كما دلّت عليه آيات وأحاديث كثيرة، قد ذكرناها في مطاوي الشرح.

ولنعم ما قاله السبزواري رحمه الله في شرحه ص٢٨، قال: اعلم: أيّدنا الله وإياك أن جميع الأنبياء والرسل من آدم إلىٰ عيسىٰ عليه السلام مظهر من مظاهر خاتم الأنبياء محمد ﷺ وجميع الأوصياء والأولياء مظهر من مظاهر سيد الأولياء علي عليه السلام لقوله ﷺ: «بعث علي مع كل نبي سرّاً، وبعث معي جهراً»، وكما أن كل الأنبياء كالأقمار المقتبسين من شمس نبوة خاتم الأنبياء، أو كالفروع والأغصان والأوراق المتفرعة من أصل شجرة طوبى النبوة الختمية المحمدية، كذلك كل الأولياء كالأقمار المكتسبين من نور شمس ولاية سيد الأولياء، أو كالفروع والأغصان والأوراق المتوزعة من أصل شجرة طوبى الولاية الختمية العلوية.

ولنعم ما قيل بالفارسية:

گر تو را آئينۀ ديده جليست   در هر آينه معاينه عليست

ولقائل أخر:

جز اسد الله درين بيشه نيست   غير على هيچ در انديشه نيست

وأحسن ذينك ما قيل:

اسد الله در وجود آمد   غير على هيچ در انديشه نيست

أقول: إذا تأمّلت في قوله (عج) في دعاء رجب: «فبهم ملأت سماءَك وأرضك حتىٰ ظهر أن لا إله إلّا أنت»، وتأمّلت فيما مضىٰ من معنىٰ كتابة أسمائهم عليهم السلام علىٰ جميع الموجودات علمت أن حقائقهم، التي هي حقائق الأسماء الحسنى الإلهية، التي ملأت أركان كل شيء، هي التي لا يشذ عنها شاذ، فالأنبياء وأوصياؤهم والأولياء ومن دونهم، إنما أخذوا الحقائق والمعارف منهم عليهم السلام، وقد تقدم حديث المفضل عن الصادق عليه السلام: «إنه تعالىٰ بعث النبي صلى الله عليه وآله وهو روح على الأنبياء وهم أرواح فدعاهم إلىٰ توحيده»، فإنه يدل علىٰ أنه صلى الله عليه وآله بعث عليهم عليهم السلام فهم أخذوا أعباء الرسالة منه صلى الله عليه وآله كما لا يخفىٰ.

فهم عليهم السلام بمثابة من الفضل والعلو من الدرجة.. إلىٰ أن قال عليه السلام: «حيث لا يلحقه لاحق، ولا يفوقه فائق، ولا يسبقه سابق، ولا يطمع في إدراكه طامع».

قال الشارح المجلسي (رضوان الله تعالىٰ عليه): (حيث لا يلحقه لاحق) ممن هو دونكم (ولا يفوقه فائق) منهم على الأنبياء كأُولي العزم، وإن فاقوا علىٰ غيرهم لا يفوقون عليكم.

أقول: أي لو كان هناك فائق على الأنبياء كأُولي العزم، فإنهم فاقوا علىٰ غيرهم من غير أولي العزم، إلّا أنهم لا يفوقون عليكم.

قال: والنبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام مستثنيان بالأخبار.

أقول: لا وجه لهذا الاستثناء فإنه في غير محله؛ لأن سياق الكلام في علوّ مقامهم أجمع عليهم السلام علىٰ غيرهم مطلقاً لا في بيان تفضيل بعضهم علىٰ بعض، فإن هذا المقام قد تقدم أنهم عليهم السلام بلحاظ الظاهر كانوا سواء في العلم والكمال، وأما بلحاظ الواقع فالفضل لرسول الله صلى الله عليه وآله ثم لعلي عليه السلام ثم للزهراء عليها السلام ثم لغيرهم من سائر المعصومين، أو إن القائم (عج) أفضل التسعة إلىٰ غير ذلك من الأقوال المستفادة من الأخبار، وقد تقدم بيانه في الجملة فراجع.

وكيف كان والسّر في عدم لحوق غيرهم بهم، وعدم تفوق فائق عليهم، بل

وعدم طمع أحد في إدراك مقامهم؛ لأن غيرهم يعلمون أن تلك المقامات، التي لهم هي مواهب خاصة من الله تعالىٰ لهم، فلا يمكن الوصول إليها بالسعي والاجتهاد، كما تقدم عن الرضا عليه السلام في بيان أوصاف الامام.. إلىٰ أن قال عليه السلام: «كله من غير طلب منه له ولا اكتساب، بل اختصاص من المتفضل الوهاب» الحديث في البحار[1] علىٰ أن المنصف من أي صنف كان حتىٰ من أولي العزم أو من حملة العرش من الملائكة المقربين إذا راجع حقيقته، وما أعطاه الله من المعرفة به تعالىٰ، وقايسه بالنسبة إلىٰ معارفهم وإلىٰ حقائق أنفسهم بما لها من الآثار العجيبة، يرىٰ نفسه في مقام دون مقامهم، وفي منزلة لا يمكنه أن يطمع في إدراك مقامهم؛ لعدم صلاحيته لذلك، ولهذا قال جبرئيل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله ليلة الإسراء: «لو دنوت خطوة لأحترقت»، لما علم أنه لا يمكنه السير معه صلى الله عليه وآله فيما زاد علىٰ مقدوره مما أتاه الله تعالىٰ، وكيف كان فقد طأطأ كل شريف لشرفكم، كما سيجيء بيانه، وهناك أحاديث تومئ وتشعر وتصرّح بعلوّ مقامهم الرفيع بحيث لا يكاد يمكن تعقّله فضلاً عن الوصول، إليه ونحن نذكر قليلاً منها:

ما في البحار[2]، المختصر من نوادر الحكمة، يرفعه إلىٰ أبي بصير قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فدخل عليه المفضل بن عمر، فقال: مسألة يابن رسول الله، قال: سل يامفضّل، قال: ما منتهىٰ علم العالم؟ قال: «قد سألت جسيماً، ولقد سألت عظيماً، ما السماء الدنيا في السماء الثانية إلّا كحلقة درع ملقاة في أرض فلات، وكذلك كل سماء عند سماء أخرىٰ، وكذا السماء السابعة عند الظلمة، ولا الظلمة عند النور، ولا ذلك كلّه في الهواء، ولا الأرضون بعضها في بعض، ولا مثل ذلك كله في علم العالم (يعني الامام) مثل مدّ من خردل دققته دقّاً، ثم ضربته بالماء حتىٰ إذا اختلط ورغاً، أخذت منه لعقة باصبعك، ولا علم العالم في علم الله تعالىٰ إلّا مثل مدّ

---

١ ـ البحار ج ٢٥ ص ١٢٤.
٢ ـ البحار ج ٢٥ ص ٣٨٥.

من خردل دققته دقّاً، ثم ضربته بالماء حتىٰ إذا اختلط ورغا، انتهزت منه برأس ابرة نهزة، ثم قال عليه السلام:

فيكفيك من هذا البيان قليله وأنت بأخبار الأمور تصيب

وفي بصائر الدرجات مسنداً، عن أبي الصامت قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إنّ من حديثنا ما لا يحتمله ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا عبد مؤمن، قلت: فمن يحتمله؟ قال: نحن نحتمله».

وفي بعضها قلت: «فمن يحتمله جعلت فداك؟ قال: من شئنا».

أقول: قد دلّ حديث أبي بصير علىٰ أن علومهم عليهم السلام لا تكاد تعقل، فإنه إذا كان ما ذكره عليه السلام من السموات بما هي وسيعة وكبيرة بالنحو المذكور، والهواء والظلمة والأرض بعضها في بعض بالنسبة إلىٰ علم الامام عليه السلام كمثل لعقة تؤخذ بالاصبع من المدّ المدقوق المضروب بالماء فهذا ما أقله، فالمقيس بما هو كثير من السموات وغيرها، قد قيس علىٰ هذا المقيس عليه لبيان القلّة، فكيف حينئذ يمكن تصور علم الامام عليه السلام بما هو هو في واقعه، فضلاً عن علمه تعالى الذي كان علم الامام بالنسبة إليه كنسبة اللعقة المذكورة بالنسبة إلى السموات وغيرها؟!

ثم إن ما في حديث أبي الصامت من أنه لا يحتمل علمهم غيرهم، قد دلّ علىٰ أن لهم علماً يختص بهم عليهم السلام وهو مقام ولايتهم الكلية الإلهية، الذي لا يحدّ كما في بعض الأحاديث، وكيف كان فقد دلّت هذه الأحاديث علىٰ أنّ لهم مقاماً من العلم، الذي هو أصل كل كمال وشرف لا يكون لغيرهم ولا يشاركهم فيه أحد.

وفي البحار[1] ما رواه في أن معرفته بالنورانية معرفة الله، إلىٰ أن قال عليه السلام: «اعلم ياأبا ذر أنا عبدالله عزوجل خليفته علىٰ عباده، لا تجعلونا أرباباً، وقولوا في فضلنا ما شئتم، فإنكم لا تبلغون كنه ما فينا ولا نهايته، فإن الله عزوجل قد أعطانا أكبر

---

١ ـ البحار ج ٢٥ ص ٣٨٥.

وأعظم مما يصفه واصفكم، أو يخطر علىٰ قلب أحدكم، فإذا عرفتمونا هكذا فأنتم المؤمنون».

ومما يدل علىٰ أنه لا يطمع في إدراك مقامهم طامع، وإن فعل ردّ عليه ما تمنىٰ ولم يعط ما رواه في البحار[1]، عن عيون أخبار الرضا عليه السلام مسنداً عن الهروي قال: قلت للرضا عليه السلام: يابن رسول الله أخبرني عن الشجرة، التي أكل منها آدم وحوّاء ما كانت فقد اختلف الناس فيها؛ فمنهم من يروي أنها الحنطة، ومنهم من يروي إنها العنب، ومنهم من يروي أنها شجرة الحسد؟ فقال: «كل ذلك حق، قلت: فما معنىٰ هذه الوجوه علىٰ اختلافها؟ فقال: ياأبا الصلب إن شجرة الجنة تحمل أنواعاً، فكانت شجرة الحنطة وفيها عنب وليست كشجرة الدنيا، وإن آدم لما أكرمه الله تعالىٰ ذكره بإسجاد ملائكته له وبادخاله الجنة.

قال في نفسه: هل خلق الله بشراً أفضل مني؟ فعلم الله عزوجل ما وقع في نفسه فناداه: ارفع رأسك ياآدم فانظر إلىٰ ساق عرشي، فرفع آدم رأسه فنظر إلىٰ ساق العرش، فوجد عليه مكتوباً: لا إله إلّا الله محمد رسول الله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وزوجته فاطمة سيدة نساء العالمين، والحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، فقال آدم عليه السلام: ياربّ مَن هؤلاء؟ فقال عزوجل: من ذريتك، وهم خير منك ومن جميع خلقي، ولولاهم ما خلقتك ولا خلقت الجنة والنار، ولا السماء والأرض، فإيّاك أن تنظر إليهم بعين الحسد، فأُخرجك من جواري، فنظر إليهم بعين الحسد وتمنّىٰ منزلتهم، فتسلط الشيطان عليه حتىٰ أكل من الشجرة، التي نهىٰ عنها، وتسلّط علىٰ حواء لنظرها إلىٰ فاطمة عليها السلام بعين الحسد حتىٰ أكلت من الشجرة كما أكل آدم، فأخرجهما الله عزوجل عن جنته، وأهبطهما عن جواره إلى الأرض».

فدلّت هذه الرواية علىٰ أن تمني مقامهم لا يكون لأحد حتىٰ من الأنبياء.

---

١ ـ البحار ج٢٦ ص٢٧٣.

فهذه الجمل أعني قوله: «حيث لا يلحقه لاحق.. الخ»، جمل خبرية لا إنشائية؛ لوقوعها بعد لفظ (حيث) فإنها ظاهرة في أنها من آثار بلوغهم عليهم السلام إلىٰ أشرف محل المكرمين.. الخ، فالمناسب لها حينئذ هو كونها خبرية لا إنشائية كما لا يخفىٰ.

وفي بصائر الدرجات[1] مسنداً، عن هشام بن الحكم، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: **﴿أم يحسدون الناس علىٰ ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾**[2]، ما ذلك الملك العظيم؟ قال: «فرض الطاعة ومن ذلك طاعة، جهنم لهم يوم القيمة ياهشام».

أقول: المستفاد من هذه الرواية بقرينة قوله عليه السلام: ومن ذلك طاعة جهنم.. الخ أن المراد من الطاعة هو طاعة جميع الأشياء لهم، بمعنىٰ أنه إذا أمروا شيئاً من الموجودات بشيء لا يمكنه المخالفة، بل لابد له من الطاعة، هذا إذا امروا بالأمر الولائي التكويني، فلا يمكن حينئذ لشيء مخالفتهم، وأما إذا امروا بالأمر التشريعي، فقد يقع فيه المخالفة كما لا يخفىٰ.

وإليه يشير قوله عليه السلام فيما رواه أبو بصير عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالىٰ: **﴿أم يحسدون الناس علىٰ ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾**، قال: «الطاعة المفروضة، فإنها ظاهرة في الطاعة التشريعية».

وكيف كان فلهم عليهم السلام قسمان من الطاعة التشريعية كما هو المسلم لهم من الكتاب والسنة، والطاعة التكوينية، وذلك إذا أمروا واحداً أو شيئاً بالأمر الولائي، فحينئذ لا يمكن للمأمور المخالفة، والملك العظيم هو هذان الطاعتان، خصوصاً الطاعة التكوينية الحاكية عن تصرفهم في الموجودات بالولاية التكوينية.

---

١ ـ بصائر الدرجات ص ٣٥.

٢ ـ النساء: ٥٤.

وفيه(١) مسنداً عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله دعا علياً عليه السلام في المرض الذي توفّي فيه، فقال: ياعلي أُدن مني حتىٰ أسرّ إليك ما أسرّ الله إليّ، وأئتمنك علىٰ ما ائتمنني الله عليه، ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله بعلي عليه السلام وفعله علي عليه السلام بالحسن عليه السلام وفعله الحسن عليه السلام بالحسين عليه السلام وفعله الحسين عليه السلام بأبي، وفعله أبي بي (صلوات الله عليهم أجمعين)».

وفيه(٢) مسنداً عن هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾، قال: «خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، لم يكن مع أحد ممن مضىٰ غير محمد صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة عليهم السلام يوفقهم ويسددهم، وليس كلما طلب وجد».

أقول: دلّت هذه الأحاديث علىٰ أن لهم من طاعة الأشياء لهم ما ليس لغيرهم، وإن فيهم الروح، الذي هو أعظم من جبرئيل وميكائيل، مع أنهما من حملة العرش، وإن هذا الروح، ما كان في غيرهم من الأنبياء السابقين، فكل هذا يدلّ علىٰ اختصاصهم عليهم السلام بالقرب والمحل اللذين لا يلحقهم إليها لاحق ولا يفوقهم فائق ولا يطمع في إدراكهم طامع، وأما بيان ذلك السّر الذي هو فيهم، وبيان آثار ذلك الروح الذي يكون معهم فهو غامض لا يحدّ بأفكارنا ولعله كما تقدم هو مقام الولاية الكبرىٰ الإلهية التي تكون مختصة بهم عليهم السلام لا غيرهم.

وأما قوله عليه السلام: «وليس كلما طلب وجد»، فإما يراد منه أنه لا يمكن لأحد يطلبه أن يجد هذا الروح، فمفاده حينئذ مفاد قوله: «لا يلحقهم لاحق.. الخ»، علىٰ أن تكون الجمل خبرية كما قلنا، أو يراد منه أن هذا الروح وإن كان فينا، وما صعد منذ نزل كما في بعض الأخبار، إلّا أنه قد يغيب عنا، فظهوره فينا بما هو هو باختياره تعالىٰ، فتأمل.

---

١ ـ بصائر الدرجات ص٣٧٧.

٢ ـ بصائر الدرجات ص٤٦٠.

قولنا: فتأمل، إشارة إلىٰ ما قد يقال: إنه كيف الجمع بين قوله عليه السلام: «وما صعد منذ نزل»، وبين قوله عليه السلام: «وليس كلّما طلب وجد»، فإنه يقال في الجواب: إن هذا الروح الذي هو أعظم من جبرئيل وميكائيل لا يفارقهم، إلّا أنه حيث كان ذلك الروح من شأن الرب تعالىٰ، وهو نور لاهوتي، فلا محالة له السلطنة عليهم عليهم السلام ولازمه أن ظهوره فيهم باختياره تعالىٰ لا باختيارهم عليهم السلام فهو مسيطر عليهم عليهم السلام وهم عليهم السلام أن يستضيئوا منه إذا شاءُوا، ولا ريب في أن قلوبهم عليهم السلام أوعية لمشيته تعالىٰ، فمشيتهم عليهم السلام ترجع إلىٰ مشيته تعالىٰ، فيرجع الأمر إلىٰ ما قلنا من أن ظهوره فيهم باختياره تعالىٰ لا باختيارهم، كيف لا وهم عليهم السلام فانون فيه تعالىٰ، ليس لهم ولا فيهم إلّا ظهوره تعالىٰ كما حقق في محله؟!

وبعبارة أخرىٰ: فكما أنه ورد في أحاديث علم الغيب أنهم عليهم السلام إذا شاءُوا علموا، فكذلك هنا إذا شاءُوا أن يستضيئوا منه استضاءُوا، فحينئذ معنىٰ قوله: «وليس كلما طلب وجد»، أي باختيارهم خصوصاً حين اشتغالهم عليهم السلام بالأمور المادية من المأكل والمشرب والمنكح وأمثالها، والله ورسول وأوصياؤه عليهم السلام أعلم بما قالوا (صلوات الله عليهم أجمعين) والحمد لله ربّ العالمين.

قوله عليه السلام: حتىٰ لا يبقىٰ ملك مقرب، ولا نبيّ مرسل، ولا صديق، ولا شهيد، ولا عالم، ولا جاهل، ولا دنيّ، ولا فاضل، ولا مؤمن صالح، ولا فاجر طالح، ولا جبار عنيد، ولا شيطان مريد، ولا خلق فيما بين ذلك شهيد، إلّا عرّفهم جلالة أمركم، وعظم خطركم، وكبر شأنكم، وتمام نوركم، وصدق مقاعدكم، وثبات مقامكم، وشرف محلّكم ومنزلتكم عنده، وكرامتكم عليه، وخاصّتكم لديه، وقرب منزلتكم منه.

قال المجلسي رحمه الله: «حتىٰ لا يبقىٰ» أي لم يبق أحد (في عالم الأرواح والأجساد) إلّا عرّفهم (في الكتب المنزلة أو على ألسنة الأنبياء والمرسلين) وصدق

مقاعدكم،أي أنكم صادقون في هذه المرتبة، وأنها حقكم كما قال تعالىٰ: ﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾[١].

أقول: لعل المراد من تلك المرتبة بيان آثار مقام ولايتهم المطلقة الإلهية التكوينية والتشريعية، التي مرّت مراراً والتي من آثارها إطاعة جميع الخلق لهم، كما تقدم آنفاً.

وإليه يشير ما في محكي حديث حمران بن أعين في ذكر عبدالله بن شداد الليثي حين مرض وعاده الحسين عليه السلام فلما دخل من باب الدار طارت الحمّىٰ عن الرجل، فقال: قد رضيت مما أُوتيتم حقاً حقاً، والحمّىٰ لتهرب منكم، فقال له: «والله ما خلق الله شيئاً إلّا وقد أمره بالطاعة لنا، ياكبّاسة، قال: فاذا نحن نسمع الصوت، ولا نرى الشخص يقول: لبيك، قال: أليس أمرك أمير المؤمنين عليه السلام ألا تقربي إلّا عدواً أو مذنباً؛ لكي يكون كفّارة لذنوبه».

وسيجيء توضيحه، وكيف كان يقع الكلام في أُمور:

الأول: في معنىٰ عرّفهم، وإنه ما المراد من معرفتهم.

الثاني: أنها (أي تعريفه تعالىٰ) يشمل الكل حتىٰ غير ذوي العقول أم يختص بهم.

الثالث: أنه كيف عرّف مع ما يرىٰ من إنكار بعضهم فضائلهم.

أما الأول فنقول: حقيقة التعريف تميز الشيء بما لا يشتبه بغيره، ومن المعلوم أن المعروف لهم من أصناف الخلق مختلفون من الملائكة والجن والانس، بل وسائر الموجودات من غير هذه الأصناف الثلاثة، فلكل منها معرفة تختص بهم، فالذي عرفه تعالىٰ للملائكة من مقامهم، هو مقام ولايتهم التكوينية علىٰ جميع ما في الوجود، والتشريعية علىٰ جميع من يصحّ التكليف عليه، وأنهم عليهم السلام أقرب الخلق إليه تعالىٰ، وأنهم مظاهر لأسمائه الحسنىٰ والأسماء العظمىٰ والاسم الأعظم، التي بها

---

١ ـ القمر : ٥٥.

صاروا معلم الملائكة كما تقدم من من أنهم عليهم السلام سبّحوا فسبّحت الملائكة، وهلّلوا فهلّلت الملائكة، وهكذا.

والذي عرفه للانس بما لهم من الأصناف من الأنبياء والأولياء، وساير طبقات المؤمنين مختلف أيضاً، أما الأنبياء فقد عرفهم أفضليتهم عليهم السلام عليهم بما منحهم من المقام المحمود، الذي تقدم بيان بعضه في ذكر تفضيلهم عليهم السلام على الأنبياء، فإن تفضيله تعالىٰ إياهم عليهم ليس بالاعتبار بل بملاك الفضيلة، وهو أنه تعالىٰ أعطاهم ما لم يعط للأنبياء كما تقدم، ويأتي في شرح قوله عليه السلام: «آتاكم الله ما لم يؤت أحداً من العالمين»، وأما سائر الناس من المؤمنين، فعلوم أن كلاً من المؤمنين إنما تكون درجته ملحوظة بقدر معرفته بهم عليهم السلام، فمن عرّفهم الله له من فضائلهم وقبلها، فهو بذلك المقدار له المقام والمنزلة.

وكيف كان فالله تعالىٰ عرّفهم عليهم السلام لهم كلاً بحسبه، وأما سائر الموجودات فسيأتي بيان تعريفه تعالىٰ لهم فيما بعد، وأنها كيف كانت، وكيف كان فهو تعالىٰ عرفهم فهؤلاء في مقامين:

الأول: في مقام الأرواح حين قال لهم: ألست بربكم ومحمد نبيّكم وعلي إمامكم، كما تقدمت الأحاديث في ذلك، وفي ذيل قوله تعالىٰ: **﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم﴾**[1] الآية، وكان تعريفه تعالىٰ في ذلك العالم بأن أظهر حقيقتهم عليهم السلام النورانية، التي هي مظاهر لشؤونه تعالىٰ من الأسماء والصفات والأفعال، والحكم والجمال والجلال والمشية، والولاية التكوينية والتشريعية، فرآها جميع الخلائق في ذلك العالم، رأوا أن تلك الحقائق بمثابة من العلو والرفعة بحيث كانت مراتبهم أي الخلق بالنسبة إليها كنسبة القطرة إلى البحر المحيط، فحين ذاك أقرّ من أقرّ وأنكر من أنكر، فأقرّت الملائكة، ومن سبقت له من الله الحسنىٰ من الانس، وأنكرت الشياطين وبعض الناس ممن أشار إليه قوله تعالىٰ: **﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به**

---

١ ـ الأعراف: ١٧٣.

من قبل﴾[١].

والثاني: في الدنيا ومقام التكليف، وفي هذا العالم أيضاً أقرّ من أقرّ وأنكر من أنكر، وسيأتي، إن من أنكر هنا يكون إنكاره كما قال تعالىٰ: **﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾**[٢] الآية.

أقول: ولعله كان الإنكار في عالم الأرواح أيضاً كذلك الأمر الثاني في أن تعريفه تعالىٰ يشمل الكل حتىٰ غير ذوي العقول أم لا فنقول: معنىٰ تعريفه تعالىٰ إياهم للكل هو عرض ولايتهم عليهم السلام لهم وتعريفها لهم، أما بالنسبة إلى الطوائف الثلاث من الملائكة والانس والجن فقد عرفت أمرها، وأما بالنسبة إلىٰ غيرهم من سائر الموجودات، فقد يقال: إنه كيف يعقل من العدل الحكيم عرض ولايتهم عليهم السلام عليها فضلاً عن تعريفها إيّاهم؟

ولكن يدفعه أن مقتضىٰ الآيات والأخبار بل والاعتبار أن كل موجود هو مكلف بحسب ما له من المرتبة، فله إيمان وكفر وطاعة ومعصية.

أما الآيات: فقوله تعالىٰ: **﴿ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون﴾**[٣]، وقوله تعالىٰ: **﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلّا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾**[٤] الآية، فهذه الآيات تدلّ علىٰ أن الموجودات من الطيور وغيرها، بل كل شيء له تسبيح، ولا تسبيح إلّا ممن له القابلية لأن يعرض عليه التكليف، وسيأتي توضيحه.

وأما الأخبار: فهي علىٰ طوائف، منها: ما ورد في تفسير تلك الآيات:

---

١ ـ يونس : ٧٤.
٢ ـ النمل : ١٤.
٣ ـ النور : ٤١.
٤ ـ الإسراء : ٤٤.

في تفسير نور الثقلين[١]، عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: ﴿وإن من شيء إلّا يسبح بحمده﴾ فقال: «ما ترىٰ أن تنقض الحيطان تسبيحها».

وفيه، عن الحسن النوفلي، عن السكوني، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام قال: «نهىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله عن أن توسم البهائم في وجوهها؛ لأنها تسبّح بحمد ربّها».

وفيه، عن إسحق بن عمار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ما من طير يصاد في برّ ولا بحر، ولا شيء يصاد من الوحش إلّا بتضييعه التسبيح».

وفي البحار[٢]، عن كتاب جعفر بن محمد بن شريح الحضرمي، عن حميد بن شعيب، عن جابر الجعفي قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إنّ لله ديكاً رجلاه في الأرض ورأسه تحت العرش، جناح له في المشرق، وجناح له في المغرب يقول: سبحان الملك القدوس، فإذا قال ذلك صاحت الديوك وأجابته، فإذا سمع صوت الديك فليقل أحدكم: سبحان ربي الملك القدوس».

أقول: ومثله أخبار أُخر.

ومنها: ما ورد في بيان نطق الحمام.

في البحار[٣]، عن العيون والعلل بالإسناد المتقدم، سأل الشامي أمير المؤمنين عليه السلام عن معنىٰ هدير الحمام الراعبية؟ فقال: «تدعو علىٰ أهل المعازف والقيان والمزامير والعيدان».

وفيه، عن البصائر مسنداً، عن شعيب بن الحسن قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام جالساً فسمع صوتاً من الفاختة، فقال: «تدرون ما تقول؟ قال: قلت لا، قال: تقول: فقدتكم، فافقدوها قبل أن تفقدكم».

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج٣ ص١٦٨.

٢ ـ البحار ج٦٥ ص٣.

٣ ـ البحار ج٦٥ ص١٣.

وفيه، عن كامل الزيارة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «اتخذوا الحمام الراعبية في بيوتكم، فإنها تلعن قتلة الحسين عليه السلام».

وفيه، عن مشارق الأنوار، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام: «عادانا من كل شيء حتىٰ من الطيور الفاختة، ومن الأيام الأربعاء».

وفيه، عنه أيضاً، عن محمد بن مسلم قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام إذ وقع عليه ورشانان ثم هدلا فردّ عليهما فطارا، فقلت: جعلت فداك ما هذا؟ فقال: «هذا طائر ظنّ في زوجته سوءاً فحلفت له، فقال لها: لا أرضىٰ إلّا بمولاي محمد بن علي فجاءت فحلفت له بالولاية أنها لم تخنه فصدّقها، وما من أحد يحلف بالولاية إلّا صدق إلّا الانسان فإنه حلّاف مهين».

وفيه، عن دلائل الطبري مسنداً، عن الفضيل بن يسار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «كنت عنده إذ نظرت إلىٰ زوج حمام عنده يهدر الذكر علىٰ الأُنثىٰ، فقال: أتدري ما تقول؟ قلت: لا، قال: يقول: ياسكني وعرسي، ما خلق الله خلقاً أحبّ إليّ منك، إلّا أن يكون جعفر بن محمد عليهما السلام».

منها: ورد في بيان دعاء بعض الطيور.

في البحار[1]، عن الخصال، عن داود الرقّي، قال: بينا نحن قعود عند أبي عبدالله عليه السلام إذ مرّ بنا رجل بيده خطاف مذبوح، فوثب إليه أبو عبدالله عليه السلام حتىٰ أخذه من يده، ثم دحا به الأرض ثم قال: «أعالمكم أمركم بهذا أم فقيهكم؟ لقد أخبرني أبي عن جدي عليهما السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نهىٰ عن قتل ستة: النحلة والنملة والضفدع والصّرد والهدهد والخطاف».. وساق الحديث.. إلىٰ أن قال: «وأما الخطاف فإنّ دورانه في السماء أسفاً لما فعل بأهل بيت محمد (صلوات الله عليهم) وتسبيحه قراءة الحمد لله ربّ العالمين، ألا ترونه وهو يقول: ولا الضّالّين».

---

١ ـ البحار ج٣٧ ص٢٦٩.

وفيه[١]، عن الخرائج روي عن الحسن عليه السلام: «إن علياً عليه السلام كان يوماً بأرض قفر فرأىٰ دراجاً فقال: يادرّاج منذ كم أنت في هذه البرية، ومن أين مطعمك ومشربك؟ فقال: ياأمير المؤمنين أنا في هذه البرية منذ مائة سنة إذا جعت أُصلي عليكم فأشبع، وإذا عطشت أدعو علىٰ ظالميكم فأُروىٰ».

ومثله أحاديث أُخر.

ومنها: ما ورد في بيان كلام الحيوانات.

وفيه عن الاختصاص مسنداً، عن سليمان بن خالد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: بينا أبو عبدالله البلخي ونحن معه إذا هو بظبي يثغو ويحرّك ذنبه، فقال أبو عبدالله عليه السلام: «أفعل إن شاء الله، قال: ثم أقبل علينا، فقال: علمتم ما قال الظبي؟ قلنا: الله ورسوله وابن رسوله أعلم، فقال: إنه أتاني فأخبرني أن بعض أهل المدينة نصب شبكة لأنثاه، فأخذها ولها خشفان لم ينهضا ولم يقويا للرعي، فسألني أن أسألهم أن يطلقوها، وضمن لي أن إذا أرضعت حشفيها حتىٰ يقويا للنهوض والرعي أن يردّها عليهم، قال: فاستحلفته فقال: برئت من ولايتكم أهل البيت إن لم أف، وأنا فاعل ذلك إن شاء الله، فقال البلخي: سنّة فيكم كسنّة سليمان عليه السلام».

وفيه عن بصائر الدرجات مسنداً، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً قاعداً في أصحابه، إذ مرّ به بعير حتىٰ ضرب بجرّانه الأرض ورغا. فقال رجل من القوم: يارسول الله أسجد لك هذا البعير، فنحن أحق أن نفعل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا بل اسجدوا لله إن هذا الجمل جاء يشكو أربابه وزعم أنهم أنتجوه صغيراً فلما كبر وقد اعتملوا عليه، وصار عوداً كبيراً، أرادوا نحره، فشكا ذلك، فدخل رجلاً من القوم ما شاء الله أن يدخله من الإنكار لقول النبي صلى الله عليه وآله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لو أمرت شيئاً يسجد لآخر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، ثم أنشأ أبو عبدالله عليه السلام يحدّث فقال: ثلاثة من البهائم تكلموا علىٰ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله:

---

١ ـ البحار ج٣٧ ص٢٦٨.

الجمل والذئب والبقرة»، الحديث.

ومنها: ما ورد في بيان قوله تعالىٰ: **﴿علّمنا منطق الطير﴾**[١].

ففيه[٢]، عن البصائر مسنداً، عن زرارة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام لابن عباس: «إن الله علّمنا منطق الطير، كما علّمه سليمان بن داود منطق كل دابة في برّ أو بحر».

وفيه، عن الاختصاص والبصائر مسنداً، عن الفيض بن المختار قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إن سليمان بن داود قال: **﴿علّمنا منطق الطير وأُوتينا من كل شيء﴾**، وقد والله علمنا منطق الطير وعلم كل شيء».

ومثله غيره.

ومنها: ما ورد في بيان إقرار الجمادات والنباتات بولايتهم عليهم السلام وفيه بيان عرض ولايتهم عليهم السلام علىٰ جميع الأشياء.

ففي البحار، عن العلل مسنداً، عن سلمان الفارسي (رضوان الله عليه) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «ياعلي تختم باليمين تكن من المقربين، قال: يارسول الله ومن المقربون؟ قال: جبرئيل وميكائيل، قال: بما أتختم يارسول الله؟ قال: بالعقيق الأحمر، فإنه أقرّ لله عزوجل بالوحدانية ولي بالنبوة ولك ياعلي بالوصية ولولدك بالامامة، ولمحبيك، بالجنة ولشيعة ولدك بالفردوس».

وفيه، عن العلل مسنداً، عن الرضا عليه السلام قال: أخبرني أبي عن أبيه، عن جده عليهم السلام: «إن أمير المؤمنين عليه السلام أخذ بطيخة ليأكلها، فوجدها مرّة فرمىٰ بها وقال: بعداً وسحقاً، فقيل: ياأمير المؤمنين وما هذه البطيخة؟ فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله تبارك وتعالىٰ أخذ عقد مودتنا علىٰ كل حيوان ونبت، فما قبل الميثاق كان عذباً طيّباً، وما لم يقبل كان مالحاً زعاقاً».

---

١ ـ النمل: ١٦.

٢ ـ البحار ج ٣٧ ص ٢٦٤.

وفيه، عن فرحة الغري مسنداً عن ابن عباس: إنّ رسول الله ﷺ قال لعلي عليه السلام: «ياعلي إن الله عزوجل عرض مودتنا أهل البيت على السموات والأرض، فأوّل من أجاب منها السماء السابعة، فزيّنها بالعرش والكرسي، ثم السماء الرابعة فزيّنها بالبيت المعمور، ثم السماء الدنيا فزيّنها بالنجوم، ثم أرض الحجاز فشرّفها بالبيت الحرام، ثم أرض شام فزيّنها ببيت المقدس، ثم أرض طيبة فزينها بقبري، ثم أرض كوفان فشرّفها بقبرك ياعلي، فقال له: يارسول الله أقبري بكوفان العراق؟ فقال: نعم ياعلي تقبر بظاهرها قتلاً بين الغريين والذكوات البيض يقتلك شقي هذه الأُمة عبدالرحمن بن ملجم، فوالذي بعثني بالحق نبيّاً، ما عاقر ناقة صالح عند الله بأعظم عقاباً منه ياعلي، ينصرك من العراق مائة ألف سيف».

وفيه، عن بشارة المصطفىٰ مسنداً، عن أبي هريرة قال: كنت أنا وأبو ذر وبلال نسير ذات يوم مع علي بن أبي طالب عليه السلام فنظر علي إلىٰ بطيخ.. إلىٰ أن قال: فقال: «يابلال أبعد هذا البطيخ عني، وأقبل عليّ حتىٰ أُحدّثك بحديث حدّثني به رسول الله ﷺ ويده علىٰ منكبي: إن الله تبارك وتعالىٰ طرح حبّي على الحجر والمدر، والبحار والجبال والشجر، فما أجاب إلىٰ حبّي عذب، وما لم يجب إلىٰ حبّي خبث ومرّ، وإني لأظن أن هذا البطيخ مما لم يجب إلىٰ حبّي».

وفيه، عن الاختصاص، عن قنبر مولىٰ أمير المؤمنين قال: كنت عند أمير المؤمنين عليه السلام إذ دخل رجل فقال: ياأمير المؤمنين أنا أشتهي بطيخاً.. إلىٰ أن قال: فالتفت إليّ أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «ياقنبر إن الله تبارك وتعالىٰ عرض ولايتنا علىٰ أهل السموات وأهل الأرض من الجن والانس والثمر وغير ذلك، فما قبل منه ولايتنا طاب وطهر وعذب، وما لم يقبل منه خبث وردىٰ ونتن».

وفيه ص ٢٨٤، عن جابر الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالىٰ لما خلق السموات والأرض دعاهنّ فأجبنه، فعرض عليهنّ نبوتي وولاية علي بن أبي طالب فقبلتاهما، ثم خلق الخلق، وفوّض إلينا أمر الدين، فالسعيد من سعد بنا،

والشقي من شقي بنا، نحن المحلّلون لحلاله والمحرّمون لحرامه».

وفيه[١]، عن الإقبال من كتاب النشر والطيّ، عن الرضا عليه السلام في خبر طويل في فضل يوم الغدير: «عرض الله الولاية علىٰ أهل السموات السبع، فسبق إليها أهل السماء السابعة، فزيّن بها العرش، ثم سبق إليها أهل السماء الرابعة، فزيّنها بالبيت المعمور، ثم سبق إليها أهل السماء الدنيا، فزيّنها بالكواكب، ثم عرضها على الأرضين، فسبقت إليها مكّة، فزيّنها بالكعبة، ثم سبقت إليها المدينة فزيّنها بالمصطفىٰ محمد صلى الله عليه وآله، ثم سبقت إليها الكوفة، فزيّنها بأمير المؤمنين عليه السلام».

وعرضها على الجبال فأول جبل أقرّ بذلك ثلاثة جبال: العقيق وجبل الفيروزج وجبل الياقوت، فصارت هذه الجبال جبالهن وأفضل الجواهر، وسبقت إليها جبال أُخر، فصارت معادن الذهب والفضّة، وما لم يقرّ بذلك ولم يقبل صارت لا تنبت شيئاً، وعرضت في ذلك اليوم على المياه، فما قبل منها صار عذباً وما أنكر صار ملحاً أُجاجاً، وعرضها في ذلك اليوم على النبات، فما قبله صار حلواً طيّباً، وما لم يقبل صار مرّاً، ثم عرضها في ذلك اليوم على الطير، فما قبلها صار فصيحاً مصوّتاً، وما أنكرها صار أحرّ الكن»، إلىٰ آخر الخبر.

وفيه[٢]، عن البرسي رحمه الله في مشارق الأنوار، عن زيد الشحّام بإسناده عن نباتة قال: إن أمير المؤمنين عليه السلام جاءه نفر من المنافقين فقالوا له: أنت الذي تقول: إن هذا الجرّي مسخ حرام؟ فقال: «نعم، فقالوا: أرنا برهانه، فجاء بهم إلى الفرات، ونادىٰ هناس هناس (مناش مناش) فأجابه الجرّي: لبيك، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: من أنت؟ فقال: ممن عرضت عليه ولايتك فأبىٰ ومسخ، وإن فيمن معك لمن يمسخ كما مسخنا، ويصير كما صرنا. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: بيّن قصّتك ليسمع من حضر فيعلم، فقال: نعم، كنّا أربعاً وعشرين قبيلة من بني إسرائيل، وكنّا قد تمردنا

---

١ ـ البحار ج٢٧ ص٢٦٢.

٢ ـ البحار ج٢٧ ص٢٧١.

وعصينا، وعرضت ولايتك علينا فأبينا، وفارقنا البلاد واستعملنا الفساد، فجاءنا آت أنت والله أعلم به منّا فصرخ فينا صرخة فجمعنا جمعاً واحداً وكنّا متفرّقين في البراري، فجمعنا لصرخته، ثم صاح صيحة أُخرىٰ وقال: كونوا مسوخاً بقدرة الله، فمسخنا أجناساً مختلفة، ثم قال: أيها القفار كونوا أنهاراً تسكنك هذه المسوخ، واتصلي ببحار الأرض حتىٰ لا يبقىٰ ماء إلّا وفيه من هذه المسوخ، فصرنا مسوخاً كما ترىٰ».

وفيه[١]، عن البصائر مسنداً عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن الله عرض ولايتنا علىٰ أهل الأمصار، فلم يقبلها إلّا أهل الكوفة».

أقول: قبولاً كاملاً، ويدل عليه قوله عليه السلام ما فيه عن البصائر أيضاً مسنداً، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إن ولايتنا عرضت علىٰ السموات والأرض والجبال والأمصار ما قبلها قبول أهل الكوفة».

أقول: دلّت هذه الطوائف من الأخبار علىٰ أن للحيوانات من الطيور وغيرها وللجمادات نطقاً، وفيها ما يصح بلحاظ التكليف عليها، وأنها تسجد لله تعالىٰ وتسبّحه، ثم إن هناك أحاديث تبين كيفية تسبيحها، ونحن نذكر بعضها، ثم نعقبه بما ذكره العلماء في معناها.

ففي البحار[٢]، عن المحاسن، عن علي بن أسباط، عن داود الرقي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قوله تعالىٰ: **﴿وإن من شيء إلّا يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾**[٣]، قال: «نقض الجدار تسبيحها».

ومثله عن العياشي، عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليهما السلام أنه دخل عليه رجل فقال له: فداك أبي وأمي إني أجد الله يقول في كتابه: **﴿وإن من**

---

١ ـ البحار ج ٦٠ ص ٢٠٩.

٢ ـ البحار ج ٦٠ ص ١٧٧.

٣ ـ الإسراء: ٤٤.

شيء إلّا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ فقال: «هو كما قال، فقال له: أتسبح الشجرة اليابسة؟ فقال: نعم، أما سمعت خشب البيت تنقض؟ وذلك تسبيحه، فسبحان الله علىٰ كل حال».

وفيه[١]، تفسير علي بن إبراهيم: **﴿أو لم يروا إلىٰ ما خلق الله من شيء يتفيّؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجّداً لله وهم داخرون﴾**[٢]، قال: «تحويل كل ظلّ خلقه الله هو سجوده لله؛ لأنه ليس شيء إلّا له ظل يتحرك بتحريكه وتحويله سجوده».

وفيه، عن العلل لمحمد بن علي إبراهيم قال: «بكاء السماء إحمرارها من غير غيم، وبكاء الأرض زلازلها، وتسبيح الشجر حركتها من غير ريح، وتسبيح البحار زيادتها ونقصانها، وتسبيح الشجر نموّه ونشوه».

وقال أيضاً: «ظلّه يسبّح الله».

وقال بعضهم في معنى السجود في قوله تعالىٰ: **﴿أو لم يروا إلىٰ ما خلق الله من شيء يتفيّؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجّداً لله وهم داخرون﴾** المراد من السجود الانقياد والاستسلام، سواء كان بالطبع أو بالاختيار، يقال: سجدت النخلة إذا مالت لكثرة الحمل، وسجد البعير إذا طأطأ رأسه ليركب.

والمعنىٰ حينئذ أن رجوع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها، أو باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالىٰ من جانب إلىٰ جانب منقادة لما قدّر لها من التفيّؤ، أو واقعة على الأرض ملتصقة بها كهيئة الساجد، هو سجودها والاجرام من حيث هي هي أيضاً في أنفسها داخرة، أي صاغرة منقادة لأفعال الله تعالىٰ، فالموجودات من حيث هي هي تكون داخرة ساجدة له تعالىٰ بالطبع، كما قيل: أما

---

١ ـ البحار ج ٦٠ ص ١٧٩.

٢ ـ النحل: ٤٨.

ظلّك فيسجد لربك، وأما أنت فلا تسجد لربك (أي بالاختيار) بئس ما صنعت وقيل: ظل الكافر يصلّي وهو لا يصلّي، وقيل أيضاً: ظلّ كل شيء يسجد لله سواء كان ذلك ساجداً لله أم لا (أي بالاختيار)، وكيف كان سجود كل شيء يناسب حاله، كما أن تسبيح كل شيء يلائم لسانه.

وقال بعضهم ما حاصله: أن السجود إما سجود عبادة كسجود المسلمين لله تعالىٰ وإما سجود عبادة عن الانقياد والخضوع وهو لكل شيء.

وحاصله: أن الممكن في نفسه قابل الوجود والعدم، ولا يكون أحدهما إلّا لمرجح، فالموجودات بنفسها فقيرة إلى الغنىٰ، ولسان حالها بلحاظ فقرها، هو انقيادها وتسليمها لخالقها كما لا يخفىٰ.

وبعبارة أخرىٰ: أن سجود المكلّف وتسبيحه تارة يكون بالفعل واللسان بأن يسجد ويقول: سبحان الله، وأُخرىٰ بدلالة أحواله على الخضوع والانقياد والتسليم والتنزيه لصانعه الحكيم كما لا يخفىٰ.

وذكر بعضهم في تفسير سجود الموجودات له تعالىٰ ما حاصله: أن معنىٰ أن الممكن لا يترجح وجوده أو عدمه إلّا لمرجح أن حقيقته منتهية إلى الواجب لذاته تعالىٰ كما قال تعالىٰ: ﴿وأن إلىٰ ربك المنتهىٰ﴾[1]، وهذا الانتهاء إليه تعالىٰ من الممكن أمر ذاتي له حدوثاً وبقاءً في الدنيا والآخرة، لا أن الممكن سيرجع إلىٰ ربه، بل هو راجع إليه دائماً، وهذا معنىٰ ما قيل إن ما بالعرض يرجع إلىٰ ما بالذات يعني دائماً، وهذا الرجوع من لوازم افتقاره الذاتي الذي لا ينفك عنه ولذا قيل:

سيه روئى ز ممكن در دو عالم   جدا هرگز نشد و الله اعلم

وقيل أيضاً: الفقر سواد الوجهين في الدارين، وحقيقة هذا الافتقار الذاتي له هو خضوع الممكن وتواضعه لما ينتهي إليه، ويقوم به دائماً وهو ربّه، وهذا الخضوع

---

١ ـ النجم: ٤٢.

هو حقيقة السجود، وهذا الافتقار هو حقيقة التسبيح، وهما روح السجود والتسبيح العملي، بحيث لو تحقق التسبيح والسجود بدونهما لما كان سجوداً وتسبيحاً كما لا يخفىٰ، وحيث إن هذا الافتقار الذاتي غير قابل التغيير والتبدل للممكن فلا محالة، يكون جميع الممكنات ساجدة مسبحة لله تعالىٰ، أي خاضعة متذللة معترفة بالفاقة إليه، والحاجة إلىٰ تخليقه وتكوينه.

وبعبارة أُخرىٰ: أن تنقض الجدار الدالة علىٰ حدوث التغير بها وفنائها نداء بلسان الحال علىٰ افتقارها إلىٰ من يوجدها ويبقيها منزهاً عن صفاتها المحوجة إلىٰ ذلك.

وإليه يشير قوله في الحديث السابق: أما سمعت خشب البيت تنقض، وذلك تسبيحه، فسبحان الله علىٰ كل حال.

أقول: قوله عليه السلام: «فسبحان الله علىٰ كل حال»، يعني أن الممكن وإن كان أشرف الموجودات فهو بلحاظ افتقاره الذاتي يسبح الله، فسبحان الله علىٰ كل حال منا، أي نحن الآن كذلك مسبّحون له بلسان فقرنا إليه تعالىٰ.

والحاصل: أن جميع الممكنات بصفاتها ولوازمها وآثارها دالة علىٰ صانعها وبارئها ومصوّرها، وعلمه وحكمته شاهدة بتنزهه عن صفاتها المستلزمة للعجز والنقصان، مطيعة لربها فيما خلقها له وأمرها به من مصالح عالم الكون موجهة إلىٰ ما خلقت له، مثلاً سكون الأرض خدمتها وتسبيحها، وصرير الماء وجريه تسبيحه وطاعته، وقيام الأشجار والنبات ونموّها وجري الريح وأصواتها، وهذه الأبنية وسقوطها وتحريق النار ولهبها، وأصوات الصواعق وإضاءة البروق وجلاجل الرعود، وجري الطيور في الجوّ ونغماتها، كلها طاعة لخالقها وسجدة وتسبيح وتنزيه له سبحانه.

وإلىٰ هذا النحو من الدلالة أُشير في قوله عليه السلام: «بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له، وبتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له، وبمضادته بين الأشياء عرف أن

لا ضدّ له، وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له».

وحاصل الكلام: أن هذا التسبيح والسجود تسبيح وسجود فطري، وسجود ذاتي عن تجل تجلّىٰ لهم، فأحبّوه فانبعثوا إلىٰ الثناء عليه من غير تكليف، بل اقتضاء ذاتي، وهذه هي العبادة الذاتية التي أقامهم الله فيها بحكم الاستحقاق الذي يستحقه، وإليه يشير قوله عليه السلام في نهج البلاغة: «الحمد لله المتجلّي لخلقه بخلقه».

ثم إنه قد يستفاد من قوله تعالىٰ: ﴿ألم تر أن الله يسبّح له﴾[1]، ألم تر أن الله يسجد له، إلىٰ غيره من نحو هذه الآيات أنه تعالىٰ قد أشهد لنبيه محمد صلى الله عليه وآله سجود هذه الأُمور وتسبيحها، بل كل من أشهده الله ذلك ورآه دخل تحت هذا الخطاب.

ونقل عن بعض العارفين ما هذا لفظه: أن عند أهل الكشف والعرفان لكل شيء من الجماد والنبات روح وحيوٰة ونطق، لكن لا يحسّ منها أحد إلّا أهل الكشف، فإنهم يسمعون النطق اللساني لا الحالي بالتسبيح والتحميد من كل شيء، وأما من يصل إلىٰ مقام الكشف فإنه (الظاهر، يسمع) بلسان الحال والاستعداد لا بلسان القال، وإني اعتقدت قبل هذا هكذا، لكن الآن عاينت وشاهدت أن كل الموجودات تسبح بلسان النطق تسمعه إذ إننا منها، وتخاطبنا مخاطبة العارفين بجلال الله مما يدركه كل إنسان.

أقول: كما قال الشاعر عن خطابهم:

ما سميعيم و بصيريم و خوشيم — با شما نا محرمان ما خامشيم
نطق آب نطق خاک ونطق گل — هست محسوس حواس اهل دل

أقول: ومما يدل علىٰ مخاطبة الأشياء للعارفين ما ورد عن الزهراء عليها السلام أنها قالت لأبيها صلى الله عليه وآله: «إن علياً تكلم مع الأرض ليلة زفافها، فقال صلى الله عليه وآله لها: إنّ الله تعالىٰ سخّر الأرض لعلي عليه السلام لتقول له الحوادث والأخبار».

---

١ ـ النور: ٤١.

أقول: ويدلّ عليه قوله تعالىٰ: **﴿يومئذ تحدّث أخبارها﴾**[1].

أقول: أيضاً: ذكر المجلسي ﷺ في كتاب تاريخ نبينا ﷺ في البحار الأخبار الدالة علىٰ مكالمة الضبّ معه ﷺ وغيره، وقصّة أنين جذع النخلة، التي كانت في مسجد النبي ﷺ مشهورة.

وقال بعض الأكابر[2] ما حاصله: أنه كما يكون الجهل بسيطاً ومركباً، كذلك العلم يكون بسيطاً ومركباً، والأول هو درك الشيء مع الذهول عن ذلك الإدراك، وعن التصديق بأن المدرك ماذا، والثاني هو إدراك الشيء مع الشعور والإدراك وأن المدرك ما هو، والعلم به تعالىٰ على الوجه البسيط حاصل لكل موجود، كيف وقد علمت أن الوجود عين العلم والظهور، والعلم بشيء عين وجوده سواء تعلق بنفسه أو بغيره، وأيضاً العلم بالنفس أو شيء آخر علم بما يقومه وما هو قيومه.

والسّر في ذلك أن كل إنسان له معيّة مع النفس الحيّة العالمة بالذات؛ لكـونها (أي النفس) من معدن الحيوة ومنبع العلم، وهو ذاته المقدسة التي لها معيّة قيّوميّة لها، كما قال تعالىٰ: **﴿وهو معكم أينما كنتم﴾**[3]، وكما قال علي عليه السلام في خطبة له ذكرها المسعودي ـ وأنت لا يفقدك شيء ـ فمنشأ استحقاق صدق الشعور على النفس، بل علىٰ كل موجود هو معيتها مع الواجب الوجود معية قيومية، وقد ثبت أن الأشياء كلها قائمة به تعالىٰ، ومظهر لآثاره تعالىٰ من العلم والقدرة وغيرهما كلاً علىٰ حسب قابليته.

فتحصّل مما ذكر أن كل شيء له شعور بوجوده، أو بوجود غـيره تـركيباً أو بسيطاً، لا ينفك عن العلم والشعور بقيّومه؛ لأن الوجودات هويات تعلقيّة ومعان حرفيّة وروابط محضة، لا استقلال بها أصلاً علماً وعيناً بدون جاعلها، هـذا وإن

---

١ ـ الزلزلة : ٤.

٢ ـ هو العارف الكامل الحاج ملا هادي السبزواري ﷺ.

٣ ـ الحديد : ٤.

كانوا ذاهلين عن أن الشعور به ما هو؛ لما علمت من أنهم عالمون به بالعلم البسيط، نعم قد يمنح الله تعالىٰ بفضله لخواص أوليائه فهم ذلك.

وقال هذا العارف: وإني لأسمع ذكر الأذكار، وحمد المحامد وأرىٰ من يذكر الله لا عن قلب حاضر بل عن خاطر متشتت، وذكره يذكر الله ولا يشعر الذاكر به، هذا كله تفسير لقوله تعالىٰ: ﴿**وإن من شي إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم**﴾، علىٰ صيغة الغائب، أي كل شيء يسبح بحمده، وإن كان لا يفهم تسبيحه؛ لأنه عالم بالتسبيح بالعلم البسيط لا المركب، فهو مسبح له تعالىٰ غير شاعر بتسبيحه له تعالىٰ، وإن قرئت بصيغة الخطاب كما هو الظاهر المتعارف، فالمعنىٰ أنتم لا تفقهون تسبيحهم لانغماركم في الجهل والحجاب كما تقدم معناه.

فتحصّل من الكل: أن الموجودات لها شعور ودرك ولو بالعلم البسيط، وبهذا الاعتبار يسبح بحمد ربّه وكل منها قد علم صلاته وتسبيحه، فعليه فلا ينكر على الحكيم القادر المتعال أن تكلّفها بالتكليف الإلهي من قبول الولاية والتسبيح وأن يعرّفهم مقامات محمد وآله الطاهرين المختصة بهم.

وأما المقام الثالث وهو أنه إذا عرف الكل مقامهم المحمود، فكيف يرىٰ في بعضهم بل في الكثير إنكار ذلك؟ فنقول: ظاهر العبارة أنه تعالىٰ بلطفه العميم عرف الكل، أي كل الموجودات جلالة أمرهم بلسان الأنبياء، وفي الكتب المنزلة عليهم، أما الملائكة بأجمعها فقد علموا وعرفوا مقاماتهم وقبلوها كما مرّ مراراً، وأما البشر فقد عرفهم لهم في عالم الأرواح وفي عالم الدنيا، فمن قبلها منهم فقد فاز فوزاً عظيماً، وأما من لم يقبل فهم علىٰ أقسام منهم من أُقيمت عليه الحجة وثبتت لهم، ولكن لانغمارهم في عالم النفس والطبيعة، وتعلق قلوبهم بحبّ الدنيا، وتكدّر قلوبهم برين المعاصي، فقد جحدوها ظاهراً وإن استيقنتها أنفسهم بها لقيام الحجة عليهم.

في تفسير نور الثقلين عن أُصول الكافي، عن أبي عبدالله عليه السلام في بيان دعوة الكفر.. إلىٰ أن قال عليه السلام: «وأما الوجه الآخر من الجحود علىٰ معرفة وهو أن يجحد

الجاحد، وهو يعلم أنه حق قد استقرّ عنده، وقد قال الله عزوجل: **﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً﴾**[١].

وكيف كان فإنكار هؤلاء لفضلهم ﷺ صوري ظلماً وعلواً، وإلّا فضائلهم ظاهرة لديهم أيضاً، وقد عرفها الله تعالىٰ لهم، ومنهم من لم يقرّ بها قصوراً بمعنىٰ أن الحجة والتعريف منه تعالىٰ لهم ثابت، ولكنهم لقصورهم لم يدركوها، وليس معنىٰ عرفها لهم أنه تعالىٰ عرفها لهم وقوعاً بحيث لا يشذّ عنهم شاذ، بل المراد (والله العالم) عرفها لهم من حيث ما هو مقتضىٰ لطفه، وما هو مقتضىٰ وظيفة الأنبياء والرسل، ولازم إقامة الحجة البالغة علىٰ أن هذا المعنىٰ أيضاً ثابت لهم بالفطرة وحاصله: أنه تعالىٰ قد جعل في فطرة المكلفين رياستهم، كما في إذن الدخول العام للمشاهد المشرفة، بمعنىٰ أن كل أحد إذا راجع فطرته السليمة عن غواش الظلمة والوساوس الشيطانية، ونظر إلىٰ تلك الذوات المقدسة المطهرة علم بالوجدان السليم أنهم ﷺ هم المقامات المذكورة بحيث يذعن بها كل عاقل سليم الفطرة، فمقاماتهم معلومة لكل أحد بالفطرة السليمة، وعليه فالقاصرون أيضاً إذا رجعوا إلىٰ فطرهم السليمة أقرّوا بمقاماتهم ﷺ كما لا يخفىٰ.

وحاصل الكلام في المقام: أن كل شيء من الموجودات إذا توجه إليهم بما له من الدرك كل بحسبه، يعرف مما يظهر له من ظاهرهم ﷺ جلالاً وعظمة لا يحتمله بنفسه، بل يراه شأناً عظيماً مختصاً بهم ﷺ، وهذا التوجه يختلف بالنسبة إلى الأشياء، فتوجه كل بحسبه، ولذا ترىٰ منهم ﷺ في وقت إعجازهم أنهم يستنطقون الأشياء من الشجرة أو الضبّ أو الحصىٰ أو غير ذلك ينطقون لهم ويشهدون لهم بهذه الجلالة والمعرفة لهم، فنطقهم مستكن فيهم، فالأئمة ﷺ بإذن الله تعالىٰ يستنطقونهم بإذنه تعالىٰ، وهو معنىٰ قوله تعالىٰ: **﴿أنطقنا الله الذي أنطق كل**

---

١ ـ النمل: ١٤.

شيء﴾[1] كما لا يخفىٰ.

ثم إن ما يظهر لهم من جلالتهم ليس منتهاها، بل ولا جزء من مائة ألف جزء، وإنما يظهر لهم بقدر ما يحتملون ظهوره وبقدر وسعهم، وفي الحقيقة هذا الشعور فيهم إنما هو مما كتبوه عليهم السلام في حقائقهم بإذن الله، وهو معنىٰ قبول ولايتهم بذاتهم، وقد يقال: كيف لا يعرف مخلوق ربه أو جلالة أمرهم مثلاً وهي المعرفة بهم، مع أن الخلق عبارة عن قبول الأعيان الثابتة الوجود بما هو أثر بهم، وتحقق منه تعالىٰ في الأشياء وقبولها له فرع معرفة ما يقبله، فقبوله عين معرفته وهي عين قبوله، وهذا هو السّر المودع في الأشياء والجهة الربوبية فيها، وإلّا لم يكن موجوداً به تعالىٰ، فكل شيء موجود به تعالىٰ من هذه الجهة، فقبول الأشياء المعرفة هو وجودها وإلّا لم توجد، فتدبّر تفهم إن شاء الله.

ولعمري إنا إذا راجعنا مخالفيهم القائمين بظلمهم قد ثبت عندهم مقاماتهم، فهم يجحدونها مع استيقان أنفسهم بها، كما لا يخفىٰ علىٰ من راجع المخالفين لهم عليهم السلام، ثم إن تعريفه تعالىٰ مقاماتهم لكل من المذكورات، يختلف باختلاف أحوالهم، ونحن نذكرها في بيان شرح تلك المفردات، فنقول:

قوله عليه السلام: «حتىٰ لا يبقىٰ ملك مقرب»، التخصيص بالمقرب لبيان أهميته، لا لخروج غير المقرب، بل هو أيضاً ممن عرفه تعالىٰ جلالة أمرهم.. الخ أو هو داخل في قوله: ولا خلق فيما بين ذلك شهيد، وكيف كان فقد علمت تعريفه تعالىٰ مقاماتهم للملائكة فيما سبق بما لا مزيد عليه فلا نعيد.

قوله: «ولا نبي مرسل» (أقول: ولا غير مرسل أيضاً) والتخصيص به إما لأهميته، أو لأن غير المرسل داخل في بعض مراتب الصديق.

قوله: «ولا صديق»، أي من كان في ذاته وصفاته وأفعاله وعقائده صديقاً، أي

---

١ ـ فصلت: ٢١.

منزّهاً عن الشين فيه والكذب بالنسبة إليه، وكانت أفعاله مصدقة لأقواله، وهم الأولياء والأبدال والأوتاد كما لا يخفىٰ.

قوله: «ولا شهيد»، المراد منه إما من أشهده الله ذاته وصفاته وأفعاله فهو شاهد للتوحيدات الثلاثة، أو الشهيد الذي استشهد مع النبي ﷺ أو الامام ﷺ فلاهميته خصّ بالذكر، أو المراد منه المؤمن الكامل المرضي إيمانه عند الله ورسوله كما أُشير في قوله تعالىٰ: **﴿وكذلك جعلناكم أُمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾**[1].

في تفسير نور الثقلين، عن الكافي وبإسناده إلىٰ أبي جعفر الباقر ﷺ حديث طويل فيه يقول ﷺ: «ولقد قضي الأمر أن لا يكون بين المؤمنين اختلاف، ولذلك جعلهم شهداء على الناس؛ ليشهد محمد ﷺ علينا، ولنشهد علىٰ شيعتنا، وليشهد شيعتنا على الناس».

فالشهيد هنا الشاهد على الناس يوم القيٰمة، فهو لكمال إيمانه يقبل شهادته فالشهادة للمؤمنين شأن من شؤونهم كما لا يخفىٰ.

قوله: «ولا عالم ولا جاهل ولا دني ولا فاضل»، المراد من العالم هو الذي علم معالم الدين إن أُريد بالجاهل الذي لا يعلم، وإن أُريد منه المتصف بالصفات الرذيلة (كما هو أحد مصاديق الجاهل، بل هو المراد غالباً في للأحاديث) فالمراد من العالم هو العارف الكامل، الذي قد أخلص نفسه لله تعالىٰ وخلع سرابيل الشهوات وخرج، من صفة العمىٰ ومشاركة أهل الهوىٰ، فصار من مفاتيح أبواب الهدىٰ، ومغاليق أبواب الردىٰ، قد أبصر طريقه وعرف مناره وقطع غماره.. الخ.

والمراد من الدني بقرينة مقابلته مع الفاضل من اتصف بالدناءة والصفات الرذيلة، وإن حصل له بعض العلم، فإن النفس قد تتصف مع علمها ببعض الصفات

---

١ ـ البقرة: ١٤٣.

الدنية الموجبة لخسّته، وكونه مهاناً عند الناس وعند الله، والمراد من الفاضل من اتّصف بالفضائل وإن لم يكن من أهل العلم، بل هو الظاهر منه لمقابلته مع العالم، كما لا يخفىٰ، وكيف كان فالمراد منه غير العالم الذي اتصف بالفضائل.

قوله عليه السلام: «ولا مؤمن صالح، ولا فاجر طالح»، لا ريب في تفاوت درجات الايمان والمؤمنين كما تقدم، إلّا أن المؤمن قد يرتفع بإيمانه إلىٰ أن يعمل الصالحات، فهو بهذه المرتبة مما يعتنىٰ به ويصلح لأن يذكر، فالصفة لإخراج غير الصالح، كما أن الفاجر قد يكون فجوره قليلاً يمحو بالندامة، وقد يكون بمثابة الكثرة بحيث يكون طالحاً أي خلاف الصلاح، فإن الطالح في الرجال من هو خلاف الصالح، أي من لا يصدر منه إلّا الفجور، فهو بهذه الجهة في الفجور صار مذكوراً، فكأنه نوع من الخلق المنكوس.

قوله عليه السلام: «ولا جبّار عنيد، ولا شيطان مريد»، أقول: الجبار المسلط (بالكسر) والمتكبر والذي يقتل على الغضب، ولا يطلق هذا الوصف علىٰ غيره تعالىٰ إلّا علىٰ وجه الذم، والعنيد الجائر عن القصد الباغي الذي يرد الحق مع العلم به، والعنيد والعنود والمعاند واحد، وهو المعارض لك بالخلاف عليك، وعند عن الطريق أي عدل عنه، فعلىٰ هذا الجبّار من تكبّر وتسلط علىٰ غيره، وأعمل غضبه بالقتل، وإذا اتصف بالعنيد أُضيف إليه أنه يعمل السوء مع العلم بالحق، وهو العادل عن الطريق المعارض للحق، وله مصاديق كالفراعنة وسلاطين الجور وخلفاء الباطل كأكابر بني أُمية وبني العباس ومن حذا حذوهم إلىٰ زماننا هذا.

فإنهم مع تبيّن الحق لهم عاندوه وعارضوه وأهله كما لا يخفىٰ، هذا وقد ظهر من خلفاء الجور الإقرار منهم بظهور الحق لهم، وأنهم إنما عاندوه وعاندوا أهل الحق لحبهم الملك، وإن الملك عقيم، كما لا يخفىٰ علىٰ من راجع سيرهم في التاريخ.

وأما الشيطان فهو من شطن وهو البعد، فكأنهم تباعدوا عن الخير، وطال مكثهم في الشّر، وكل عات متمرد من الجن والانس والدواب شيطان، والمارد هو

العاني وقوله تعالىٰ: ﴿شيطان مارد﴾، أي خارج عن الطاعة متمكن من ذلك، والمارد العاند الشديد، وكيف كان فالشيطان قد عرفه الله جلالة أمرهم، وفي ذلك أخبار كثيرة ذكرها المجلسي ﷺ في البحار ج٣٦ فراجع ونذكر خبراً واحداً منها:[١]

فعن العلل والمجالس للصدوق ﷺ بإسناده، عن المسعودي رفعه إلىٰ سلمان الفارسي ﷺ قال: مرّ إبليس (لعنه الله) بنفر يتناولون أمير المؤمنين ﷺ فوقف أمامهم، فقال القوم: مَن الذي وقف أمامنا؟ فقال: أنا أبو مرّة، فقالوا: ياأبا مرّة أما تسمع كلامنا؟ فقال: سوأة لكم تسبّون مولاكم علي بن أبي طالب؟! قالوا: من أين علمت أنه مولانا؟ قال: من قول نبيكم ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه أللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله». فقالوا له: فأنت من مواليه وشيعته؟ فقال: ما أنا من مواليه، ولا من شيعته، ولكني أحبّه ولا يبغضه أحد إلّا شاركته في المال والولد.

فقالوا له: ياأبا مرّة فتقول في علي شيئاً؟ فقال لهم: اسمعوا منّي معاشر الناكثين والقاسطين والمارقين، عبدت الله عزوجل في الجان اثني عشر ألف سنة، فلما أهلك الله الجان، شكوت إلى الله عزوجل الوحدة، فعرج بي إلى السماء الدنيا اثني عشر ألف سنة أخرىٰ في جملة الملائكة، فبينا نحن كذلك نسبّح الله عزوجل ونقدسه إذ مرّ بنا نور شعشعاني، فخرّت الملائكه لذلك النور سجّداً، فقالوا: سبّوح قدوس، هذا نور ملك مقرّب أو نبي مرسل؟ فإذا بالنداء من قبل الله عزوجل: ما هذا نور ملك مقرّب، ولا نبي مرسل، هذا نور طينة علي بن أبي طالب ﷺ».

قوله ﷺ: «ولا خلق فيما بين ذلك شهيد»، قد يقال: المراد منهم من يكون موجوداً في عالم الشهادة من الأصناف، التي دون هذه الأنواع الثلاثة الملائكة والجن والانس من سائر أصناف الموجودات، وقوله: شهيد، صفة لخلق وهو بمعنى المشهود، أي ما سواهم من الخلق المشهود من سائر الموجودات.

---

١ ـ البحار ج٣٦ ص٢٣٧.

أقول: لعل المراد منهم الموجودات الجمادية والنباتية والحيوانات بأصنافها، وقد عرفت أن لكل منها روحاً يخصّه، وهو بلحاظ ذلك الروح مسبّح له تعالىٰ، وله تكليف يخصّه وسجود مختص به، فهم بتلك المشاعرة صحّ تعريفه تعالىٰ مقامات الأئمة عليهم السلام لهم كما لا يخفىٰ.

قوله عليه السلام: «إلّا عرفهم جلالة أمركم».

أقول: قد عرفت معنىٰ تعريفه تعالىٰ مقامات الأئمة عليهم السلام لهم.

وأما قوله: «جلالة أمركم»، الجلالة العظمة والأمر الحادث العظيم، الذي لا يوصف من عظمته، والمعنىٰ أن أمركم عظيم لا يوصف بكنهه، وهو مقام ولايتهم الكلية الإلهية التشريعية والتكوينية، التي لا تحد لأحد وقد تقدم شرحها.

وفي الوافي عن الكافي في باب المصافحة بإسناده، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: «إن الله تعالىٰ لا يوصف وكيف يوصف وقال في كتابه: ﴿وما قدروا الله حقّ قدره﴾[1]، فلا يوصف بقدر إلّا كان أعظم من ذلك، وإن النبي صلى الله عليه وآله لا يوصف وكيف يوصف عبد احتجب الله بسبع، وجعل طاعته في الأرض كطاعته فقال: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ ومن أطاع هذا فقد أطاعني، ومن عصاه فقد عصاني وفوّض إليه، وإنّا لا نوصف، وكيف يوصف قوم رفع الله عنهم الرجس وهو الشك، والمؤمن لا يوصف وأن المؤمن ليلقىٰ أخاه فيصافحه، فلا يزال الله ينظر إليهما والذنوب تتحات عن وجوههما كما يتّحات الورق عن الشجر.

أقول: قوله عليه السلام: «كيف يوصف قوم رفع الله عنهم الرجس وهو الشك»، إشارة إلىٰ آية التطهير، التي هي سند طهارتهم ومقام ولايتهم وقربهم إليه تعالىٰ، فإن نفي الشك عنهم إشارة إلىٰ نفي أيّ حجاب بينهم وبين ربهم كما تقدم قول السجاد عليه السلام

---

١ ـ الأنعام: ٩١.

والذي حاصله: ليس بين الله وبين حجته ستر ولا دونه حجاب، وهذا في الحقيقة مقام فنائهم في الله وبقائهم بالله تعالىٰ، فهم حينئذ مظاهره في شؤونه تبارك وتعالىٰ.

وبعبارة أُخرىٰ: أن تعريفه تعالىٰ جلالة أمرهم لكل شيء هو أنه تعالىٰ عرّفهم ولايتهم وسلطانهم في الوجود، الذي لهم لا لغيرهم وهو في الحقيقة المرتبة العليا، التي أقامهم الله تعالىٰ فيها، ومكّنهم فيها بحيث حمّلهم علمه وأعطاهم قدرته وجماله وجلاله، وفوض إليهم أمر دينه، وهذا معنىٰ ولايتهم التكوينية والتشريعية، وهذا معنىٰ أنهم خلقوا له تعالىٰ كما في الحديث القدسي مخاطباً للنبي صلى الله عليه وآله: «خلقت الأشياء لأجلك، وخلقتك لأجلي»، وقوله عليه السلام: «نحن صنائع الله والخلق صنائع لنا».

توضيحه: أن كونهم عليهم السلام خلقوا لأجله تعالىٰ أنه تعالىٰ جعلهم مظاهر أسمائه العظمىٰ والحسنى التي هي مظاهره تعالىٰ.

وبعبارة أُخرىٰ: أنه تعالىٰ يظهر بِالأسماء والصفات من العلم والقدرة والجلال والجمال، وحقائق تلك الذوات المقدسة، هي تلك الأسماء والصفات، التي هي معرفات ومظاهر له تعالىٰ، فهم لهم السلطنة لتمكنهم في تلك المراتب والمنازل الإلهية، وحيث إنا فاقدون لتلك الحقائق ومحتاجون إليها في الوجود فلا محالة خلقنا لهم، فهم خلقوا له تعالىٰ أي ليظهر تعالىٰ بهم، ونحن خلقنا لهم لنستفيض منهم، فهم عليهم السلام بتلك الحقائق يدبّرون أمر الخلائق بإذنه تعالىٰ، بل في الحقيقة هو تعالىٰ يدبر الأُمور بهم عليهم السلام أي بتلك الحقائق، فتدبّر تعرف.

ولعمري إن هذا أمر عظيم، ولعل إليه يشير قول الصادق عليه السلام فيما تقدم: «إن أمرنا هو الحق وحق الحق، وهو الظاهر وباطن الظاهر وباطن الباطن، وهو السّر وسّر السّر، وسّر المستسر وسّر مقنع بالسّر».

أقول: فلا يكاد يحتمله غيره، نعم إلّا من شاءوا أن يعرفوه بعض هذا السّر لا كله كما لا يخفىٰ.

وقوله ﷺ: «وعظم خطركم»، أقول: العظم (كعنب) خلاف الصغر ومثل الشيء وعديله، والخطر بالتحريك: قدر الشيء ومنزلته، أو المراد منه المكيال الضخيم.

وقوله ﷺ: «وكبر شأنكم»، الكبر (كعنب) كبر الشيء علو منزلته، والشأن الخطب والأمر والحال، وكيف كان فالخطر لا يستعمل إلّا في الشيء الذي له قدر ومنزلة ومزّية، والشأن هو الحال العظيم، والمراد منهما عظم قدرهم وكبر حالهم ومقامهم في علوّ الذات والذات نفسها، ففي كل موجود بحسب قابليته خصوصاً الانسان ظهر من علوّ أمرهم ما لا يقدر أحد منهم اكتناهه، ومعنىٰ ظهوره فيهم أنه تعالىٰ أوصل إلىٰ كل شيء من ذواتهم المقدسة ومن صفاتهم العالية تعريفاً لشأنهم ما لا ينال أحد من معناه إلّا بقدر احتمال قابليته من آثار ذلك التعريف، ولاحت آثار تلك الذوات والصفات المختصة هم علىٰ هياكل ما سواهم، واستضاء كل منهما علىٰ قدر قابليته.

وهذا أحد معاني ما يأتي في شرح قوله ﷺ: «وآثاركم في الآثار، وأنفسكم في النفوس»، فانتظر، وأيضاً هذا أحد معاني قوله ﷺ: «إلّا عرفهم»، فإنه تعالىٰ عرّفهم لكل شيء بقدر ما أوصل إليهم من صفاتهم وذواتهم المقدسة، وبقدر ما احتملوها بقدر قابليتهم.

وقد يقال: المراد من عظم خطركم مرتبة تميّزهم في عالم المفاتيح، وعالم تميّز المعلومات، وعالم ذكرهم ونصيبهم من حقيقة النبوة الإلهية ومن كبر شأنهم مرتبة وجودهم المطلق أعني الولاية العامة.

وبعبارة أُخرىٰ: أن لهم مراتب من الوجود في جميع العوالم الربوبية والبرزخية والجسمانية، ولكل في كل مرتبة خطر عظيم وشأن كبير، ففي العوالم الربوبية عندهم مفاتيح الغيب كما صرّح به بعض الأحاديث، وفي خطبة البيان: «أنا مفتاح الغيب».

وفي تفسير نور الثقلين[١] وفي كتاب معاني الأخبار بإسناده إلىٰ أبي بصير قال: سألته عن قول الله عزوجل: ﴿وما تسقط من ورقة إلّا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين﴾[٢] قال: فقال: «الورقة السقط والحبة الولد وظلمات الأرض الأرحام، والرطب ما يحيىٰ واليابس ما يقبض، وكل ذلك في كتاب مبين».

وفي حديث عن العياشي ما يقرب من ذلك، وفيه بعد ذلك قال: «في إمام مبين».

ولهم مرتبة واجدية العلوم بأجمعها كما وردت أحاديث في قوله تعالىٰ: ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾[٣]، وقد تقدم بعضه، ولهم أيضاً مقام الذكر في عالم النبوة الإلهية، أي في الحقائق التي ظهرت منه تعالىٰ في النبي ﷺ ففيها ذكرهم عليهم السلام أي تحققت الحقائق فيهم أيضاً، فحقيقتهم حقيقة النبي ﷺ (سوى النبوة) كما يومئ إليه قوله تعالىٰ: ﴿وأنفسنا وأنفسكم﴾[٤].

قوله عليه السلام: «وتمام نوركم»، أي أن ما منحكم الله تعالىٰ من الصفات الحميدة والعلم والقدرة والأنوار، التي بها ظهور ولايتكم التشريعية والتكوينية، وأنكم نوره كما تقدم ودلّ عليه قوله تعالىٰ: ﴿والنور الذي أنزلنا﴾، المفسّر بعلي بن أبي طالب عليه السلام كلها تكون بنحو التمام في كلكم، أو بالنسبة إلىٰ كل واحد منكم يكون تماماً وتاماً لا نقص فيه بالنسبة إلىٰ من دونهم، فإنه فيه نقص من ذلك النور وإن وجد بعض مراتبه، وتماماً من جميع جهات الوجود المتعلق به، فهم عليهم السلام في مقام تمامية النور المفاض إليهم منه تعالىٰ.

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ١ ص٥٩٨.

٢ ـ الأنعام : ٥٩.

٣ ـ الرعد : ٤٣.

٤ ـ آل عمران : ٦١.

قوله عليه السلام: «وصدق مقاعدكم»، قد علمت أن الصدق هو جدّ الشيء وواقعه، وتقرره في صقعه أي تطابقه لما في الواقع.

وبعبارة أُخرىٰ: الصدق اسم لحقيقة الشيء حصولاً ووجوداً، فكل شيء وجد بالفعل بكل ما أمكن له حتىٰ يكون ذلك الشيء تاماً كاملاً فهو الصدق، وهذا المعنىٰ من الصدق إذا تحقق في أي أحد يلزمه أن يكون ذاته وصفاته وأفعاله وجميع شؤونه وقيامه في الدين علىٰ ما هو حقه وواقعه، وهذه الحقيقة (أعني الصدق) نور متشعشع في عالمه كالشمس يستضيء بها كل شيء يغشاها من غير نقصان علىٰ معناها.

كما عن الصادق عليه السلام وتحصيل هذا في أحد في غاية الصعوبة، ولذا قال عليه السلام «والصادق حقّاً هو الذي يصدق كل كاذب بحقيقة صدق ما لديه، وهو المعنى الذي لا يسع معه سواه أو ضده»، وهذا معنىٰ ما قلنا من أن الصدق جدّ الشيء.. إلىٰ أن قال: «وأدنىٰ حدّ الصدق أن لا يخالف اللسان القلب، ولا القلب اللسان، ومثل الصادق الموصوف بما ذكرنا كمثل النازع لروحه إن لم ينزع فماذا يصنع؟»، وهذا إشارة إلىٰ صعوبة الثبات علىٰ مقام الصدق في كل أمر كما لا يخفىٰ، وصفة الصدق في أحد لا تتحقق إلّا بعد كمال المعرفة والمحبة الموجبة لإحراق غير محبوبة، إلىٰ أن لا يصدر منه إلّا ما هو محبوب محبوبه وما هو مطلوبه.

وعلىٰ هذا فقوله عليه السلام: «وصدق مقاعدكم»، يراد منه ما توضيحه: أن للأئمة عليهم السلام مراتب شامخة في الوجود أعني بها المقامات الإلهية المشار إليها في دعاء رجب: ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مقام.

وبعبارة أُخرىٰ: انهم جالسون مجلس الأسماء الإلهية في المقامات الربوبية، وتلك المقامات صعبة جداً صعب العمل بها، والأئمة عليهم السلام صادقون في تلك المقاعد والمقامات قائمون بشؤونها، وثابتون عليها وعلىٰ ما تقتضيه تلك المقامات من العمل والاستقامة عليها، فهم في مقعد الصدق في تلك المقامات، وقد أثبتوا بحسن

أعمالهم وثباتهم صدق مقاعدهم، والله تعالىٰ عرّف الكل صدق مقاعدهم، وإن هذا مقام لا يكون لغيرهم كما لا يخفىٰ.

قوله عليه السلام: «وشرف محلكم»، أي أنّ محلكم أعني قيامكم في الأُمور بنحو المرضي له تعالىٰ في كل مرتبة قد بلغ إلىٰ غاية الشرف، الذي ينبغي لتلك المرتبة، وهي إما مرتبة الولاية التكوينية بما لها من المصاديق، أو التشريعية من التبليغ أو الأعمال من الطاعة لله علىٰ طبق مرضاته، أو المعارف التي هم محالها، فهم عليهم السلام في جميع تلك الأُمور قد بلغوا إلىٰ غاية الشرف فيها، وحازوا الرفعة والعلو والقدر العظيم في ذلك المحل.

وقوله عليه السلام: «وثبات مقامكم»، إشارة إلىٰ ثبوت هذا المحل الشريف لهم بعنايته تعالىٰ، وأنهم ثابتون فيها بمعنىٰ تقدم توضيحه في شرح قوله عليه السلام: «والمسْتقرين في أمر الله تعالىٰ»، فراجع، ولعل معناه يرجع إلىٰ قوله عليه السلام: «وصدق مقاعدكم» فإن الثبات في مقام من آثار الصدق في الكون في ذلك المقام كما لا يخفىٰ.

وقوله: «ومنزلتكم» عطف على المحل فهو بمعنىٰ واحد، إلّا أن المنزلة عبارة عن الحقيقة، التي اتّصفوا بها من كونهم عليهم السلام محلاً للمعارف ومظاهر للأسماء الحسنىٰ، فهي كالمرتبة التي رتّبهم الله فيها، والمحل اسم لظرف تلك المنزلة كما لا يخفىٰ.

وقوله عليه السلام: «وكرامتكم عليه»، أي أنه تعالىٰ جعلكم في كل رتبة من الوجود، وكل مرتبة من الكمالات والمقامات في أعلاها بحيث ليس فوقها درجة، وبهذه العطيّة بيّن للكل أنكم في معرض كرامته بحيث لا يشارككم فيها أحد، ويرادفه قوله عليه السلام: «وخاصتكم لديُه»، أي أنكم بسبب تلك الكرامات الإلهية والألطاف الربوبية منه تعالىٰ صرتم بحيث ظهر للكل أنكم من خاصّته وخواص خلقه، بحيث لا يشارككم في الرتبة أحد غيركم.

وبعبارة أُخرىٰ: أنه تعالىٰ استخلصكم من بين جميع المخلوقات؛ ولذا قال عليه السلام: وقرب منزلتكم منه، فإن هذا القرب أي قرب المنزلة هو الظاهر لكل أحد هو من

لوازم كونهم عليهم السلام من المستخلصين، ومن كونهم من خاصّته تعالىٰ، وهم عليهم السلام قد صاروا لكمال القرب إليه تعالىٰ بحيث صارت طاعتهم طاعته تعالىٰ، ومعصيتهم معصيته تعالىٰ كما تقدم، بل صاروا في القرب إلىٰ ما هو المراد من قوله: «لا فرق بينك وبينها إلّا أنهم عبادك وخلقك»، وذلك لأنه تعالىٰ جعل أنوارهم وأرواحهم في القرب منه تعالىٰ بحيث قالوا عليهم السلام: «احتجب ربنا بنا»، وقال عليه السلام: «ليس بين الله وبين حجته حجاب ولا دونه ستر».

فهم عليهم السلام بهذه الجهة صاروا معاني الله، وأبواب الله وبيوته، ومحال معرفته وصاروا مظاهر أسمائه وصفاته وحجبه، ووسائط نعمه علىٰ خلقه، وهم أيضاً مظاهر أفعاله تعالىٰ.

والحاصل: أنهم عليهم السلام بهذا القرب الحقيقي المعبّر عنه بمقام أو أدنىٰ صاروا ظهوره تعالىٰ في الخلق بالصفات والأسماء والنعم الإلهية فهو تعالىٰ ظاهر بهم؛ ولذا قال صلى الله عليه وآله: «من رآني فقد رأى الحق»، رزقنا الله تعالىٰ معرفتهم والكون معهم في الدنيا والآخرة بمحمد وآله الطاهرين.

قوله عليه السلام: *بأبي أنتم وأُمي وأهلي ومالي وأُسرتي*

أقول: «بأبي» أصله مفعول ثان لافدي، وأنتم مفعول أول، والمعنىٰ أفديكم بأبي وأُمي، وهذا الباء يسمىٰ باء التفدية حذف فعلها في الغالب، والتقدير نفديك بأبي وأُمي، وهذه العبارة تستعمل لبذل الحبيب والعزيز وقاية للأحبّ والأعزّ بحيث يفنى العزيز والحبيب عن رعاية نفسه، والمحافظة عليها في قبال الأحبة والأعزة، وهذا إذا توهم مجاوزة تغيّر الأحبّ والأعزّ أو تبدّله عما هو عليه، أو عن خصوص صفة الأحبية والأعزية.

وهذا كله إذا وجدتَ مَن ظهر بصفة حسنة جليلة كصفات محمد وآله الطاهرين، بحيث قد هان عند ظهورها لك كل جليل وعزيز عندك، فحينئذ نقول:

بأبي أنت وأُمي.. الخ، أي أفدي تغيرك عن هذه الصفات الجميلة الجليلة، أو تبدلك بغيرها مثلاً ـ والعياذ بالله ـ مما لم يستدع ميلَ قلبي إليها، أي تبدلها إلىٰ ما لا أرتضيه لكم، أو أفديك فناءَك أو فقدانك ـ والعياذ بالله ـ بأحبّ الأشياء عندي وأعزّها عليّ وهي أبي وأمي وأهلي، عشيرتي وقراباتي، والزوجات والأولاد والبنات والأصهار، وأُسرتي (بالضم) وهم رهطي الأدنون أي أفديهم وقاية لكم من كل مكروه ومحذور.

وكيف كان فهذه الجمل تستعملها العرب عند الخطاب لمن يحترمون مقامه ويعظمون إكرامه، ثم الوجه في إبراز هذه الجمل أن الزائر لما أراد خطابهم بأن يشهدوا عليهم السلام علىٰ ما انطوىٰ عليه قلبه من الاعتقاد بولايتهم، وأنهم المحبوبون له بحيث ليس محبوب أشدّ حبّاً منهم، وأراد أن يشهدوا عليهم السلام عليه بما يذكره فيما بعد من قوله: «أشهد الله وأُشدكم.. الخ»، وقد أقر بما أقرّ في الجمل السابقة أيضاً إقراراً حتمياً علىٰ جهة المعاهدة والميثاق المؤكد، وهو (أي الزائر) أيضاً قد اعتقد علوّ مقامهم بحيث استحيىٰ أن يطلب منهم عليهم السلام أن يشهدوا عليه بهذه العقائد الحقة، لأنه وإن كان معتقداً بما يقوله بعداً.

إلّا أنه حيث كان في نفسه بعض الصفات الرذيلة، فكأنه استحيىٰ أن يطلب منهم النظر إلىٰ قلبه، فيرون مع هذه العقائد الحقة تلك الصفات الرذيلة، هذا مع أنه (أي الزائر) يعلم أنهم مطلعون علىٰ ما في القلوب من العقائد الحقة فهو (أي الزائر) لهذه الأُمور قال: «بأبي أنتم.. الخ»، أي بذل وفدىٰ أعظم الأشياء عنده من نفسه وولده وأهله وماله وأُسرته لهم عليهم السلام وجعلها وقاية لهم عليهم السلام من كل مكروه ومحذور، كل ذلك ليكون قد أشهدهم علىٰ ما في نفسه من الإقرار بما يقرّ لهم، مع أنه يرىٰ نفسه في غاية الخضوع والخشوع لهم، وأنه يبذل أعزّ الأشياء لهم؛ ليقبلوا عليهم السلام منه هذه الشهادة ولا يردونه عن بابهم، بل يجعلونه مشمولاً لألطافهم الخاصة، رزقنا الله ذلك بمحمد وآله الطاهرين.

فقال: «أُشهد الله.. الخ».

فإن قلت: فلم لا يقول لله تعالىٰ: «بأبي أنت وأُمي.. الخ»، مع ان ملاك كونه مفدىٰ لما ذكر أعلىٰ، وأكبر مما فيهم عليهم السلام؟

قلت: السّر في ذلك أن التفدية إنما تصحّ لمن كان بذاته معرضاً للهلاك، أو زوال ما به من الصحة والنعمة، وإن كان محفوظاً بالعصمة وباللطف الالهي، ومن المعلوم أنه تعالىٰ ليس كذلك، فإنه تعالىٰ وإن كان أعز ممن سواه، إلّا أنه لا يحوّل، ولا يجوز التحول عما هو عليه؛ لأن ذاته المقدسة وصفاته ذاتية، فهو بما هو هو أبدي سرمدي، ومع ذلك أنا أقول: روحي ونفسي ومالي وأهلي وأُسرتي لاسمه الفداء.

وما ذكر فإنما هو بلحاظ العرف، وما هو دأب العامة من المؤمنين، وأما العاشقون له تعالىٰ فهم لا يحومون إلّا حومه، ولا يرون لأنفسهم ولما تتعلق بهم قيمة حتىٰ يفدوها له تعالىٰ، ومع ذلك فهم يبذلون أنفسهم وما هم لسماع ذكر محبوبهم، أما سمعت تفدية إبراهيم عليه السلام نفسه وولده وماله له تعالىٰ فإنه عليه السلام هيّأ نفسه لأن تحرق، وفدىٰ ولده إسماعيل، وأعطىٰ ماله لمن ذكر اسم محبوبه كما لا يخفىٰ.

قوله عليه السلام: أُشهد الله وأُشهدكم أني مؤمن بكم وبما آمنتم به، كافر بعدوّكم وبما كفرتم به

أقول: أني مؤمن بكم؛ أي بإمامتكم، ووجوب طاعتكم وفضلكم.

وقال الشارح المجلسي رحمه الله: «بأبي أنتم» أي أفديكم أبي وأُمّي، أشهد الله لما أراد مخاطبتهم بالشهادة فداهم بأبيه وأُمه، وأشهد كما هو المتعارف عند العرب، أشهد الله تعالىٰ وإياهم أنه مؤمن بهم وبجميع ما آمنوا به مجملاً وإن لم يعلم تفاصيله، كافر أي جاحد وعدو لأعدائهم كما قال تعالىٰ: ﴿**فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقىٰ**﴾[1].

---

١ ـ البقرة: ٢٥٦.

فانظر إلىٰ كلامه تعالىٰ كيف قدّم الكفر على الايمان؛ لبيان أنه ما يمكن الإيمـان بدون عداوة أعدائهم كما وردت الأخبار الصحيحة: إنه من قال: «إني مؤمن بالأئمة وليس لي شنان بالمخالفين»، إنه ليس بمؤمن بل من أعدائنا، فـإن المحبّ مـن يحب أولياء المحبوب ويبغض أعداءه.

أقول: قوله عليه السلام: «إني مؤمن بكم»، أي مؤمن بمـا أنتم عليه في المـقامات، التي أقامكم الله تعالىٰ فيها، كما تقدم في أوائل الشرح، «وبما آمنتم به» من المعارف التي أطلعكم الله تعالىٰ عليها من المعرفة به تعالىٰ بـنحو الأكـمل الأتم، الذي لا يمكـن للممكن أعلىٰ منه من معرفة الحق تعالىٰ وصفاته وأفـعاله، ومـا يـنبغي أن يـعبد بالعبادة، التي تناسب ذاته المقدسة، وما أنزله من كتبه ووحـيه، وحـقائق أنـبيائه وصفاتهم وملائكته، وأوصافهم وأقسامهم وشؤونهم علىٰ ما هم عـليه، وكـذلك صفات أوليائه وأصفيائه واتباعهم من شيعتهم، بل حقائق جميع الموجودات علىٰ ما هي عليها، فإنها بحقائقها لا يعلم بها إلّا من اختصه الله تعالىٰ بعلمه.

ولذا ورد كما قيل في الدعاء: «اللهم أرني الأشياء كما هي»، وكذلك علمهم عليهم السلام بقضائه وقدره وسرّه، وما أراد وما قدر وما قضىٰ، وما هو مخلوق بمقتضىٰ عـدله، وما بيّنه من أحكامه بما لها من المصالح.

والحاصل: أن الإيمان بهم وبمقاماتهم الظاهرة لنا بما يمكن الإيمان بها تـفصيلاً، وأما الإيمان بما آمنوا به من تلك المعارف فلا ريب في أنها كما هـي هـي، لا يمكـن لغيرهم الإيمان بها بما هي هي، فلا محالة يكون الإيمان بها مجملاً علىٰ نحو ما آمنوا به، إذ لا سبيل إلىٰ معرفتها كما هي هي، فإنها أُمور لا يمكن لغـيرهم المـعرفة بهـا تفصيلاً، كما لا يخفىٰ، وإنما أشهدهم الزائر بهذه الأُمور التي هي من حقائق الإيمـان ليشهدوا عليهم السلام له عند السؤال في القبر ويوم القيٰمة في مواقف السؤال.

بل ربما تكون شهادته هذه سبباً لأن ينظروا إليه بنظر اللطف في الدنيا والآخرة بأن يكتبوا عليهم السلام في قلبه الإيمان بنور الولاية، ويـقبل الله أعـمالهم، ويـتجاوز عـن

سيّئاتهم، ويضاعف حسناتهم، ويدفع عنه سوء القضاء والقدر، ويكتب له خيرهما وخير سائر الأُمور، وإن يكتبوه من شيعتهم وحزبهم، وأنه موصول بهم، وأخذ بحجزتهم في الدنيا والآخرة، وبالجملة أن يجعلوه في كل خير جعلهم الله فيه، ويخرجوه من كل شرّ أخرجهم الله منه.

قوله عليه السلام: «كافر بعدوكم وبما كفرتم به»، أما الكفر بعدوهم فمعناه أني جاحد لما تدعيه أعداؤكم من الأولين والآخرين مما ليس لهم، أو يدعيه مدع من أتباعهم مما اغتصبوه من مقامات غيرهم أو من أموالهم، كما اغتصبوا فدكاً من فاطمة الزهراء (سلام الله عليها وروحي لها الفداء) ومن الأعمال التي فعلوها مع أنها ليست بمرضاة الله تعالىٰ، وأما الكفر بما كفروا به، الكفر بوجود الشريك للباري تعالىٰ، وبما لا يرتضيه من المعاصي وأهلها، وما لا يجوز استنادها إليه تعالىٰ من الصفات السلبية والأفعال القبيحة، وبالجملة بكل ما لا يعلمه ولا يقول به الباري تعالىٰ.

ثم إن هذه الجملة أعني قوله: «كافر بعدوكم وبما كفرتم»، مؤكد ومحقق لقوله: «مؤمن بكم وبما آمنتم به»، بمعنىٰ أن الإيمان بهم وبما آمنوا لا يكون إلّا بالكفر بعدوهم وبما كفروا به، وهو المشار به في كلام المجلسي رحمه الله كما تقدم آنفاً، وتدل علىٰ هذا عدة من الأخبار نذكر بعضها تيمناً فنقول:

ففي البحار[1]، عن تفسير العياشي، عن أبي حمزة الثمالي، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «ياأبا حمزة إنما يعبد الله من عرف الله، وأما من لا يعرف الله كأنما يعبد غيره هكذا ضالاًّ، قلت: أصلحك الله وما معرفة الله؟ قال: يصدّق الله ويصدق محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله في موالاة علي والايتام به وبأئمة الهدىٰ من بعده، والبراءة إلى الله من عدوهم، وكذلك عرفان الله، قال: قلت: أصلحك الله أي شيء إذا عملته أنا استكملت حقيقة الإيمان؟ قال: توالي أولياء الله وتعادي أعداء الله، وتكون مع

---

١ ـ البحار ج٢٧ ص٥٨.

الصادقين كما أمرك الله، قال: قلت: ومَن أولياء الله؟ فقال: أولياء الله محمد رسول الله وعلي والحسن والحسين وعلي بن الحسين.. ثم انتهى الأمر إلينا، ثم ابني جعفر وأومأ إلىٰ جعفر وهو جالس، فمن والىٰ هؤلاء فقد والىٰ أولياء الله، وكان مع الصادقين كما أمره الله، قلت: ومن أعداء الله أصلحك الله؟ قال: الأوثان الأربعة، قال: قلت: مَن هم؟ قال: أبو الفصيل ورمع ونعثل ومعاوية ومَن دان دينهم، فمن عادىٰ هؤلاء فقد عادىٰ أعداء الله».

أقول: المراد من أبو الفصيل أبو بكر ومن رمع عمر ومن نعثل عثمان.

وفيه عن السرائر من كتاب أُنس العالم للصفواني قال: روي أن رجلاً قدم علىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فقال: ياأمير المؤمنين إني أُحبك وأحب فلاناً، وسمّىٰ بعض أعدائه فقال عليه السلام: «أما الآن فأنت أعور فإما أن تعمىٰ وإما أن تبصر».

وقيل للصادق عليه السلام: إن فلاناً يواليكم، إلّا أنه يضعف عن البراءة من عدوكم، فقال: «هيهات كذب من ادعىٰ محبتنا، ولم يتبرّأ من عدونا».

وروي عن الرضا عليه السلام أنه قال: «كمال الدين ولايتنا والبراءة من عدونا».

ثم قال الصفواني: واعلم أنه لا تتم الولاية، ولا تخلص المحبة، ولا تثبت المودة لآل محمد إلّا بالبراءة من عدوهم قريباً كان أو بعيداً، فلا تأخذك به رأفة، فإن الله عزوجل يقول: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءَهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾[1]».

وفيه[2] عن تفسير العياشي، عن سعدان، عن رجل، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾[3]، قال: «حقيق على الله أن لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبّة

---

١ ـ المجادلة : ٢٢.

٢ ـ البحار ج٢٧ ص٥٧.

٣ ـ البقرة : ٢٨٤.

من خردل من حبّهما».

أقول: أي الشيخين.

وفيه[1]، عن ثواب الأعمال بإسناده، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «من لم يعرف سوء ما أتي إلينا من ظلمنا وذهاب حقنا وما ركبنا به، فهو شريك من أتىٰ إلينا فيما ولينا به».

وفيه[2] وقال الصادق عليه السلام: «من شكّ في كفر أعدائنا والظالمين لنا فهو كافر».

أقول: لعل المراد على الظاهر فهوكافر بولايتنا المستلزم للكفر بالله وبالرسول صلى الله عليه وآله أيضاً.

وفيه عن كنز الفوائد للكراجكي بإسناده، عن سليمان الأعمش، عن جعفر بن محمد، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «ياعلي أنت أمير المؤمنين وإمام المتقين، ياعلي أنت سيد الوصيين ووارث علم النبيين، وخير الصديقين وأفضل السابقين، ياعلي أنت زوج سيدة نساء العالمين، وخليفة خير المرسلين، ياعلي أنت مولى المؤمنين والحجة بعدي على الناس أجمعين، استوجب الجنة من تولّاك، واستوجب دخول النار من عاداك، ياعلي والذي بعثني بالنبوة واصطفاني علىٰ جميع البرية لو أن عبداً عبد الله ألف عام ما قبل ذلك منه إلّا بولايتك وولاية الأئمة من ولدك، وإن ولايتك لا تقبل إلّا بالبراءة من أعدائك وأعداء الأئمة من ولدك، بذلك أخبرني جبرئيل عليه السلام فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر».

ثم إن المستفاد منها ما مرّ من أن الايمان بهم والولاية لهم والمحبة الخالصة لهم لا يكون إلّا بالبراءة من أعدائهم، والوجه فيه ما ذكره بعضهم من أن الإيمان حق، وهو لا يجامع الباطل الذي هو ولاية أعدائهم وعدم البراءة منهم، أما كون الايمان

---

١ ـ البحار ج٢٧ ص٥٥.

٢ ـ البحار ج٢٧ ص٦٢.

بهم حق، فهو ثابت بالأدلة القطعية كما لا يخفىٰ، وأما كون ولاية أعدائهم هو الباطل فلأنّ المحكي عن القمي في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿**ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم**﴾[1]، أنه قال: ذلك بأن الذين اتبعوا أعداء رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام وقال أيضاً في قوله: وآمنوا بما نزل علىٰ محمد ﷺ، أي ثبتوا على الولاية التي أنزلها الله (وهو الحق) يعني أمير المؤمنين عليه السلام.

وكيف كان فلما كان عدم البراءة من أعدائهم وولايتهم باطلاً، كانت البراءة من أعدائهم حقاً كما أن ولايتهم عليهم السلام حقّ، وهي (أي البراءة من أعدائهم) جزء الولاية الحقة الثابتة لهم.

وبعبارة أُخرىٰ: أن الولاية لهم حق، وإذا لم تنضمّ إليها البراءة من أعدائهم لزمها عدم البراءة منهم، وقد علمت أنها الباطل، ولا يجتمع الحق مع الباطل، ولا يكون جزءاً له ولا لازماً له، فثبت أن الايمان الحقيقي مركب منهما، أي من ولايتهم، ومن البراءة من أعدائهم وهو المطلوب.

ثم إن المؤمن الذي يؤمن بهم ويتبرّأ من أعدائهم، إما يؤمن مع العلم التفصيلي بمتعلق إيمانه، وإما مع العلم الاجمالي به، والثاني أيضاً كاف في الإيمان، كما هو المتراءى من كثير من العلوم، ويدل عليه ما روي فيما تقدم من قوله عليه السلام: «من أراد أن يستكمل الايمان فليقل القول مني ما قال آل محمد عليهم السلام فيما بلغني، وفيما لم يبلغني، وفيما أعلنوا، وفيما أسرّوا».

وفي بصائر الدرجات[2] بإسناده، عن المفضل بن عمر قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: باي شيء علمت الرسل أنها رسل؟ قال: «قد كشف لها عن الغطاء، قال: قلت: بأي شيء علم المؤمن أنه مؤمن؟ قال: بالتسليم في كل ما ورد عليه».

---

١ ـ محمد : ٣.

٢ ـ بصائر الدرجات ص٥٢٢.

وفيه[١] بإسناده، عن زيد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «تدري بما أُمروا؟ أُمروا بمعرفتنا والرد إلينا والتسليم لنا».

فهذا الحديث وأمثاله يدل علىٰ أن الايمان بهم وبما قالوا عليهم السلام مع العلم الإجمالي كاف في صحة الايمان، وتحقيقه موكول إلىٰ كتب الكلام.

قوله عليه السلام: مستبصر بشأنكم وبضلالة من خالفكم

أقول: عارف بدليل الحكمة والبيان، وبخطبكم الخير الجليل، وبمعرفتكم بالنورانية، وأنكم المقامات الإلهية، التي لا تعطيل لها في كل مكان وأنكم معادن كلمات الله، وأركان توحيده وآياته، وبيوت علمه وحكمه.وغيبه، وأمره وجنبه ويده، ولسانه وعينه، وأُذنه وقلبه، ووجه الكريم، وظاهره وسرّه، وأنكم بابه وخزائنه، ومفاتيح علمه، وحجبه وأولياؤه والدعاة إليه وإلىٰ دينه، وخلفاؤه في أرضه، والنذر منه إلى الخلق، وأنه فرض طاعتكم.

والحاصل: وبالجملة عارف بكل ما جعله الله تعالىٰ لكم من شؤون الولاية الإلهية، التي تقدم بعضها في الشرح.

وأيضاً عارف كذلك بضلالة مخالفيكم وأنهم الضالون المضلون؛ لأنهم باستكبارهم على الحق الظاهر لهم، صاروا حقيقة الحسد والعلوّ الموجب للإنكار والجحود، وصاروا بذلك منشأ لكل شر.

وبعبارة أُخرىٰ: أن المخالفين وإن ظهرت لهم بحسب الفطرة الإلهية حقانية الأئمة عليهم السلام إلّا أنهم باستكبارهم جحدوا مقامهم، فصاروا بذلك ضالّين مضلّين، فالمخالفون بداعي الضلالة العارضة لهم من استكبارهم جحدوا مقام الأئمة عليهم السلام وبداعي الفطرة الإلهية والهداية التكوينية استيقنتها (أي مقامات الأئمة عليهم السلام)

---

١ ـ بصائر الدرجات ص٥٢٦.

أنفسهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾[١]، وتقدّم بعض الكلام في بيان هذا الأمر.

وقد يقال: أن قوله: «مستبصر»، أي طالب للبصيرة بمعرفة أمركم وحالكم.

أقول: كما تقدم من أنه عارف بالحكمة والبيان لا عن تقليد وتخمين، بل عن علم ويقين.

قيل: وفيه إشارة إلى الاعتراف بالعجز عن ادعاء البصيرة في معرفة مرتبتهم، فإن القوة البشرية لا تطيق الإحاطة بمعرفتها إذ هم أنوار الله جلّ جلاله ومظاهر صفاته، وتمتنع الإحاطة بمعرفة كنه صفاته تعالىٰ.

أقول: يعني أن الإقرار بأني مستبصر بشأنكم.. الخ ظاهر في الإقرار الإجمالي بعلوّ مقامهم دون التفصيلي؛ لعدم إمكان الإحاطة بها، وإلّا لصرّح بها واحداً واحداً، ويدل عليه ما تقدم من قولهم عليهم السلام: «نزلونا عن الربوبية، وقولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا».

قوله عليه السلام: موال لكم ولأوليائكم، مبغض لأعدائكم ومعاد لهم

أقول: قيل: «موال لكم» أي واليتكم، وقلدت رقبتي بقلادة عبوديتكم وعبودية من وليتموه عليّ.

أقول: يعني خاضع وخاشع لكم ولأوليائكم.

وقيل: أي محبّ وصديق وناصر، ومتابع بالقلب واللسان والأركان.

وبالجملة: مظهر محبتي وولايتي لكم ولأوليائكم بجميع مصاديقها.

قوله عليه السلام: «مبغض لأعدائكم»، أي مجاوز لمن جاوزكم، أي غير محبّ لأعدائكم، فإن البغض ضد الحبّ، أي معرض قلباً عمّن أعرض عنكم، أو اتخذ

---

١ ـ النمل : ١٤.

ولياً دونكم من الشيطان، ومظاهره من طواغيت كل زمان.

وقوله عليه السلام: «معاد لهم»، أي أنكرهم ومتبرّء منهم بالقلب واللسان واليد. وبالجملة مظهر بأني عليهم لا لهم في جميع الأُمور.

قوله عليه السلام: سلم لمن سالمكم، وحرب لمن حاربكم

أقول: قد يقال: إن الايمان يتحقق بموالاة أولياء الله، ومعاداة أعدائهم، فإنه إن لم يوالهم فهو ضال، وإن والاهم مع أعدائهم فهو مشرك، وإن والي أعداءهم دونهم فهو كافر جاحد، وكيف كان فالايمان بهذا من صفات القلب وعقد القلب، ويتحقق أيضاً بالفعل، وهو بترتيب آثار تلك العقائد في الخارج ومنها قوله عليه السلام: «سلم لمن سالمكم»، أي مسالم ومواخ لهم، وحرب أي عدوّ ومحارب لمن حاربكم.

وقال الشارح المجلسي رحمه الله: إني صلح لمن صالحتم إيّاه بترك الجهاد معهم، كما في زمان الغيبة، أي لاأُجاهد حتىٰ تجاهدوهم، أو أنا محب لشيعتكم وعدوّ لأعدائكم.. الخ.

أقول: السلم هو الصلح والطاعة والاستسلام والمحبة والولاية والاسلام والمسالم.

وعلىٰ هذا فمعنىٰ أني سلم أي مصالح ومطيع ومستسلم، ومحبّ وموال ومسلّم، ومسالم لمن سالمكم أي لمن كان هكذا عمله معكم، وهذه الجملة ناظرة إلى الإيمان العملي كما تقدم، ويرجع معناه إلىٰ أني تارك الجهاد ضد مَن سالمكم المستلزم لمسالمتكم معه، وتارك للمحاجة معه ما دام سلماً لكم، أو مستعملاً التقية في مواردها الموجبة للسلم، وتاركاً المخاصمة لدفع الضرر عن شيعتكم، مادام راضياً عمّن رضي عنكم، أو مطيعاً لمن أطاعكم في موالاتكم وإن عصاني في غيرها، ومادام منقاداً لمن انقاد لكم في موالاته لكم، أو اني محبّ لمن أحبكم، كل ذلك ـ عملاً ـ الناشئ من الايمان القلبي بكم، فتكون المسالمة في جميع تلك الأمور علىٰ ما

يقتضيه الايمان القلبي، لا علىٰ ما تقتضيه المعاشرة العرفية فقط.

وعلىٰ هذا فقوله: «حرب لمن حاربكم»، معناه أني بالنسبة إلىٰ مَن حاربكم أعمل بما يقتضيه الإيمان بكم، وتفصيله ظاهر على المستبصر.

قوله عليه السلام: محقّق لما حقّقتم، مبطل لما أبطلتم

أقول: أي أعتقد أن ما حققتموه هو الحق وأنا أُحققه، أي أسعىٰ في بيان أنه حق، وأن ما أبطلتموه هو الباطل وأنا أبطله، أي أسعىٰ في بيان إبطاله، وأن هذا ثابت لديّ بالأدلة القطعية النقلية والعقلية.

أما الأول: فلما ثبت أنكم عالمون بالأُمور وبحقائقها بتعليم الله تعالىٰ لكم، فلا تجهلون شيئاً من حقائق الأشياء، وهو العلم بالأسماء الإلهية، كما سيأتي حديثه، وأنكم معصومون لا تكذبون، كما تقدم مفصّلاً في شرح قوله عليه السلام: «المعصومون»، وأنهم مسدّدون مؤيدون وناصحون وحكماء، كما قال تعالىٰ: ﴿**ومن يؤت الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً**﴾[1]، وهم أحسن مصداق لها، إلىٰ غير ذلك مما تقدم من الصفات الإلهية الثابتة لهم، الموجبة لكونهم أهل الحق ومعدنه ومأواه إلىٰ آخر ما يأتي شرحه لقوله عليه السلام: «إن ذكر الخير.. الخ».

ويدل علىٰ هذا أحاديث كثيرة نذكر بعضها فمنها:

ما في البحار[2]، عن أمالي المفيد بإسناده، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «أما أنه ليس عند أحد من الناس حقّ ولا صواب، إلّا شيء أخذوه منّا أهل البيت، ولا أحد من الناس يقضي بحق وعدل، إلّا ومفتاح ذلك القضاء وبابه وأوله وسننه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فإذا اشتبهت عليهم الأُمور كان الخطأ من قبلهم إذا أخطأوا، والصواب من قبل علي بن أبي طالب عليه السلام».

---

١ ـ البقرة: ٢٦٩.

٢ ـ البحار ج٢٦ ص١٥٧.

وفيه عن كتاب المحتضر للحسن بن سليمان نقلاً، عن كتاب حسن بن كبش بإسناده، عن يونس بن ظبيان، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال له: «يا يونس إذا أردت العلم الصحيح، فخذ عن أهل البيت فإنّا رويناه، وأُوتينا بشرح الحكمة وفصل الخطاب، إن الله اصطفانا وآتانا ما لم يؤتِ أحداً من العالمين».

ثم إن الأخبار قد تواترت من العامة والخاصة علىٰ أن «عليٌّ مع الحقّ والحقّ مع علي»، وقد عقد له باباً في غاية المرام وحجة الخصام السيد البحراني (رضوان الله تعالىٰ عليه) وذكر أحاديث الباب من الفريقين.

فمن العامة ما رواه عن كتاب فضائل الصحابة بالإسناد، عن الأصبغ بن نباتة، عن محمد بن أبي بكر، عن عايشة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «علي مع الحق والحق مع علي، لن يفترقا حتىٰ يردا عليّ الحوض».

ومن الخاصة ما رواه عن أمالي الشيخ بإسناده، عن أُمّ سلمة (رضوان الله عليها) قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول وهو آخذ بكف علي عليه السلام: «الحق بعدي مع علي عليه السلام يدور معه حيث دار».

أقول: فيستفاد منها أن الحق مع علي عليه السلام والأئمة عليهم السلام فيلزم على المعتقد بإمامتهم عليهم السلام أن يحقق ما حققوا، ويلازمه أيضاً أن يبطل ما أبطلوا، وفي بعض الأدعية مخاطباً لهم عليهم السلام: «الحق ما حققتموه، والباطل ما أنكرتموه».

وأما الثاني أعني ثبوت حقانيتهم عقلاً، والمراد به أن نورانيتهم تكون ظاهرةً في قلوب شيعتهم، فيتنورون بها من طريق عقلهم، الذي هو الحجّة والسراج الباطن لمشاهدة الأُمور الغيبية والمعنوية، وهذه المعرفة النورانية، وهي المعرفة بالنور لحقّهم وحقانيتهم الحاصلة لهم منه تعالىٰ، فإنه تعالىٰ منحهم ذلك النور، وشرح صدرهم لذلك حتىٰ شاهدوا الغيب من شؤونهم عليهم السلام التي تكون غائبة عن غير شيعتهم.

وقد علمت أن هذا ملازم للمعرفة ببطلان ما أبطلوه، وضلالة من خالفوهم،

وهو الذي منحها لهم الأئمة عليهم السلام لمّا قبلوا ولايتهم وصدّقوهم، وأقرّوا بفضائلهم وقبلوا ما قاله النبي صلى الله عليه وآله في حقهم، وهو الدليل القطعي النقلي السابق ذكره، ويدل عليه أحاديث نذكر بعضها.

في البحار[١]، عن تفسير القمي بإسناده، عن أبي خالد الكابلي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله: ﴿فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا﴾ فقال: «ياأبا خالد النور والله الأئمة من آل محمد إلىٰ يوم القيمة، هم والله نور الله الذي أنزل وهم والله نور الله في السموات والأرض، والله ياأبا خالد لنور الإمام في قلوب المؤمنين، أنور من الشمس المضيئة بالنهار، وهم والله ينورون قلوب المؤمنين ويحجب الله نورهم عمّن يشاء فتظلم قلوبهم، والله ياأبا خالد لا يحبنا عبد (ولا يتوالانا) ويتولانا حتىٰ يطهّر الله قلبه، ولا يطهر الله قلب عبد حتىٰ يسلم لنا ويكون سلماً لنا، فإذا كان سلماً لنا سلّمه الله من شديد الحساب، وآمنه من فزع يوم القيمة الأكبر».

وفيه عن الخصال بإسناده، عن أبي أيّوب الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله «لما خلق الله عزوجل الجنة خلقها من نور عرشه، ثم أخذ من ذلك النور فغرقه (فغرفه خ) (فقذفه خ) فأصابني ثلث النور، وأصاب فاطمة عليها السلام ثلث النور، وأصاب علياً عليه السلام وأهل بيته ثلث النور، فمن أصابه من ذلك النور اهتدىٰ إلىٰ ولاية آل محمد، ومن لم يصبه من ذلك النور ضلّ عن ولاية آل محمد».

وفيه عن الكافي، علي بن إبراهيم بإسناده، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل: ﴿واتبعوا النور الذي أُنزل معه﴾[٢]، قال: «النور في هذا الموضع أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام».

وفيه عن مناقب آل أبي طالب، أبو خالد الكابلي، عن الباقر عليه السلام في قوله

---

١ ـ البحار ج٢٣ ص٣٠٨.

٢ ـ الأعراف: ١٥٧.

﴿فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا﴾[١]: «ياأبا خالد النور والله الأئمة من آل محمد ﷺ قوله: (أتمم لنا نورنا) الحق بنا شيعتنا».

وفيه عن كنز جامع الفوائد بإسناده، عن كعب بن عياض، قال: طعنت علىٰ علي عليه السلام بين يدي رسول الله ﷺ فوكز في صدري، ثم قال: «ياكعب إن لعلي عليه السلام نورين: نور في السماء ونور في الأرض، فمن تمسّك بنوره أدخله الله الجنة، ومن أخطأه أدخله النار، فبشّر الناس عنّي بذلك».

أقول: فالمستفاد من هذه الأحاديث أن الشيعة إنما هم الذين محققون لما حققوه، ومبطلون لما أبطلوه بالعقل والنور القلبي، الذي هو من نور الأئمة عليهم السلام فبالمشاهدة النورانية القلبية يحققون ما حققوه، ويبطلون ما أبطلوه، وهذا النور هو المقصود من قول الصادق عليه السلام لعنوان البصري علىٰ ما رواه في الكشكول: «ليس العلم بالتعلم، بل هو نور يقع في قلب من أراد الله أن يهديه»، وهو المقصود من قوله ﷺ لأبي ذر وابن مسعود كما في البحار.

ففيه[٢]: «ياأبا ذر.إذا دخل النور القلب، انفسخ القلب واستوسع، قلت: فما علامة ذلك بأبي أنت وأمي يارسول الله؟ قال: الانابة إلىٰ دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزوله».

وفيه[٣]: «يابن مسعود فمن شرح الله صدره فهو علىٰ نور من ربّه، فإن النور إذا وقع في القلب انشرح وانفسح، فقيل: يارسول الله فهل لذلك من علامة؟ قال: نعم التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلىٰ دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزول الفوت، فمن زهد في الدنيا قصّر أمله فيها وتركها لأهلها» الحديث.

وفي المحكي عن الباقر عليه السلام (كما في شرح الزيارة في هذا الموضع) قال الباقر عليه السلام:

---

١ ـ التغابن : ٨.

٢ ـ البحار ج٧٧ ص٨١.

٣ ـ البحار ج٧٧ ص٩٣.

«ما من عبد أحبنا وزاد في حبّنا وأخلص في معرفتنا، وسأل مسألة إلّا ونفثنا في روعه جواباً لتلك المسألة».

ثم إن ما حققوه هو ما يرجع إلى التوحيد والرسالة والإمامة وما يرجع إلى المعاد وساير المعارف الإلهية والأحكام والأخلاق، وغيرها من أمور الدين، وما أبطلوه هو خلاف ذلك مما نفوه، وأخبروا ببطلانه في جميع ذلك، كما لا يخفىٰ، والحمد لله أولاً وآخراً.

قوله عليه السلام: مطيع لكم، عارف بحقّكم، مقرّ بفضلكم

أقول: في المجمع: وطاعه طوعاً من باب قال، وفي لغة من بابي باع وخاف، أي أذعن وانقاد، والطاعة اسم منه.

أقول: مطيع لكم أي مذعن ومنقاد لكم في الاعتقادات والأقوال والأعمال، وعامل بها علىٰ ما وافق رضاكم إبتغاء لمرضاتكم، لا لغاية أخرىٰ دنيوية ونفسانية.

وكيف كان فهذه الجملة تشير إلىٰ قوله تعالىٰ: **﴿ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾**[1].

ففي البحار[2]، عن العيون بإسناده، عن أبي محمد العسكري عن آبائه، عن الباقر عليه السلام قال: «أوصى النبي صلى الله عليه وآله إلىٰ علي والحسن والحسين عليهما السلام ثم قال في قول الله: **﴿ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم﴾**، قال: الأئمة من ولد علي وفاطمة إلىٰ يوم القيٰمة».

وفيه، عن بصائر الدرجات، عن هشام بن الحكم، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: **﴿أم يحسدون الناس علىٰ ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب**

---

١ ـ النساء: ٥٩.

٢ ـ البحار ج٢٣ ص٢٨٦.

والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾[1]، ما ذلك الملك العظيم؟ قال: «فرض الطاعة، ومن ذلك طاعة جهنم لهم يوم القيمة ياهشام».

وفيه، عنه، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾: «فجعلنا منهم الرسول والأنبياء والأئمة، فكيف يقرون في آل إبراهيم، وينكرون في آل محمد صلى الله عليه وآله قلت: فما معنىٰ قوله: ﴿وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾؟ قال: الملك العظيم أن جعل فيهم أئمة، من أطاعهم أطاع الله، ومن عصاهم عصى الله فهو الملك العظيم».

وفيه[2] عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت: قوله: ﴿فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب﴾ قال: «النبوة، قلت: ﴿والحكمة﴾؟ قال: الفهم والقضاء، ﴿وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾؟ قال: الطاعة المفروضة».

وفيه عن البصائر، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: ﴿فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾؟ قال: قال: «تعلم ملكاً عظيماً ما هو؟ قال قلت: أنت أعلم جعلني الله فداك، قال: طاعة والله مفروضة».

وفيه عن تفسير العياشي، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم﴾[3]، قال: «هي في علي وفي الأئمة جعلهم الله مواضع الأنبياء، غير أنهم لا يحلون شيئاً ولا يحرمونه».

وفيه عنه، عن حكيم قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك أخبرني من أُولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم؟ فقال لي: «أُولئك علي بن أبي طالب والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر انا عليهم السلام فأحمدوا الله الذي عرفكم أئمتكم وقادتكم حين جحدهم الناس».

---

١ ـ النساء: ٥٤.
٢ ـ البحار ج٢٣ ص٢٨٧.
٣ ـ النساء: ٥٩.

وفيه، عنه، عن زرارة، عن أبي جعفر ﷺ قال: «ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأنبياء، ورضا الرحمن الطاعة للإمام بعد معرفته».

ثم قال: إن الله يقول: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾.. إلىٰ: ﴿حفيظاً﴾ «أما لو أن رجلاً قام ليله وصام نهاره، وتصدق بجميع ماله، وحجّ جميع دهره، ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه، ويكون جميع أعماله بدلالة منه إليه، ما كان له على الله حقّ في ثوابه، ولا كان من أهل الإيمان.

ثم قال: أُولئك المحسن منهم يدخله الله الجنة بفضله ورحمته».

وفيه عن تفسير الفرات: عبيد بن كثير معنعناً، أنه سأل جعفر بن محمد عن قول الله تعالىٰ: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم﴾[1]؟ قال: «أُولي الفقه والعلم، قلنا: أخاص أم عام؟ قال: بل خاص لنا».

أقول: فقوله: «مطيع لكم»، أي أُطيعكم امتثالاً لقوله تعالىٰ: ﴿وأولي الأمر منكم﴾ علىٰ أن طاعتهم طاعة الرسول ﷺ وطاعة الله تعالىٰ كما تقدم، وإنما وجبت طاعتهم لما ذكر من الآيات والأحاديث، ولما يأتي من شرح قوله ﷺ: «عارف بحقكم» حيث إنه يعلم أن حقهم الثابت لهم منه تعالىٰ يقتضي اطاعتهم، ثم إنه يجب إطاعتهم في الأصول والفروع والمعارف، وكل ما أخبروا به وأمروا به، وذلك لقوله تعالىٰ أيضاً: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[2]، وحيث إن مقامهم مقام الرسول الأعظم ﷺ سوى النبوة، فلا محالة ثبت لهم جميع ما ثبت له ﷺ كما لا يخفىٰ.

وأما قوله ﷺ: «عارف بحقكم».

أقول: المراد من حقهم هو مقام إمامتهم وخلافتهم للرسول الأعظم، وكونهم ﷺ أوصياء الرسول الأعظم، وكونهم كنفس الرسول ﷺ في وجوب

---

١ ـ النساء: ٥٩.

٢ ـ الحشر: ٧.

الطاعة والمتابعة في جميع الأُمور الدينية ما سوى النبوة، ويدل علىٰ هذا أحاديث.

في البحار[١]، الأصبغ: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «ويل لمن جهل معرفتي، ولم يعرف حقي، ألّا إن حقّي هو حق الله ألّا إن حقّ الله هو حقي».

وفيه[٢]، عن كتاب بشارة المصطفىٰ بإسناده، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام ولاية الله عزوجل، وحبّه عبادة الله، واتباعه فريضة الله، وأولياؤه أولياء الله، وأعداؤه أعداء الله، وحربه حرب الله، وسلمه سلم الله عزوجل».

وفيه عن كشف الغمة، عن أبي أيوب الأنصاري، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: لعمار بن ياسر: «تقتلك الفئة الباغية، وأنت مع الحق والحق معك، ياعمار إذا رأيت علياً سلك وادياً، وسلك الناس وادياً غيره، فاسلك مع علي، ودع الناس، إنه لن يدليك في ردىٰ، ولن يخرجك من الهدىٰ، ياعمار إنه من تقلّد سيفاً أعان به علياً علىٰ عدوّه، قلّده الله تعالىٰ يوم القيمة وشاحاً[٣] من درّ، ومن تقلّد سيفاً أعان به عدوّ علي، قلّده الله تعالىٰ يوم القيمة وشاحاً من نار».

وفيه عن كتاب الروضة والفضائل بالإسناد إلىٰ حسين بن سعيد الساعدي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله يبغض من عباده المائلين عن الحق، والحق مع علي وعلي مع الحق، فمن استبدل بعلي غيره هلك وفاتته الدنيا والآخرة».

وفيه عن كشف الغمة، عن كتاب كفاية الطالب، عن أبي ليلى الغفاري، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «ستكون بعدي فتنة، فإذا كان ذلك، فالزموا علي بن أبي طالب، فإنه أول من يراني، وأول من يصافحني يوم القيمة، وهو معي في السماء العليا، وهو الفاروق بين الحق والباطل».

---

١ ـ البحار ج٣٨ ص٢٩.
٢ ـ البحار ج٣٨ ص٣١.
٣ ـ شبه قلادة.

قال: هذا حديث حسن عال رواه الحافظ في أماليه.

أقول: ونظائر هذه الروايات كثيرة جداً، فكون الحق مع علي عليه السلام مما رواه الفريقان عنه صلى الله عليه وآله ودلّ عليه الأحاديث الكثيرة في الأبواب الكثيرة من الروايات الواردة في أبواب الولاية وشؤونها، كما لا يخفىٰ على المتتبع، ثم إن معنى الحق الذي له عليه السلام قد يتبادر منه مقام الامامة والولاية الثابتة له عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وهو كذلك، وهو المقصود الأولي للنبي صلى الله عليه وآله في بيانه صلى الله عليه وآله في تلك الأحاديث، فإنه من اعتقد بما قاله صلى الله عليه وآله واعترف به فهو من أهل النجاة، ومن هنا يفتح له باب الهدايات والمعارف الإلهية بواسطة متابعته للأئمة عليهم السلام.

وقد يفسّر هذا المقام بما يرجع إلىٰ أمور أربعة:

الأول: معرفة مقاماتهم التي رتبهم الله تعالىٰ فيها، وهي المقامات، التي لا تعطيل لها في كل مكان، كما في دعاء الحجة (عج) وهي في نفسها غامضة لا يعرفها إلّا من عرفوها له، ومعنىٰ معرفتها هو أنه يعرف أنه تعالىٰ لا يعرف إلّا بهم عليهم السلام بلحاظ أن هم تلك المقامات الإلهية.

وإلىٰ هذا يشير قولهم عليهم السلام: «من عرفهم فقد عرف الله».

وقولهم عليهم السلام: «من عرفنا فقد عرف الله».

وقولهم عليهم السلام: «من لم يعرفنا لم يعرف الله».

وقول علي عليه السلام: «نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلّا بسبيل معرفتنا»، ومعرفتهم بأنهم الأنوار الإلهية هي معرفته تعالىٰ، كما قال علي عليه السلام: معرفتي بالنورانية معرفة الله، ومعرفة الله معرفتي بالنورانية»، وقد تقدم هذا كله، وسيأتي فيما يأتي إن شاء الله.

الثاني: معرفة أنهم عليهم السلام معانيه، كما تقدم عن السجاد عليه السلام: «نحن معانيه»، وقوله: «نحن مظاهره فيكم».

وحاصله: أنه يعرف أنهم عليهم السلام علمه تعالىٰ وقدرته وحكمه، وأمره وعدله،

وعينه وأذنه ولسانه، وقلبه ووجهه، ونوره ويده وعضده، وكتابه وخزائنه، ومفاتيح خزائنه، وعيبة علمه، وأسرار غيبه ومحال مشيته، وألسنة إرادته وصفاته العليا وأسماؤه الحسنىٰ، ونعمه التي لا تحصىٰ وأنهم مظاهر إبداعاته تعالىٰ واختراعاته، إلىٰ غير ذلك مما تقدم في مطاوي الشرح بيانه وأحاديثه.

ثم إنهم عليهم السلام إنما يعلم أنهم معانيه هكذا من المشاهدة والملاحظة في عباداتهم ودعواتهم، وأذكارهم وأفكارهم، واعتباراتهم ووجدانياتهم، ووجدانهم وحقائقهم، التي هم بها موجودون، فإذا عرف أحد حقهم بهذه الأمور، فله آثار وبهجة ولذة ومعرفة، توجب أنه إذا أراد أن يتوجه إليه تعالىٰ يتوجه إليه بهم، ويخاطبهم في حوائجه ويناجيهم، كيف لا وهم مظاهره تعالىٰ بهذه الأمور؟ فالداعي يدعوه تعالىٰ عن طريق مظاهره تعالىٰ، وسيأتي لهذا مزيد شرح في قوله عليه السلام: «ومن قصده توجّه بكم».

الثالث: معرفة أنهم عليهم السلام أبوابه تعالى التي منها يؤتىٰ في العبادات والدعوات والمناجاة، وهي طريق قبول العبادات والأعمال الصالحة، كما علمت أن هذا أثر معرفة كونهم عليهم السلام معانيه، وتقدم في معنىٰ وأبواب الإيمان أنهم عليهم السلام كما هم الأبواب إليه تعالىٰ للعباد في الرجوع إليه تعالىٰ بالعبادات وغيرها، كذلك هم عليهم السلام الأبواب فيما ينزل منه تعالىٰ، ويؤتيه لعباده من خلق ابتدائي أو بقاء ورزق وحيوٰة وممات في جميع شؤونهم (أي شؤون العباد مما يرجع إلىٰ ذواتهم وشهادتهم وغيبهم، وأفعالهم وأحوالهم وأقوالهم، وما منه صادرون، وما إليه راجعون وصائرون، فإنها كلها تكون منهم عليهم السلام وهم أبوابه.

والحاصل أنهم عليهم السلام الأبواب بمعنىٰ أنه لا يخرج من الخزائن الإلهية خارج، ولا يصعد إليها صاعد إلّا بهم ومنهم كما لا يخفىٰ.

الرابع: معرفة ظاهر إمامتهم وولايتهم، ومعنىٰ معرفتهم لهم في هذه المرتبة أنه يعرف ويعلم أنه يجب إطاعتهم، والاقتداء بهم، والرد إليهم في موارد الاختلاف،

والأخذ عنهم والتسليم لهم، وتفضيلهم علىٰ من سواهم، وأن لا يساوي بهم غيرهم لا في نسبهم ولا حسبهم ولا في علمهم، ولا شجاعتهم ولا كرمهم، ولا تقواهم ولا زهدهم ولا صلاحهم، ولا ديانتهم ولا عبادتهم، ولا إخلاصهم ولا قرب منزلتهم إليه تعالىٰ، ولا من شيء من محاسن الأحوال والأفعال ومكارم الأخلاق، وكذلك لا يساوي بهم غيرهم في هذه الأمور حتىٰ من نحو نبي مرسل أو ملك مقرب أو مؤمن امتحن الله قلبه للايمان.

بل يعلم ويعرف أن كل ما نسب إلىٰ غيرهم من هؤلاء، وغيرهم من سائر أولياء الله من المحاسن والمكارم والصفات الحميدة، فإنما هو ذرّة من تيّار بحر متلاطم ممّا آتاهم الله تعالىٰ من الفضائل، كيف لا وقد تقدم قول أبي الحسن عليه السلام في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ما نفدت كلمات الله﴾[1]، «ونحن كلمات الله التي لا تدرك فضائلنا ولا تستقصىٰ».

وبعبارة أُخرىٰ: أن حقهم والمعرفة به هو أن يعتقد أنهم أولياء الله تعالىٰ علىٰ جميع خلقه، وأوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله وأوصياؤه علىٰ أُمته والقوام بدينه بعده، وحفظة شريعته، القائمون مقامه في كل شيء أقامه الله تعالىٰ فيه لخلقه ما عدا النبوة، وهذا مسلم من عدة أحاديث لا تحصىٰ، كما لا يخفىٰ علىٰ أحد.

وأما قوله عليه السلام: «مقرّ بفضلكم»، فنقول:

أي لا أردّ ما ورد فيكم، وإن لم يحتمله عقلي القاصر، ولم يصل إليه فكري الفاتر، بل أعتقد أنه حق وهكذا في قوله: محتمل لعلمكم، وقد يقال: إنه كما أنا نعتقد قلباً بفضائلكم، فكذلك نقرّ باللسان بها وذلك لوجوب إظهار ما يضمره القلب، فالعارف بحقهم يقرّ بلسانه أيضاً بها في قبال المنكرين، والمظهرين إنكارهم بلسانهم، وأما الفضل فهو يشمل جميع ما اختصهم الله تعالىٰ به من المكارم والمعارف الباطنية والظاهرية، التي هذه الزيارة شارحة لها، وهذا الشرح شرح لها

---

١ ـ لقمان: ٢٧.

بعونه وتوفيقه.

وقد يقال: حيث إن فضائلهم متفاوتة، فبعضها مما يعرفه عوام الشيعة أيضاً كالأمر الرابع السابق في معنىٰ حقهم، وبعضها لا يعرفها إلّا الخواص من الشيعة كالمعنى الثالث المتقدم، فإن معرفة كونهم أبوابه بما فسّرناها، لا يتعقّله إلّا الخواص كما لا يخفىٰ، وبعضها لا يعرفها إلّا الحواريون والخواص من شيعتهم، فإن كونهم عليهم السلام معاني الله، كما في كلام السجاد عليه السلام وكما أشرنا إليه لا يكاد يصل إليه إلّا الكمّل من شيعتهم كما لا يخفىٰ، وبعضها لا يعرفه إلّا ذواتهم المقدسة أو من شاءوا كما تقدم في حديث أبي الصامت من قوله: «فمن يحتمله»؟ قال عليه السلام: «نحن»، وفي حديث قال عليه السلام: «أو من شئنا».

وذلك من حقيقتهم النورانية التي هي المظهر الأتم لذاته المقدسة بجميع الشؤون الإلهية في عالم الوجود، التي هي حقيقة ولايتهم الإلهية التكوينية والتشريعية، كما تقدم في صدر الشرح، فهذه المرتبة التي رتبهم الله فيها ليس لأحد فيها مطمع ولا مدخل، إلّا من شاءُوا أن يذيقوه ببعضها، كما ورد في حق جبرئيل وبعض حوارييهم.

وكيف كان فقول الزائر: «مقرّ بفضلكم»، معناه أني وإن لم أكن ممن وصل إلىٰ معرفة تلك المقامات إما للقصور أو التقصير، إلّا أني مقرّ بها ولا أنكرها، وهذا منتهىٰ مرحلة الإيمان بهم فما فوقه، إلّا مرحلة المعرفة والمشاهدة، التي هي فوق مرتبة الايمان كما لا يخفىٰ، وهنا كلام وحاصله: أن الإقرار باللسان عنوان للإقرار القلبي، أي أني كما أقرّ باللسان أقرّ بالقلب بفضلكم، وحينئذ معنى الإقرار القلبي بفضائلهم، الذي يدل علىٰ أنه لا يمكن الوصول بحقيقة فضائلهم ولو من الكمّلين كما هو ظاهر إطلاق الجملة، ثم إنه لماذا لا يمكن المعرفة القلبية بفضائلهم للكمّلين؟ فنقول:

قد ثبت في محله أن المعبود الحق جل وعلا إنما يدعىٰ ويعبد ويسبّح بما أمر من

أسمائه قال تعالىٰ: ﴿ولله الأسماء الحسنىٰ فادعوه بها﴾[١]، وفي تفسير نور الثقلين[٢] نقلاً عن أُصول الكافي، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل: ﴿ولله الأسماء الحسنىٰ فادعوه بها﴾، قال: «نحن والله الأسماء الحسنى، التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلّا بمعرفتنا».

فهم عليهم السلام أسماؤه تعالىٰ وحيث علمت أن المراد منها الأسماء المعنوية، التي تكون الألفاظ اسماً لها، فحينئذ معنىٰ أنهم أسماؤه تعالىٰ أنه تعالىٰ ظهر بهم، أي أنه تعالىٰ بفعله الذي هو حقائقهم عليهم السلام ظهر في الخلق وقضىٰ قضيّته فيهم بهم عليهم السلام فمفهوم الألفاظ هو تلك الحقائق، التي هي الأسماء الحسنىٰ، والتي هي حقائقهم عليهم السلام، ومعنىٰ قوله عليه السلام: «لا يقبل الله من العباد عملاً إلّا بمعرفتنا» كان تفسيراً لقوله تعالىٰ: ﴿فادعوه بها﴾[٣]، وإن كان ذاته المقدسة من حيث هي وجوب بحت لا اسم لها ولا رسم، فهي بتلك الحقيقة الحقة تكون مقصودة في العبادة من الخلق كائناً من كان، إلّا أنه لا طريق إليها بالتوجه إليها إلّا من طريق الأسماء، التي عرف نفسها للخلق بها وتلك الأسماء هم عليهم السلام، فحينئذ فالمعبود هو ذاته المقدسة إلّا عن طريق أسمائه لا غير، وإنما خلق الأسماء لغيره، وليعبدوه بها حيث لا طريق إلى الذات إلّا بها.

ففي توحيد الصدوق[٤] عن أبي سنان قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام هل كان لله عارفاً بنفسه قبل أن يخلق الخلق؟ قال: «نعم، قلت: يراها ويسمعها؟ قال: ما كان الله محتاجاً إلىٰ ذلك، لأنه لم يكن يسألها ولا يطلب منها هو نفسه، ونفسه هو قدرته نافذة، وليس يحتاج أن يسمي نفسه، ولكن اختار لنفسه أسماء لغيره يدعوه

---

١ ـ الأعراف: ١٨٠.

٢ ـ تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ١٠٣.

٣ ـ الأعراف: ١٨٠.

٤ ـ توحيد الصدوق ص ١٩١.

بها؛ لأنه إذا لم يدع باسمه لم يعرف، فأول ما اختار لنفسه العلي العظيم؛ لأنه أعلى الأشياء كلها، فمعناه الله واسمه العلي العظيم هو أول أسمائه؛ لأنه علاٰ علىٰ كل شيء».

قوله عليه السلام: «ما كان محتاجاً إلىٰ ذلك»، كان السائل توهم أن له تعالىٰ نفساً كالانسان فأزال عليه السلام وهمه بأنه ليس كذلك، بل هو نفسه ونفسه هو لا تجزئة ولا اختلاف جهات فيه تعالىٰ، فلا يراها ولا يسمعها رؤية وسمعاً يوجبان صحة السؤال والطلب، كما هو شأن الرؤية والسمع بين شيئين، كما في الانسان فهو وجود بحت لا تجزئة فيه، فلا يقع فيه بذاته سؤال منه عنه بل قدرته نافذة فيما شاء، وليس يحتاج أن يسمي نفسه كما في الانسان حيث يكون له حديث النفس لمكان التجزية والتركيب، فهو تعالىٰ من حيث ذاته لا يحتاج إلىٰ أسماء يدعو بها نفسه، فإنه لو كان كذلك لاستلزم التركيب في نفسه وهو باطل بالضرورة كما حقق في محله.

ثم إنه عليه السلام رتّب علىٰ هذا المعنىٰ قوله عليه السلام: «ولكن اختار لنفسه أسماء لغيره يدعوه بها».

وحاصله: أنه لما لم يكن للذات البحت إسم ولا رسم من حيث هي هي، فلا طريق إليه، فلو خلق الخلق واستعبدهم، ولم يجعل لهم طريقاً إلىٰ عبادته؛ لسقط عنهم التكليف بالعبادة، وحيث إنه تعالىٰ شاء ذلك فاختار لنفسه أسماء لغيره، أي الأسماء الحسنى التي هي حقيقة محمد وآله الطاهرين (لغيره يدعوه بها) أي جعل لهم طريقاً إلىٰ عبادته ودعائه للخلق يدعوه بها فقال تعالىٰ: ﴿فادعوه بها﴾.

ففهم من ذلك كله أنه لا طريق إلىٰ عبادته إلّا بتلك الأسماء، وإليه يشير قوله عليه السلام: «لأنه إذا لم يدع باسمه لم يعرف»، أي لم يعبد لأن العبادة كما تقدم فرع المعرفة، وهذا معنىٰ قوله عليه السلام: «نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله عملاً إلّا بمعرفتنا».

فظهر مما ذكر أنهم عليهم السلام الأسماء الحسنى المخلوقة، أي هي أفعاله تعالىٰ ظهرت بظهور حقائقهم عليهم السلام فهم حينئذ معاني أفعاله تعالىٰ ومتعلق أوامره ونواهيه حيث

قال: ﴿فادعوه بها﴾، فقد أمر أن نعبده بهم وندعوه بهم، فالمعبود هو ذاته المقدسة البحت البسيط حيث إنه لا يعقل ولا يتوهم ولا يحدد.

ففي توحيد الصدوق[١] عن عبدالرحمن بن أبي نجران قال: سألت أبا جعفر الثاني عليه السلام عن التوحيد فقلت: أتوهم شيئاً؟ فقال: «نعم غير معقول ولا محدود، فما وقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه، ولا يشبهه شيء، ولا تدركه الأوهام، كيف تدركه الأوهام وهو خلاف ما يعقل، وخلاف ما يتصور في الأوهام إنما يتوهم شيء غير معقول ولا محدود».

فقوله عليه السلام: «نعم غير معقول ولا محدود»، يشير إلىٰ أنه لابد من عبادة الذات المقدسة، لكن لا بما يعقله ويحدده، بل يتوهم أنه موجود بنفسه في نفسه وبين وجهه بقوله عليه السلام: «كيف تدركه الأوهام.. الخ»، ثم بين أنه وإن لم يعقل بالعقل، ولم يحدد بالتحديد، إلّا أنه إنما يتوهم غير معقول ولا محدود، بل إنما يعرف بما وصف به نفسه من تلك الأسماء الحسنىٰ، وجعلها طريقاً إلىٰ معرفته، وأنه ليعرف بها.

والحاصل أن الذات البحت لا طريق إليها أبداً، وإنما يعبد بما هو هو معروف بتلك الأسماء، التي عرف بها نفسه ووصفها بها، وإلىٰ هذا يشير ما في التوحيد[٢] في حديث هشام بن الحكم الطويل فراجعه فإنه نفيس جداً وفي ذيله قال السائل فما هو؟ قال أبو عبدالله عليه السلام: «هو الرب وهو المعبود وهو الله، وليس قولي: الله، إثبات هذه الحروف الف لام هاء، ولكن ارجع إلىٰ معنىٰ، هو شيء خالق الأشياء وصانعها، وقعت عليه هذه الحروف، وهو المعنى الذي يسمىٰ به الله والرحمن والرحيم والعزيز وأشباه ذلك من أسمائه، وهو المعبود جلّ وعزّ، الحديث.

قوله عليه السلام: «وهو المعنى الذي يسمىٰ به الله»، وفي نسخة: وهو المعنى الذي سمّي به الله، معناه أن مداليل لفظ الله والرحمن والرحيم وغيرها من المعاني هو المعنى

---

١ ـ توحيد الصدوق ص١٠٦.
٢ ـ التوحيد ص٢٤٣.

الذي يسمىٰ به الله أي ذاته البحت المقدسة، وهو من حيث هو سمي بهـذه الأسماء المعبود جلّ وعزّ.

فظهر أن ذاته تعالىٰ يعبد لا غير، لكن بما هو سمي بهذه الأسماء، وهذه الأسماء هي حقائقهم عليهم السلام، ولا ريب أن الوصول إلىٰ حقيقة هذه المعارف، وهذا الأمر صعب جداً، كما أُشير إليه في الأحاديث الكثيرة من قولهم عليهم السلام: «إن أمرنا صعب مستصعب وأمرنا لا يحد»، كما تقدم في صدر الشرح، فحينئذ معنىٰ مقرّ بفضلكم أي أني وإن لم أصل إلىٰ فهمها إلّا أني مقرّ لساناً وقلباً بها عملاً بقوله تعالىٰ: **﴿فلا وربّك لا يؤمنون حتىٰ يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلّموا تسليماً﴾**[1].

ومما ذكرنا ظهر أنه لم يكن لأحد الوصول إلىٰ فضائلهم إلّا بمعرفتهم وأن هذه المعاني من حمولة الرب التي لا يحملها غيرهم، ولهذا الكلام عرض عريض في محله والحمد لله.

قوله عليه السلام: محتمل لعلمكم، محتجب بذمتكم، معترف بكم.

أقول: يقع الكلام في مواقع ثلاثة:

الموقع الأول: في بيان قوله عليه السلام: محتمل لعلمكم، فنقول:

احتمال العلم قد يراد منه التصديق به وإن لم يصل إلىٰ حقيقته العقل، فالمحتمل يروي أحاديث علومهم وإن لم يفهم معانيها، حينئذ فمعنىٰ محتمل لعلمكم أي أني أعلم وأعتقد أنه حق، وإن لم أعقله بحقيقته، ولا ريب في أن إنكار ما ورد عنهم شرك به تعالىٰ.

ويدل علىٰ هذا ما في الكافي باب التسليم، وفضل المسلّمين بإسناده، عن سدير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إني تركت مواليك متخلفين يتبرأ بعضهم من بعض قال:

---

١ ـ النساء: ٦٥.

فقال: «وما أنت وذاك إنما كلف الناس ثلاثة، معرفة الأئمة والتسليم لهم فيما ورد عنهم، والردّ إليهم فيما اختلفوا فيه».

وفيه بإسناده عن عبدالله الكاهلي قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «لو أن قوماً عبدوا الله وحده لا شريك له، وأقاموا الصلوة، وآتوا الزكوة، وحجوا البيت، وصاموا شهر رمضان، ثم قالوا لشيء: صنعه الله أو صنعه رسول الله صلى الله عليه وآله ألّا صنع خلاف الذي صنع، أو وجدوا ذلك في قلوبهم؛ لكانوا بذلك مشركين، ثم تلا هذه الآية: **﴿فلا وربّك لا يؤمنون حتىٰ يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلّموا تسليماً﴾**، ثم قال أبو عبدالله عليه السلام: عليكم بالتسليم».

وفيه عن يحيىٰ بن زكريا الأنصاري، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: «من سرّه أن يستكمل الايمان كلّه فليقل القول مني في جميع الأشياء قول آل محمد، فيما أسرّوا وما أعلنوا وفيما بلغني عنهم وفيما لم يبلغني».

أقول: الاحتمال بهذا المعنىٰ وهو التسليم والتصديق بعلومهم يشير إلىٰ ما ورد عنهم عليهم السلام من أن علمهم صعب مستصعب وهو علىٰ أقسام:

منها: ما لا يحتمله إلّا أنفسهم الشريفة فقط.

ومنها: ما يحتمله من شاءُوا.

ومنها: ما لا يحتمله إلّا ملك مقرب أو نبيّ مرسل أو مؤمن امتحن قلبه للإيمان.

ويشير إلى القسم الأول والثاني ما روي عن بصائر الدرجات مسنداً عن أبي الصامت قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إن من حديثنا ما لا يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولا عبد مؤمن، قلت: فمن يحتمله؟ قال: نحن نحتمله».

أقول: هذا يشير إلى القسم الأول، وفي بعضها: قلت: فمن يحتمله جعلت فداك؟ قال: «من شئنا».

أقول: هذا يشار به إلى القسم الثاني.

وفي البصائر أيضاً عن المفضل قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «إن حديثنا صعب

مستصعب ذكوان أجرد ولا يحتمله ملك مقرب ولا نبيّ مرسل ولا عبد امتحن الله قلبه للإيمان»، أما الصعب فهو الذي لم يركب بعد، وأما المستصعب فهو الذي يهرب منه إذا رئي، وأما الذكوان فهو ذكاء المؤمنين، وأما الأجرد فهو الذي لا يتعلق به شيء من بين يديه ولا من خلفه وهو قول الله: ﴿الله نـزّل أحسن الحديث﴾[1]، فأحسن الحديث حديثنا، ولا يحتمل أحد من الخلائق أمره بكماله حتىٰ يحدّه؛ لأنه من حدّ شيئاً فهو أكبر منه والحمد لله على التوفيق. والإنكار هو الكفر.

وقال المجلسي ﷺ: وقال في بصائر الدرجات: قال عمير الكوفي: معنىٰ «حديثنا صعب لا يحتمله ملك مقرب أو نبي مرسل» فهو ما رويتم: أن الله تبارك وتعالىٰ لا يوصف، ورسوله لا يوصف، والمؤمن لا يوصف، فمن احتمل حديثهم فقد حدّهم، ومن حدّهم فقد وصفهم، ومن وصفهم بكمالهم فقد أحاط بهم، وهو أعلىٰ منهم، وقال: نقطع عمن دونه فنكتفي بهم؛ لأنه قال: صعب علىٰ كل أحد حيث قال: صعب فالصعب لا يركب ولا يحمل عليه؛ لأنه إذا ركب وحمل عليه فليس بصعب.

أقول: وحاصله: إنه حيث إنه لا يمكن لأحد حدّهم ووصفهم بكمالهم؛ لاستلزامه ذلك أن يكون أعلم منهم وهو كما ترىٰ، فلا محالة لا يمكن احتمال حديثهم.

وبعبارة أُخرىٰ: كما ذكره بعض الأعاظم أن تحديد الخلائق أحاديثهم إنما هو بما هم من الظرفية المحدودة الكائنة هم مهما كانوا، فيصير لا محالة ما يحدّدونه محدوداً بحدود ظرفيتهم، مع أنه أمرهم وحديثهم هذا غير محدود بحد كما قال ﷺ ولا يحتمل أحد من الخلائق أمره بكماله حتىٰ يحده؛ لأنه من حدّ شيئاً فهو أكبر منه.

وَبعبارة أُخرىٰ: أن أمرهم وحديثهم خارج عن حدود الإمكان إذ هو مقامهم من الله سبحانه حيث لا يحده حدّ وهو الولاية المطلقة الإلهية العامة الشاملة

---

١ ـ الزمر: ٢٣.

للولاية التكوينية والتشريعية المفسّرة في محلها وقد تقدم في صدر الشرح بيانها إجمالاً.

وأما ما في الكافي مسنداً، عن بعض أصحابنا قال: كتبت إلىٰ أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام: جعلت فداك ما معنىٰ قول الصادق عليه السلام: «حديثنا لا يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للايمان»؟ فجاء الجواب: «إنما معنىٰ قول الصادق عليه السلام أي لا يحتمله ملك ولا نبي ولا مؤمن، إن الملك لا يحتمله حتىٰ يخرجه إلىٰ ملك غيره، والنبي لا يحتمله حتىٰ يخرجه إلىٰ نبي غيره، والمؤمن لا يحتمله حتىٰ يخرجه إلىٰ مؤمن غيره فهذا معنىٰ قول جدي عليه السلام».

فمعناه أن أحاديثهم لها سورة الحلاوة الشديدة بحيث يصعب على الملك أو النبي أو المؤمن الصبر عليه فيخرجه إلىٰ غيره؛ ليستريح وتسكن سورة الحلاوة، ثم إن المخرج إليه إن كان أقوىٰ تحملاً من المخرج (بالكسر) صبر عليه، وإلّا أخرجه إلىٰ غيره أيضاً، إلىٰ أن يصل إلى القوي المحتمل، ولا يلزم من ذلك إخراجه إلىٰ غير أهله.

أقول: ظاهر الحديث من قوله عليه السلام: «لا يحتمله»، أنه لا يصل إلىٰ كنهه، ولكنه لمكان الايمان به والالتذاذ به لا يصبر عليه لمكان إيمانه والالتذاذ به، فيحبّ أن يخرجه إلىٰ غيره ليلتذّ به أيضاً، وهذا لا ينافي عدم معرفته، لكنه معنى الحديث كما لا يخفىٰ والله العالم، وهذا كله مما يجب على المسلم أن يصدقه ويسلم له ولا ينكره كما قال عليه السلام: «والإنكار هو الكفر».

وأما القسم الثاني: «أي الذي يحتمله من شاءُوا عليهم السلام»: فهذا قسم خاص من معارفهم، التي لا يصل إلىٰ فهمها إلّا من تلطّفوا عليه وترحّموا عليه بتنوير قلبه للقابلية لاحتمال حديثهم، وذلك مثل سلمان وأبي ذر والحواريين من أصحابهم.

في بصائر الدرجات مسنداً، عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر، عن أبيه عليه السلام قال: ذكرت التقية يوماً عند علي بن الحسين عليه السلام، فقال عليه السلام: «والله لو علم أبو ذر ما

في قلب سلمان لقتله، وقد آخىٰ بينهما رسول الله ﷺ فما علّمه سلمان من تلك العلوم التي شاءُوا أن يحتمله سلمان».

وفي الخبر: أن أبا جعفر عليه السلام حدث جابراً بأحاديث وقال: «لو أذعتها فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين».

ومثله عن المفضل، عن أبي جعفر عليه السلام «وأمره أن يدلي رأسه في الحفرة فيحدثها ولا يحدث غيره».

وفي مرآة العقول عن الكشي بإسناده، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: دخل أبو ذر علىٰ سلمان وهو يطبخ قدراً له، بينا هما يتحدثان إذ انكبت القدر علىٰ وجهها على الأرض، فلم يسقط من مرقها ولا من وركها[1] فعجب من ذلك أبو ذر عجباً شديداً، وأخذ سلمان القدر فوضعها علىٰ حالها الأول على النار ثانية، وأقبلا يتحدثان، فبينا هما يتحدثان إذ انكبت القدر علىٰ وجهها، فلم يسقط منها شيء من مرقها ولا وركها، قال: فخرج أبو ذر وهو مذعور من عند سلمان، فبينا هو متفكر إذ لقي أمير المؤمنين عليه السلام على الباب، فلما أن بصر به أمير المؤمنين عليه السلام قال له: «ياأبا ذر ما الذي أخرجك من عند سلمان، وما الذي ذعرك؟ فقال أبو ذر: ياأمير المؤمنين رأيت سلمان صنع كذا وكذا فعجبت من ذلك.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ياأبا ذر إن سلمان لو حدّثك بما يعلم؛ لقلت: رحم الله قاتل سلمان، إن سلمان باب الله في الأرض من عرفه كان مؤمناً، ومن أنكره كان كافراً، وإن سلمان منا أهل البيت».

وروى خطبة لسلمان (رضوان الله عليه) قال فيها: «فقد علمت العلم كثيراً، ولو أخبرتكم بكل ما أعلم؛ لقالت طائفة: لمجنون، وقالت طائفة أُخرىٰ: اللهم اغفر لقاتل سلمان».

---

١ ـ الورك: الدسم من اللحم والشحم.

أقول: فهؤلاء من الذين شاء الأئمة عليهم السلام أن يحتملوا من معارفهم وعلومهم، وقد تقدم في شرح الصدر ما يوضح هذا المعنىٰ، فراجع، ومن أحاديثهم من لا يحتمله إلّا الملك المقرب أو النبي المرسل أو المؤمن الممتحن قلبه للايمان، فقول الزائر: «محتمل لعلمك»، أي إني ممن يحتمل معاني أحاديثكم الدالة علىٰ فضائلكم التي اختصها الله تعالىٰ بكم.

ففي الكافي باب أن حديثهم صعب مستصعب[١] عن ابن سنان أو غيره، رفعه إلىٰ أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن حديثنا صعب مستصعب، لا يحتمله إلّا صدور منيرة، أو قلوب سليمة أو أخلاق حسنة، إن الله أخذ من شيعتنا الميثاق كما أخذ علىٰ بني آدم ألست بربكم، فمن وفىٰ لنا وفى الله له بالجنة ومن أبغضنا ولم يؤدّ إلينا حقنا ففي النار خالداً مخلداً».

أقول: الظاهر أن المراد من حقنا هو مقام إمامتهم وولايتهم، وما اختصه الله تعالىٰ بهم، ووجوب إطاعتهم ومتابعتهم والحقوق الواجبة كما لا يخفىٰ، وإن كانت هي أيضاً لازمة الأداء.

وفيه[٢] بإسناده عن أبي بصير قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «ياأبا محمد إن عندنا والله سرّاً من سرّ الله، وعلماً من علم الله، والله ما يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للايمان، والله ما كلف الله ذلك أحداً غيرنا، ولا استعبد بذلك أحداً غيرنا، وإن عندنا سرّاً من سرّ الله، وعلماً من علم الله، أمرنا بتبليغه فبلّغنا عن الله عزوجل ما أمرنا بتبليغه، فلم نجد له موضعاً ولا أهلاً، ولا حمّالة يحتملونه حتىٰ خلق الله لذلك أقواماً خلقوا من طينة خلق منها محمد وآله وذريته عليهم السلام ومن نور خلق الله منه محمداً وذريته، وصنعهم بفضل صنع رحمته التي صنع منها محمداً وذريته.

---

١ ـ تحت الرقم٣.

٢ ـ تحت رقم ٥.

فبلّغنا عن الله ما أُمرنا بتبليغه فقبلوه واحتملوا ذلك، فبلغهم ذلك عنا فقبلوه واحتملوه، وبلغهم ذكرنا فمالت قلوبهم إلىٰ معرفتنا وحديثنا، فلولا أنهم خلقوا من هذا لما كانوا كذلك لا والله ما احتملوه.

ثم قال: إن الله خلق أقواماً لجهنم والنار، فأمرنا أن نبلغهم كما بلغناهم، واشمأزوا من ذلك، ونفرت قلوبهم، وردّوه علينا ولم يحتملوه وكذّبوا به وقالوا: ساحر كذّاب، فطبع الله علىٰ قلوبهم وأنساهم ذلك، ثم أطلق الله لسانهم ببعض الحق، فهم ينطقون به وقلوبهم منكرة؛ ليكون ذلك دفعاً عن أوليائه وأهل طاعته، ولولا ذلك ما عبد الله في أرضه، فأمرنا بالكف عنهم، والستر والكتمان، فاكتموا عن أمر الله بالكفّ عنه واستروا عمن أمر الله بالستر والكتمان عنه.

قال: ثم رفع يده وبكىٰ وقال: اللهم إن هؤلاء لشرذمة قليلون، فاجعل محيانا محياهم ومماتنا مماتهم، ولا تسلط عليهم عدوّاً لك فتفجعنا بهم، فإنك إن أفجعتنا بهم لم تعبد أبداً في أرضك، وصلى الله علىٰ محمد وآله وسلم تسليماً».

أقول: هذا الحديث من غرر أحاديهم، وفيه من البشارة للشيعة ما ليس لغيرهم، وفيه إشارة إلى القسم الأول من أحاديثهم، الذي لا يحتمله غيرهم أيّاً ما كان، وإلى القسم الثاني أي من المحتمل للنبي والملك والمؤمن، وفيه أيضاً أمره عليه السلام بالستر علىٰ غير أهله من الضعفاء والمخالفين لهم، ثم إنه لابد للمعتقد بولايتهم أن يقبل ما صدر منهم من الأحاديث، فما منها قبلته القلوب فليحمد الله تعالىٰ عليه، وما لم تقبله فليس له الردّ، بل يجب عليه التسليم ورد علمه إليهم.

ففيه[1] بإسناده، عن جابر قال: قال أبو جعفر عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن حديث آل محمد صعب مستصعب، لا يؤمن به إلّا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للايمان، فما ورد عليكم من حديث آل محمد صلى الله عليه وآله فلانت له قلوبكم

---

١ ـ الكافي تحت الرقم ١.

وعرفتموه فاقبلوه، وما اشمأزت منه قلوبكم وأنكرتموه فردّوه إلى الله وإلى الرسول وإلى العالم من آل محمد، وإنما الهالك أن يحدث أحدكم بشيء منه لا يحتمله فيقول: والله ما كان هذا والله ما كان هذا، والانكار هو الكفر».

أقول: ما ورد عنهم عليهم السلام إما يقطع ببطلانه؛ لكونه مخالفاً للقرآن الصريح، أو لضرورة الدين، وإما لا يقطع ببطلانه.

أما الأول: فالظاهر أن إنكاره لا يوجب كفراً بأي معنىٰ فسّر، كما سيأتي، خصوصاً إذا علم أن تكذيبه ليس لأجل إنكارهم عليهم السلام ولأجل إنكار حديثهم، وإن كان حقاً بل ينكره بمقتضىٰ ظاهر الأدلة.

ويدل علىٰ هذين الأمرين حديثان: الأول للأول ما رواه في البصائر[1] بإسناده عن سفيان بن السمط قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك إن الرجل ليأتينا من قبلك فيخبرنا عنك بالعظيم من الأمر، فيضيق بذلك صدورنا حتىٰ نكذّبه!! فقال أبو عبدالله عليه السلام: «أليس عنّي يحدثكم؟ قال: قلت: بلىٰ، قال: فيقول لليل: إنه نهار ولنهار إنه ليل؟ قال: فقلت له: لا، قال: ردّه إلينا فإنك إن كذّبت فإنما تكذبنا».

فقوله عليه السلام: «فيقول لليل: إنه نهار ولنهار إنه ليل»؟ الذي نفاه الراوي بقوله لا، يدل علىٰ انه لو كان بطلانه بهذه المثابة من الوضوح لا بأس بردّه، ولعل هذا مستفاد من بعض الأخبار المذكورة في باب التعادل والترجيح كما لا يخفىٰ.

والثاني للثاني وهو ما رواه الصفار في البصائر[2] بإسناده، عن أبي عبيدة قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «من سمع من رجل أمراً لم يحط به علماً فكذب به ومن أمره الرضا بنا والتسليم فإن ذلك لا يكفّره»».

فيدل علىٰ أن التكذيب إذا كان بمقتضى الظاهر، كما لو كان مما لا يوافق الدين بظاهره لا يوجب كفراً، إذا كان من أمره وبنائه القلبي التسليم لواقع الأمر لما صدر

---

١ ـ مرآة العقول ج ٤ ص ٣١٤.
٢ ـ مرآة العقول ج ٤ ص ٣١٥.

عنهم، ومرجعه إلىٰ أنه لم يكذبه مطلقاً بل بمقتضى الظاهر، فهو في حال التكذيب الظاهر مسلم له إذا كان في الواقع صادراً عنهم عليهم السلام كما لا يخفىٰ.

وكيف كان فالمستفاد من هذين الحديثين أن طريق النجاة أن الانسان إذا كذّب حديثاً بمقتضى الظاهر الشرعي، فينبغي أن يكون مسلماً له علىٰ تقدير صدوره واقعاً، فلا يحكم ببطلانه في الواقع ونفس الأمر، وإن حكم ببطلانه وكذّبه في الظاهر، فتأمل.

أما الثاني أي إن كان الذي ورد عنهم مما لا يقطع ببطلانه: فتقدم أنه إن قبله قلبه فهو وإلّا فليس له إنكاره بل يجب ردّ علمه إليهم عليهم السلام ويدل عليه كثير من الأخبار قد تقدم بعضها.

ويدل عليه ما رواه الصدوق في العلل بإسناده الصحيح كما في المرآة[1] عن أبي بصير، عن أحدهما عليهما السلام قال: «لا تكذبوا بحديث أتاكم به مرجی ولا قدري ولا خارجي نسبه إلينا، فإنكم لا تدرون لعله شيء من الحق، فتكذبوا الله عزوجل فوق عرشه».

وفيه عن الصدوق في معاني الأخبار بإسناده، عن إبراهيم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ألا هل عسىٰ رجل يكذبني وهو علىٰ حشاياه متكئ؟ فقالوا: يارسول الله ومن الذي يكذبك؟ قال: الذي يبلغه الحديث فيقول: ما قال هذا رسول الله قط، فما جاءكم عنّي من حديث موافق للحق فأنا قلته، وما أتاكم عنّي من حديث لا يوافق الحق فلم أقله ولن أقول إلّا الحق».

أقول: صدر الحديث يشير إلىٰ ما قلناه، وذيله يشير إلىٰ أن ما جاء عنه صلى الله عليه وآله وكان موافقاً للحق فهو مما قاله صلى الله عليه وآله وإلّا فلا، فقد أعطىٰ صلى الله عليه وآله ميزاناً للتشخيص، إلّا أن الكلام في تشخيص الحق الذي تكون موافقته سبباً للتصديق ولا ريب في أن

---

١ ـ المرآة ج ٤ ص ٣١٤.

تشخيصه مشكل، فلا يكون إلّا من العارف المجتهد المستنبط، كما لا يخفىٰ.

ثم إنه قد حكم في هذه الأحاديث بكفر من ردّ أحاديثهم إما في الموارد المقطوعة بصدورها، أو فيما لا يعلم ببطلانه، الذي كان حكمه ردّ علمه إليهم، ولا يجوز له إنكاره، وإن لم يجب عليه العمل والعقيدة به، فحينئذ يقع الكلام في أنه هل هو كفر ملحق بالشرك أو لا؟ فنقول: قد يقال: المراد بالكفر ما يقابل كمال الايمان وهو التسليم التام، وإليه يشير ما رواه الصدوق ﵀ في معاني الأخبار بإسناده، عن الغفار الجازي قال: حدثني من سأله: (يعني الصادق ﵇) هل يكون كفر لا يبلغ الشرك؟ قال: «إن الكفر هو الشرك، ثم قام فدخل المسجد فالتفت إليّ وقال: نعم الرجل يحمل الحديث إلىٰ صاحبه فلا يعرفه فيرده عليه، فهي نعمة كفّرها ولم يبلغ الشرك».

فقوله ﵇: «فهي نعمة»، كفرها يشمل المقام فيما لم يقطع بصدوره، وأما إذا قطع بصدوره فلا يشمله هذا الحديث، بل ربما يقال: إن الإنكار في هذه الصورة مستلزم للشرك، كما هو ظاهر الأحاديث وظاهر كلمات الأعلام، فإنه حينئذ إنكار للضروري من الدين، كما هو المفروض والظاهر والله العالم بأحكامه.

هذا وقد يراد من احتمال علمهم الكتمان والحفظ، أي أني أكتم علمكم وأحفظه عن غير أهله بل وعنه أيضاً، ولعله إليه يشير ما تقدم عن البصائر عن أبي الحسن﵇ عن معنىٰ لا يحتمله أن الملك لا يحتمله حتىٰ يخرجه إلىٰ غيره وهكذا النبي والمؤمن، وحينئذ معنىٰ محتمل لعلمكم أني لا أخرجه إلىٰ غيري، بل أحفظه وأكتمه حتىٰ من مثلي كما في المحكي عن البصائر، عن المفضل، عن جابر ما ملخصه: إن شكىٰ ضيق نفسه عن تحملها وإخفائها بعد أبي جعفر ﵇ إلىٰ أبي عبدالله ﵇ فأمره أن يحفر حفرة ويدلي رأسه فيها، ثم يحدث بما تحمله، ثم يطمها فإن الأرض تستر عليه.

فيرجع معناه حينئذ إلىٰ أن الزائر يقرّ بأني من أهل كتمان سرّكم وعلمكم ولا

أُفشيه، ولا ريب في أن هذا الكتمان له أثر عجيب في قابلية أن يصير الانسان محلّاً لمعارفهم الخاصة، ولألطاف توجب خرق العادات من صاحبه بإذن الله تعالىٰ، والأخبار الدالة على الحث بالكتمان كثيرة جداً، وحيث إن أمر الكتمان خطير، وعدمه فيه مفسدة كثيرة، فلا بأس بذكر أحاديث الباب فنقول:

في الكافي باب الكتمان عن أبي حمزة، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «وددت والله إني افتديت خصلتين في الشيعة ببعض لحم ساعدي النزق وقلة الكتمان».

وفيه عن عبدالأعلىٰ قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إنه ليس من احتمال أمرنا التصديق له والقبول فقط، من احتمال أمرنا ستره، وصيانته من غير أهله فأقرئهم السلام وقل لهم: رحم الله عبداً اجترّ مودة الناس إلىٰ نفسه، حدثوهم بما يعرفون واستروا عنهم ما ينكرون.

ثم قال: والله ما الناصب لنا حرباً بأشدّ علينا مؤنة من الناطق علينا بما نكره، فإذا عرفتم من عبد إذاعة فامشوه إليه وردّوه عنها فإن قبل منكم، وإلّا فتحمّلوا عليه بمن يثقل عليه ويسمع منه، فإن الرجل منكم يطلب الحاجة فليلطف فيها حتىٰ تقضىٰ له، فالطفوا في حاجتي كما تلطفون في حوائجكم.

فإن هو قبل منكم وإلّا فادفنوا كلامه تحت أقدامكم ولا تقولوا: إنه يقول، ويقول فإن ذلك يحمل عليّ وعليكم، أما والله لو كنتم تقولون ما أقول؛ لأقررت أنكم أصحابي، هذا أبو حنيفة له أصحاب، وهذا الحسن البصري له أصحاب، وأنا امرؤ من قريش قد ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله وعلمت كتاب الله وفيه تبيان كل شيء بدء الخلق وأمر السماء وأمر الأرض، وأمر الأولين وأمر الآخرين وأمر ما كان وأمر ما يكون، كأني أنظر إلىٰ ذلك نصب عيني».

أقول: يستفاد من هذا الحديث أن احتمال الحديث عنهم عليهم السلام كما هو بالتصديق والقبول كذلك يكون بالستر والصيانة والكتمان.

وفيه عن أبي عبيدة الحذّاء قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «والله إن أحبّ

أصحابي إليّ أورعهم وأفقههم وأكتمهم لحديثنا، وأن أسوأهم عندي حالاً وأمقتهم للذي إذا سمع الحديث ينسب ويروي عنا، فلم يقبله، إشمأز منه وجحده وكفّر من دان به، وهو لا يدري لعل الحديث من عندنا خرج وإلينا أُسند، فيكون بذلك خارجاً عن ولايتنا».

وفيه عن عيسىٰ بن أبي منصور قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «نفس المهموم لنا المغتم لظلمنا تسبيح، وهمّه لأمرنا عبادة، وكتمانه لسرّنا جهاد في سبيل الله، قال لي محمد بن سعيد: أكتب هذا بالذهب فما كتبت شيئاً أحسن منه».

وفي بصائر الدرجات[1] عن ابن مسكان قال: «سمعت أبا بصير يقول لأبي عبدالله عليه السلام: من أين أصاب أصحاب علي عليه السلام ما أصابهم من علمهم بمناياهم وبلاياهم؟ قال: «فأجابني شبه المغضب مم ذلك إلّا منهم، قال: قلت: فما يمنعك جعلني الله فداك؟ قال: ذاك باب أُغلق، إلّا أن الحسين بن علي عليه السلام فتح منه شيئاً، ثم قال: ياأبا محمد إن أُولئك كانت علىٰ أفواههم اوكية».

أقول: ومثل هذه الأحاديث كثيرة، وقد ذكر علماء المعارف أن الكتمان أحسن أمر للوصول إلى المعارف الإلهية، فإن في الإذاعة مضافاً إلىٰ تضييع المعارف ببيانها لغير أهلها، وتعريض أهلها للهتك والأذية ممن لا يحتملها خصوصاً من المخالفين تضييعاً لوقت العارف السالك، فإنه إذا عرف هجم عليه أهل الحكمة وغير أهلها وضيّعوا عمره، ولعله إليه يشير ما ذكره في إرشاد القلوب عمن رأىٰ أمير المؤمنين عليه السلام في المنام، وقال له فيما قال: المرؤ لنفسه، فإذا عرف كان لغيره، وإليه يشير أيضاً ما في المحكي عن الكافي من قول الصادق عليه السلام: «استعينوا علىٰ حوائجكم بالكتمان»، أي علىٰ انجاحها والوصول إليها.

الموقع الثاني: في بيان قوله عليه السلام: «محتجب بذمتكم».

---

١ ـ بصائر الدرجات ص ٢٦١.

قيل: أي مستتر من المهالك بدخولي في ذمتكم وأمانكم بأن أجعل الدخول في حجابكم وأمانكم مانعاً من دخول النار ومن وسوسة الشياطين، أو أني مستتر وداخل في الداخلين تحت أمانكم.

أقول: في المجمع: والذمة العبد، وقيل: ما يجب أن يحفظ ويحمىٰ.

أقول: فعليه معنىٰ محتجب بذمتكم: أني جعلت نفسي عبداً لكم بأن احتجبت عن المهالك بجعل نفسي عبداً، ومن المعلوم أن الموالي يحفظون عبيدهم ويحمونهم عن المهالك، أو أني محتجب بما يجب حفظه وحمايته من الإقرار بولايتكم والدخول فيها، وفي زمرة شيعتكم ومحبيكم، وبحفظي وحمايتي لها، ألتي كانت واجبة عليّ احتجبت عن المهالك الدنيوية والأُخروية.

وفيه وعن أبي عبيدة: الذمة: التذمّم ممن لا عهد له، وهو أن يلزم الانسان نفسه ذماماً أي حقاً يوجبه عليه، يجري مجرى المعاهدة من غير معاهدة، فمعناه أني وإن كنت بمقتضى الطبع الأولي لا عهد عليّ بالنسبة إليكم، إلا إني أتذمّم أي أقبل الذمة والذمام، أي حقاً ثابتاً علىٰ نفسي، والتزم به عليها وأوجبه عليها بنحو الوجوب واللزوم، كما في المعاهدات اللازمة والواجبة، إلّا أن هذا العهد حيث إنه شرط وعهد ابتدائي لا ملزم له، ولكن جعلت الالتزام به علىٰ نفسي، فإني بهذه الذمة بهذا المعنىٰ احتجبت عن المهالك.

ثم إنه يستفاد من بيانهم عليهم السلام هذه الجملة في الزيارة بأن يظهر الزائر هذا الأمر والعقيدة أنهم عليهم السلام قد قبلوا هذا العهد والذمة والمعاهدة من شيعتهم كما لا يخفىٰ، وفيه (يسعىٰ بذمتهم أدناهم) أي إذا أعطىٰ أحد جيش العدو أماناً جاز ذلك علىٰ جميع المسلمين، وليس لهم أن ينقضوا عهده وأهل الذمة سمّوا بذلك؛ لأنهم دخلوا في ضمان المسلمين وعهدهم ومنه سمّي المعاهد ذمياً نسبة إلى الذمة بمعنى العهد.

أقول: فهيهنا مقامات الأولى معنى قوله: «محتجب بذمتكم»، علىٰ أن يكون الذمة هو العهد، وهو لغة بمعنى الوصية والأمر يقال: عهد إليه يعهد من باب تعب إذا أوصاه، فهو متعهد أي

قبل العهد بأن يفي به، ثم إن العهد المفسّر به الذمة هو ما يكون من طرف المتعهد، أي هو الالتزام بما أمر به وألقي إليه من آخر، فالمعاهدة ليست غالباً من طرفين بأن يعهد كل منهما ما يعهده الآخر، بل العهد هو قبول العهدة من الموصىٰ إليه مثلاً من الموصي (بالكسر) بأن يعمل به والتعبير بالمعاهدة من باب التغليب غالباً.

نعم قد يستعمل فيما كان المعاهدة من الطرفين، بأن يعهد كل منهما بما يعهده الآخر، كما في الحديث يدخل في الأمان ذو عهد ومعاهد.

قيل: يقرأ بالبناء للفاعل والمفعول؛ لأن الفعل من اثنين، فكل واحد يفعل بصاحبه مثل ما يفعل صاحبه به، فكل في المعنىٰ فاعل ومفعول، كذا في المجمع، إلّا أن الغالب هو استعماله في المعنى الأول، وإنما عبّر بالمعاهدة أي المفاعلة مع أن العهدة من طرف القابل؛ لأن العهدة قد أشرب فيها القبول من الطرف وهو من الطرفين، أو أن العهدة أوصىٰ بها من الموصي والآمر، فكانت بلحاظ التحقق من الطرفين فتأمل.

وكيف كان فمعنىٰ محتجب بذمتكم أي بعهدكم وبالمعاهدة معكم، ولعله يشير إلىٰ ما ورد في الأحاديث من أنه تعالىٰ أخذ الميثاق من الخلق في الذّر على الاقرار بولاية محمد وآله صلى الله عليه وآله.

ففي بصائر الدرجات[1]، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالىٰ: ﴿**وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم**﴾ الآية، قال: «أخرج الله من ظهر آدم ذريته إلىٰ يوم القيمة، فخرجوا كالذر فعرّفهم نفسه، ولولا ذلك لم يعرف أحد ربه، ثم قال: ألست بربكم قالوا بلىٰ، وإن هذا محمد رسولي وعلي أمير المؤمنين خليفتي وأميني».

وفيه[2] عن الحسين بن نعيم الصحّاف قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله

---

١ ـ بصائر الدرجات ص٧١.

٢ ـ بصائر الدرجات ص١٨.

تبارك وتعالىٰ: ﴿فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾؟[١] فقال: «عرف الله والله إيمانهم بولايتنا وكفرهم بها يوم أخذ الله عليهم الميثاق في صلب آدم وهم ذر».

أقول: ومعناه أنه تعالىٰ عرفهم حقيقة التوحيد وما يتعلق به، وحقيقة نبوة نبيه ﷺ وما يترتب عليها، وحقيقة إمامة الأئمة وولايتهم، وما يتفرّع عليها من وجوب الطاعة لهم فيما أُمروا به من أمر التشريع، وما أخبروا به من أمر التكوين المتعلق بالمبدإ إلى المعاد، فمعنىٰ قولهم هناك: بلىٰ، هو الالتزام بهذا العهد الالهي، والمعاهدة معه تعالىٰ على الوفاء به، وهو تعالىٰ أيضاً عاهدهم علىٰ حسن الجزاء فقال: ﴿وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم﴾[٢].

في تفسير نور الثقلين[٣]، عن أُصول الكافي، عن سماعة، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل: ﴿وأُوفوا بعهدي﴾، قال: قال: «بولاية أمير المؤمنين عليه السلام ﴿أُوف بعهدكم﴾ أُوف لكم بالجنة».

وفيه عن الخشاب قال: حدثنا بعض أصحابنا عن خثيمة قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: «ياخثيمة نحن عهد الله، فمن وفىٰ بعهدنا، فقد وفىٰ بعهد الله، ومن خفرها[٤] فقد خفر ذمة الله وعهده»، الحديث.

أقول: وهذا العهد والولاية هو أصل الوجود ولب الأسرار، وسرّ الأنوار ونور الاقتدار، وأمر الواحد القهار، الذي يحتاج إليه كل موجود؛ ولذا عرض هذه الولاية علىٰ جميع الأشياء، فما قبلها صار حسناً في نوعه وأثره، وما أنكرها صار قبيحاً فيها، وهذه الذمة والعهد الولائي هو الذمام المذكور في دعاء الصباح والمساء: «أصبحت اللهم معتصماً بذمامك المنيع، الذي لا يطاول ولا يحاول من شرّ

---

١ ـ التغابن ٢
٢ ـ البقرة: ٤٠.
٣ ـ تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٦١.
٤ ـ أي نقض وغدر بعهده.

كل غاشم وطارق من سائر من خلقت وما خلقت من خلقك، الصامت والناطق في جنة من كل مخوف بلباس سابغة ولاء أهل بيت نبيك، محتجباً من كل قاصد لي إلىٰ أذية بجدار حصين الإخلاص في الاعتراف بحقهم والتمسك بحبلهم، موقناً أن الحق لهم ومعهم وفيهم وبهم»، الدعاء.

وهذا الذمام (أعني ولايتهم عليهم السلام) رفيع المكان والمكانة، فلا يطاوله شيء أي لا يعلو عليه في القدر غيره من السلطات الكائنة في الخلق، بل كلها مقهورة تحت هذه السلطنة الإلهية، فهي حصن منيع لا يحاوله شيء أي لا يكافحه ولا يضاده ولا يعارضه شيء وإن بلغ من القوة ما بلغ، فهي الحافظة للمتمسك بها عن شر كل خلق ناطق أو صامت، فالمتمسك بها في جنة من كل مخوف بلباس سابغة ولاء أهل بيت نبيك، فالولاء بدل عن اللباس فالولاء هي الجنة، وقوله: بلباس متعلق بجنة، وقوله: «محتجباً»، حال بعد حال، أي معتصماً ومحتجباً من كل قاصد لي إلىٰ أذية بجدار حصين هو (أي الجدار الحصين) الإخلاص في الاعتراف بهم، فالإخلاص أيضاً هو الجدار.

فحاصله: أن الاعتراف عن إخلاص وحقيقة بالاعتراف بولايتهم الذي هو محض الايمان، هو الجدار الحصين من كل مخوف وأثر الاخلاص أن يتولاهم ويقتدىٰ بهم في كل شيء ويجعلهم الوسيلة بينه وبين الله تعالىٰ، وأن يكون هذا مشفوعاً بالبراءة من أعدائهم، ومتلبّساً باللعن لأعدائهم، معتقداً أنه تعالىٰ إنما يقبل عمل من قبل الولاية، ولا يقبل عملاً بدونها، وإلىٰ هذه البراءة من أعدائهم يشير قوله عليه السلام بعد هذا: «أوالىٰ من والوا وأجانب من جانبوا».

وكيف كان فمعنى الوفاء بهذا العهد والعمل به، الموجب لوفائه تعالىٰ له بالجنة، هو الاعتقاد بهم وبولايتهم عن إخلاص، وبهذا يحصل الاحتجاب بذمتهم، التي هي عهد الله لهم، وعهد خلقه له بالموافاة، وهي (أي الموافاة له تعالىٰ) تحصل باستجابته استجابة قلبية بالنسبة إلىٰ ما طلبه تعالىٰ منه، واستجابة لسانية بما

دعا تعالىٰ إليه، وعمليّة بما أمر به تعالىٰ، وإذا دخل في عهده بهذا النحو من الاستجابات، فقد احتجب بذمتهم، وأمن من كل مخوف.

وإليه يشير ما في البحار[1] عن المحاسن، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الروح والراحة والفلج والفلاح والنجاح والبركة، والعفو والعافية والمعافاة، والبشرىٰ والنضرة والرضا والقرب والقرابة، والنصر والظفر والمكين، والسرور والمحبة من الله تبارك وتعالىٰ علىٰ من أحبّ علي بن أبي طالب عليه السلام ووالاه وأئتم به وأقرّ بفضله، وتولى الأوصياء من بعده، وحق عليّ أن أُدخلهم في شفاعتي، وحق علىٰ ربي أن يستجيب لي فيهم وهم أتباعي، ومن تبعني فإنه مني جرىٰ فيّ مثل إبراهيم عليه السلام وفي الأوصياء من بعدي؛ لأني من إبراهيم وإبراهيم مني، دينه ديني وسنته سنتي، وأنا أفضل منه، وفضلي من فضله، وفضله من فضلي، ويصدق قولي قول ربي ﴿ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾[2]».

أقول: هذا كله إذا كان المراد من الذمة العهد، ومنه يعلم أنه إن كان المراد منها الأمان، فإنه حينئذ معناه اني محتجب بأمانكم الذي يكون بالإقرار بولايتكم، وكذا الكلام إذا كان بمعنى الضمان فإنه من آثار العهد، فإنه موجب للضمان بالنسبة إلىٰ ما عوهد عليه، وإن كان المراد منها الحرمة فمعناه أني محتجب باحترامكم لعلو مقامكم ومنازلكم، التي رتبكم الله فيها، وقد ملأ الشرح من بيان هذه المقامات والمراتب الإلهية، وهي حقيقة ولايتهم بما لها من الشؤون، التي هي ولاية الله تعالىٰ، فإذا احتجب أحد بذمتهم بأن احترمهم واعتقد حرمتهم، الدالة على الاعتقاد بمقاماتهم، فقد أمن من جميع محذورات الدنيا والآخرة، ثم إن الاحتجاب بالذمة أي بالحرمة لهم عليهم السلام هو حفظ مقاماتهم

١ـ البحار ج٢٧ ص٩٢.

٢ ـ آل عمران: ٣٤.

بالاحترام لهم.

في البحار[١]، عن تفسير الفرات، عن أبي الجارود قال: قال زيد بن علي عليه السلام وقرأ الآية: ﴿وكان أبوهما صالحاً﴾[٢]، قال: «حفظهما الله بصلاح أبيهما، وما ذكر منهما صلاح، فنحن أحق بالمودة، أبونا رسول الله وجدّتنا خديجة، وأُمّنا فاطمة الزهراء، وأبونا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام».

وإن كان المراد منها الحق، فمعناه أني محتجب بحقكم الذي أنا مقرّ به، وقد تقدم معناه في شرح قوله عليه السلام: «عارف بحقكم» الذي علمت أن حقيقته هو الإقرار بولايتهم وبفضائلهم وبمقاماتهم التي جعلها الله تعالىٰ لهم.

وأما الكلام في **الموقع الثالث** وهو قوله عليه السلام: «معترف بكم».

فلا ريب في أن المراد ليس هو الاعتراف بأسمائهم ونسبهم، بل الاعتراف بإمامتهم وولايتهم، وكونهم خلفاء الله تعالىٰ، وأنه يجب طاعتهم وولايتهم، وبكونهم أولىٰ بالمخلوقين من أنفسهم وأموالهم وأولادهم.

وبالجملة يعترف بجميع ما منّ به عليهم مما لم يعطه لغيرهم، وهذه المقامات هي التي أنكرها الناصبون لهم والظالمون من أعدائهم.

ولعمري إن هذا الشرح وهذه الزيارة مشحونة بذكر مقاماتهم وشؤون ولايتهم، فالزائر يعترف بها أجمع، وهذا هو المستفاد من حذف المتعلق، وجعله أنفسهم الشريفة، فمعنىٰ معترف بكم أني أعترف بها أجمع، وأني كما أقرّ بفضلكم ومقاماتكم قلباً، فكذلك أعترف بها لساناً؛ لأكون ممن يقتصّ آثاركم، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالىٰ.

---

١ ـ البحار ج٢٧ ص٢٠٦.
٢ ـ الكهف: ٨٢.

قوله عليه السلام: مؤمن بإيابكم، مصدّق برجعتكم، منتظر لأمركم، مرتقب لدولتكم

أقول: يقع الكلام في جهات:

الجهة الأُولىٰ: في البحار[١]، عن الكافي الروضة ص٢٠٦، العدّة عن سهل، عن ابن شمّون، عن الأصمّ، عن عبدالله بن القاسم البطل، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالىٰ: **﴿وقضينا إلىٰ بني إسرائيل لتفسدنّ في الأرض مرّتين﴾**، قال: «قتل علي ابن أبي طالب عليه السلام وطعن الحسن عليه السلام، **﴿ولتعلنّ علوّاً كبيراً﴾**، قال: قتل الحسين **﴿فإذا جاء وعد أوليهما﴾**، إذا جاء نصر دم الحسين **﴿بعثنا عليكم عباداً لنا أُولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار﴾**.

قوم يبعثهم الله قبل خروج القائم (عج) فلا يدعون وتراً لآل محمد إلّا قتلوه **﴿وكان وعداً مفعولاً﴾**، خروج القائم (عج) **﴿ثم رددنا لكم الكرّة عليهم﴾** خروج الحسين عليه السلام في سبعين من أصحابه عليهم البيض المذهبة، لكل بيضة وجهان المؤدّون إلى الناس إنّ هذا الحسين قد خرج، حتىٰ لا يشكّ المؤمنون فيه، وإنه ليس بدجّال ولا شيطان، والحجة القائم بين أظهرهم، فإذا استقرّت المعرفة في قلوب المؤمنين إنه الحسين عليه السلام جاء الحجة الموت، فيكون الذي يغسّله ويكفّنه ويحنّطه ويلحّده في حفرته الحسين بن علي عليه السلام ولا يلي الوصيّ إلّا الوصي».

أقول: المستفاد من هذه الرواية الشريفة أُمور: وهو المقصود الفرق بين قيام الحجة عليه السلام وظهوره وبين الرجعة، فقوله عليه السلام: «خروج القائم» إشارة إلىٰ قيامه (صلوات الله عليه وعلىٰ آبائه الطاهرين) وقد دلّت عليه آيات وأحاديث خارجة عن حدّ الاحصاء، كما ذكر في محله، وقوله عليه السلام بعد قوله تعالىٰ: **﴿ثم رددنا لكم الكرّة عليهم﴾**، «خروج الحسين عليه السلام.. الخ»، إشارة إلى الرجعة.

وسيأتي في بيان أحاديث الباب أن الحسين عليه السلام هو أول من يرجع إلى الدنيا

---

١ ـ البحار ج٥٣ ص٩٣.

حسب كثير منها، فظهر أن الرجعة غير قيام الحجة.

والأئمة عليهم السلام قد بيّنوا أمرين:

الأول : قيام الحجة (عج).

والثاني: رجعة الأئمة عليهم السلام.

وسيأتي أن المخالفين قد وافقنا كثير منهم في الأول، وأما الرجعة فقد أنكروها أشدّ الانكار.

وسيجيء التعرّض لشبهاتهم والردّ عليها، ثم إن هذه الجمل الأربع لها جهة اشتراك، وهي الدلالة على الرجعة ولكنها بيّنت بتغيرات.

فقوله عليه السلام: «مؤمن بإيابكم»، إشارة إلى الإيمان بها قلباً، «ومصدق برجعتكم» إشارة بتصديقها بنحو الوجدان، وتحققها في القلب بنحو الجدّ والواقع، «ومنتظر لأمركم»، إشارة إلى الحالة القلبية اللازمة للمؤمن بها المعتقد بأن صلاح الدين والدنيا وظهور الكمالات الإنسانية والمعارف الالهية يكون بها، فلا محالة ينتظرها إذ ـ الأمر ـ في قوله: «منتظر لأمركم»، يراد به إما رجوعهم إلى الدنيا، وإما ظهور ولايتهم وإمامتهم في الرجعة و ـ مرتقب لدولتكم ـ يساوق الجملة السابقة، إلّا أن الدولة وهي دولتهم الحقه سيأتي بيانها هو ظهور أمرهم.

وبعبارة أُخرىٰ: أن الأمر الذي ينتظره هو أمر إمامتهم، والدولة التي ينتظرها ويرتقبها هو فعليّة إمامتهم في العالم بصورة الدولة الحقة، ونحن نسأل الله تعالىٰ تعجيل الفرج لدرك دولتهم الحقة بمحمد وآله الطاهرين.

وقد يقال: إن قوله عليه السلام «مؤمن بايابكم» يدل علىٰ أنه لابد للمؤمن بايابهم من التصديق القلبي بها، والقول اللساني والعمل بالأركان، إذ الايمان قد فسّر بهذه الأُمور حيثما أطلق، فحينئذ معناه في المقام أنّ المؤمن بالاياب والرجعة، لابد له من الاعتقاد القلبي والتصديق بها، ومن الإقرار اللساني بأن يقرّ بالروايات الواردة بالنسبة إلى الرجعة، ويخبر بها غيره بنحو الإقرار بها لا بنحو الاخبار فقط، ويلزمه

الدعاء بالفرج، ومن العمل بالأركان بأن يصلح أعماله، ويكتم الأمر، وينتظر الفرج، ويعدّ السلاح لنصرته عليه السلام.

والحاصل: أنه يستعد بهذه الأُمور للقائه عليه السلام ولقائهم عليهم السلام وحينئذ يكون قوله «مصدق برجعتكم» تأكيداً للجملة السابقة لما علمت أنّ الايمان يلازم التصديق.

الجهة الثانية: في إمكانها فنقول في البحار[1]، عن مختصر البصائر بإسناده، عن أبي الصباح قال: سألت أبا جعفر عليه السلام فقلت: جعلت فداك أكره أن أُسميها لك، فقال لي هو: «عن الكرّات تسألني، فقلت: نعم، فقال: تلك القدرة لا تنكرها أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أتىٰ بقناع من الجنة عليه عذق يقال له سنّة، فتناولها رسول الله صلى الله عليه وآله سنّة من كان قبلكم».

أقول: فيه قوله عليه السلام: «تلك القدرة»، أي الكرّات والرجعة من قدرة الله تعالىٰ، ولا ينكرها إلّا القدريّة من المعتزلة، الذين ينكرون كثيراً من قدرة الله تعالىٰ ـ والقناع ـ بالكسر طبق من عسب النخل ـ وبعث هذا كان لاعلام النبي صلى الله عليه وآله أن يقع في أُمته ما وقعت في الأُمم السابقة، وقد وقعت الرجعة في الأُمم السابقة مرات شتّىٰ.

أقول: إنما يرفع استبعاد وقوع الرجعة **بأمرين**:

أحدهما: وقوعها في الأُمم السابقة كما أُشير إليه في هذا الحديث وصرّح به في غيرها.

وثانيهما: بيان حقيقة قدرته تعالىٰ وأنها لا تختصّ تحققها بتحقق الأسباب المتداولة والمأنوسة بها للأذهان.

أما الأول: فأحسن حديث ذكر فيه وقوعها في الأُمم السابقة ما فيه ص ٧٢ بإسناده عن الأصبغ بن نباتة أن عبدالله بن أبي بكر اليشكري، قام إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فقال ياأمير المؤمنين: إن أبا المعتمر تكلّم آنفاً بكلام لا يحتمله قلبي

---

١ ـ البحار ج ٥٣ ص ٧٢.

فقال: وما ذاك؟ قال: يزعم أنك حدثته أنك سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّا قد رأينا أو سمعنا برجل أكبر سنّاً من أبيه؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: فهذا الذي كبر عليك؟ قال: نعم فهل تؤمن أنت بهذا وتعرفه؟ فقال: نعم، ويلك يابن الكوّاء».

أقول: هذا كنية عبدالله بن أبي بكر اليشكري وكان من الخوارج. اِفقه مني، أخبرك عن ذلك أنّ عزيراً خرج من أهله وامرأته في شهرها، أي في شهر ولادة امرأته التي كانت حاملة، وله يومئذ خمسون سنة، فلمّا ابتلاه الله عزوجل بذنبه أماته مائة عام، ثم بعثه فرجع إلىٰ أهله وهو ابن خمسين سنة، فاستقبله ابنه وهو ابن مائة سنة، وردّ الله عزيراً إلى الذي كان به، فقال: ما تزيد؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: سل عمّا بدا لك، قال: نعم إنّ أُناساً من أصحابك يزعمون أنهم يردّون بعد الموت، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «نعم تكلّم بما سمعت ولا تزد في الكلام، فما قلت لهم؟ قال: قلت: لا أُؤمن بشيء مما قلتم، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ويلك إنّ الله عزوجل إبتلىٰ قوماً بما كان من ذنوبهم، فأماتهم قبل آجالهم، التي سميت لهم، ثم ردهم إلى الدنيا؛ ليستوفوا أرزاقهم ثم أماتهم بعد ذلك.

قال: فكبر علىٰ ابن الكواء ولم يهتد له، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ويلك تعلم أن الله عزوجل قال في كتابه: **﴿واختار موسىٰ قومه سبعين رجلاً لميقاتنا﴾**[١] فانطلق بهم معه؛ ليشهدوا له إذا رجعوا عند الملإ من بني إسرائيل أنّ ربّي قد كلمني، فلو أنهم سلّموا ذلك له، وصدقوا به، لكان خيراً لهم، ولكنهم قالوا لموسىٰ عليه السلام **﴿لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة﴾** قال الله عزوجل: **﴿فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون * ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾**، أترىٰ يابن الكوّاء أنّ هؤلاء قد رجعوا إلىٰ منازلهم بعدما ماتوا؟ فقال ابن الكواء: وما ذاك ثم أماتهم فكأنهم، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: لا، ويلك أو ليس قد أخبر الله في كتابه حيث

---

١ ـ الأعراف: ١٥٥.

يقول: ﴿وظلّلنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المنّ والسلوىٰ﴾[١] فهذا بعد الموت إذ بعثهم.

وأيضاً مثلهم يابن الكوّاء، الملأ من بني إسرائيل حيث يقول الله عزوجل: ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم أُلوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثمّ أحياهم﴾[٢]».

وقوله أيضاً في عزير حيث أخبر الله عزوجل: ﴿أو كالذي مرّ علىٰ قرية وهي خاوية علىٰ عروشها قال أنّىٰ يُحي هذه الله بعد موتها فأماته الله﴾[٣] وأخذه بذلك الذنب ﴿مائة عام ثم بعثه﴾ ورده إلى الدنيا ف﴿قال كم لبثت﴾ ف﴿قال لبثت يوماً أو بعض يوم فقال بل لبثت مائة عام﴾ فلا تشكن يابن الكواء في قدرة الله عزوجل.

أقول: قوله عليه السلام: «أترىٰ يابن الكواء» إلىٰ قوله عليه السلام «فهذا بعد الموت إذ بعثهم» فكأنه عليه السلام سأله عن انه أتعلم وتعتقد انهم بعدما بعثهم إليه قد رجعوا إلىٰ منازلهم وأكلوا وشربوا، فقال ابن الكواء: وما ذاك، أي ما كان ذلك؟ ثم أماتهم أي لم يكن أنهم قد رجعوا إلىٰ منازلهم حتىٰ أماتهم.

ثم قال ابن الكواء: فكأنّهم، أي أن ما تقوله لعله كان من الرجوع والأكل في منازلهم، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «لا»، أي ليس كما تزعم، «ويلك أو ليس قد أخبر الله.. الخ».

ثم إنه قد صرّح في حديث آخر بأنهم بعدما بعثهم الله تعالىٰ قد أكلوا وشربوا ردّاً علىٰ ما ربما يتوهمّه بعض الناس كما توهمه ابن الكواء الخارجي.

ففيه، عنه بإسناده عن حمران بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: كان في بني إسرائيل شيء لا يكون هاهنا مثله، فقال: «لا، فقلت: فحدثني عن قول الله

---

١ ـ البقرة: ٥٧.

٢ ـ البقرة: ٢٤٣.

٣ ـ البقرة: ٢٥٩.

عزوجل: ﴿**ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم**﴾ حتىٰ نظر الناس إليهم ثم أماتهم من يـومهم، أو ردهـم إلى الدنيا؟ فقال: بل ردهم إلى الدنيا حتىٰ سكـنوا الدور، وأكـلوا الطـعام، ونكـحوا النساء، ولبثوا بذلك ما شاء الله ثم ماتوا بالآجال».

أقول: قوله: ثم أماتهم من يومهم أو ردهم إلى الدنيا، من كلام الراوي وهذا هو الاحتمال الذي توهمه ابن الكواء، وهو أنهم أحياهم الله ثم أماتهم عن يومهم مـن دون رجوع إلىٰ أهلهم فيأكلون ويشربون حتىٰ تتحقق به الرجعة إلى الدنيا، فـإن مجرد الاحياء بعد الإماتة من دون رجوع إلى الدنيا والانتقال بمشاغلها لا يكـون رجعه ولا ينكره أحد، ثم إنه عليه السلام ردّه وردّ كلامه هذا، فقال: «بل ردّهم إلى الدنـيا حتىٰ سكنوا الدور.. الخ»، بحيث تحقق الرجعة إلى الدنيا كسائر الأحياء.

أقول: أيضاً: قال الله تعالىٰ لعيسىٰ: ﴿**وإذ تخرج المـوتىٰ بـإذني**﴾[1] وجمـيع الموتى الذين أحياهم عيسىٰ عليه السلام بإذن الله تعالىٰ رجعوا إلى الدنيا وبقوا فيها ثم ماتوا.

وقال تعالىٰ في أصحاب الكهف: ﴿**ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً**﴾[2]، ثم بعثهم الله فرجعوا إلى الدنيا.

ففي تفسير نور الثقلين[3]، عن روضة الكافي بإسناده عن أبان بن تغلب وغيره عن أبي عبدالله عليه السلام أنه سأل هل كان عيسىٰ بن مريم أحيىٰ أحداً بعد موته حـتىٰ كان له أكل رزق ومدة وولد؟ فقال: «نعم، إنه كان له صديق مواخ له في الله تبارك وتعالىٰ، وكان عيسىٰ (صلى الله عليه) يمرّ به وينزل عـليه، وإنّ عـيسىٰ (صـلى الله عليه) غاب عنه حيناً ثم مرّ به ليسلّم عليه فخرجت إليه أمه فسألها عنه، فقالت مات يارسول الله فقال: أفتحبيّن أن تريَهُ؟ فقالت: نعم، فقال لهـا: فـإذا كـان غـداً

---

١ ـ المائدة: ١١٠.

٢ ـ الكهف: ٢٥.

٣ ـ تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٢٨٥.

فآتيك حتىٰ أُحييه لك بإذن الله تبارك وتعالىٰ، فلما كان من الغد أتاها فقال لها: انطلقي معي إلىٰ قبره فأنطلقا حتىٰ أتيا قبره، فوقف عليه عيسىٰ (صلى الله عليه) ثم دعا الله عزوجل، فانفرج القبر وخرج ابنها حيّاً، فلما رأته أُمه ورآها بكيا فرحمهما عيسىٰ (صلى الله عليه) فقال له عيسىٰ: أتحبّ أن تبقىٰ مع أُمك في الدنيا؟ فقال له: يانبي الله بأكل ورزق ومدة أم بغير أكل ولا رزق ولا مدة؟ فقال له عيسىٰ (صلى الله عليه): بأكل ورزق ومدة تعمر عشرين سنة وتزوّج ويولد لك، قال، نعم إذاً، قال: فدفعه عيسىٰ إلىٰ أُمه فعاش عشرين سنة وولد له».

وفيه[1]، عن كتاب الاحتجاج للطبرسي ﷺ عن أبي عبدالله ﷺ حديث طويل يقول فيه ﷺ: «وقد رجع إلى الدنيا ممن مات خلق كثير، منهم أصحاب الكهف أماتهم الله ثلثمائة ثم بعثهم في زمان قوم أنكروا البعث، ليقطع حجتهم وليريهم قدرته، وليعلموا أنّ البعث حق».

أقول: وفي تفسير البرهان[2]، في ذيل قوله تعالىٰ في سورة الكهف ﴿وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود﴾[3]، حديث طويل عن ابن عباس فيه تصريح بقصة أصحاب الكهف، وأنه تعالىٰ بعثهم بعدما أماتهم، فراجع.

هذه بعض الأحاديث الدالة على الرجعة في الأمم السابقة، وقد روى الفريقان أنّ ما وقع في الأُمم السابقة يقع في هذه الأُمه طابق النعل بالنعل.

في البحار[4]، عن عيون أخبار الرضا ﷺ بإسناده عن الحسن بن الجهم قال: قال المأمون للرضا ﷺ: ياأبا الحسن ما تقول في الرجعة؟ فقال ﷺ: «إنها الحق قد كانت في الأُمم السابقة ونطق بها القرآن، وقد قال رسول الله ﷺ: يكون في هذه

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج٣ ص٢٥٢.
٢ ـ تفسير البرهان ج٢ ص٤٦٠.
٣ ـ الكهف : ١٨.
٤ ـ البحار ج٥٣ ص٥٩.

الأُمة كل ما كان في الأُمم السابقة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، وقال ﷺ: إذا خرج المهدي من ولدي نزل عيسىٰ بن مريم ﷺ فصلىٰ خلفه، وقال ﷺ: إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبىٰ للغرباء! قيل: يارسول الله ثم يكون ماذا؟ قال: ثمّ يرجع إلىٰ أهله» الخبر.

وقال المجلسي ﵀ فيه[1]: وقد صحّ عنهم (صلوات الله عليهم) أنّه: «كل ما كان في بني إسرائيل يكون في هذه الأُمة مثله حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة».

هذا من طريق الشيعة، وأما المخالف:

ففيه[2]، أما المخالف فروى الحميدي في الجمع بين الصحيحين عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لتتبعنّ سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتىٰ لو دخلوا جحر ضبٍّ لتبعتموهم، قلنا، يارسول الله اليهود والنصارىٰ؟ قال: فمن؟» أقول في الهامش أخرجه في مشكاة المصابيح ص٤٥٨ وقال متّفق عليه.

وفيه وروى الزمخشري في الكشاف عن حذيفة: «أنتم أشبه الأمم سمتاً ببني إسرائيل، لتركبن طريقهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتىٰ إنّي لا أدري أتعبدون العجل أم لا؟».

أقول: هذا بعض ما دلّ علىٰ وقوع الرجعة، ولعمري إن ما يدل عليها كثير، وقد دون فيها كتب وذكروا فيها أحاديث وقضايا عجيبة تدل عليها، وكيف كان فمن وقوع هذه الرجعات في الأُمم السابقة يرفع الاستبعاد عنها بالنسبة إلىٰ وقوعها بعد قيام الحجة (عج).

هذا وقد قيل: إن أدل دليلٍ علىٰ إمكان الشيء وقوعه، فوقوع هذه الرجعات الثابتة بالآيات القرآنية والأحاديث المتواترة، بل وفوق التواتر المرويّة عنهم وعن

١ـ البحار ج٥٣ ص١٠٨.
٢ـ البحار ج٥٣ ص١٤٠.

النبي ﷺ أقوىٰ دليل وشاهد علىٰ إمكان وقوعها في هذه الأُمة.

ثم إنه لا يفرق بين وقوع الرجعة بالنسبة إلىٰ شخص أو أزيد في مدة قليلة أو كثيرة، فإنه إذا أمكن وقوعها لا يفرق بين مصاديقها المختلفة.

هذا وقد ثبت في البيان العقلي أن حكم الأمثال فيما يجوز وما لا يجوز سواء، وحيث إن المؤمن المصدق بالكتاب والسنة يعول في أُمور دينه عليها إذ هي المعول في الدين، فلابد لكل مسلم أن يعتقدها بعدما ثبتت بالكتاب والسنة المتواترة كما لا يخفىٰ.

بقيت هنا شبهات عقلية نذكرها إجمالاً ثمّ نردّها: وليعلم أولاً أن جميع ما ذكر في إثبات المعاد في الكتب الكلامية يجري في إثبات الرجعة والشبهات، التي ذكروها في المعاد يجري في الرجعة، والجواب عنها هنا هو الجواب عنها هناك إلّا انّا نذكر بعضها مع الجواب عنه فمنها: أن خلقة الانسان في الدنيا لها أسباب فمنها إنه لابد من تكونه من عالم المنويّة كما صرّح به الآيات، وقد اشتهر الحديث من أنه أبى الله أن يجري الأُمور إلّا بأسبابها، فحينئذ كيف يمكن رجوع أقوام من قبورهم بعدما صاروا رفاتاً من دون تناسل من الآباء والأمهات؟

والجواب عنها:

أولاً بالنقض: بخلقة آدم عليه السلام حيث خلقه الله من غير أب وأُمّ، وبخلقة ناقة صالح من الجبل كما صرح به في الأخبار، وبوقوع رجعة أقوام قد صرحتْ بها الآيات والأحاديث المتقدمة والآتية، وقد تقدم أن أقوىٰ أدلة علىٰ إمكان الشيء وقوعه.

وثانياً: بالحلّ وحاصله: أن الرجعة مجعولة بقدرة الله تعالىٰ كما صرّح به الأحاديث المتقدمة من قوله عليه السلام: «تلك القدرة لا تنكرها»، وفي الزيارة الجامعة الصغيرة: «لا أنكر لله قدرة، ولا أزعم إلّا ما شاء الله»، وقدرة الله تعالىٰ وظهورها في الخارج وظهور مقتضاها فيه قد يكون بالأسباب، كما هو الظاهر من كثير منها،

وقد يكون بلا سبب، والوجه فيه أن الأصل في الخلقة مطلقاً هو إرادته تعالىٰ كما صرحت به الآية من قوله تعالىٰ: ﴿إنما أمرنا لشيء أن نقول له كن فيكون﴾ فالمستفاد من هذه الآية المباركة إرادته تعالىٰ هي الموجبة والسبب الوحيد لخلق الأشياء.

والأسباب إنما هي مظاهر لظهور القدرة، وليست بحيث تحدد القدرة بحيث تنفي تأثيرها في غير الأسباب.

فللقدرة الإلهية مراتب في الظهور منها ما يكون بالأسباب، ومنها ما يكون بغيرها، علىٰ أنّ تحديد قدرته في الأسباب نوع من إسناد العجز إليه تعالىٰ، تعالى الله عنه وتقدس.

وبعبارة أُخرىٰ: أنّ ذاته المقدسة بوحدتها سبب وعلة للخلق، إلّا أن مقتضاها لما كانت بحسب الأصل غير محدودة، وإذا أُطلقت في الخلق لاختلّ النظام الخلقي المحدود بالجهات الست، والجهات الطبيعية والمادية، فاقتضت الحكمة الإلهية أن يظهر قدرته بالأسباب، وفي الواقع والحقيقة أن الأسباب المجعولة بقدرته تعالىٰ كالمقيدات لمطلقات القدرة الإلهية حفظاً لنظام الوجود، لا أنها علة تامة لخلقه، بل العلة هي القدرة بنفسها فقط، وحينئذ فالأسباب لا تحدد القدرة الإلهية، فلها أي للقدرة الإلهية أن تؤثر في شيء بدون الأسباب المتداولة في نوع ذلك الشيء، وهذا إذا اقتضته الحكمة الإلهية، ويستفاد من الآيات والأحاديث بنحو الوضوح أن الحكمة الإلهية المقتضية لخلق بعض الأشياء كالرجعة مثلاً إنما هي دفع ما توهمه المنكرون للبعث والحشر والنشر.

قال تعالىٰ: ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾[1] ثم إنه تعالىٰ بيّن بأحسن

---

١ ـ يس: ٧٨و٧٩.

بيان في دفع كون الأسباب علة لوقوع المسببات، كما توهمه المنكرون للبعث، حيث إنهم يرون الأسباب علة للمسببات لما بينهما من السنخيّة، وقد آنس أذهانهم بهذه المناسبات حتىٰ أنكروا قدرة الله في غيرها، فرد الله عليهم بقوله تعالىٰ: ﴿**الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون**﴾[1] أي انظروا كيف جعل الله تعالىٰ من الشجر الأخضر الموجب للبرودة ناراً، فالشجر الأخضر بمقتضىٰ توهمهم يكون علة للبرودة لا للنار، مع أنه تعالىٰ حصل منها النار، ردّاً علىٰ أن الأسباب ليست علة، بل العلة قدرته تعالىٰ وإرادته، وهذا أدلّ علىٰ أن القدرة تؤثر بغير سبب، حيث إنه مع وجود سبب البرودة أثر القدرة الإلهية في تحقق النار، فهو أقوىٰ في تأثير القدرة بدون سبب كما لا يخفىٰ.

ولعمري إن وقوع المسببات بدون السبب، وعدم وقوع المسببات مع وجود الأسباب بنحو الكمال في الدنيا كثيرة، لا نذكره دفعاً للاطالة، ولنعم ما قيل بالفارسية:

از سبب سازيش من سودائيم   و از سبب سوزيش سوفسطائيم

وقيل أيضاً:

شب تاريک و سنگستان و من مست   قدح از دست من افتاد و نشكست
نگهدارندهاش نيكو نگهداشت   و گرنه صد قدح نفتاده بشكست

وقيل:

گر نگهدار من آنست كه من ميدانم   شيشه را در بغل سنگ نگه ميدارد

وكيف كان فهذه الحكمة الإلهية اقتضت علىٰ أنه تعالىٰ يخلق بعض الأشياء

---

١ ـ يس: ٨٠.

بقدرته بدون الأسباب، بل في ظرف تحقق سبب الضد كما علمت.

في تفسير نور الثقلين[1]، عن تفسير العياشي عن الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: جاء أُبيّ بن خلف فأخذ عظماً بالياً من حائط ففتّه ثم قال: يـامحمد إذا كـنّا عظاماً ورفاتا أإنّا لمبعوثون خلقاً فأنزل الله: **﴿من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرّة وهو بكل خلق عليم﴾**[2] وفي حديث آخر فيه عـن موسىٰ بن جعفر عن أبيه عن آبائه عن الحسين بن علي عليهما السلام، «أن يهوديّاً من يهود الشام وأحبارهم قال لأمير المؤمنين عليه السلام: فإنّ إبراهيم عليه السلام قد بهت الذي كفر ببرهان علىٰ نبوته، قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك ومحـمد صلى الله عليه وآله آتاه مكذّب بـالبعث بـعد الموت وهو أُبيّ بن خلف الجمحي معه عظم نخر ففركه ثم قال يامحمد: من يحـيي العظام وهو رميم؟ فأنطق الله محمداً بمحكم آيـاته وبهـته بـبرهان نـبوته فـقال: **﴿يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾**، فأنصرف مبهوتاً».

وفيه عن احتجاج الطبرسي قال أبو محمد العسكري عليه السلام: قال الصـادق عليه السلام: «وأما الجدال بالتي هي أحسن فهو ما أمر الله تعالىٰ به نبيه أن يجادل به من جحد البعث بعد الموت وأحياه له فقال حاكياً عنه: **﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم﴾**[3]، فقال الله في الرد عليه: **﴿قل﴾** يامحمد **﴿يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم * الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون﴾**[4] فأراد من نبيه أن يجادل المبطل الذي قال كيف: يجوز أن يبعث هذه العظام وهي رميم؟ قال: **﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة﴾**[5] أفيعجز مـن ابتدأ به لا من شيء أن يعيده بعد أن يبلىٰ، بل ابتداؤه أصعب عندكم من إعادته.

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٣٩٤.

٢ ـ يس : ٧٨.

٣ ـ يس : ٧٨.

٤ ـ يس : ٨٠.

٥ ـ يس : ٨٠.

ثم قال: ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً﴾ أي إذا كمن النار الحارة في الشجر الأخضر الرطب ثم يستخرجها، فعرفكم أنه علىٰ إعادة من بلىٰ أقدر».

أقول: قوله عليه السلام: «أصعب عندكم»، أي عند المنكرين لقدرته على البعث وإلّا فهو عند أهل التوحيد سواء.

قوله عليه السلام: «أي إذا كمن»، يشير إلىٰ ما تقدم من أن قدرته تعالىٰ هي السبب للخلق مطلقاً لا الأسباب، فإنه تعالىٰ كمن في الشجر الأخضر النار بقدرته، فقد أخذ أثر الشجر الأخضر، واستخرج النار من الشجر الأخضر بقدرته، فهذه آية منه تعالىٰ علىٰ قدرته علىٰ إعادة من بلىٰ، بل هو عليه أقدر بعدم معارضته بالسبب الضد، كما لا يخفىٰ.

وكيف كان فهو تعالىٰ يكفي من كل شيء ولا يكفي منه شيء، أي أنّ المسببات ليست غنيّة عنه تعالىٰ بوجود أسبابها، بل هي في حال وجود أسبابها أيضاً محتاجة إليه تعالىٰ، ليعلم أن العلة هو تعالىٰ بنفسه، فإنه تعالىٰ علم كلّه، قدرة كله، سمع كله، بصر كله، وجود كله، لم يزل ولا يزال كذلك، ولم يكن له ولي من الذل وكبّره تكبيراً، وهو متفرد بخلق ما خلق وصنع ما صنع بلا استعانةٍ من غيره حتىٰ بمثل الأسباب، بل علمت أنها مقيدات لمطلقات قدرته تعالىٰ، فهي في الحقيقة مانعة عن التأثير والخلق المطلق بحدودها لحكمة إلهية، وهي حفظ النظام لا موجبة وعلة لخلق المسبب بل هو مخلوقه تعالىٰ بقدرته، ولا شريك له تعالىٰ في ذلك ولا ند له، ولا وزير سبحانه وتعالىٰ عما يشركون، وبيده ملكوت كلّ شيء وإليه ترجعون، وإنما خلق الصفات والأسماء لمصالح اقتضتها الحكمة الإلهية كما علمت ولا يختل بها تعاليه تعالىٰ في الفاعلية التامة المستقلة، وهو فاعل ما يشاء من وراء هذه الحجب الأسمائية والأسباب، يفعل ما يشاء كيف يشاء من غير استعانة بالأسباب، وهو الخالق البارئ المصوّر له الأسماء الحسنىٰ، ألا ترىٰ إلىٰ خلقة آدم عليه السلام من غير أب وأم، وإلىٰ إخراجه وإبدائه الناقة من الجبل لصالح عليه السلام وإلىٰ جعله عصا موسىٰ

ثعبان وإلىٰ جعله النار برداً وسلاماً علىٰ إبراهيم، وإلىٰ إنطاقه الحصىٰ والحبة والشجر، وأثمار الشجر اليابس لمحمد وآله الطاهرين (صلوات الله عليهم) إلىٰ ما شاء الله من إظهار الأشياء وخلقها بغير الترتيب الذي رتّبها عليه.

وقد ظهر مما ذكر ـ وله الحمد ـ أنه تعالىٰ هو الفاعل الوحيد بنفسه المقدسة للأمور فيما وراء هذه الحجب والأسماء والأسباب، وخلق هذه الحجب لحفظ نظام الوجود حسب ما اقتضته الحكمة الإلهية، لا أن الأسباب دخيلة في إيجادها، بل هو الموجد تعالىٰ ولذا قد يوجد بلا هذه الأسباب، بل قد يوجد مع وجود ضدّها كما في خلق البرودة في النار.

ولعمري إن هذه الأُمور مما يوجب الإذعان والتصديق بأن قدرته تعالىٰ نافذة في الأُمور، وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، دون غيره وبدون توقّف إلىٰ سبب آخر، ثم إن الحكمة في خلق بعض الأُمور بدون تحقق الأسباب الظاهرية، قد علمت أنها هي الرد علىٰ منكري البعث وردعهم عن عقيدتهم الفاسدة، وأيضاً أنها تكون لأجل الرد علىٰ من يزعم أن الأسباب هي التي تؤثر في المسببات بالاستقلال، أو بحيث لو لم تكن لما أمكنه تعالىٰ أن يخلق مسبب هذا السبب، فإن هذه العقيدة شرك محض به تعالىٰ، كما لا يخفىٰ.

فاقتضت الحكمة الإلهية علىٰ أن يخلق بعض الأُمور بغير سببها دفعاً لهذا التوهم الفاسد، كما لا يخفىٰ على العارف بأسمائه تعالىٰ وصفاته الذاتية.

ثم إنه لابد للمؤمن أن يعتبر من هذه الأُمور ويحصل له اليقين بالرجعه وبقدرته تعالىٰ، ولا ينكرها كما نهينا عنه في الأحاديث المتقدمة، فالاعتبار بهذه الأُمور يوجب حصول اليقين للإنسان العارف المتنبّه.

ولعمري إن الموجودين في زمان الرجعة لما رأوها حصل لهم اليقين بقدرته تعالىٰ، وفازوا بالمعرفة الكاملة بالنسبة إليه تعالىٰ. وأما نحن فمن بصره الله تعالىٰ فيحصل له أيضاً هذا اليقين من النظر في هذه الآيات والأخبار.

هذا وقد روي عن الرضا عليه السلام فيما رأيت في سالف الزمان أن القرآن هو اليقين.

أقول: أي موجب لليقين، فمن تيقّن به بالنسبة إلىٰ هذه الأُمور فهو من المؤمنين الكاملين.

وقد دل القرآن علىٰ أنه برهان ونور وهدى للمتقين والمؤمنين، كما لا يخفىٰ.

وهذا هو الذي كان لجابر رحمه الله في البحار[1]، عن رجال الكشي بإسناده عن محمد بن مسلم وزرارة قالا: سألنا أبا جعفر عليه السلام عن أحاديث نرويها عن جابر، فقلنا: ما لنا ولجابر؟ فقال: «بلغ من إيمان جابر أنه كان يقرأ هذه الآية **﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلىٰ معاد﴾**[2]».

أقول: أي يعلم معناه.

ففيه[3]، عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «جابر يعلم قول الله عزوجل: **﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلىٰ معاد﴾**».

أقول: ومعنىٰ أنه يعلم معناه، أي يعلم أنها تشير إلى الرجعة وأنه متيقّن بها.

ففيه[4]، عن منتخب البصائر بإسناده، عن أبي مروان قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزوجل: **﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلىٰ معاد﴾** قال: فقال لي: «لا والله، لا تنقضي الدنيا ولا تذهب حتىٰ يجتمع رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي بالثوية فيلتقيان ويبنيان بالثوية مسجداً له اثنا عشر ألف باب، يعني موضعاً بالكوفة».

أقول: هذا تفسير للثويّة.

وفي حديث آخر قبل هذا في ذيله بعد ذكر الآية، فقال أبو جعفر عليه السلام: «ما أحسب نبيكم صلى الله عليه وآله إلّا سيطّلع عليكم إطلاعة».

---

١ ـ البحار ج٥٣ ص١٢١.
٢ ـ القصص: ٨٥.
٣ ـ البحار ج٥٣ ص١٢١.
٤ ـ البحار ج٥٣ ص١١٣.

أقول: فجابر علم هذا المعنىٰ من الآية المباركة من علمهم عليهم السلام.

ففيه عن كتاب صفات الشيعة للصدوق رحمه الله وروي أيضاً عن ابن عبدوس، عن ابن قتيبة، عن الفضل بن شاذان، عن الرضا عليه السلام قال: «من أقرّ بتوحيد الله، وساق الكلام.. إلىٰ أن قال: وأقرّ بالرجعة والمتعتين وآمن بالمعراج والمساءلة في القبر، والحوض والشفاعة، وخلق الجنة والنار، والصراط والميزان، والبعث والنشور، والجزاء والحساب، فهو مؤمن حقاً وهو من شيعتنا أهل البيت».

وفيه[1]، عن الفقيه: قال الصادق عليه السلام: «ليس منا من لم يؤمن بكرّتنا، ولم يستحلّ متعتنا».

أقول: قد علمت أن الحكمة في الرجعة بالنسبة إلى الأُمم السالفة وهذه الأُمة. وفي خلق الأشياء بلا سبب الأمران المتقدمان من ردّ من أنكر البعث، وردّ من توهم أن الأسباب هي العلة للمسببات بحيث لا يمكن تأثير قدرته تعالىٰ على المسبّب في غير وجود سببه، ولكنه قد ذكر أيضاً للرجعة حِكم أخرىٰ وحاصلها أمور:

منها: أن لله تعالى الأسماء الحسنىٰ ومظاهرها النبيون والأئمة ومن تبعهم من المؤمنين ومظاهرها كلها نور، وخلق تعالىٰ في قبالها الأسماء الظلمانية قال تعالىٰ: ﴿**جعل الظلمات والنور**﴾[2].

والأسماء الظلمانية مظاهرها ظلمانية من العلم واليقين والمعرفة، ومظاهرها الكفار وأئمة الضلال، ولابد لكل من الطائفتين من ظهور في الدنيا ودولة.

ومن المعلوم أن الدنيا إلىٰ قيام الحجة، تكون الأسماء الحسنىٰ بما لها من المظاهر من الأنبياء والنبي الأعظم والأئمة عليهم السلام وأشياعهم مغلوبين مقهورين مقتولين، بحيث لا يقدرون علىٰ إظهار عقائدهم كما هو حقها، وإجراء أحكام الدين كما أنزلها

---

١ ـ البحار ج٥٣ ص٩٢.

٢ ـ الانعام: ١.

الله تعالىٰ، وحينئذ نقول: لو لم تكن رجعة لزم عدم ظهور كمال خلق الأسماء الحسنىٰ، وما لها من المظاهر من الأنبياء والأئمة وأشياعهم، فإنهم وإن أظهروا الحق بالبراهين الساطعة إلّا أنه لم تقع في الخارج مقاصدهم الكاملة، ولم يظهر دين الله بنحو الشمول، وعدم هذا الظهور الكامل نحو من العبث في الخلقة، تعالى الله عن ذلك، فلابد من الرجعة، لكي تتم كمالات الدين ويظهر الحق كما هو حقه.

ولعل إليه تشير أحاديث منها ما في البحار[1]، بإسناده، عن الحسن بن شاذان الواسطي قال: كتبت إلىٰ أبي الحسن الرضا عليه السلام أشكو جفاء أهل واسط وحملهم عليّ، وكانت عصابة من العثمانية تؤذيني، فوقّع بخطه: «إن الله جل ذكره أخذ ميثاق أوليائنا على الصبر في دولة الباطل، فاصبر لحكم ربّك، فلو قد قام سيد الخلق لقالوا: ﴿**ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون**﴾[2]»، فيستفاد منه أن الدولة قبل قيام سيد الخلق تكون دولة الباطل وبعده تكون دولة الحق ويظهر الحق، ويضمحل الباطل وأهله بحيث يقولون ياويلنا، ولعل فيه إشارة إلى الرجعة أيضاً مضافاً إلىٰ قيامه، كما لا يخفىٰ.

وإلىٰ هذا أيضاً يشير ما سيجيء من رواية جابر عن الصادق عليه السلام، وفي ذيلها: «وحتىٰ يبعثه الله علانية فتكون، عبادته علانية في الأرض كما عبدالله سرّاً في الأرض» الحديث.

ومنها: إنجاز ما وعد الله المؤمنين من الأنبياء والمرسلين خصوصاً نبينا صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام وأشياعهم بقوله تعالىٰ: ﴿**ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا**﴾[3] الآية.

في تفسير البرهان[4]، المفيد من إرشاده عن عثمان بن أبان، عن أبي الصباح

---

١ ـ البحار ج ٥٣ ص ٨٩.
٢ ـ يس : ٥١.
٣ ـ القصص : ٥.
٤ ـ تفسير البرهان ج ٣ ص ٢١٨.

الكناني، قال: نظر أبو جعفر إلىٰ أبي عبدالله عليه السلام فقال: «ترىٰ هذا؟ هذا من الذين قال الله عزوجل: **﴿ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾**[١]».

وفيه: الطبرسي قال: صحّت الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «والذي فلق الحبة وبرئ النسمة لتعطفنّ علينا الدنيا بعد شماسها عطف الضروس علىٰ ولدها، وتلا عقيب ذلك: **﴿ونريد أن نمنّ علىٰ الّذين استضعفوا في الأرض﴾** الآية، وبقوله تعالىٰ: **﴿وعد الله الذين آمنوا منكم﴾**[٢] الآية».

ففيه[٣]، محمد بن يعقوب بإسناده عن عبدالله بن سنان قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله جل جلاله: **﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الّذين من قبلهم﴾**[٤] قال «هم الأئمة عليهم السلام».

وفيه، عن محمد بن إبراهيم النعماني عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالىٰ: **﴿وعد الله﴾** الآية، قال: «القائم وأصحابه».

وفيه، محمد بن العباس بإسناده إلىٰ عبدالله بن سنان، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل: **﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم﴾**، قال: «نزلت في علي بن أبي طالب والأئمة من ولده عليهم السلام، **﴿وليمكننّ لهم دينهم الذى ارتضىٰ لهم وليبدّلنّهم من بعد خوفهم أمناً﴾**[٥] قال: عنىٰ به ظهور القائم (عج)».

وفي البحار[٦]، عن مجالس المفيد بإسناده إلىٰ عباية الأسدي قال: سمعت

---

١ ـ القصص : ٥.
٢ ـ النور : ٥٥.
٣ ـ تفسير البرهان ج٣ ص١٤٦.
٤ ـ النور : ٥٥.
٥ ـ النور : ٥٥.
٦ ـ البحار ج٥٣ ص٧٦.

علياً عليه السلام يقول: «أنا سيد الشيب وفيّ سنّة من أيوب، والله ليجمعنّ الله لي أهلي كما جمعوا ليعقوب».

وفيه[١]، عن تفسير علي بن إبراهيم: أبي، عن ابن أبي عمير، عن عبدالله بن مسكان، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثمّ جاءَكم رسول مصدق لما معكم لتؤمننّ به ولتنصرنّه﴾[٢] قال: «ما بعث الله نبيّاً من لدن آدم إلّا ويرجع إلى الدنيا فينصر أمير المؤمنين».

وقوله: «لتؤمننّ به»، يعني رسول الله صلى الله عليه وآله، «ولتنصرنّه»، يعني أمير المؤمنين عليه السلام.

وفيه[٣]، عن منتخب البصائر بإسناده، عن فيض بن أبي شيبة، قال سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: وتلا هذه الآية: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين﴾[٤] الآية، قال: «ليؤمننّ برسول الله صلى الله عليه وآله، ولينصرنّ عليّاً أمير المؤمنين عليه السلام، قلت: ولينصرنّ أمير المؤمنين عليه السلام؟ قال عليه السلام: نعم والله من لدن آدم فهلمّ جرّاً، فلم يبعث الله نبياً ولا رسولاً إلّا ردّ جميعهم إلى الدنيا حتىٰ يقاتلوا بين يدي علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام».

فدلّت هذه الآيات والأحاديث ونظائرها الكثيرة علىٰ أنه تعالىٰ سينجز ما وعده لهم من استخلافهم في الأرض ويمكّننهم من دينهم الذي ارتضىٰ لهم، ولينصرنّهم الأنبياء السابقون. ومعلوم أن إنجاز هذا الوعد لا يكون إلّا في الرجعة كما لا يخفىٰ، ومنه يظهر إنجازه تعالىٰ ما وعده للمؤمنين.

ففيه[٥]، عن منتخب البصائر: سعد، عن اليقطيني، عن القاسم، عن جده

---

١ ـ البحار ج٥٣ ص٦١.
٢ ـ آل عمران: ٨١.
٣ ـ البحار ج٥٣ ص٤١.
٤ ـ آل عمران: ٨١.
٥ ـ البحار ج٥٣ ص٤٤.

الحسن، عن أبي إبراهيم عليه السلام قال: قال: «لترجعنّ نفوس ذهبت، وليقتصنّ يوم يقوم، ومن عذّب يقتصّ بعذابه، ومن اغيظ أغاظ بغيظه، ومن قتل اُقتصّ بقتله، ويردّ لهم أعداؤهم معهم، حتىٰ يأخذوا بثأرهم، ثمّ يعمروا بعدهم ثلاثين شهراً ثم يموتوا في ليلة واحدة قد أدركوا ثأرهم، وشفوا أنفسهم، ويصير عدوّهم إلىٰ أشد النار عذاباً، ثم يوقفوا بين يدي الجبار عزوجل فيؤخذ لهم بحقوقهم».

وفيه عنه بهذا الإسناد عن الحسن بن راشد، عن محمد بن عبدالله بن الحسين قال: دخلت مع أبي علىٰ أبي عبدالله عليه السلام فجرىٰ بينهما حديث، فقال أبي لأبي عبدالله عليه السلام: ما تقول في الكرّة؟ قال: «أقول فيها: ما قال الله عزوجل وذلك أن تفسيرها ـ أي الكرّة ـ صار إلىٰ رسول الله قبل أن يأتي هذا الحرف بخمس وعشرين ليلة قول الله عزوجل: ﴿تلك إذاً كرّة خاسرة﴾[1]، إذا رجعوا إلى الدنيا ولم يقضوا حولهم، فقال له أبي: يقول الله عزوجل: ﴿فإنّما هي زجرة واحدة * فإذا هم بالساهرة﴾[2] أي شيء أراد بهذا؟ فقال: إذا انتقم منهم وباتت بقية الأرواح ساهرة لا تنام ولا تموت».

أقول: الذحول جمع الذّحل وهو طلب الثار، وظاهره أنّ المراد من الكرّة هو الكرّة في الرجعة، وكونها خاسرة أي ذات خسران أو خاسر أصحابها، والمعنىٰ أنهم حينئذ ذاك خاسرون؛ لتكذيبهم الأنبياء والرسل والولاية أو الرجعة.

قوله تعالىٰ: ﴿فإذا هم بالساهرة﴾ أي الحالة الساهرة، وهي حالة العذاب الروحي المفسر في قوله عليه السلام: «لا تنام ولا تموت».

وهذه حالة صعبة على الروح جداً، ثم إن للآيات القرآنية مصاديق كهذه الآية فللكرة مصاديق: منها الرجعة ومنها القيمة، فإن ألفاظ القرآن بل مطلقاً موضوعة للمعاني العامة كما حقق في محله.

---

١ ـ النازعات: ١٢.

٢ ـ النازعات: ١٣ و ١٤.

في تفسير البرهان[١]، محمد بن العباس بإسناده إلىٰ جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الكرّة المباركة النافعة لأهلها يوم الحساب ولايتي واتّباع أمري، وولاية علي والأوصياء من بعده، والكرة الخاسرة عداوتي وترك أمري، وعداوة علي والأوصياء من بعده، يدخلهم الله بها النار في أسفل السافلين».

أقول: هذه الرواية الشريفة تفسّر الكرّة الخاسرة وإن كانت في الرجعة كما لا يخفىٰ.

وكيف كان فهذه الأحاديث دلّت علىٰ أن الله تعالىٰ يبعث المؤمنين في الكرّة؛ ليقضوا ثارهم من أعدائهم، بل المستفاد من الأحاديث أنه لابد لكلّ مؤمن من الموت أو القتل، فمن مات يرجع حتىٰ يقتل، ومن قتل يرجع حتىٰ يموت بأجله.

في البحار عن منتخب البصائر، سعد عن ابن أبي الخطاب، عن أبي خالد القمّاط، عن عبدالرحمن القصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قرأ هذه الآية: ﴿إنّ الله اشترىٰ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم﴾، فقال: «هل تدري من يعني؟ فقلت: يقاتل المؤمنون فيقتلون ويقتلون، فقال: لا، من قتل من المؤمنين ردّ حتىٰ يموت، ومن مات ردّ حتىٰ يقتل، وتلك القدرة فلا تنكرها».

وفيه[٢] عنه بإسناده، عن جابر بن يزيد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ لعلي عليه السلام في الأرض كرّة مع الحسين ابنه (صلوات الله عليهما) يقبل برايته، حتىٰ ينتقم له من بني أُمية ومعاوية ومن شهد حربه، ثم يبعث الله إليه بأنصاره يومئذ من أهل الكوفة ثلاثين ألفاً، ومن ساير الناس سبعين ألفاً، فيلقاهم بصفّين مثل المرة الأولىٰ حتىٰ يقتلهم، ولا يبقي لهم مخبراً، ثم يبعثهم الله عزوجل فيدخلهم أشد عذابه مع فرعون وآل فرعون، ثم كرّة أخرىٰ مع رسول الله صلى الله عليه وآله حتىٰ يكون خليفة في الأرض،

---

١ ـ تفسير البرهان ج ٤ ص ٤٢٥.
٢ ـ البحار ج ٥٣ ص ٧٤.

وتكون الأئمة عليهم السلام عمّاله، وحتىٰ يبعثه الله علانية، فتكون عبادته علانية في الأرض كما عبد الله سرّاً في الأرض.

ثم قال: أي والله وأضعاف ذلك، ثم عقد بيده أضعافاً، يعطي الله نبيّه صلى الله عليه وآله ملك جميع أهل الدنيا منذ يوم خلق الله الدنيا إلىٰ يوم يفنيها، حتىٰ ينجز له موعوده في كتابه كما قال: ﴿**ويظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون**﴾.

أقول: يستفاد من هذه الأحاديث أن الحكمة في الرجعة أيضاً هو إنجاز ما وعد الله النبي والأئمة (عليه وعليهم السلام) والمؤمنين النصرة علىٰ أعدائهم وتمكنهم في الأرض بحيث لا يبقىٰ إلّا الدين الحق.

ففي البحار[1]، عن تفسير فرات بن إبراهيم، معنعناً عن ابن عباس، في قوله تعالىٰ: ﴿**والنهار إذا جلّيها**﴾، قال: «يعني الأئمة منّا أهل البيت يملكون الأرض في آخر الزمان فيملؤنها عدلاً وقسطاً».

وفيه[2]، مما رواه عن علي بن موسىٰ بن طاووس تحت رقم١٥ بإسناده عن صالح بن ميثم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: حدثني، قال: «أليس قد سمعت أباك؟ قلت: هلك أبي وأنا صبي، قال: قلت: فأقول: فإن أصبت سكتّ، وإن أخطأت رددتني عن الخطإ قال: هو أهون، قال: قلت: فإني أزعم أنّ عليّاً دابة الأرض، قال: وسكت، قال: وقال أبو جعفر عليه السلام وأراك والله ستقول: أنّ علياً راجع إلينا وقرأ: ﴿**إن الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلىٰ معاد**﴾ قال: قلت: والله قد جعلتها فيما أُريد أن أسألك عنها فنسيتها، فقال أبو جعفر عليه السلام: أفلا أخبرك بما هو أعظم من هذا؟ ﴿**وما أرسلناك إلّا كافّة للناس بشيراً ونذيراً**﴾ لا تبقىٰ أرض إلّا نودي فيها بشهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وأشار بيده إلىٰ آفاق الأرض».

---

١ ـ البحار ج٥٣ ص١١٨.

٢ ـ البحار ج٥٣ ص١١٣.

هذا بعض الأحاديث المبيّنة لحكمة الرجعة، ولعلك تسمع فيما نذكره من أخبار الباب ما يبيّن لك الحكمة فيها إن شاء الله.

تتمة: قال بعض الأعلام ما حاصله: واعلم أن للمخالفين شبهات ركيكة في الرجعة.

منها: أنها لو كانت حقاً، فما الذي يمنع من توبة يزيد والشمر وابن ملجم فيها ويرجعون عن كفرهم وضلالهم، فلا يجوز حينئذ لعنهم؟

والجواب عنه تارة بأنه لما ورد عن أئمة الدين عليهم السلام لعنهم، علمنا أنهم لا يختارون الايمان، وأنهم ممن قال الله تعالىٰ فيهم: **﴿ولو أننا نزّلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتىٰ وحشرنا عليهم كل شيء قُبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلّا أن يشاء الله﴾**[١] أي إلّا أن يحثهم الله ويلزمهم بالايمان، فإنه قادر عليه، وأما هم فبطبيعتهم لا يختارون الإيمان مع مشاهدة تلك الآيات الإلهية.

أقول: قد علمت وتعلم أحاديث كثيرة دلّت علىٰ أن القائم (عج) والأئمة عليهم السلام بعد الرجعه يقاتلون أعداء الله مع ظهور دلائل الحق وآياته لهم، فيكشف منه أنه إنما يرجعون إلى الدنيا لتقتصّ منهم كما علمت، وهذا بعدما رسخوا في الضلالة بحيث لا يرجعون إلىٰ قبول الحق، ولذا دلّت أحاديث كثيرة كما نذكرها علىٰ أنه إنما يرجع من محض الايمان محضاً ومن محض الكفر محضاً.

ومن المعلوم أن من محض الكفر محضاً لا يكاد يتوب ويقبل الايمان؛ لرسوخ الكفر والنفاق في ذاته، كما حقق في محله في مسألة خلود أهل النار فيها، كما لا يخفىٰ.

وفي البحار[٢]: وقال الشيخ أمين الدين الطبرسي: في قوله تعالىٰ: **﴿وإذا وقع القول عليهم﴾** أي: وجب العذاب والوعيد عليهم.

وقيل معناه: إذا صاروا بحيث لا يفلح أحد منهم ولا أحد بسببهم.

---

١ ـ الأنعام: ١١١.

٢ ـ البحار ج٥٣ ص١٢٤.

وقيل: إذا غضب الله عليهم.

وقيل: إذا نزل العذاب بهم عند اقتراب الساعة، ﴿أخرجنا لهم دابّة من الأرض﴾[١]، تخرج بين الصفا والمروة، فتخبر المؤمن بأنه مؤمن، والكافر بأنّه كافر، وعند ذلك يرتفع التكليف، ولا تقبل التوبة وهو علم من أعلام الساعة.

وقيل: لا يبقىٰ مؤمن إلّا مسحته، ولا يبقىٰ منافق إلّا خطمته تخرج ليلة جمع، والناس يسيرون إلىٰ منىٰ، عن ابن عمر.

فالمستفاد من هذا الكلام، أن وقوع القول عليهم هو إشارة إلىٰ استحقاقهم العذاب، حيث صاروا لا يفلح أحد منهم ولا أحد بسببهم، فإن المستفاد من الآيات والأحاديث، أن سنّة الله تعالىٰ اقتضت أن لا يعذّب أحداً وفيه إمكان من نفسه للتوبة، فإذا علم الله تعالىٰ أنه صار بحيث لا يفلح أبداً، كما علم ذلك من قوم نوح حيث قال في حقهم: ﴿ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً﴾[٢]، فإنه إقرار منه علىٰ أنهم كفّار ولذا قال: ﴿.. ولا يلدوا إلّا فاجراً كفّاراً﴾[٣]، فإنه حينئذ يعذّبهم، وحال هذه الأشخاص في الرجعة هكذا، كما هم كذلك في القيٰمة، ولله العالم.

وأخرىٰ يجاب عنها بأن الله تعالىٰ إذا ردّ الكافرين في الرجعة للانتقام منهم، لا يقبل لهم توبة، كما دلّت الأحاديث الواردة في قوله تعالىٰ: ﴿يوم يأتي بعض آيات ربّك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً﴾[٤]، إن هذه عند ظهور القائم (عج) فإنه إذا تاب المخالف لم تقبل توبته.

وستأتي أحاديثه.

وأوردوا أيضاً بأنه كيف يعود الكفار والمخالفين إلىٰ طغيانهم بعد الرجعة وقد عاينوا عذاب الله؟

---

١ ـ النمل: ٨٢.

٢ ـ نوح: ٢٦.

٣ ـ نوح: ٢٧.

٤ ـ الأنعام: ١٥٨.

والجواب: ما تقدم من أنه لولا قد أخبر الله عنهم أنهم ما كانوا ليؤمنوا كما تقدم ـ وثانياً أنهم إذا رجعوا فرضاً لم تقبل توبتهم كما تقدم ـ وثالثاً أنه تعالىٰ قد أخبر عنهم لا يؤمنون وإن عاينوا العذاب كما قال تعالىٰ تارة في حقهم **﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنّا﴾**[1] وقال أيضاً في حقهم: **﴿ياليتنا نردّ ولا نكذّب بآيات ربّنا ونكون من المؤمنين﴾**[2]، فقال تعالىٰ في الردّ عليهم: **﴿بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه﴾**[3] فدلّت هذه الآية علىٰ إمكان أنهم لا يؤمنون بل علىٰ وقوعه إن ردّوا، ولا يفرق بين أن يردّوا في الرجعة أو في القيامة لوحدة الملاك كما لا يخفىٰ.

ثمّ إن هناك ردّاً وإيراداً على القول بالرجعة على المخالفين، وقد ذكر ما قيل أو ما يمكن أن يقال في أمر الرجعة في الكتب المدوّنة في الرجعة، ومنها البحار فإنه ﷺ ذكر أقوال المخالفين وأدلّتهم وأجاب عنها بما أجاب به القدماء من الأصحاب (رضوان الله تعالىٰ عليهم) فمن أراد الاطلاع إليها فليراجعه والحمد لله وحده.

الجهة الثانية: في الآيات والأحاديث الواردة في الرجعة تصريحاً أو تأويلاً منهم عليهم السلام بها، وهي تحت عناوين قد علمت بعضها من الأحاديث المتقدمة ونحن نذكرها إجمالاً:

فمنها: ما تقدم من الحديث في قوله تعالىٰ: **﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين﴾**[4] الدال علىٰ رجوع الأنبياء جميعهم لنصرة أمير المؤمنين عليه السلام.

ومنها: ما ورد في قوله تعالىٰ: **﴿ويوم نحشر من كلّ أُمة فوجاً﴾**[5].

---

١ ـ غافر: ٨٤.
٢ ـ الأنعام: ٢٧.
٣ ـ الأنعام: ٢٨.
٤ ـ آل عمران: ٨١.
٥ ـ النمل: ٨٣.

في البحار[١]، عن تفسير علي بن إبراهيم، أبي عن ابن أبي عمير عن حمّاد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما يقول الناس في هذه الآية ﴿ويوم نحشر من كلّ أمة فوجاً﴾، قلت: يقولون: إنها في القيامة، قال: «ليس كما يقولون، إن ذلك في الرجعة، أيحشر الله يوم القيمة من كل أُمة فوجاً ويدع الباقين؟ إنما آية القيامة، قوله: ﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً﴾[٢]» ومثله أحاديث أخر وهذه الآية، صريحة في الرجعة كما لا يخفىٰ.

ومنها: ما ورد في قوله تعالىٰ: ﴿ولئن قتلتم في سبيل الله أو متمّ لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون﴾[٣].

في البحار[٤]، عن منتخب البصائر بإسناده، عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سأل عن قول الله عزوجل: ﴿ولئن قتلتم في سبيل الله أو متمّ﴾، فقال: «ياجابر أتدري ما سبيل الله؟ قلت: لا والله إلّا إذا سمعت منك، فقال: القتل في سبيل علي عليه السلام وذريته، فمن قتل في ولايته قتل في سبيل الله، وليس أحد يؤمن بهذه الآية إلّا وله قتلة وميتة، إنه من قتل ينشر حتىٰ يموت، ومن مات ينشر حتىٰ يقتل».

ومنها: ما في البحار[٥]، عن منتخب البصائر بإسناده، إلىٰ جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزوجل: ﴿ياأيّها المدّثّر * قم فأنذر﴾ يعني بذلك محمداً صلى الله عليه وآله وقيامه في الرجعة ينذر فيها، وقوله: ﴿إنها لأحدى الكبر * نذيراً﴾[٦]، يعني محمداً صلى الله عليه وآله نذيراً للبشر، في الرجعة، وفي قوله: ﴿وما أرسلناك إلّا كافة

---

١ ـ البحار ج٥٣ ص٦٠.
٢ ـ الكهف: ٤٧.
٣ ـ آل عمران: ١٥٧.
٤ ـ البحار ج٥٣ ص٤٠.
٥ ـ البحار ج٥٣ ص٤٢.
٦ ـ المدّثّر: ٣٦و٣٧.

للناس﴾[١] في الرجعة.

وفيه عنه بهذا الاسناد، عن أبي جعفر عليه السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: إن المدّثّر هو كائن عند الرجعة، فقال له رجل: ياأمير المؤمنين أحياة قبل القيامة ثم موت؟ قال: فقال له عند ذلك: «نعم والله لكفرة من الكفر بعد الرجعة أشدّ من كفرات قبلها».

أقول: أحد معاني الكفر بمعنى الذلّة والخضوع كما في الحديث: «ما من يوم إلّا وكلّ عضو من أعضاء الجسد يكفّر للسان»، أي يذلّ ويخضع له يقول نشدتك الله أن أُعذب فيك.

وعلىٰ هذا فقوله عليه السلام «نعم والله لكفرة من الكفر بعد الرجعة أشدّ من كفرات قبلها» المراد من الكفر، أهل الكفر ومن الكفرة والكفرات هو الذلّة والخضوع، أي يكون لأهل الكفر ذلّة وخضوع أشدّ مما كان هم قبل الرجعة وفي صدر الاسلام، (والله العالم لمراد وليّه روحي له الفداء)، ويؤيده بل يدل علىٰ هذا ما فيه[٢] عن منتخب البصائر بإسناده إلىٰ أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل: ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾[٣].

قال: يكسرون في الكرّة كما يكسر الذهب حتىٰ يرجع كل شيء إلىٰ شبهه يعني إلىٰ حقيقته.

أقول: وسيأتي تحقيق لهذا الحديث الشريف في تتمة البحث، وتقدم حديث أبي إبراهيم عليه السلام الدال علىٰ هذا.

وفيه[٤] بإسناده عن محمد بن سليمان الديلمي عن أبيه، قال: سألت أبا

---

١ ـ سبأ: ٢٨.
٢ ـ البحار ج٥٣ ص٤٤.
٣ ـ الذاريات: ١٣.
٤ ـ البحار ج٥٣ ص٤٥.

عبدالله ﷺ عن قول الله عزوجل: ﴿إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً﴾[١] فقال: «الأنبياء رسول الله وإبراهيم وإسماعيل وذريته، والملوك الأئمة ﷺ.

قال: فقلت: وأيّ ملك أعطيتم؟ فقال: «ملك الجنة، وملك الكرّة».

أقول: وإلىٰ هذا الملك يشير ما رواه فيه عنه بعده، بإسناده عن المعلّىٰ بن خنيس، قال: قال لي أبو عبدالله ﷺ: «أول من يرجع إلى الدنيا، الحسين بن علي ﷺ فيملك حتىٰ يسقط حاجباه علىٰ عينيه من الكبر، قال: فقال أبو عبدالله ﷺ في قول الله عزوجل: ﴿إنّ الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلىٰ معاد﴾[٢]، قال: «نبيّكم راجع إليكم».

وفيه[٣]، عن تفسير علي بن إبراهيم بإسناده إلىٰ معاوية بن عمّار، قال: قلت لأبي عبدالله ﷺ: قول الله: ﴿فإنّ له معيشة ضنكاً﴾[٤]، قال: «هي والله للنصاب قال: جعلت فداك قد رأيناهم دهرهم الأطول في كفاية حتىٰ ماتوا؟ قال: ذاك والله في الرجعة، يأكلون العذرة».

وفيه[٥] عن تفسير علي بن إبراهيم قوله: ﴿وحرام علىٰ قرية أهلكناها أنّهم لا يرجعون﴾[٦] فإنه حدثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن سنان، عن أبي بصير ومحمد بن مسلم، عن أبي عبدالله وأبي جعفر ﷺ قال: «كلّ قرية أهلك الله أهله بالعذاب لا يرجعون في الرجعة» فهذه الآية من أعظم الدلالة في الرجعة لأن أحداً من أهل الاسلام لا ينكر أنّ الناس كلّهم يرجعون إلى القيامة، من هلك ومن لم يهلك، فقوله: ﴿لا يرجعون﴾، عنىٰ في الرجعة، فأما إلى القيامة يرجعون حتىٰ

---

١ ـ المائدة: ٢٠.
٢ ـ القصص: ٨٥.
٣ ـ البحار ج٥٣ ص٥١.
٤ ـ طه: ١٢٤.
٥ ـ البحار ج٥٣ ص٥٢.
٦ ـ الأنبياء: ٩٥.

يدخلوا النار.

وفيه[١] عنه، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: ﴿وللآخرة خير لك من الأُولىٰ﴾[٢]، قال: «يعني الكرّة هي الآخرة للنبي صلى الله عليه وآله، قلت: قوله: ﴿ولسوف يعطيك ربّك فترضىٰ﴾[٣] قال: يعطيك من الجنة فترضىٰ».

وفيه[٤] عن كنز الفوائد، روى الحسن بن أبي الحسن الديلمي بإسناده إلىٰ محمد بن علي عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله عزوجل: ﴿أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه﴾[٥]، قال: «الموعود علي بن أبي طالب وعده الله أن ينتقم له من أعدائه في الدنيا، ووعده الجنة له ولأوليائه في الآخرة».

وفيه[٦] عن كنز جامع الفوائد بإسناده، عن سليمان بن خالد، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿يوم ترجف الراجفة * تتبعها الرّادفة﴾[٧] قال: «الراجفة حسين بن علي عليه السلام في خمسة وسبعين ألفاً وهو قوله تعالىٰ: ﴿إنّا لننصر رسلنا والّذين آمنوا في الحيوٰة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد * يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾[٨]».

وفيه[٩] عن تفسير علي بن إبراهيم: ﴿ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين﴾[١٠] إلىٰ قوله من سبيل، قال الصادق عليه السلام ذلك في الرجعة.

---

١ ـ البحار ج٥٣ ص٥٩.
٢ ـ الضحىٰ : ٤ ـ ٥.
٣ ـ الضحىٰ : ٥.
٤ ـ البحار ج٥٣ ص٧٦.
٥ ـ القصص : ٦١.
٦ ـ البحار ج٥٣ ص١٠٦.
٧ ـ النازعات : ٦ ـ ٧.
٨ ـ الغافر : ٥١ ـ ٥٢.
٩ ـ البحار ج٥٣ ص٥٦.
١٠ ـ غافر : ١١.

أقول: الأخبار الدالة على الرجعة بعناوينها المختلفة كثيرة جداً، وفيما ذكرناه كفاية لمن استبصر، ولعمري إنها من الأمور المحتومة التي هي من ضروريات الدين بحيث قد سمعت أنه عليه السلام قال: «ليس منا من لم يؤمن برجعتنا ومتعتنا» وفي حديث «بشفاعتنا»، وهي ثابتة بالآيات والأحاديث وقد علمت أن العقل لا يأباه وأنّ الشبهات التي ذكروها لا تنهض دليلاً في قبال قدرته تعالىٰ علىٰ ذلك وعلمت جوابها، فهي ثابتة كثبوت القيامه عند أُولي الألباب والمعتقدين بولاية محمد وآله الطاهرين.

وهاهنا فوائد:

الفائدة الأولىٰ: قد تكرر ذكر دابة الأرض في الأحاديث، ولأنّ المراد منها هو أمير المؤمنين عليه السلام وقد فسرها بعضهم بغيره، فلابد من ذكر أحاديث الباب ثم بيان المراد منها، فنقول:

ففي البحار[1]، عن تفسير علي بن إبراهيم، أبي، عن ابن أبي عمير عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنتهىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام وهو نائم في المسجد قد جمع رملاً ووضع رأسه عليه، فحرّكه برجله.

ثم قال: قم يادابة الله، فقال رجل من أصحابه: يارسول الله أنسمّي بعضنا بعضاً بهذا الاسم؟ فقال: لا والله ما هو إلّا له خاصّة، وهو الدابة التي ذكر الله في كتابه: **﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلّمهم أنّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾**[2].

ثم قال: ياعلي إذا كان آخر الزمان أخرجك الله في أحسن صورة، ومعك ميسم تسم به أعداءك.

فقال الرجل لأبي عبدالله عليه السلام: إن العامة يقولون: هذه الآية إنما تكلمهم؟ فقال

---

١ ـ البحار ج٥٣ ص٥٢.
٢ ـ النمل: ٨٢.

أبو عبدالله: كلمهم الله في نار جهنم إنما هو تكلّمهم من الكلام، والدليل علىٰ أن هذا في الرجعة قوله: ﴿ويوم نحشر من كل أُمة فوجاً ممن يكذّب بآياتنا فهو يوزعون * حتىٰ إذا جاءُوقال أكذَبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً أمّاذا كنتم تعملون﴾[١] قال الآيات أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام.

فقال الرجل لأبي عبدالله عليه السلام: إنّ العامة تزعم أن قوله: ﴿ويوم نحشر من كل أُمة فوجاً﴾ عنىٰ في القيامة، فقال أبو عبدالله عليه السلام: فيحشر الله يوم القيامة من كل أُمة فوجاً ويدع الباقين، لا ولكنه في الرجعة، وأما آية القيامة ﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً﴾[٢].

حدثني أبي قال: حدثني ابن أبي عمير، عن المفضّل، عن أبي عبدالله عليه السلام قوله: ﴿ويوم نحشر من كل أُمة فوجاً﴾ قال: «ليس أحد من المؤمنين قتل إلّا يرجع حتىٰ يموت، ولا يرجع إلّا من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً.

قال أبو عبدالله عليه السلام: قال رجل لعمار بن ياسر: ياأبا اليقظان آية في كتاب الله قد أفسدت قلبي وشككتني؟ قال عمار: وأيّة آية هي؟ قال: قول الله: ﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلّمهم أنّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾[٣] فأيّة دابة هذه؟ قال عمار: والله ما أجلس ولا آكل ولا أشرب حتىٰ اريكها، فجاء عمار مع الرجل إلىٰ أمير المؤمنين وهو يأكل تمراً وزبداً، فقال ياأبا اليقظان هلّم، فجلس عمار وأقبل يأكل معه، فتعجّب الرجل منه، فلمّا قام عمار قال الرجل: سبحان الله ياأبا اليقظان، حلفت أنّك لا تأكل ولا تشرب ولا تجلس حتىٰ ترينيها؟ قال عمار: قد أريتكها إن كنت تعقل».

وفيه عن منتخب البصائر من كتاب سُليم بن قيس الهلالي (رحمة الله عليه)

---

١ ـ النمل: ٨٣ ـ ٨٤.

٢ ـ الكهف: ٤٨.

٣ ـ النمل: ٨٢.

الذي رواه عنه أبان بن أبي عياش وقرأ جميعه علىٰ سيدنا علي بن الحسين عليه السلام بحضور جماعة أعيان من الصحابة منهم أبو الطفيل، فأقرّه عليه زين العابدين عليه السلام وقال: «هذه أحاديثنا صحيحة».

قال أبان: لقيت بعد ذلك أبا الطفيل بعد ذلك في منزله، فحدثني في الرجعة عن أُناس من أهل بدر وعن سلمان والمقداد وأُبي بن كعب، وقال أبو الطفيل: فعرضت هذا الذي سمعته منهم علىٰ علي بن أبي طالب عليه السلام بالكوفة، فقال: هذا علم خاصّ لا يسع الأُمة جهله، وردّ علمه إلى الله تعالىٰ، ثم صدقني بكل ما حدثوني، وقرأ عليّ بذلك قراءة كثيرة فسّره تفسيراً شافياً، حتىٰ صرت ما أنا بيوم القيمة أشدّ يقيناً منّي بالرجعة، وكان مما قلت: ياأمير المؤمنين أخبرني عن حوض النبي صلى الله عليه وآله في الدنيا أم في الآخرة؟ فقال: «بل في الدنيا قلت: فمن الذائد عنه؟ قال: أنا بيدي فليردنّه أوليائي وليصرفنّ عنه أعدائي».

وفي رواية أُخرىٰ «ولأوردنّه أوليائي ولاصرفنّ عنه أعدائي».

فقلت: «ياأمير المؤمنين قول الله عزوجل: ﴿**وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلّمهم أنّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون**﴾، ما الدابة؟ قال «ياأبا الطفيل إله عن هذا.

فقلت: ياأمير المؤمنين أخبرني به جعلت فداك (أقول وأنا جعلت فداه) قال: هي دابة تأكل الطعام وتمشي في الأسواق وتنكح النساء، فقلت: ياأمير المؤمنين من هو؟ قال: هو زرّ الأرض الذي تسكن الأرض به، قلت: ياأمير المؤمنين من هو؟ قال: الذي قال الله تعالىٰ: ﴿**ويتلوه شاهد منه**﴾[1] ﴿ **والذي عنده علم من الكتاب**﴾[2] ﴿**والذي جاء بالصدق وصدق به**﴾[3] والناس كلهم كافرون غيره،

---

١ ـ هود : ١٧.

٢ ـ النمل : ٤٠.

٣ ـ الزمر : ٣٣.

قلت: ياأمير المؤمنين فسمّه لي، قال: قد سمّيته لك ياأبا الطفيل، والله لو أدخلت علىٰ عامة شيعتي الذين بهم أُقاتل، الذين أقرّوا بطاعتي وسمّوني أمير المؤمنين، واستحلّوا جهاد من خالفني، فحدثتهم ببعض ما أعلم من الحق في الكتاب الذي نزل به جبرئيل عليه السلام علىٰ محمد صلى الله عليه وآله لتفرّقوا عني حتىٰ أبقىٰ في عصابة من الحق قليلة أنت وأشباهك من شيعتي، ففزعت وقلت: ياأمير المؤمنين أنا وأشباهي متفرق عنك أو نثبت معك؟ قال: بل تثبتون.

ثمّ أقبل عليّ، فقال: إن أمرنا صعب مستصعب، لا يعرفه ولا يقرّ به إلّا ثلاثة ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو عبد مؤمن نجيب امتحن الله قلبه للإيمان ياأبا الطفيل إن رسول الله قبض فارتد الناس ضلالاً وجهالاً إلّا من عصمه الله بنا أهل البيت».

أقول: قوله عليه السلام «هو زرّ الأرض»: الذي تسكن الأرض به.

قيل: قال الجزري في حديث أبي ذر قال: يصف علياً، وأنه لعالم الأرض، وزرّها الذي تسكن إليه، أي قوامها وأصله من زرّ القلب وهو عظم صغير يكون قوام القلب به.

قوله عليه السلام: «وربّيّها» (بكسر الراء) إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿**وكأين من نبي قاتل معه ربّيّون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا**﴾[1].

وفيه[2] عن الكافي بإسناده، عن أبي الصامت الحلواني، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لقد أُعطيت الستّ: علم المنايا والبلايا (والوصايا) وفصل الخطاب، وإني لصاحب الكرّات، ودولة الدّول، وإني لصاحب العصا والميسم، والدابة التي تكلّم الناس».

وفيه عنه بإسناده عن أبي عبدالله قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام كثيراً ما يقول: «أنا قسيم الله بين الجنة والنار، وأنا الفاروق الأكبر، وأنا صاحب العصا والميسم».

---

١ ـ آل عمران: ١٤٦.

٢ ـ البحار ج٥٣ ص١٠١.

وفيه[١] عن كنز جامع الفوائد بإسناده، عن أبي عبدالله الجدليّ، قال: دخلت علىٰ علي بن أبي طالب عليه السلام يوماً فقال:« أنا دابة الأرض».

وفيه[٢] عن إكمال الدين بإسناده عن إنزال بن سبرة قال: خطبنا علي بن أبي طالب عليه السلام فحمد الله وأثنىٰ عليه.

ثم قال: «سلوني أيها الناس قبل أن تفقدوني.. إلىٰ أن ذكر الدجال.. إلىٰ أن قال عليه السلام: إلّا أنّ بعد ذلك الطّامّة الكبرىٰ، قلنا: وما ذلك ياأمير المؤمنين؟ قال خروج دابة من الأرض، من عند الصفا، معها خاتم سليمان، وعصا موسىٰ، تضع الخاتم علىٰ وجه كل مؤمن، فيطبع فيه (هذا مؤمن حقاً) وتضعه علىٰ وجه كل كافر فيكتب فيه (هذاكافر حقّاً) حتىٰ أن المؤمن لينادي: الويل لك يا كافر! وأنّ الكافر ينادي: طوبىٰ لك يامؤمن! وودت أني اليوم مثلك فأفوز فوزاً، ثمّ ترفع الدابة رأسها، فيراها من بين الخافقين بإذن الله عزوجل، بعد طلوع الشمس من مغربها، فعند ذلك ترفع التوبة فلا توبة تقبل، ولا عمل يرفع **﴿ولا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً﴾**[٣].

ثم قال عليه السلام: لا تسألوني عمّا يكون بعد ذلك، فإنه عهد إليّ حبيبي صلى الله عليه وآله أن لا أخبر به غير عترتي».

وفيه[٤] عن منتخب البصائر عن أبي بصير قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «أيّ شيء يقول الناس في هذه الآية: **﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلّمهم﴾**، فقال: هو أمير المؤمنين».

وفيه[٥] عن بصائر الدرجات بإسناده عن المفضّل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

---

١ ـ البحار ج٥٣ ص١٠٠.
٢ ـ البحار ج٥٢ ص١٩٢.
٣ ـ الأنعام: ١٥٨.
٤ ـ البحار ج٥٣ ص١١٢.
٥ ـ البحار ج٥٣ ص١١٩.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا صاحب العصا والميسم».

وفيه عنه عن سلمان الفارسي، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «أنا صاحب الميسم وأنا الفاروق الأكبر، وأنا صاحب الكرّات، ودولة الدول».

إذا علمت هذه الأحاديث فأعلم أنه لا ريب في أنّ الدابة تخرج وتكلّم الناس إلّا أنه يقع الكلام فيها في أمور:

الأول: في أنه من المراد منها، هل هي أمير المؤمنين أو موجود آخر؟

الثاني: في زمان خروجها.

الثالث: في بيان أمكنة خروجها.

الرابع: فيما تفعله دابة الأرض.

فنقول: **أما الأول**: فظاهر كثير من الأخبار كما تقدم هي أمير المؤمنين عليه السلام فهي من الانس، بل من أكمل أفراده، وهو علي عليه السلام.

ففي البحار[1]: وروىٰ محمد بن كعب القرظيّ قال: سأل علي (صلوات الرحمن عليه) عن الدابة، فقال: «أما والله ما لها ذنب وإنّ لها للحية» وفي هذا إشارة إلىٰ أنها من الانس، ثم إن هذا هو المستفاد من كلامه عليه السلام فيما تقدم من قوله: «أنا صاحب العصا والميسم».

وفي المروي عنه عليه السلام كما يجيء ذكره.. إلىٰ أن قال: «حتىٰ إن الرجل يقوم فيتعوذ منها بالصلوٰة، فتأتيه من خلفه فتقول: يافلان الآن تصلّي؟ فيقبل عليها بوجهه فتسمه في وجهه ...» الحديث سيأتي بتمامه.

وقيل في قوله تعالىٰ: «تكلّمهم»، أي تكلّمهم بما يسؤهم، وتحدثهم بأن هذا مؤمن وهذا كافر وكلامها معهم هو ما ذكره الله تعالىٰ بأن تقول لهم ﴿أنّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾[2]، هذا من فعل الانسان كما لا يخفىٰ.

---

١ ـ البحار ج٥٣ ص١٢٥.

٢ ـ النمل: ٨٢.

وذكر المجلسي فيه[١] وروى الزمخشري في الكشاف «أنها تخرج من الصفا ومعها عصا موسىٰ وخاتم سليمان، فتضرب المؤمن في مسجده، أو فيما بين عينيه بعصا موسىٰ، فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه حتىٰ يضيء لها وجهه كأنه كوكب دري، وتكتب بين عينيه مؤمن، وتنكت الكافر بالخاتم في أنفه فتفشو النكتة حتىٰ يسودّ لها وجهه، وتكتب بين عينيه كافر».

هذا ولكن فيه[٢] وروي عن ابن عباس أنها دابة من دواب الأرض، لها زغب وريش ولها أربع قوائم.

وعن حذيفة، عن النبي ﷺ قال: «دابة الأرض طولها ستون ذراعاً، لا يدركها طالب، ولا يفوتها هارب فتسم المؤمن بين عينيه، فتكتب بين عينيه (مؤمن) وتسم الكافر بين عينيه، فتكتب بين عينيه (كافر) ومعها عصا موسىٰ وخاتم سليمان عليهما السلام فتجلو وجه المؤمن بالعصا، وتخطم أنف الكافر بالخاتم، حتىٰ يقال: يامؤمن وياكافر».

وفيه: وروي عن النبي ﷺ «أنه يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجاً بأقصى المدينة، فيفشو ذكرها في البادية، ولا يدخل ذكرها القرية، يعني مكة، ثم تمكث زماناً طويلاً، ثم تخرج خرجة أُخرىٰ قريباً من مكة، فيفشو ذكرها في البادية، ويدخل ذكرها القرية، يعني مكة.

ثم صار الناس يوماً في أعظم المساجد على الله حرمة، وأكرمها على الله، يعني المسجد الحرام، لم ترعهم[٣] إلا وهي في ناحية المسجد، تدنو (وترغو) ما بين الركن الأسود إلىٰ باب بني مخزوم، عن يمين الخارج، في وسط من ذلك فيرفضّ[٤] الناس

---

١ ـ البحار ج٥٣ ص١٢٧.

٢ ـ البحار ج٥٣ ص١٢٥.

٣ ـ لم تفزعهم.

٤ ـ يتفرّقون.

عنها، وتثبت لها عصابة عرفوا أنهم لن يعجزوا الله، فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فمرّت بهم، فجلت عن وجوههم، حتىٰ تركتها كأنها الكوكب الدرّي، ثمّ ولّت في الأرض لا يدركها طالب، ولا يعجزها هارب، حتىٰ أن الرجل يقوم فيتعوذّ منها بالصلوٰة، فتأتيه من خلفه فتقول: يافلان الآن تصلي؟ فيقبل عليها بوجهه فتسمه في وجهه، فيتحاور الناس في ديارهم ويصطحبون في أسفارهم، ويشتركون في الأحوال يعرف المؤمن من الكافر، فيقال للمؤمن يامؤمن وللكافر ياكافر».

وروي عن وهب أنه قال: «وجهها وجه رجل، وسائر خلقها خلق الطير، ومثل ذلك لا يعرف إلّا عن النّبوّات الإلهية».

أقول: هذه جمل في بيان حقيقة الدابة المذكورة، والظاهر من الأخبار التي نقلها الخاصة هي أمير المؤمنين عليه السلام وقد علمت أنه عليه السلام قال: «والله ما لها ذنب وإن لها للحية» وهي صريحة بالقسم علىٰ أنها من الانس، بل قد علمت في حديث أبي الطفيل قال عليه السلام: «هي دابة تأكل الطعام وتمشي في الأسواق وتنكح النساء ...» الحديث، فحينئذ فالحق هي أمير المؤمنين عليه السلام.

وفيه[1]، عن منتخب البصائر بإسناده، عن عباية، قال: أتىٰ رجل أمير المؤمنين عليه السلام فقال: حدثني عن الدابة، قال: «وما تريد منها؟ قال: أحببت أن أعلم علمها، قال: هي دابة مؤمنة تقرأ القرآن وتؤمن بالرحمان، وتأكل الطعام وتمشي في الأسواق».

وفي حديث آخر بعده وزاد في آخره، قال: من هو ياأمير المؤمنين؟ قال: «هو علي ثكلتك أُمك».

وأما ما رواه العامة عنه صلى الله عليه وآله أو ما روي بطريق الخاصة من أنها غير أمير المؤمنين عليه السلام فإنها باعتبار الآثار التي نقلوها لها، تنطبق على الآثار الممكن

---

١ ـ البحار ج٥٣ ص١١١.

صدورها عنه عليه السلام حال خروجه بعنوان أنه دابة الأرض، وأما ما يتراءىٰ من أنها لها زغب وريش، أو أنّ طولها ستّون ذراعاً، أو أنها ترغو ـ علىٰ نسخة ـ وأنّ الرغوة من صفات وأعمال الحيوانات، أو أنها كما روي عن وهب، أن وجهها وجه رجل وسائر خلقها خلق الطير، فهو إما محمول علىٰ ما ذهب إليه أغلب العامة من أنها غير أمير المؤمنين عليه السلام أو يقال: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام يخرج حين خروجه بعنوان دابة الأرض، وبين يديه هذا النحو من الموجود يأتمر بأمره عليه السلام ويفعل ما يأمره أمير المؤمنين عليه السلام حيث إنّ له الولاية الإلهية الكبرى التكوينية، فله عليه السلام أن يتشكل بأشكال مختلفة، فتارة تخرج حين تخرج بعنوان أنه دابة الأرض في صورة الانس ويعمل على الانس، كما قال عليه السلام: «أنا صاحب الميسم»، وأُخرىٰ يخرج بتلك الصورة المذكورة في الأخبار، وليس هذا ببعيد عنه (صلوات الله عليه) بعدما كان هو بنفسه قدرة الله تعالىٰ، كما تقدم الاشارة إليه، والعلم عند الله وعند أوليائه.

الثاني: في بيان زمان خروجها، فقد تقدم في حديث أبي في حديث أبي بصير، عن الصادق عليه السلام، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي: «قم يادابة الأرض.. إلىٰ أن قال صلى الله عليه وآله: قم ياعلي إذا كان آخر الزمان أخرجك الله في أحسن صورة ...» الحديث.

وتقدم قوله صلى الله عليه وآله «للدابة ثلاث خرجات من الدهر»، فإنه يستفاد من أنها تخرج في أزمنة متعددة، وكيف كان، المستفاد من الأخبار أنّ لأمير المؤمنين عليه السلام رجعتين الأولىٰ بعد رجوع الحسين عليه السلام كما تقدمت الإشارة إليه. الثانية: في آخر الزمان وعند اقتراب الساعة، كما يشير إليه ذيل حديثه عليه السلام في الخطبة التي نقلها في إكمال الدين، فهي حينئذ من أشراط الساعة، والله العالم بحقائق الأُمور.

الثالث: في بيان أمكنة خروجها فهي أيضاً، ظهر من الأخبار المتقدمة فهي إما الصفا كما في الحديث المذكور، وفي حديث في أقصى المدينة، وأخرىٰ تخرج قريباً من مكة، ثم في ناحية المسجد، تدنو وترغو.

وكيف كان لا أهميّة في العلم بمكانها، نعم يعلم أنها تخرج في محل ومكان

المؤمنين والكافرين. والله العالم.

الرابع: في بيان ما تفعله دابة الأرض، فالظاهر من قوله عليه السلام: «أنا صاحب الميسم»، هو وضعه الخاتم علىٰ وجه المؤمن، فطبع فيه أنه مؤمن حقاً، وعلىٰ وجه الكافر فيكتب أنه كافر حقّاً.

نعم ظاهر حديث ابن عباس المتقدم أنه يعمل هذا العمل بالعصا، وتخطم أنف الكافر بالخاتم، ولها كيفية من الظهور بحيث يتفرق عنها الناس، ويبقىٰ معها المؤمنون، كما هو ظاهر من رواية النبي صلى الله عليه وآله المتقدم آنفاً.

وقوله صلى الله عليه وآله: «ترغو»، علىٰ صحة هذه النسخة، فمعناه ما في المجمع: وقد رغا البعير يرغو رغاء، إذا ضجّ، ورغت النّاقة: صوّتت، فهي راغية.

أقول: علىٰ هذا يظهر أنها كدواب الأرض والحيوانات وإن قلنا: إنه بعيد لما تقدم من أنها أمير المؤمنين عليه السلام، والعلم عند الله.

ثم إن الظاهر كما تقدم من خبر إكمال الدين عن أمير المؤمنين أنها تخرج عند اقتراب الساعة.

فقوله عليه السلام: «لا تسألوني عمّا يكون بعد ذلك .. الخ» ظاهر فيما ذكرنا، لقوله عليه السلام: «إلّا أنّ بعد ذلك الطّامة الكبرىٰ»، والله العالم.

الفائدة الثانية: قد ذكر في أخبار الباب أنه يرجع من محض الإيمان محضاً، ومن محض الكفر محضاً، فيعلم منها أن المستضعفين لا يرجعون، فالكلام في **مقامين**:

الأول: في بيان من محض الايمان ومن محض الكفر.

الثاني: في بيان حال المستضعف.

في البحار[1] بإسناده، عن محمد بن مسلم قال: سمعت حمران بن أعين وأبا

---

١ ـ البحار ج٥٣ ص٣٩.

الخطّاب يحدثان جميعاً قبل أن يحدث أبو الخطّاب ما أحدث، أنهما سمعا أبا عبدالله عليه السلام يقول: «أول من تنشقّ الأرض عنه ويرجع إلى الدنيا الحسين بن علي عليه السلام وأن الرجعة ليست بعامة، وهي خاصة لا يرجع إلّا من محض الايمان محضاً، أو محض الشرك محضاً».

أقول: قيل المراد بمن محض الإيمان محضاً هو من استبصر الإيمان، وبمن محض الكفر هو من جحد الحق بعدما يهتدي إليه أو يمكنه الاهتداء إليه، ولكنه قصّر فيه ككثير من العامة خصوصاً من علمائهم.

أقول: الظاهر أن المراد من محض الايمان هو أن يطهر قلب المؤمن به من أيّ شائبة من الشرك، فلا يكون في قلبه إلّا نور اليقين، وهؤلاء مراتبهم كثيرة بعدد مراتب أولياء الله المذكورين في كلمات العرفاء الحقة بالله تعالىٰ، ثم إن بيان محض الايمان يظهر ببيان أمرين:

الأول: بيان حال المستضعفين من أهل الإيمان ومن أهل الكفر.

والثاني: بيان حقيقة الايمان ومراتبه التي تكون لأولياء الله تعالى الكملين.

فنقول: الايمان لغة: التصديق، وشرعاً أيضاً هو التصديق، إلّا أنه اختصّ بالتصديق بالله تعالىٰ وبالنبي صلى الله عليه وآله وبما علم بمجيئه ضرورة، وله مراتب:

الأولىٰ: الإقرار باللسان.

والثانية: هو التصديق الجازم التقليدي بما نذكره بعداً، وفائدتها حقن الدماء والأموال، نعم إن كان صاحب الثانية إيمانه مشفوعاً بالعمل الصالح والقلب السليم يحشر هذا مع أصحاب اليمين ويثاب علىٰ حسب عمله.

الثالثة: الإيمان البرهاني لأهل النظر فيستدلّون بالآثار على المؤثر.

والرابعة: الإيمان بالغيب يعرفون الصانع تعالىٰ من وراء حجاب، والفرق بينها وبين سابقتها، أنّ السابقة يؤمن به تعالىٰ إيماناً بوجوده قطعاً في الجملة، وفي هذه يعرفه تعالىٰ معرفة حقيقية، أي يعرف صفاته تعالىٰ بالعلم اليقيني، إلّا أنه من وراء

حجاب، ويظهر معنىٰ هذا الحجاب من بيان مراتب الآخر.

الخامسة: هو الإيمان بمعنىٰ تنور في القلب تنكشف به حقيقة الأشياء علىٰ ما هي عليه، فيرىٰ أن الكل من الله وإلى الله ولصاحب هذه المرتبة اقتدار في الباطن يوصل به إلىٰ مقام ـ كن ـ فيتخطّون في المقامات، ويعاينون في أنفسهم الكرامات، فبهذه المعاينة يصدقون علىٰ أتمّ الوجه بالنبوات والولايات، وتتحقق لهم حقائق هذه المقامات الإلهية أعني النبوات والولايات بالعيان والوجدان القلبي، وهم حينئذ لا يحتاجون في تلك الحقائق وثبوتها وإثباتها إلى المعجزات الثابتة بالأسانيد والروايات؛ لما علمت أن الواقع لهؤلاء ظاهر بالعيان والمكاشفات، فالمعجزات مع لزومها فهي لغيرهم من ذوي المراتب السابقة، وهؤلاء هم المؤمنون حقاً، وفي حقهم ورد كما في الكافي وغيره، أن المؤمن أعزّ من الكبريت الأحمر.

وهؤلاء علىٰ أصناف: فمنهم السابقون المقربون، ومنهم من دونهم بحسب تفاوت سيرهم وسلوكهم، فإن السير في الله لا نهاية له، وإن كان السير إلى الله متناهياً، ومنتهىٰ مراتب هؤلاء هو الوصول إلىٰ حدّ العين، فيسمىٰ صاحبه عارفاً، ونهاية العرفان مقام حق اليقين والفناء المحض، وشرح هذه المراتب الأخيرة، وبيان آثارها لها عرض عريض مذكور في الكتب المدوّنة لها فهي موكولة إليها.

وكيف كان فهذه المرتبة بما لها من الأصناف إلىٰ أن تنتهي إلىٰ نهايته هو إيمان المؤمنين الذين محضوا الايمان محضاً لا المراتب السابقة عليه، والله العالم بحقائق الأمور وبمراد أوليائه.

ومن هنا يعلم حال من محض الشرك محضاً، وليعلم أولاً أنّ الشرك أوسع مصداقاً من الكفر، الكافر من ينكر الحق تعالىٰ، وأما المشرك فهو يصدق على الكافر حكماً، وعلىٰ من أقرّ بوجود صانع، ولكن جعل له شريكاً في رتبة ذاته، أو في صفاته وأفعاله، فحينئذ من محض الشرك هو المتّصف به غير خارج عنه، وهذا يختص بمن جعل له تعالىٰ شريكاً بالعقيدة، وأما المعتقد به تعالىٰ بوجوده قطعاً،

ولكن جعل له تعالىٰ في الطاعة شريكاً، فليس ممن محض الشرك محضاً، كما ورد في قوله تعالىٰ: **﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلّا وهم مشركون﴾**[١].

في تفسير نور الثقلين[٢]، عن تفسير علي بن إبراهيم بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تبارك وتعالىٰ: **﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلّا وهم مشركون﴾** قال: «شرك طاعة، وليس شرك عبادة، والمعاصي التي يرتكبون فهي شرك طاعة أطاعوا فيها الشيطان، فأشركوا بالله في الطاعة لغيره، وليس بإشراك عبادة أن يعبدوا غير الله».

أقول: قوله عليه السلام (بإشراك عبادة) خبر مقدم لليس، وقوله أن يعبدوا غير الله مؤوّل بالمصدر وهو اسم له.

فالمعنىٰ أن عبادتهم لغير الله في إطاعتهم غير الله، كما يظهر من صدر الحديث، ليس شركاً في عبادته بأن يجعلوا الشيطان معبوداً، بل هو شرك طاعة بأن جعلوه شريكاً له تعالىٰ في الطاعة، كما لا يخفىٰ.

وكيف كان فهؤلاء ليسوا ممن محض الشرك، بل الذين اعتقدوا بوحدانيته تعالىٰ، ولكن الحدوا في أسمائه إما بتطبيقهم أسماءه الحسنىٰ تبارك وتعالىٰ علىٰ من خالف الحق، كمن اعتقد أن فلاناً من أولياء الله تعالىٰ، ومن العلماء الربانيين بزعمه، مع أنه ليس كذلك، بل هو رجل تابع للنفس والهوىٰ، ولكن خفي علىٰ هذا خبث باطنه، كما نرىٰ كثيراً من مثل هذا في زماننا، أو اعتقد في حقه تعالىٰ معنىً لا يليق به تعالىٰ، وزعم أنه مصيب في ذلك، كما يتراءىٰ ذلك في كثير من الفلاسفة حيث إنهم يفسرون الأسماء الحسنىٰ بمقتضى القواعد الفلسفيّة، كما في علمه تعالىٰ وفي فعله تعالىٰ، فترىٰ يفسر كونه تعالىٰ عالماً أو فعّالاً بزعمه وما أدّىٰ إليه نظره الفلسفي الدقيق، ومن مخالفة بعضهم مع بعض يعلم اشتباه أحدهم قطعاً. فكيف كان، فهم

---

١ ـ يوسف: ١٠٦.

٢ ـ تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٤٧٥.

يلحدون في أسمائه تعالىٰ، فهؤلاء وإن لم يكونوا في أصل وجوده تعالىٰ مشركين، إلّا أنهم أشركوا في أسمائه حيث وضعوها غير موضعه، ولعل ما يشير إلىٰ هذا الذي قلنا ما في تفسير نور الثقلين[1] عن كتاب التوحيد بإسناده إلىٰ حنان بن سدير، عن أبي عبدالله عليه السلام حديث طويل يقول فيه: «وله الأسماء الحسنى التي لا يسمىٰ بها غيره وهي التي وصفها في الكتاب فقال: ﴿فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه﴾[2] جهلاً بغير علم، فالذي يلحد في أسمائه بغير علم يشرك وهو لا يعلم، ويكفر به وهو يظن أنه يحسن، فلذلك قال: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلّا وهم مشركون﴾ فهم الذين يلحدون في أسمائه بغير علم فيضعونها غير مواضعها». الحديث.

أقول: أي يطبقونها علىٰ غير مصاديقها الواقعية بنحو تقدم ذكره، وكيف كان، فهؤلاء أيضاً مشركون إلّا أن المستفاد من قوله عليه السلام فلذلك قال: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلّا وهم مشركون﴾ هو أنهم ملحقون بـ(المشركون) شرك الطاعة لا العبادة، حيث إن هذه مسوقة لبيان هذا القسم من الشرك الذي يجامع مع الإيمان، كما هو ظاهر الآية، فلا محالة لا يكون من الشرك المحض والشرك في العبادة، ويعلم منه أنّ الشرك في العبادة هو الشرك المحض؛ لاستلزامه الشريك في وحدانيّته تعالىٰ وفي ذاته المقدسة تعالىٰ عن ذلك علوّاً كبيراً، والله العالم.

وفيه عن أُصول الكافي بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلّا وهم مشركون﴾ قال: «شرك طاعة وليس شرك عبادة».

أقول: ولهذا الشرك مراتب تشمل المعاصي كلها، وما هو مرجوح بالنسبة إلى الإيمان المحض، فكل ما خالف الايمان المحض ولو لم يكن بصريح المعصية فهو من شرك الطاعة لغيره تعالىٰ.

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٤٧٥.

٢ ـ الأعراف : ١٨٠.

ففيه عن تفسير العياشي، عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلّا وهم مشركون﴾ قال: «من ذلك قول الرجل ... لا وحياتك».

أقول: أي يكون الحلف والقسم بحياة أحد، التي يراد منها الحيوٰة، التي هي منشأ الأثر والأمل من الشرك، أي ترك الطاعة، ولكن لا يبلغ هذا وأشباهه إلىٰ حدّ الكفر.

كما ورد فيه أيضاً عن محمد بن الفضيل، عن الرضا عليه السلام قال: «شرك لا يبلغ به الكفر».

وفيه عنه،أبو بصير، عن أبي إسحاق قال: هو قول الرجل: «لولا الله وأنت ما فعل بي كذا وكذا، ولولا الله وأنت ما صرف عنّي كذا وكذا وأشباه ذلك».

وفيه عنه عن مالك بن عطية، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلّا وهم مشركون﴾ قال: «هو الرجل يقول: لولا فلان هلكت، ولولا فلان لأصبت كذا وكذا، ولولا فلان لضاع عيالي، ألا ترىٰ أنه قد جعل لله شريكاً في ملكه يرزقه ويدفع عنه؟ قال: قلت: فيقول: لولا أن منّ الله عليّ بفلان لهلكت؟ قال: نعم لا بأس بهذا».

وفيه عنه عن زرارة وحمران ومحمد بن مسلم، عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام قالوا: سألناهما فقالا: «شرك النعم».

أقول: وقد فسره حديث مالك بن عطية كما لا يخفىٰ.

وفي هذه الآية المباركة جهات من البحث موكولة إلىٰ محلها في التفسير.

وكيف كان فهذه الأقسام من المشركين ليسوا ممن محضوا الشرك محضاً، كما أن المؤمنين في المرتبة الأخيرة أيضاً ليسوا من الذين محضوا الإيمان محضاً، فحينئذ نقول: الأقسام ثلاثة:

الأول: من محض الإيمان محضاً.

والثاني: من محض الشرك محضاً، ويلحقه الكافر حكماً بطريق أولى على الظاهر والله العالم.

والثالث: من لم يمحض الإيمان ولا الشرك محضاً، وهم من الفريقين من المؤمنين غير الكاملين، ومن المشركين بشرك طاعة لا شرك عبادة، وفي الحقيقة مصاديقهما هو المقرّ بالتوحيد له تعالىٰ والمتلبّس بمباني المعصية المعبّر عنها بالشرك الخفي.

ويمكن للإنسان أن يتلبّس بالإيمان والشرك خصوصاً إذا كان متعلقهما أمرين بأن يتعلّق الإيمان به تعالىٰ، ولكن لضعفه بالنسبة إلىٰ صفاته تعالىٰ، وأنها كاملة مختصة به تعالىٰ، يتعلق قلبه بغيره تعالىٰ أيضاً من ذوي الثروة والمقامات الدنيوية فيطيعهم، أو لضعفه يؤثر فيه وسوسة الشيطان فيطيعه في هذه الأُمور المادية، التي ذكرت في الأحاديث السابقة، وهذه كتلبّسه بسائر الاعتقادات المتناقضة في بعض الموضوعات والأخلاق المتضادة، كما لا يخفىٰ، بأنّ أمر الانسان عجيب. هذا ولكن قد يقال: إن المراد بغير من محض الإيمان محضاً ومن محض الشرك محضاً هم المستضعفون، فالمستثنىٰ من الحديث السابق هو المستضعف، فمن لم يكن مستضعفاً لابد له من الرجعة.

فحينئذ نقول: فهل المستضعف من أُشير إليه في تفسير الآية السابقة، وهو قوله تعالىٰ: ﴿**وما يؤمن أكثرهم بالله إلّا وهم مشركون**﴾ وهم المعتقدون به تعالىٰ، إلا أنهم يشركون معه غيره في الطاعة، أو هو مختص بمن فسّرته الأحاديث والآيات من الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، ولا ريب في أن هؤلاء تكون مصاديقهم في عوام الناس غير العالمين، لا الذين علموا التوحيد، إلّا أنه لمكان وجود الشرك الخفيّ أشركوا في طاعة الله طاعة غيره أو يعمّ الجميع.

أقول: الظاهر أنه يعم الجميع، فلابد أولاً من ذكر أحاديث الباب، ثم النظر فيه والأخذ بما يظهر منها.

فنقول: قال تعالىٰ: ﴿**إنّ الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم**

قالوا كنّا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأُولئك مأواهم جهنّم وساءت مصيراً * إلّا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً﴾[١].

ففي تفسير نور الثقلين[٢]، عن نهج البلاغة قال عليه السلام: «ولا يقع اسم الاستضعاف علىٰ من بلغته الحجة فسمعتها أُذنه ووعاها قلبه».

وفيه[٣]، عن أصول الكافي بإسناده، عن سفيان بن السمط البجلي قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ما تقول في المستضعفين؟ فقال لي شبيهاً بالفزع: «فتركتم أحداً يكون مستضعفاً؟ وأين المستضعفون؟ فوالله لقد مشي بأمركم هذا العواتق إلى العواتق في خدورهن، وتحدّث به السقايات في طريق المدينة».

وفيه[٤] عن أُصول الكافي، عن إسمعيل الجعفي قال لأبي جعفر عليه السلام في حديث طويل: «فهل سلم أحد لا يعرف هذا الأمر؟ فقال: لا، إلّا المستضعفين، قلت: من هم؟ قال: نساؤكم وأولادكم.

ثم قال: أرأيت أُم أيمن فإني أشهد أنها منْ أهل الجنة، وما كانت تعرف ما أنتم عليه».

أقول: أُم أيمن هذه إحدى النساء في زمانه عليه السلام لا المعروفة في زمن النبي صلى الله عليه وآله، والله العالم.

وفيه عنه عن علي بن سويد، عن أبي الحسن موسىٰ عليه السلام قال: سألته عن الضعفاء فكتب إليّ: «الضعيف من لم يرفع إليه حجة، ولم يعرف الاختلاف، فإذا عرف الاختلاف فليس بضعيف».

---

١ ـ النساء: ٩٧ ـ ٩٨.

٢ ـ تفسير نور الثقلين ج١ ص٤٤٥.

٣ ـ تفسير نور الثقلين ج١ ص٤٤٦.

٤ ـ تفسير نور الثقلين ج١ ص٤٤٧.

أقول: قوله: فإذا عرف الاختلاف أي عرف التميز بين القولين المتخالفين، وقدر على تمييز الحق من الباطل بأعمال العقل، ولو بأقلّ مراتبه فضلاً عن أقصى مراتبه، التي تكون للعلماء والمجتهدين فليس بضعيف.

أقول: يشير عليه السلام إلى شيوع حجج الله تعالى في الأقطار، وأنها بمعونة تبليغ النبي والأئمة عليهم السلام بلغت إلى حدّ شاع الحق في العالم، والمراد من أمركم هو أمر الولاية، والله العالم.

وكيف كان فهذا يبيّن أنه إذا شاع الحق لم يبق مستضعف في أمكنة شيوعه، فالحجة كأنها بالغة من جهة أهلها، وهم الأنبياء والحجج، فيلزم منه أن يسير المكلّف إلى تحصيلها ليتدين بمضمونها وإلى هذا الشيوع للحق من بيان الحجج عليهم السلام يشير قوله تعالى كما في تفسير علي بن إبراهيم: وقوله، **﴿إنَّ الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾**، قال: «نزلت فيمن اعتزل أمير المؤمنين عليه السلام ولم يقاتل معه، فقالت الملائكة لهم عند الموت: **﴿فيم كنتم قالوا كنّا مستضعفين في الأرض﴾** أي لم نعلم مع من الحق، فقال: **﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾**، أي دين الله وكتاب الله واسع فتنظروا فيه، **﴿فأولئك مأواهم جهنّم وساءت مصيراً﴾**».

فالآية تهدد أُولئك لشيوع الحق وولاية علي عليه السلام، وأنّ الدين والكتاب كانا واسعين، فلم لم تنظروا فيه نظر الاستبصار، يستفاد منه أنه مع وضوح الحق وشيوعه لا يكون استضعاف لأحد بمجرّد ترك النظر والتكاسل في ذلك، بل أُولئك مأواهم جهنّم وساءت مصيراً، بل لابد من النظر والتفحّص.

وإليه يشير ما في مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام بعد أن أمر بالكلام بما ينفع ولا يضرّ، أي في تحقيق الحق واستيضاحه بعد وصوله إليه: فإن لم تجد السبيل إليه فالانقلاب والسفر من بلد إلى بلد، وطرح النفس في بوادي التلف بسير صاف وقلب خاشع وبدن صابر، قال الله تعالى: **﴿إنّ الّذين توفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنّا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله**

واسعة فتهاجروا فيها﴾.

فالمتحصّل من هذه الآية والأحاديث أن الاستضعاف بعد شيوع الحق، بل بعد إمكان تحصيله ولو بمشقة في السير في الأرض والهجرة فيها لا يكون وأنّ مجرد التكاسل وعدم النظر فيما شاع وبلغه من الحق لا يجعله مستضعفاً، هذا من ناحية الشرع والشارع، وبالنسبة إلىٰ من يمكنه ويستطيع تحصيل الحقّ وفهمه ليعمل به، وأما إذا لم يكن من أهل الفهم والدرك لقصوره أو كان ولم يبلغه الحق وإن جهد وصرف حيلته لتحصيله فهو حينئذ من المستضعفين.

ففيه[١] عن كتاب معاني الأخبار بإسناده عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزوجل: **﴿إلّا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان﴾** فقال: «هو الذي لا يستطيع الكفر فيكفر، ولا يهتدي سبيل الإيمان فيؤمن، والصبيان ومن كان من الرجال والنساء علىٰ مثل عقول الصبيان مرفوع عنهم القلم».

أقول: قوله عليه السلام: «لا يستطيع الكفر»، أي لا يفهم فيختاره، وكذلك لا يهتدي أي لا يصل فهمه إلىٰ سبيل الإيمان كما هو هو فيؤمن أي فيختار الإيمان كالصبي، فإن ما ذكره عليه السلام مستفاد من عطف الولدان على النساء والرجال في الآية، فإنّ العطف قد يعطى نوعاً من المشاركة فيما سبق الكلام لأجله.

وقوله عليه السلام مرفوع عنهم القلم أي مرفوع عنهم المشي علىٰ حق الدين، وكماله، بل يقبل منهم بمقدار ما قبلوه مع نقص عقلهم كما هذا أيضاً مستفاد من أحاديث مراتب الايمان في محله، وقد سبقت الاشارة إليه، ويوضح ما ذكرناه من أنهم في أقلّ مراتب الايمان النازلة، لا أنهم ملحقون بالمجانين ما فيه عنه بإسناده إلىٰ سالم بن مكرم الجمّال عن أبي عبدالله عليه السلام عن قوله عزوجل: **﴿إلّا المستضعفين من الرجال**

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٤٤٥.

والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً﴾[1]، فقال: «لا يستطيعون حيلة إلى النصب فينصبون، ولا يهتدون سبيلاً إلى الحق فيدخلون فيه، هؤلاء يدخلون الجنة بأعمال حسنة وباجتناب المحارم التي نهى الله عزوجل عنها ولا ينالون منازل الأبرار».

أقول: قوله عليه السلام: «لا يستطيعون حيلة إلى النصب»، أي لا يصل فكرهم بأن يعمل فيما يوصله إلى النصب فينصبون فيكونون من النّصاب ويقومون على الأئمة عليهم السلام لضعف عقلهم وهكذا لا يهتدون، عقلاً، سبيلاً إلى الحق فيدخلون فيه، فهم في أقلّ مرتبة الإيمان من دون رسوخ في حقيقة الإيمان ولا في حقيقة الكفر. ولذا قال عليه السلام: «يدخلون الجنة بأعمال حسنة من حيث هي هي أعمال حسنة وباجتناب المحارم» أي بتباعدهم عنها ولو قصوراً، فهم يعملون الأعمال بالصورة لا بالحقيقة. ولذا قال عليه السلام: «ولا ينالون منازل الأبرار؛ لأنها لأهل العقل والمعرفة والكمال»، كما لا يخفى، ولهذ الجهة نفي عن هؤلاء المستضعفين اسم الكفر والإيمان بل أثبت لهم اسم المرجون لأمر الله. ففيه باسناده عن حمران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ - إلاّ المستضعفين - قال: هم أهل الولاية قلت: وأيّ ولاية؟ فقال عليه السلام: إنّها ليست بولاية في الدين لكنها الولاية في المناكحة والموارثة والمخالطة وهم ليسوا بالمؤمنين ولا بالكفار وهم المرجون لأمر الله.

أقول: قوله «لكنها الولاية في المناكحة ... الخ»، توضيحه أنّ الراوي ظنّ أن هؤلاء من أهل الولاية بمعنى المحبة والمعرفة الإلهية والقرب الإلهي كما هي معانيها وقد تقدم، ولذا تعجب وقال: وأي ولاية؟ فقال عليه السلام «المراد منها الولاية بمعنى النصرة والمعاشرة والمؤالفة العرفية الظاهرية»، أي أنهم بقبولهم الإيمان ولو بأقل درجته ليسوا كالكفار، بحيث لا يجوز المناكحة والمؤاكلة معهم لمجالستهم، بل صاروا بإقرارهم بالشهادتين بل وبالشهادة الثالثة من المؤمنين الذين حلّت مناكحتهم وأمثالها، وحيث إنهم ليسوا من أهل العقل والمعرفة، فليسوا بالمؤمنين، أي من المؤمنين الكاملين.

---

١ ـ النساء: ٩٨.

وكيف كان يعلم أن المستضعف لم يكن من الكمّلين من المؤمنين، ولم يلحق بالكافرين الجاحدين لظاهر إقرارهم، بل هذا الحدّ الوسط، هو الموسوم بالمرجون لأمر الله، والله العالم بحقائق الأُمور.

بل أقول: المستفاد من الأحاديث أن مصاديق المستضعفين أوسع منهم، بحيث يشمل من لم يصل إلىٰ حدّ المعرفة الكاملة بالله كأكثر الشيعة الذين هم غير مستبصرين بحقائق ولاية الأئمة عليهم السلام كما تقدم.

وإليه يشير ما رواه فيه عنه بإسناده، عن سليمان بن خالد قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل: **﴿إلّا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان﴾** الآية، قال: ياسليمان في هؤلاء المستضعفين من هو أثخن رقبة منك، المستضعفون قوم يصومون ويصلون تعفّ بطونهم وفروجهم، لا يرون أنّ الحق في غيرنا آخذين بأغصان الشجرة، فأُولئك عسى الله أن يعفوا عنهم إذا كانوا آخذين بالأغصان، وإن لم يعرفوا أولئك فإن عفى عنهم فبرحمته، وإن عذّبهم فبضلالتهم عما عرفهم.

أقول: قوله عليه السلام: «آخذين بأغصان الشجرة» يستفاد منه أن هؤلاء المستضعفين هم المقرّون بولاية الأئمة عليهم السلام وآخذين به بحيث لا يرون الحق في غيرهم، إلّا أنهم لم يصلوا إلىٰ كمال المعرفة بهم عليهم السلام كما دلّ عليه قوله عليه السلام: «وإن لم يعرفوا»، أي وإن لم يعرفونا حق معرفتنا، لا أنهم لم يعرفونا أبداً، كيف وقد أقرّ عليه السلام لهم بأنهم لا يرون الحق في غيرهم، فيعلم منه أن المستضعف يطلق علىٰ من ليست له المعرفة الكاملة بالأئمة عليهم السلام كما هي هي، ويعلم أيضاً منه أمر عظيم جسيم، وهو أنه من لم يعرفهم حق المعرفة، فله تعالىٰ أن يعذّبه لتقصيره عن الوصول لهذه المعرفة الكاملة، التي قد عرفها الله لهم، وهم لم يعرفوها بضلالتهم عمّا عرّفهم، وقد كانوا متمكّنين من الوصول إليها.

وإلىٰ هذا يشير ما في تفسير نور الثقلين[1]، عن أُصول الكافي بإسناده، عن

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج٣ ص٥٤٦.

حفص بن غياث قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إن قدرت أن لا تعرف فأفعل، وما عليك أن لا يثني عليك الناس، وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس إذا كنت محموداً عند الله.

ثم قال: إني[١] علي بن أبي طالب لا خير في العيش إلّا لرجلين، رجل يزداد كل يوم خيراً، ورجل يتدارك منيّته بالتوبة؟! وأنىٰ له بالتوبة والله لو سجد حتىٰ ينقطع عنقه ما قبل الله تبارك وتعالىٰ منه إلّا بولايتنا أهل البيت، ألا ومن عرف حقّنا ورجا الثواب فينا، ورضي بقوته نصف مدّ في كل يوم، وستر عورته وما أكنّ رأسه، وهم والله في ذلك خائفون وجلون ودوّا أنهم حظّهم من الدنيا، وكذلك وصفهم الله عزوجل فقال: ﴿والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنّهم إلىٰ ربّهم راجعون﴾[٢].

ثم قال: ما الذي أتوا؟ آتوا والله مع الطاعة والمحبة والولاية وهم في ذلك خائفون، ليس خوفهم خوف شكّ، ولكنهم خافوا أن يكونوا مقصّرين في محبّتنا وطاعتنا».

أقول: قوله عليه السلام: «ولكنّهم خافوا.. الخ»، يشير إلىٰ ما ذكرنا من أنّهم يرون أنّهم مقصّرون في محبّتهم وطاعتهم، أي في ازديادهما والمشي عليهما كما هو حقّه، والله العالم.

ولعمري إنّ الحريّ لمن أراد الأمن المطلق من عذابه تعالىٰ هو أن يجدّ في تحصيل معرفتهم عليهم السلام حق المعرفة بعدما منح الله إمكان ذلك له، ونحن نسأل الله تعالىٰ أن يبلّغنا إليها بمنّه وكرمه، آمين رب العالمين.

وكيف كان فأقل مراتب المستضعف من أشار إليه أبو جعفر عليه السلام فيما رواه فيه عن تفسير العياشي، عن سليمان بن خالد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن المستضعفين، فقال: «البلهاء في خدرها والخادم تقول: صلّي فتصلّي، لا تدري إلّا ما

---

١ ـ الظاهر: هنا سقط وهو أن أمير المؤمنين كان يقول.
٢ ـ المؤمنون: ٦٠.

قلت لها، والجليب الذي لا يدري إلّا ما قلت له، والكبير الفان والصبي والصغير، هؤلاء المستضعفون» وأكمله هو ما أشار إليه في الحديث ممن ليست له المعرفة الكاملة بالأئمة وبمقاماتهم الربوبية وأن علم إنّ الحق لا يكون في غيرهم.

أقول: قوله: «والجليب»، أي الذي يجلب من بلد إلىٰ آخر ليس له اختيار، فكأنه إما عامل أو غلام مملوك.

ويستفاد من هذا الحديث أنه يمكن أن لا يكون الانسان مستضعفاً ثم يصير كذلك، كما هو المستفاد من قوله عليه السلام والكبير الفان، والله العالم، فظهر من هذا البيان أنّ المستضعف له مصاديق تعمّ جميع ما أشرنا إليه سالفاً، فما قيل من أنّ من لم يمحض الايمان محضاً يرجع وإن كان من أهل المعرفة في الجملة، كما أشرنا إليه بدعوىٰ أنه ليس من المستضعفين الذي قد استثني، فلابد من أن يرجع لعموم الدليل، حيث إنه خصّ غير الراجع بالمستضعف، وهو لا يشمل من له المعرفة، ولو كان مع شرك الطاعة ليس في محله لما علمت من أنّ المستضعف المستثنىٰ يشمل كثيراً من أهل الإيمان، فإنّ أقل مراتب الاستضعاف هو ما ذكره في حديث سليمان ابن خالد الثاني، وأكمله ما ذكره في حديث سليمان بن خالد الأول كما ذكرناه، فحينئذ معنى الحديث الأول المعنون في الباب هو أنّ الممحّض للإيمان محضاً بالمعنى المتقدم، والممحض للشرك محضاً يرجع في زمان رجعة الأئمة عليهم السلام وأما البقية المتلبسون بالايمان والشرك علىٰ مراتبهما ما لم يصلا إلى المحض فلا يرجعون، والله العالم بحقائق كلماته وكلمات أوليائه عليهم السلام.

الفائدة الثالثة: في أنّ الراجعين في الرجعة ممن محض الكفر محضاً، أو الذين كانوا موجودين في ذلك الزمان في الرجعة إذا عاينوا هؤلاء بأجمعهم الحق، وظهر لهم الأمر، فهل هم حينئذ التوبة وهل تقبل توبتهم أم لا؟

فالكلام إما في الذين رجعوا، وقد كانوا ممن محض الكفر محضاً، وإما في الذين كانوا كفّاراً أو جاحدين لولايتهم عليهم السلام والموجودين في زمان الرجعة هكذا.

أما الأول: فنقول قد دلّت آيات وأحاديث علىٰ أنّ من محض الشرك محضاً أُعيد في الرجعة؛ ليعذّبه الله تعالىٰ بيد أوليائه، فهؤلاء ليست لهم التوبة، وإلّا لما حصل الغرض من رجعتهم، وهو أن يعذّبهم الله تعالىٰ بأيدي المؤمنين.

في المحكي عن منتخب البصائر بإسناده إلىٰ جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام قال: ليس من مؤمن إلّا وله قتلة وموتة إنه من قتل نشر حتىٰ يموت، ومن مات نشر حتىٰ يقتل، ثمّ تلوت علىٰ أبي جعفر هذه الآية: ﴿**كلّ نفس ذائقة الموت**﴾ فقال: «ومنشورة، قلت: قولك ومنشورة ما هو؟ فقال: هكذا أنزل بها جبرئيل علىٰ محمد صلى الله عليه وآله كلّ نفس ذائقة الموت ومنشورة، فقال: ما في هذه الأُمة أحد برّ ولا فاجر إلّا ومنشّر، أما المؤمنون فينشرون إلىٰ قرّة أعينهم، وأما الفجّار فينشرون إلىٰ خزي الله إياهم، ألم تسمع أن الله تعالىٰ يقول: ﴿**ولنذيقنّهم من العذاب الأدنىٰ دون العذاب الأكبر**﴾[1]، وقوله: ﴿**ياأيّها المدّثّر * قم فأنذر**﴾ يعني بذلك محمداً صلى الله عليه وآله قيامه في الرجعة ينذر فيها، وقوله: ﴿**إنها لأحدى الكبر * نذيراً للبشر**﴾ يعني محمداً صلى الله عليه وآله نذيراً للبشر في الرجعة».

قال جابر: قال أبو جعفر عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام في قوله عزوجل: ﴿**ربما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين**﴾، قال: «هو أنا إذا خرجت وشيعتي، وخرج عثمان بن عفّان وشيعته ونقتل بني أُمية فعندها يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين».

أقول: لا ريب في أنه لو كانت توبتهم مقبولة أسلموا حينئذ، ويتوبون ولا يتمنّون لو كانوا مسلمين، فيعلم أنّ توبتهم لا تقبل؛ ولذا يتمنّون لو كانوا مسلمين، وأصرح من هذا ما ورد في قوله تعالىٰ: ﴿**هل ينظرون إلّا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربّك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً قل انتظروا إنّا**

---

١ ـ السجدة: ٢١.

منتظرون﴾(١).

في تفسير نور الثقلين(٢)، في حديث طويل عن علي عليه السلام يقول فيه وقد سأله رجل عما اشتبه عليه من الآيات وقوله: **﴿هل ينظرون إلّا أن تأتيهم الملائكة﴾** «يخبر محمداً صلى الله عليه وآله عن المشركين والمنافقين الذين لم يستجيبوا لله ولرسوله فقال: **﴿هل ينظرون إلّا أن تأتيهم الملائكة﴾** حيث لم يستجيبوا لله ولرسوله **﴿أو يأتي ربّك أو يأتي بعض آيات ربك﴾** يعني بذلك العذاب في دار الدنيا كما عذّب القرون الأُولىٰ، فهذا خبر يخبر به النبي صلى الله عليه وآله عنهم».

ثم قال: **﴿يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً﴾** يعني «من قبل أن تجي هذه الآية، وهذه الآية طلوع الشمس من مغربها.

وإنما يكتفي أُولو الألباب والحجىٰ وأُولو النهىٰ أن يعلموا أنّه إذا انكشف رأوا ما يوعدون».

وفيه عن كمال الدين وتمام النعمة بإسناده عن علي بن رئاب، عن أبي عبدالله عليه السلام قال في قول الله عزوجل: **﴿يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل﴾**، فقال: «الآيات هم الأئمة عليهم السلام والآية المنتظر القائم عليه السلام فيومئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، قيامه بالسيف وإن آمنت بمن تقدمه من آبائه عليهم السلام».

أقول: قوله: «والآية المنتظر»، القائم (عج)، أي أنّ الآيات كلّها هم الأئمة عليهم السلام وقوله بعض آيات ربك إشارة إلى المنتظر القائم، والتعبير عنه بالقائم، إشارة إلىٰ أن المراد من إتيان بعض الآيات قيامه عليه السلام، فقيامه كناية عن إتيان بعض الآيات.

فقوله عليه السلام: «قيامه بالسيف» تفسير لقوله تعالىٰ: **﴿يوم يأتي بعض آيات**

---

١ ـ الانعام: ١٥٨.

٢ ـ تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٦٤٦.

ربّك﴾ وقوله تعالىٰ إيمانها، أي الإيمان الذي يكون لهم عند إتيان بعض الآيات، لما يرون من ظهور الحق بالأدلّة القاطعة فيؤمنون، ولكن هذا الايمان لا ينفع حيث إنّها أي النفس الانساني لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً، وهذا يبيّن أمرين:

الأول: أنّ هذا الايمان لا ينفعها لأنها لم تكن آمنت من قبل.

والثاني: أنّ هذا لا ينفعها لأنّها أي النفس آمنت، ولكنّها ما كسبت في إيمانها خيراً.

وهم الذين أشار إليهم فيما رواه فيه عن تفسير العياشي، عن عمرو بن شمر عن أحدهما عليهما السلام في قوله: **﴿أو كسبت في إيمانها خيراً﴾**، قال: «المؤمن حالت المعاصي بينه وبين إيمانه؛ لكثرة ذنوبه وقلّة حسناته، فلم يكسب في إيمانه خيراً».

وأيضاً في تفسير نور الثقلين[1]، عن أُصول الكافي بإسناده، عن هشام بن الحكم، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالىٰ: **﴿لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل﴾** «يعني في الميثاق، **﴿أو كسبت في إيمانها خيراً﴾**، قال: الاقرار بالأنبياء والأوصياء وأمير المؤمنين عليه السلام خاصّة، قال: لا ينفع إيمانها لأنها سلبت».

أقول: قوله عليه السلام: «يعني في الميثاق»، يشير إلىٰ أن الايمان كان من المؤمنين في الميثاق، وإنّ ما هو منهم في الدنيا علىٰ طبقه.

وقوله عليه السلام: «لا ينفع إيمانها لأنها سلبت»، يعني وقت ظهور الحق، أو يوم القيامة، فإن هذا المؤمن الصوري المقرّ بالشهادتين دون الثالثة، أو المؤمن الذي كثرت معاصيه إلىٰ أن لم تكتسب في إيمانها خيراً، بل صار إيمانه بلا فائدة، يكون حينئذ مسلوب الايمان، لأنه حين ذاك، يظهر أنه ما آمن بما هو إيمان، بل اعتقد غيره، كما لا يخفىٰ، والله العالم.

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٦٤٧.

وكيف كان يدل علىٰ ما ذكر من رفع التوبة ما تقدم.

وتقدم عن إكمال الدين عن إنزال بن سترة خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام وفيها: «ثم ترفع الدابة رأسها فيراها من بين الخافقين بإذن الله جلّ جلاله، وذلك بعد طلوع الشمس من مغربها فعند ذلك ترفع التوبة ولا عمل يرفع ...» الحديث.

المستفاد من هذه الأحاديث وأمثالها وهي كثيرة، أن المرجوعين في زمان الرجعة للانتقام، لا تقبل توبتهم، بل يقتلون كعثمان بن عفّان وشيعته (عليهم لعائن الله) وأما أن القائم (عج) أو الأئمة عليهم السلام الذين يرجعون إلى الدنيا، فلا تقبل حينئذ التوبة من أحد، فلا، كيف وقد ورد في قوله تعالىٰ: ﴿**ياأيها المدّثر * قم فأنذر**﴾ ما عن منتخب البصائر بإسناده إلىٰ جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام «يعني بذلك محمداً صلى الله عليه وآله وقيامه في الرجعة ينذر فيها».

أقول: فلابد من الإنذار وهو يستلزم قبول التوبة ممن يقبل الانذار كما لا يخفىٰ، وهذا ظاهر لمن تتبع الأحاديث الواردة في قيامه عليه السلام وفي رجوع الأئمة عليهم السلام كما لا يخفىٰ، إلّا أن هنا شيئاً وهو أنه يستفاد من الأحاديث أنّ للأئمة عليهم السلام خصوصاً لأمير المؤمنين عليه السلام رجعات وكرّات، ويظهر منها أنّ الوقت الذي ترفع فيه التوبة هو الرجعة الأخيرة القريبة لقيام القيامة الكبرىٰ لا غيرها.

فحينئذ تكون النتيجة أنّ من محض الشرك محضاً إذا رجع ولو في أوائل زمان الرجعة، أنه يقتل، وهم الذين أُشير إليهم في بعض الأحاديث من نحو عثمان وشيعته وقتلة الحسين عليه السلام وأمثالهم، وأما غيرهم فلا يقتلون بتاتاً، بل بعد دعوتهم إلى الاسلام وعدم قبولهم له يقتلون، هذا في غير الرجعة الأخيرة فإنها ترفع عندها التوبة، لأن الحق في ذلك الزمان قد ظهر، فمن لم يؤمن بعد ثبوت الحجة عليه فلا تقبل توبته بعد ظهور تلك الآيات.

وإلىٰ ما ذكر يدل ما فيه عن إكمال الدين وتمام النعمة بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ما زالت الأرض إلّا ولله تعالىٰ ذكره فيها حجة يعرف الحلال،

والحرام ويدعو إلىٰ سبيل الله جلّ وعزّ، ولا تنقطع الحجة من الأرض إلّا أربعين يوماً قبل يوم القيمة، فإذا رفعت الحجة أُغلق باب التوبة ولا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أن ترفع الحجة، أُولئك شرار من خلق الله، وهم الذين تقوم عليهم القيامة، فالمستفاد حينئذ منها أن وقت رفع التوبة لعامة الخلق هو وقت خروج دابة الأرض والدجّال عند اقتراب الساعة».

والحاصل: أنه لا ترفع التوبة إلّا إذا أصرّ الناس على المعاصي ولم يقبلوا عن الحجج عليهم السلام إلىٰ أن يغضب الله عليهم، فحينئذ يظهر بأسه تعالىٰ، وحينئذ لا تنفع التوبة.

في تفسير نور الثقلين[1]، عن عيون أخبار الرضا عليه السلام في باب ما جاء عن الرضا عليه السلام من العلل بإسناده إلىٰ أبي إبراهيم بن محمد الهمداني قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: لأي علّة غرق الله تعالىٰ فرعون وقد آمن به وأقرّ بتوحيده؟ قال: لأنه آمن عند رؤية البأس، والايمان عند رؤية البأس غير مقبول وذلك حكم الله تعالىٰ ذكره في السلف والخلف، قال الله تعالىٰ: **﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنّا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين * فلم يك ينفعهم إيمانهم لمّا رأوا بأسنا﴾**[2] وقال عزوجل: **﴿... يوم يأتي بعض آيات ربّك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً﴾**.

فالمستفاد منه أن الله تعالىٰ إنما لم يقبل التوبة عن عبد إذا عمل بالمعاصي إلىٰ أن استوجب العذاب، فحينئذ قبل نزوله ورؤيته الحق لا ينفع إيمانه، وهذا واقع في الأُمم السالفة وفي هذه الأمة وفي زمان الرجعة بنحو الموجبة الجزئية في القضايا الخارجية الواقعة في وقتها، وهذا أيضاً واقع في قرب الساعة وعند ظهور الآيات الإلهية.

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٦٤٥.

٢ ـ غافر : ٨٤ـ٨٥.

وأحسن ما يدل عليه ما فيه[١] عن تفسير العياشي عن زرارة وحمران ومحمد ابن مسلم عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليه السلام في قوله: **﴿يوم يأتي بعض آيات ربّك لا ينفع نفساً إيمانها﴾**، قال: «طلوع الشمس من المغرب وخروج الدابة والدجال، والرجل يكون مصرّاً ولم يعمل عمل الايمان ثم تجيء الآيات فلا ينفعه إيمانه».

أقول: قوله عليه السلام: «والرجل ... الخ»، إذا صار الرجل، أي الناس مصرّين على المعاصي ولم يعملوا عمل الايمان، بل انغمروا في الفسق والفجور، وهذا الحال يوجب استحقاقهم العذاب ورفع التوبة عنهم، لما نزل غضب الله عليهم، ثم إن المراد من طلوع الشمس من مغربها، هو ظهور القائم (عج) كما صرحت به الأحاديث الكثيرة.

الفائدة الرابعة: فيما ورد من أنّ إبليس يقتل في الرجعة أو عند قيام القائم عليه السلام وبيان ما يوضحه: فنقول لابد من ذكر أحاديث الباب، ثم بيان ما يظهر منها، فنقول:

في تفسير نور الثقلين[٢]، عن كتاب معاني الأخبار بإسناده إلىٰ عبدالعظيم بن عبدالله الحسني، قال: سمعت أبا الحسن علي بن محمد العسكري عليهما السلام يقول: «معنى الرجيم أنه مرجوم باللعن، مطرود من الخير، لا يذكره مؤمن إلّا لعنه، وإن في علم الله السابق إذا خرج القائم عليه السلام لا يبقىٰ مؤمن في زمانه إلّا رجمه بالحجارة، كما كان قبل ذلك مرجوماً باللعن».

وفيه عن تفسير العياشي عن وهب بن جميع مولىٰ إسحق بن عمار، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول إبليس: **﴿..فأنظرني إلىٰ يوم يبعثون * قال فإنّك من المنظرين * إلىٰ يوم الوقت المعلوم﴾**[٣]، قال له وهب: جعلت فداك أي يوم هو؟

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج١ ص٦٤٦.

٢ ـ تفسير نور الثقلين ج٣ ص١٣.

٣ ـ الحجر: ٣٦ـ٣٨.

قال: «ياوهب أتحسب أنه يوم يبعث الله فيه الناس، إن الله أنظره إلىٰ يوم يبعث فيه قائمنا، فإذا بعث الله قائمنا كان في مسجد الكوفة وجاء إبليس حتىٰ يجثو بين يديه علىٰ ركبتيه فيقول: ياويله من هذا اليوم! فيأخذ ناصيته فيضرب عنقه، فذلك اليوم الوقت المعلوم».

وفي المحكي[1] عن القمي عنه عليه السلام قال: «يوم الوقت المعلوم يوم يذبحه رسول الله على الصخرة التي في البيت المقدس».

وفي البحار[2]، عن منتخب البصائر بإسناده عن عبدالكريم بن عمرو الخثعمي، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إنّ إبليس قال: **﴿فأنظرني إلىٰ يوم يبعثون﴾** فأبى الله ذلك عليه، فقال: **﴿فإنك من المنظرين * إلىٰ يوم الوقت المعلوم﴾** فإذا كان يوم الوقت المعلوم، ظهر إبليس لعنه الله في جميع أشياعه منذ خلق الله آدم إلىٰ يوم الوقت المعلوم وهي آخر كرّة يكرّها أمير المؤمنين عليه السلام فقلت: وإنها لكرّات؟ قال: نعم، إنها لكرّات وكرّات ما من إمام في قرن إلّا ويكرّ معه البرّ والفاجر في دهره حتىٰ يديل الله المؤمن (من) الكافر.

فإذا كان يوم الوقت المعلوم كرّ أمير المؤمنين عليه السلام في أصحابه، وجاء إبليس في أصحابه، ويكون ميقاتهم في أرض من أراضي الفرات يقال له الرّوحاء قريب من كوفتكم، فيقتتلون قتالاً لم يقتتل مثله منذ خلق الله عزوجل العالمين، فكأنّي أنظر إلىٰ أصحاب علي أمير المؤمنين عليه السلام قد رجعوا إلىٰ خلفهم القهقرى مائة قدم، وكأني أنظر إليهم وقد وقعت بعض أرجلهم في الفرات، فعند ذلك يهبط الجبّار عزّوجلّ في ظلّ من الغمام والملائكة وقضي الأمر، ورسول الله صلى الله عليه وآله أمامه بيده حربة من نور، فإذا نظر إليه إبليس، رجع القهقري ناكصاً علىٰ عقبيه، فيقولون له أصحابه: أين تريد وقد ظفرت؟ فيقول: إني أرىٰ ما لا ترون، إني أخاف الله ربّ العالمين فيلحقه

---

١ ـ شرح الزيارة، الشموس الطالعة ص ٤٣٢.

٢ ـ البحار ج ٥٣ ص ٤٢.

النبي ﷺ فيطعنه طعنة ما بين كتفيه، فيكون هلاكه وهلاك جميع أشياعه.

فعند ذلك يعبد الله عزوجل ولا يشرك به شيئاً، ويملك أمير المؤمنين عليه السلام أربعاً وأربعين ألف سنة حتىٰ يلد الرجل من شيعة علي ألف ولد ومن صلبه ذكراً، وعند ذلك تظهر الجنّتان المدهامّتان عند مسجد الكوفة وما حوله بما شاء الله».

وفي تفسير نور الثقلين[1]، عن العلل بإسناده إلىٰ يحيىٰ بن أبي العلا الرازي عن أبي عبدالله عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام: «وقد سأل عن قول الله عزوجل لابليس: ﴿فإنّك من المنظرين * إلىٰ يوم الوقت المعلوم﴾، قال عليه السلام: ويوم الوقت المعلوم يوم ينفخ في الصور نفخة واحدة، فيموت إبليس ما بين النفخة الأُولىٰ والثانية».

أقول: هذه الأخبار ترىٰ بظاهرها مختلفة، فأغلبها دلّت علىٰ أنه (لعنة الله عليه) يقتل بيد القائم (عج) في مسجد الكوفة، كما دلّ عليه خبر وهب المتقدم أو بيد رسول الله ﷺ في الرجعه على الصخرة التي في بيت المقدس، أو يطعنه ﷺ بطعنة بين كتفيه، كما في حديث عمرو الخثعمي، أو أنه يموت ما بين النفخة الأولىٰ والثانية كما في الخبر الأخير، وهذه بظاهرها يشكل الجمع بينها، ولكن الظاهر من أحاديث الواردة في قصة الشيطان وإبليس أنه (لعنة الله عليه) يتشكل بصورة الانس، هو واتباعه وأشياعه كما دلّت عليه كثير من الأخبار ونحن نذكر بعضها، ثم نعقّبه بشرح حقيقة الشيطان، وأنه كيف يتّصف الانسان بالشيطان، ويطلق عليه أنه شيطان أيضاً.

فنقول: في تفسير نور الثقلين[2]، عن تفسير علي بن إبراهيم بإسناده عن علي بن أبي حمزة، عن بعض رجاله عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ما بعث الله نبيّاً إلّا وفي أمّته شيطانان يؤذيانه ويضلّان الناس بعده، فأما صاحبا نوح فقنطيقوس

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج٣ ص١٠.

٢ ـ تفسير نور الثقلين ج١ ص٦٢١.

(فغنطيغوس) وحزام، وأما صاحبا إبراهيم فكثل وزرام، وأما صاحبا موسىٰ فالسامري ومرعقيبا، وأما صاحبا عيسىٰ فبولس ومرتيون، وأما صاحبا محمد فحبتر وزريق».

وفيه عن أُصول الكافي، وبإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام: «فإنّ من لم يجعله الله من أهل صفة الحق فأُولئك هم شياطين الانس والجن».

وفيه عن كتاب الخصال، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «الانس علىٰ ثلاثة أجزاء: فجزء تحت ظلّ العرش يوم لا ظلّ إلّا ظله. وجزء عليهم الحساب والعذاب. وجزء وجوههم وجوه الآدميين وقلوبهم قلوب الشياطين».

وفيه عن الاحتجاج الطبرسي رحمه الله بإسناده إلى الباقر عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله حديث طويل وفيه خطبة الغدير وفيها: «ألا إنّ أعداء علي هم أهل الشقاق، هم العادون وإخوان الشياطين الذين يوحي بعضهم إلىٰ بعض زخرف القول غروراً».

وفيه عن مجمع البيان وروي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «إنّ الشياطين يلقىٰ بعضهم بعضاً فيلقي إليه ما يغوي به الخلق، حتىٰ يتعلّم بعضهم من بعض».

وفي البحار[١]، عن ابن عباس: «إن الله تعالىٰ جعلهم يجرون من بني آدم مجرى الدم وصدور بني آدم مساكن لهم».

وفيه[٢] عن أبي سهل عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله «إنّ إبليس عدوّ الله كان يأتي الأنبياء ويتحدث إليهم ...» الحديث بطوله.

وفي البحار[٣]، عن مجالس ابن الشيخ بإسناده إلىٰ ثعلبة بن زيد الأنصاري قال: سمعت جابر بن عبدالله الأنصاري رحمه الله يقول: «تمثّل إبليس (لعنه الله)

---

١ ـ البحار ج٦٣ ص١٥٦.

٢ ـ البحار ج٦٣ ص٢٢٦.

٣ ـ البحار ج٦٣ ص٢٣٣.

في أربع صور:

■ تمثل يوم بدر في صورة سراقة بن جعثم المدلجي فقال للقريش: **﴿..لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جارٌ لكم فلمّا تراءت الفئتان نكص علىٰ عقبيه وقال إنّي بريء منكم﴾**[١].

■ وتصور يوم العقبة في صورة منبه بن الحجّاج فنادىٰ: إنّ محمداً والصباة معه عند العقبة فأدركوهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للأنصار: لا تخافوا فإنّ صوته لن يعدوه.

■ وتصور يوم اجتماع قريش في دار الندوة في صورة شيخ من أهل نجد، وأشار عليهم في النبي صلى الله عليه وآله بما أشار، فأنزل الله تعالىٰ: **﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾**[٢].

■ وتصور يوم قبض النبي صلى الله عليه وآله في صورة المغيرة بن شعبة، فقال: أيّها الناس لا تجعلوها كسروانيّة ولا قيصرانيّة وسّعوها تتّسع، فلا تردّوها في بني هاشم فينتظر بها الحبالىٰ».

وفيه[٣] عن العلل عن الصادق عليه السلام في خبر رؤية النبي صلى الله عليه وآله الشيطان ليلة الإسراء علىٰ بقعة وفيها شيخ علىٰ رأسه برنس، فسأله النبي صلى الله عليه وآله جبرئيل عنها وعن الشيخ قال: هي بقعة شيعتك والشيخ الجالس هو إبليس، وفي ذيله فقلت: «قم ياملعون ... إلىٰ أن قال فسميت قم».

وفيه[٤] عن العيون ومنه بهذا الإسناد عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «كنت جالساً عند الكعبة، فإذا شيخ محدودب قد سقط حاجباه علىٰ عينيه من شدة الكبر

---

١ ـ الأنفال : ٤٨.
٢ ـ الأنفال : ٣٠.
٣ ـ البحار ج٦٣ ص٢٣٨.
٤ ـ البحار ج٦٣ ص٢٤٤.

وفي يده عكازة وعلىٰ رأسه برنس أحمر، وعليه مدرعة من الشعر، فدنا إلى النبي صلى الله عليه وآله والنبي مسند ظهره إلى الكعبة، فقال: يارسول الله أُدع لي بالمغفرة فقال النبي صلى الله عليه وآله: خاب سعيك ياشيخ وضلّ علمك (عملك) فلمّا تولّى الشيخ قال لي: ياأبا الحسن أتعرفه؟ قلت: لا، قال: ذلك اللعين إبليس، قال علي عليه السلام فعدوت خلفه حتىٰ لحقته، وصرعته إلى الأرض، وجلست علىٰ صدره، ووضعت يدي في حلقه لأخنقه، فقال لي: لا تفعل ياأبا الحسن فإني من المنظرين إلىٰ يوم الوقت المعلوم، والله ياعلي إني لأحبّك جدّاً وما أبغضك أحدٌ إلّا شركت أباه في أُمه فصار ولد زنا، فضحكت وخلّيت سبيله».

وفي تفسير نور الثقلين[1]، عن تفسير علي بن إبراهيم في خبر طويل في غزوة بدر.. إلىٰ أن قال: «وجاء إبليس إلىٰ قريش في صورة سراقة بن مالك فقال لهم: إني جار لكم فادفعوا إلي رايتكم فدفعوها إليه، وجاء بشياطينه يهول بهم علىٰ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله إلىٰ أن قال: ونظر إبليس (عليه اللعنة) إلىٰ جبرئيل عليه السلام فتراجع ورمىٰ باللواء فأخذ منبه بن الحجاج بمجامع ثوبه.

ثم قال: ويلك ياسراقة تفتّ في أعضاد الناس؟ فركله إبليس ركلة في صدره وقال: إني برئ منكم إني أرىٰ ما لا ترون إني أخاف الله ...» الحديث.

أقول: «فأخذ منبه بن الحجاج بمجامع ثوب إبليس وهو بصورة سراقة، فركله» أي ركل إبليس وهو بصورة سراقة في صدر منبه.

وفيه[2] عن مجمع البيان فلما قدموا مكّة قالوا: هزم الناس سراقة، فبلغ ذلك سراقة، فقال: والله ما شعرت بمسيركم حتىٰ بلغني هزيمتكم، فقالوا: إنك أتيتنا يوم كذا فحلف لهم، فلما أسلموا علموا أنّ ذلك كان الشيطان عن الكلبي وروىٰ ذلك عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام.

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ١٣٢.

٢ ـ تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ١٦٢.

وفيه[١] عن روضة الكافي بإسناده إلىٰ زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «كان إبليس يوم بدر يقلل المسلمين في أعين الكفار، ويكثر الكفار في أعين الناس، فشدّ عليه جبرئيل عليه السلام بالسيف فهرب منه وهو يقول: ياجبرئيل إنّي مؤجّل حتىٰ وقع في البحر، قال: فقلت لأبي جعفر عليه السلام لأي شيء يخاف وهو مؤجّل؟ قال: يقطع بعض أطرافه».

أقول: هذه بعض الأخبار الدالة علىٰ أنه (لعنة الله عليه) يتشكّل بصورة الانسان ولا مانع منه عقلاً، فإنه كما قيل حقيقته نارية يتصور بأشكال مختلفة.

وكيف كان لا ريب في واجدية الشيطان لقوة العزّة منه تعالىٰ فله (لعنة الله عليه) أن يتصور بصورة الانسان مضافاً إلىٰ دلالة أخبار كثيرة علىٰ أنه تصوّر بصورة الانسان في موارد عديدة.

فحينئذ نقول: يمكن، والله العالم، أن يراد من الأحاديث الدالة علىٰ أنه يقتل بيد رسول الله صلى الله عليه وآله أو أمير المؤمنين عليه السلام كما علمته في الأحاديث المتقدمة أنه يقتل وهو بصورة الانسان كما هو صريح قوله عليه السلام في حديث الخثعمي: فإذا كان يوم الوقت المعلوم ظهر إبليس (لعنه الله) في أشياعه ... الخ، فإن وقوع الحرب بينهم يستدعي ظهوره بصورة الانسان هو وأشياعه، فحينئذ إما يقتل بأن يؤخذ منه (لعنه الله) قدرة التمثّل بصورة الانسان، فلا يمكنه بعد أن يوسوس بشراً، أو يقطع بعض أعضائه وأطرافه، كما علمته في حديث روضة الكافي، فإنه (لعنه الله) «فرّ في يوم بدر خوفاً من أن يقطع أطرافه، وأما يوم الرجعة فلا يمكنه الفرار فتقطع أطرافه، فيستريح الناس من وسوسته أو من شدة وسوسته، فلا يغلب حينئذ علىٰ بشر غلبة توجب عبادة غير الله تعالىٰ، وحينئذ لا منافاة بين أن يقتل في الرجعة هكذا، وإن يموت بتاتاً بين النفختين كما دلّ عليه حديث المنقول عن العلل، وقد يقال: إن المستفاد من أحاديث الباب التي تقدم بعضها أن الانسان بلحاظ متابعته للشيطان

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ١٦١.

تترسّخ فيه حقيقة الشيطان، وينسلخ منه روح الايمان والعقل بالكلية، فلا إيمان له حينئذ ولا عقل، بل لا يبقىٰ إلّا الشيطنة والنكراء، كما ورد هذا بالنسبة إلىٰ معاوية (لعنه الله) فحينئذ يصير بنفسه شيطاناً رجيماً، وهو المراد من قوله تعالىٰ شياطين الجنّ والانس، فإن شيطان الانس هو الانسان المترسّخ فيه وفي قلبه صفات الشيطان، وقد رأيت في الخصال في سالف الزمان حديثاً قد صرح فيه عليه السلام بالنسبة إلىٰ من تبع الشيطان وتمادىٰ في طغيانه وعصيانه بأنّه صار شيطاناً لعيناً، أي أنه صار بنفسه هكذا، كيف لا، وقد صرح في الأخبار بأنه يجري في ابن آدم مجرى الدم في العروق.

وحينئذ نقول: يمكن أن يكون قتل الشيطان في الرجعة هو قتل أكابر المشركين الذين صاروا شياطين بالصفة، ويؤيده أنه قد ذكر أنه يقتل بيد القائم في مسجد الكوفة وبيد الرسول صلى الله عليه وآله على الصخرة في بيت المقدس، فإن تعدد قتله (لعنه الله) مع أنه واحد لا يكون إلّا بقتل شياطين الانس الكذائي، إلّا أن يقال: التعدد بلحاظ قتل أولاده، وهو خلاف الظاهر، هذا والعلم عند الله تعالىٰ، ونحن نسلم لما يعلمه الله تعالىٰ، وإنما ذكرنا هذا علىٰ سبيل الاحتمال وإن كان قويّاً والحمد لله وحده.

الفائدة الخامسة: فيما يفعله الأئمة عليهم السلام في الرجعة، فنقول: هيٰهنا أحاديث نذكر المهم منها، ثمّ نعقّبه بما يحتاج إلى التوضيح.

أقول: تقدم حديث الخثعمي قريباً وفيه حتىٰ يديل الله المؤمن (من) الكافر.

في المجمع: وفي الحديث قد أدال الله تعالىٰ من فلان، هو من الادالة أعني النصرة والغلبة، يقال: أُديل لنا علىٰ أعدائنا أي نصرنا عليهم وكانت الدولة لنا، والدولة: الانتقال من حال الشدة إلىٰ حال الرخاء.

فحينئذ نقول معنى الحديث: حتىٰ يديل الله المؤمن من الكافر، أي ينصره عليه وينقل الدولة التي له إلى المؤمن، فيتبدل حال شدته إلى الرخاء.

وفي البحار[١]، عن منتخب البصائر بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن الذي يلي حساب الناس قبل يوم القيمة الحسين بن علي عليه السلام، فأما يوم القيامة فإنما هو بعث إلى الجنة وبعث إلى النار».

الظاهر من الحديث الشريف أنه عليه السلام يلي حساب الخلق في مدة رجعته، وسيأتي أنه أربعة وأربعون ألف عام، ويشكل بأنه عليه السلام إنما يمكن له أن يلي حساب الموجودين في زمانه عليه السلام، فكيف حساب غيرهم ممن كانوا قبله أو بعده؟ ويجاب عنه: بأنه عليه السلام يظهر العدل والقوانين الإلهية، فمنها يعلم حساب الخلائق بالوضوح والبيان، بحيث يعرفه جميع الخلائق، فلا يبقىٰ ليوم القيامة إلّا البعث أما إلى الجنة وإما إلى النار، وهذا لا ينافي كون الحساب في القيامة أيضاً؛ لأن معنىٰ أنه عليه السلام يلي حساب الخلق هو أنه يظهر العدل الالهي والقوانين الإلهية ويبيّنها للخلق بحيث يعلم كل من هلك أنه هلك عن بيّنة، وكل من نجا أنه نجا عن بيّنة، وهذا الوضوح أيضاً يكشف لكل أحد يوم القيٰمة، بل الاعتبار يقتضي أن يتبيّن العدل الديني في الدنيا والقواعد؛ ليعلم المكلفون أحكامهم ليعمل المؤمن وليعصي العاصي عن بيّنة، وهذا معنىٰ ما ورد أنه بعد قيام القائم عليه السلام يظهر حقائق الدين وأعلامه ومعارفه، فإنها تظهر ببيانه عليه السلام في الرجعة، وهذا لا ينافي أن يظهر من بيان غيره عليه السلام من سائر الأئمة، كما لا يخفىٰ، وإنما اختص به عليه السلام هذا لطول زمان رجعته عليه السلام، والله العالم.

وفيه عنه[٢] عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل: ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾[٣] قال: «يكسرون في الكرة كما يكسر الذهب حتىٰ يرجع كل شيء إلىٰ شبهه»، يعني إلىٰ حقيقته.

أقول: يعني يفتنون، يمتحنون حتىٰ تظهر حقائقهم؛ وذلك لشدة الفتن بهم،

---

١ ـ البحار ج٥٣ ص٤٣.

٢ ـ البحار ج٥٣ ص٤٤.

٣ ـ الذاريات : ١٣.

فالمؤمن الخالص يظهر خلوصه، كما أنّ الكافر الخالص يظهر كفره، فلا يمكن حينئذ لأحد النفاق بأن يظهر خلاف ما في حقيقته؛ وذلك لكثرة الابتلاء وشدة المحن في ذلك الزمان.

وفيه[١] عن تفسير علي بن إبراهيم: **﴿وإن من أهل الكتاب إلّا ليؤمننّ به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾**[٢] فإنه روي أن رسول الله ﷺ إذا رجع آمن به الناس كلهم، وتقدم حديث معاوية بن عمار، وفي ذيله بالنسبة إلى النّصاب قال: «ذاك والله في الرجعة يأكلون العذرة».

وفيه[٣] عن الكنز يرفعه إلىٰ بريدة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ لعلي «ياعلي إن الله أشهدك معي سبعة مواطن وساق الحديث.. إلىٰ أن قال: والموطن السابع إنّا نبقىٰ حين لا يبقىٰ أحد وهلاك الأحزاب بأيدينا».

وتقدم عن العيون قول الرضا عليه السلام وقال ﷺ: «إذا خرج المهدي من ولدي نزل عيسىٰ بن مريم عليه السلام فصلّىٰ خلفه، وقال ﷺ: إنّ الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبىٰ للغرباء! قيل يارسول الله ثمّ يكون ماذا؟ قال: يرجع الحق إلىٰ أهله».

قوله ﷺ: «ثمّ يرجع الحق إلىٰ أهله»، يعني أن الاسلام في صدر زمان النبي ﷺ كان بدؤه غريباً، وسيعود في آخر الزمان قبل قيام القائم عليه السلام وقبل زمان الرجعة غريباً، ثم بظهور الحجة (عج) وبرجعة الأئمة عليهم السلام يرجع الحق إلىٰ أهله، أي ينقل الله تعالى الدولة من أهل الكفر إلىٰ أهل الحق فيظهرون الحق ويعيشون بعيشة راضية مرضية إن شاء الله تعالىٰ.

وفيه[٤] عن منتخب البصائر، بإسناده عن موسى الحنّاط قال: سمعت أبا

---

١ ـ البحار ج٥٣ ص٥٠.
٢ ـ النساء: ١٥٩.
٣ ـ البحار ج٥٣ ص٥٩.
٤ ـ البحار ج٥٣ ص٦٣.

عبدالله ﷺ يقول: «أيام الله ثلاثة:

يوم يقوم القائم (عج).

ويوم الكرّة.

ويوم القيامة».

أقول: جميع الأيام لله تعالىٰ، والاختصاص بهذه الثلاثة لظهور آثار قدرته تعالىٰ بيد أوليائه، وظهور الحق علىٰ أيديهم في يوم قيام القائم (عج) ويوم الكرة، وأما القيامة فيوم ظهرت صفاته الجمالية والجلالية بحيث لا يبقىٰ لأحد شيء، كما لا يخفىٰ.

وفيه عن رجال الكشي[1] عن أبي خديجة قال: سمعت أبا عبدالله ﷺ يقول: «إني سألت الله في إسماعيل أن يبقيه بعدي فأبىٰ، ولكنه قد أعطاني فيه منزلة أُخرىٰ، إنه يكون أول منشور في عشرة من أصحابه، ومنهم عبدالله بن شريك وهو صاحب لوائه».

وفيه عنه عن أبي جعفر ﷺ قال: «كأني بعبدالله بن شريك العامري عليه عمامة سوداء، وذؤابتاها بين كتفيه، مصعداً في لحف الجبل بين يدي قائمنا أهل البيت في أربعة آلاف مكبّرون ومكرّون».

أقول: اللحف بالكسر أصل الجبل.

وفيه[2] عن أبي عبدالله ﷺ قال: «كأني بحمران بن أعين وميسر بن عبدالعزيز يخبطان الناس بأسيافهما بين الصفا والمروة».

وفيه[3] عن علل الشرايع بإسناده عن عبدالرحيم القصير قال: قال لي أبو جعفر ﷺ: «أما لو قد قام قائمنا لقد ردت إليه الحميراء حتىٰ يجلدها الحدّ، وحتىٰ

---

١ ـ البحار ج٥٣ ص٧٦.

٢ ـ البحار ج٥٣ ص٤٠.

٣ ـ البحار ج٥٣ ص٩٠.

ينتقم لابنة محمد فاطمة عليها السلام منها».

وفيه[١] عن الإرشاد روى عبدالكريم الخثعمي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إذا آن قيام القائم (عج) مطر الناس جمادى الآخرة وعشرة أيام من رجب مطراً لم تر الخلائق مثله، فينبت الله به لحوم المؤمنين وأبدانهم في قبورهم، وكأني أنظر إليهم مقبلين من قبل جهينة، ينفضون شعورهم من التراب».

أقول: قد علمت أن الرجعة كالقيامة في رجوع الأشخاص بأبدانهم إلى الدنيا، فكما ورد أنه تعالى قبل القيامة يفعل هذا فكذلك قبل الرجعة، ولعل الاختصاص بأربعين يوماً لأجل رجوع بعض الناس ممن محض الايمان محضاً، وممن محض الشرك محضاً لا جميعهم، وكيف كان فمظاهر قدرته في الرجعة تشبه مظاهره لقيام القيامة والله العالم.

وفيه عن اعلام الورى والإرشاد، روى المفضل عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «يخرج مع القائم (عج) من ظهر الكوفة سبعة وعشرون رجلاً، خمسة عشر من قوم موسى عليه السلام الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون[٢] وسبعة من أهل الكهف، ويوشع بن نون، وسلمان، وأبو دجانة الأنصاري، والمقداد، ومالك الأشتر، فيكونون بين يديه أنصاراً وحكاماً».

وفيه عن غيبة النعماني، عن الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لو قد خرج قائم آل محمد لنصره الله بالملائكة، وأول من يتّبعه محمد وعلي الثاني (صلى الله عليهما وآلهما)».

وفيه عن غيبة الشيخ عن الرضا عليه السلام في حديث له طويل في علامات ظهور القائم عليه السلام قال: «والصوت الثالث يرون بدناً بارزاً نحو عين الشمس: هذا أمير المؤمنين، قد كرّ في هلاك الظالمين».

---

١ ـ البحار ج٥٣ ص٩٠.

٢ ـ إشارة إلى آية ١٥٩ في سورة الأعراف: ﴿ومن قوم موسىٰ أمّة يهدون بالحقّ وبه يعدلون﴾

أقول: قوله عليه السلام «يرون بدناً» لعله هو المصوت، فيكون أمير المؤمنين هو الظاهر الخارج في الأرض، ويحتمل أن يكون البدن البارز هو أمير المؤمنين نحو عين الشمس، ثم يخرج على الأرض ليهلك الظالمين.

وكيف كان فهذا النحو من الخروج من آياته تعالى، التي تكون عند الرجعة لاظهار الحقّ ولسوق الناس إلىٰ قبوله، والله العالم.

وفيه عنه عن المفضل بن عمر قال: ذكرنا القائم (عج) ومن مات من أصحابنا ينتظره، فقال لنا أبو عبدالله عليه السلام: «إذا قام أتى المؤمن في قبره فيقال له: ياهذا إنه قد ظهر صاحبك! فإن تشأ أن تلحق به فألحق، وإن تشأ أنْ تقيم في كرامة ربك فأقم».

وفيه[1] عن الكافي عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿**وقضينا إلىٰ بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين..**﴾[2] قال: «قتل علي بن أبي طالب عليه السلام وطعن الحسن عليه السلام ﴿**ولتعلن علوّاً كبيراً**﴾ قال: قتل الحسين عليه السلام ﴿**فإذا جاء وعد اولٰهما**﴾ إذا جاء نصر دم الحسين ﴿**بعثنا عليكم عباداً لنا أُولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار**﴾ قوم يبعثهم الله قبل خروج القائم فلا يدعون واتراً لآل محمد إلّا قتلوه ﴿**وكان وعداً مفعولاً**﴾ خروج القائم ﴿**ثم رددنا لكم الكرّة عليهم**﴾ خروج الحسين عليه السلام في سبعين من أصحابه عليهم البيض المذهبة لكل بيضة وجهان، المؤدون إلى الناس أنّ هذا الحسين قد خرج لا يشك المؤمنون فيه، وأنه ليس بدجال ولا شيطان، والحجة القائم بين أظهرهم، فإذا استقرت المعرفة في قلوب المؤمنين أنه الحسين عليه السلام جاء الحجة الموت، فيكون الذي يغسّله ويكفّنه ويحنّطه ويلحّده في حفرته الحسين بن علي عليه السلام ولا يلي الوصي إلّا الوصي».

وفيه[3] عن غيبة الشيخ بإسناده عن جابر الجعفي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام

---

١ ـ البحار ج٥٣ ص٩٣.

٢ ـ الإسراء: ٤ ـ ٦

٣ ـ البحار ج٥٣ ص١٠٠.

(يقول): «والله ليملكنّ منّا أهل البيت رجل بعد موته ثلاثمائة سنة يزداد تسعاً، قلت: متىٰ يكون ذلك؟ قال: بعد القائم، قلت: وكم يقوم القائم في عالمه؟ قال: تسع عشرة سنة، ثم يخرج المنتصر فيطلب بدم الحسين ودماء أصحابه، فيقتل ويسبي حتىٰ يخرج السفّاح».

قال المجلسي ﷺ: الظاهر أن المراد بالمنتصر الحسين ﷺ وبالسفّاح أمير المؤمنين ﷺ.

أقول: وسيأتي عن جابر عن أبي جعفر ﷺ حديث وفي ذيله: «وهل تدري من المنتصر والسفاح ياجابر؟ المنتصر: الحسين بن علي، والسفّاح: علي بن أبي طالب ﷺ».

وفيه[١] عن منتخب البصائر، عن كتاب السلطان المفرّج، عن أهل الايمان تصنيف السيد الجليل بهاء الدين علي بن عبدالكريم الحسني يرفعه إلىٰ علي بن مهزيار، قال: كنت نائماً في مرقدي إذ رأيت فيما يرى النائم قائلاً يقول: «حج السنة فإنك تلقىٰ صاحب الزمان»، وذكر الحديث بطوله.

ثم قال: «يابن مهزيار إنه إذا فقد الصين وتحرك المغربي، وسار العباسي وبويع السفياني، يؤذن لولي الله، فأخرج بين الصفا والمروة، في ثلاثمائة وثلاثة عشر فأجيء إلى الكوفة، فاهدم مسجدها، وأبنيه علىٰ بنائه الأول وأهدم ما حوله من بناء الجبابرة. وأحج بالناس حجة الاسلام، وأجيء إلىٰ يثرب، فاهدم الحجرة، وأخرج من بها وهما طريّان، فآمر بهما تجاه البقيع، وآمر بخشبتين يصلبان عليهما فتورقان من تحتهما، فيفتتن الناس بهما أشد من الأُولىٰ، فينادي مناد الفتنة من السماء ياسماء انبذي، وياأرض خذي، فيومئذ لا يبقىٰ علىٰ وجه الأرض إلّا مؤمن قد أخلص قلبه للإيمان.

---

١ ـ البحار ج٥٣ ص١٠٤.

قلت: ياسيدي ما يكون بعد ذلك؟ قال: الكرّة الكرّة الرجعة، ثم تلا هذه الآية: **﴿ثم رددنا لكم الكرّة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً﴾**[١]».

قوله عليه السلام: «الكرّة الكرّة الرجعة» أي يكون بعد هذا رجوع الأئمة علىٰ ما بينته الأخبار.

وأما قوله عليه السلام: «ثم ينادي منادي الفتنة من السماء ياسماء أنبذي ويا أرض خذي... الخ» فالظاهر أن المراد من الفتنة هو الامتحان، فإنه في ذلك الزمان يمتحن الخلائق؛ ليظهر ما في كونهم كما علمت فيما سبق.

وقوله عليه السلام: «ياسماء أُنبذي ويا أرض خذي» إما يراد منه الصوت فقط؛ ليخاف الناس فيؤمنوا، أو يبقوا في كفرهم وضلالتهم، كل علىٰ حسب ما في أصله وذاته وإما، يراد منه ظهور آيات من الملائكة أو الرياح أو البارقة من السماء، فحينئذ السماء تنبذ بالبارقة علىٰ رؤوس الناس، والأرض تأخذ هذا إلى العذاب وتذر المؤمن، والله العالم بمراد أوليائه عليهم السلام.

وفيه[٢] عن فهرست النجاشي، «كانت لمؤمن الطاق مع أبي حنيفة حكايات كثيرة، فمنها أنه قال له يوماً: ياأبا جعفر! تقول بالرجعة؟ فقال: نعم، فقال له: أقرضني من كيسك هذا خمسمائة دينار، فإذا عدت أنا وأنت رددتها إليك، فقال له في الحال: أريد ضميناً يضمن لي أنك تعود إنساناً، وإني أخاف أن تعود قرداً فلا أتمكن من استرجاع ما أخذت».

وفيه[٣] عن مختصر البصائر عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال سألته عن قول الله عزوجل: **﴿إن نشأ ننزّل عليهم من السماء آية فظلّت أعناقهم لها خاضعين﴾**[٤] قال: «تخضع لها رقاب بني أُمية قال: ذلك بارز عند زوال الشمس،

---

١ ـ الإسراء: ٦.

٢ ـ البحار ج٥٣ ص١٠٧.

٣ ـ البحار ج٥٣ ص١٠٩.

٤ ـ الشعراء: ٤.

قال: وذلك علي بن أبي طالب عليه السلام، يبرز عند زوال الشمس علىٰ رؤوس الناس ساعة حتىٰ يبرز وجهه يعرف الناس حسبه ونسبه.

ثم قال: أما أن بني أمية ليخبينّ الرجل منهم إلىٰ جنب شجرة، فتقول: هذا رجل من بني أُمية فاقتلوه».

أقول: لعل قوله عليه السلام «وذلك أي البارز عند زوال الشمس، علي بن أبي طالب عليه السلام» يطابق مضمونه مع ما تقدم عن الرضا عليه السلام علامات ظهور القائم (عج) من قوله: «يرون بدناً بارزاً نحو عين الشمس هذا أمير المؤمنين عليه السلام ... الخ»، والله العالم.

وفيه[1] عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال في خطبة حجة الوداع: «لأقتلنّ العمالقة في كتيبة فقال له جبرئيل عليه السلام: أو علي، قال: أو علي بن أبي طالب عليه السلام».

قوله «أو علي» يعني أو يقتل العمالقة علي عليه السلام، فقال صلى الله عليه وآله: «أو علي بن أبي طالب» أي أو يقتلهم علي عليه السلام.

وفيه عن الكافي بإسناده عن كرام قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «لو كان الناس رجلين لكان أحدهما الامام عليه السلام، وقال: إنّ آخر من يموت الامام عليه السلام لئلّا يحتجّ أحد على الله أنه تركه بغير حجة (لله) عليه».

وفيه[2] عن كامل الزيارات عن المفضل بن عمر، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «كأنّي بسرير من نور قد وضع، وقد ضربت عليه قبّة من ياقوتة حمراء، مكلّلة بالجوهر وكأنّي بالحسين عليه السلام جالساً علىٰ ذلك السرير، وحوله تسعون ألف قبّة خضراء، وكأنّي بالمؤمنين يزورونه ويسلّمون عليه. فيقول الله عزوجل لهم: أوليائي سلوني! فطالما أوذيتم وذللتم واضطهدتم، فهذا يوم لا تسألوني حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلّا قضيتها لكم، فيكون أكلهم وشربهم من الجنة، فهذه والله

---

١ ـ البحار ج٥٣ ص١١٤.

٢ ـ البحار ج٥٣ ص١١٦.

الكرامة».

قال المجلسي ﵀: سؤال حوائج الدنيا يدلّ علىٰ أنّ هذا في الرجعة إذ هي لا تسأل في الآخرة.

وفيه[١] عن كامل الزيارات عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام قالا في ذكر الكوفة: «فيها مسجد سهيل الذي لم يبعث الله نبيّاً إلّا وقد صلّىٰ فيه، ومنها يظهر عدل الله، وفيها يكون قائمه والقوام من بعده، وهي منازل النبيين والأوصياء والصالحين».

وفيه[٢] عن تفسير فرات بن إبراهيم عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿والنهار إذا جلّيها﴾ قال «يعني الأئمة منا أهل البيت يملكون الأرض في آخر الزمان فيملؤنها عدلاً وقسطاً».

وفيه[٣] عن إكمال الدين بإسناده عن أبي بصير قال: قلت للصادق جعفر بن محمد عليهما السلام يابن رسول الله سمعت من أبيك عليه السلام أنه قال: «يكون بيد القائم اثنا عشر مهديّاً، فقال: إنّما قال: اثنا عشر مهدياً، ولم يقل اثنا عشر إماماً، ولكنهم قوم من شيعتنا يدعون الناس إلىٰ موالاتنا ومعرفة حقنا».

أقول: وفسّر هؤلاء القوم من الشيعة بأنهم من ولد الحسين عليه السلام.

ففيه عن غيبة الشيخ بإسناده عن أبي حمزة، عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث طويل أنه قال: «ياأبا حمزة إنّ منّا بعد القائم أحد عشر مهدّياً من ولد الحسين عليه السلام».

أقول: لعل الأحد عشر من ولد الحسين عليه السلام فهم مع أبيهم الحسين عليه السلام يبلغون إلىٰ اثني عشر مهديّاً، ففي الحديث السابق إنما ذكر اثني عشر بلحاظ دخول الحسين عليه السلام فيهم، والله العالم.

---

١ ـ البحار ج٥٣ ص١٤٨.
٢ ـ البحار ج٥٣ ص١١٨.
٣ ـ البحار ج٥٣ ص١٤٥.

وفيه[١] عن تفسير العياشي عن جابر، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «والله ليملكنّ رجل منّا أهل البيت الأرض بعد موته ثلاثمائة سنة، ويزداد تسعاً قال قلت: فمتىٰ ذلك؟ قال: بعد موت القائم، قال: قلت: وكم يقوم القائم في عالمه حتى يموت؟ قال: تسع عشرة سنة، من يوم قيامه إلىٰ يوم موته، قال: قلت فيكون بعد موته هرج؟ قال: نعم، خمسين سنة.

قال: ثمّ يخرج المنصور إلى الدنيا فيطلب دمه ودم أصحابه فيقتل ويسبي حتىٰ يقال: لو كان هذا من ذرية الأنبياء ما قتل الناس كل هذا القتل، فيجتمع الناس عليه أبيضهم وأسودهم، فيكثرون عليه حتىٰ يلجئونه إلىٰ حرم الله، فإذا اشتدّ البلاء عليه، مات المنتصر وخرج السفاح إلى الدنيا غضباً للمنتصر، فيقتل كلّ عدوّ لنا جائر، فيملك الأرض كلها، ويصلح الله له أمره، يعيش ثلاثمائة سنة ويزداد تسعاً».

ثم قال أبو جعفر عليه السلام: «ياجابر وهل تدري من المنتصر والسفّاح؟ ياجابر المنتصر الحسين، والسفاح أمير المؤمنين (صلوات الله عليهما)».

أقول: قال المجلسي رحمه الله: بيان هذه الأخبار مخالفة للمشهور وطريق التأويل أحد وجهين:

الأول: أن يكون المراد بالاثني عشر مهديّاً النبي صلى الله عليه وآله وسائر الأئمة سوى القائم (عج) بأن يكون ملكهم بعد القائم عليه السلام وقد سبق أن الحسن بن سليمان أولها بجميع الأئمة وقال برجعة القائم (عج) بعد موته، وبه أيضاً يمكن الجمع بين بعض الأخبار المختلفة التي وردت في مدة ملكه عليه السلام.

والثاني: أن يكون هؤلاء المهديّون من أوصياء القائم هادين للخلق في زمن سائر الأئمة الذين رجعوا؛ لئلا يخلو الزمان من حجة، وإن كان أوصياء الأنبياء والأئمة أيضاً حججاً، والله تعالىٰ يعلم.

---

١ ـ البحار ج٥٣ ص١٤٦.

أقول: قد علمت تفسير الاثني عشر مهديّاً بأنهم من ولد الحسين عليه السلام والظاهر أنهم في زمان الأئمة عليهم السلام في الرجعة يكون كلّ منهم مهدياً من قبل الإمام في كلّ طرف من أطراف العالم، وفي زمانه الذي قد رجع فيه، والله العالم.

فكيف كان فهذه الأخبار التي دلّت علىٰ وقائع تكون بعد قيام القائم (عج) ثم إن بعضها معلوم المراد، وبعضها غير ظاهر المراد كقوله عليه السلام في هذا الحديث: فيكون بعد موته هرج.

أقول: وروي في إكمال الدين[1] بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال «ما زالت الأرض إلّا ولله تعالىٰ فيها حجة يعرف الحلال من الحرام، ويدعو إلىٰ سبيل الله، ولا تنقطع الحجة من الأرض إلّا أربعين يوماً قبل القيمة، وإذا رفعت الحجة أُغلق باب التوبة ﴿**لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ...**﴾ الآية، أولئك شرار خلق الله وهم الذين تقوم عليهم القيامة».

أقول: تقدمت هذه الرواية في الرجعة، وعلمت أن هذا عند اقتراب الساعة، وعلىٰ هذا فمعنىٰ قوله عليه السلام: «نعم، خمسين سنة»، بعد السؤال بقوله: فيكون بعد موته هرج؟ إنه لا يكون هرج كالهرج قبل قيام الساعة، بل يكون فترة، والله العالم، ولا يكون في زمان هذا الهرج انقطاع الحجة، فإنه صرح كثير من الأخبار بأنه لا ترفع الحجة إلّا قبل القيامة بأربعين يوماً، وحمل هذا الهرج علىٰ خروج القائم عليه السلام في آخر الزمان قبل يوم القيامة وبعد الكرّات للأئمة عليهم السلام بعيد، فإنه وإن ورد أنه عليه السلام يرجع بعدما يقتل في آخر الزمان إلّا أن قوله عليه السلام بعده (ثم يخرج المنصور إلى الدنيا أي الحسين عليه السلام) ظاهر في خروجه الأول لا الأخير كما لا يخفىٰ.

بقي شيء وهو أن قوله عليه السلام «منتظر لأمركم، ومرتقب لدولتكم»، يشير إلىٰ أن الزائر يظهر بعد إيمانه برجوعهم عليهم السلام وتصديقه بها أنه منتظر لأمرهم وفرجهم وقيامهم عليهم السلام وأنه مرتقب لانتقال الدولة إليهم عليهم السلام وقد دلّت أحاديث كثيرة علىٰ

---

١ ـ إكمال الدين ج ١ ص ٣٣٩.

أن انتظار الفرج من أفضل العبادات.

ويشير إلىٰ ما ذكر أحاديث لا بأس بذكر بعضها، وهي بين ما دلّت علىٰ فضل انتظار الفرج، وبين ما دلّت علىٰ أفضليّة العبادة في تلك الحالة، أي حال الغيبة وانتظار الفرج، وبين ما دلّ علىٰ أنّ المنتظرين هم المؤمنون الممتحنون.

في كتاب يوم الخلاص نقلاً عن إلزام الناصب وغيره عن النبي ﷺ «المهدي من ولدي الذي يفتح الله به مشارق الأرض ومغاربها، ذلك الذي يغيب عن أوليائه، لا يثبت على القول بإمامته إلّا من امتحن الله قلبه للإيمان».

وفيه عن عدّة كتب عنه ﷺ «أفضل العبادة انتظار الفرج».

وفيه عنه ﷺ «انتظار الفرج عبادة، أفضل أعمال أُمتي انتظار فرج الله».

وفيه عن أمير المؤمنين عليه السلام «أفضل العبادة الصمت وانتظار الفرج»، رواه عن الكشكول.

وفيه عن النبي ﷺ «سيأتي قوم من بعدكم الرجل منهم له أجر خمسين منكم، قالو:ا يارسول الله نحن كنّا معك ببدر وحنين واحد ونزل فينا القرآن، فقال: إنكم لو تحملون ما حملوا لم تصبروا صبرهم»، رواه عن منتخب الأثر وغيبة الطوسي.

وفيه عنه ﷺ «يأتي على الناس زمان المؤمن فيه أذلّ من شاته».

وفيه عن عيون أخبار الرضا عليه السلام عنه ﷺ «ياعلي لا يحفظنّ فيك إلّا الأتقياء الأبرار الأخصّاء، وما هم في أُمتي إلّا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود في الليل الغابر».

وفي البحار[1]، عن بصائر الدرجات عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم وعنده جماعة من أصحابه: «(اللهم لقني إخواني) مرتين، فقال من حوله من أصحابه: أما نحن إخوانك يارسول الله؟ فقال: لا، إنكم أصحابي، وإخواني قوم في آخر الزمان آمنوا ولم يروني، لقد عرفنيهم الله بأسمائهم

---

١ ـ البحار ج ٥٢ ص ١٢٤.

وأسماء آبائهم من قبل أن يخرجهم من أصلاب آبائهم وأرحام أُمهاتهم، لأحدهم أشدّ بقيّة علىٰ دينه من خرط القتاد في الليلة الظلماء، أو كالقابض علىٰ جمر الغضا، أُولئك مصابيح الدجىٰ، ينجيهم الله من كلّ فتنة غبراء مظلمة».

وفيه[1] عن الباقر عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أفضل العبادة انتظار الفرج».

أقول: في هذا المجلد أحاديث فضل انتظار الفرج فمن أراد فليراجعها.

وفي الكافي في كتاب الحجة، باب النادر في حال الغيبة، عن المفضّل بن عمر، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «أقرب ما يكون العباد من الله جلّ ذكره، وأرضىٰ ما يكون عنهم إذا افتقدوا حجة الله جل وعز، ولم يظهر لهم ولم يعلموا مكانه، وهم في ذلك يعلمون أنه لم تبطل حجة الله جل ذكره ولا ميثاقه، فعنده فتوقّعوا الفرج صباحاً ومساءً، فإن أشدّ ما يكون غضب الله علىٰ أعدائه إذا افتقدوا حجته ولم يظهر لهم، وقد علم أنّ أولياءه لا يرتابون، ولو علم أنهم يرتابون ما غيّب حجته عنهم طرفة عين، ولا يكون ذلك إلّا علىٰ رأس شرار الناس».

وفيه عن عمار الساباطي قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام أيّما أفضل: العبادة في السّر مع الامام منكم المستتر في دولة الباطل أو العبادة في ظهور الحق ودولته مع الامام منكم الظاهر؟ فقال: «ياعمار! الصدقة في السّر والله أفضل من الصدقة في العلانية، وكذلك والله عبادتكم في السّر مع إمامكم المستتر في دولة الباطل، وتخوّفكم من عدوكم في دولة الباطل وحال الهدنة أفضل ممن يعبد الله عزوجل ذكره في ظهور الحق مع إمام الحق الظاهر في دولة الحق، وليست العبادة مع الخوف في دولة الباطل مثل العبادة والأمن في دولة الحق، واعلموا أنّ من صلّىٰ منكم اليوم صلوة فريضة في جماعة، مستتر بها من عدوّه في وقتها فأتمّها، كتب الله له خمسين صلوٰة فريضة في

---

١ ـ البحار ج٥٢ ص١٢٥.

جماعة، ومن صلىٰ منكم صلوٰة فريضة وحده مستتراً بها من عدوه في وقتها فأتمّها، كتب الله عزوجل بها له خمساً وعشرين صلوة فريضة وحدانية، ومن صلّىٰ منكم صلوة نافلة لوقتها فأتمّها، كتب الله له بها عشر صلوات نوافل، ومن عمل منكم حسنة، كتب الله عزوجل له بها عشرين حسنة، ويضاعف الله عزوجل حسنات المؤمن منكم إذا أحسن أعماله، ودان بالتقية علىٰ دينه وإمامه ونفسه، وأمسك من لسانه أضعافاً مضاعفة، إنّ الله عزوجل كريم، قلت: جعلت فداك قد والله رغّبتني في العمل وحثثتني عليه، ولكن أحب أن أعلم كيف صرنا نحن اليوم أفضل أعمالاً من أصحاب الامام الظاهر منكم في دولة الحق ونحن علىٰ دين واحد؟ فقال: إنكم سبقتموهم إلى الدخول في دين الله عزوجل، وإلى الصلوة والصوم والحج، وإلىٰ كل خير وفقه وإلىٰ عبادة الله عز ذكره سرّاً من عدوكم مع إمامكم المستتر، مطيعين له، صابرين معه، منتظرين لدولة الحق، خائفين علىٰ إمامكم وأنفسكم من الملوك الظلمة، تنتظرون إلىٰ حق إمامكم وحقوقكم في أيدي الظلمة، قد منعوكم ذلك، واضطّروكم إلىٰ حرث الدنيا وطلب المعاش مع الصبر علىٰ دينكم وعبادتكم وطاعة إمامكم والخوف مع عدوكم، فبذلك ضاعف الله عزوجل لكم الأعمال، فهنيئاً لكم.

قلت: جعلت فداك. فما ترىٰ إذاً أن نكون من أصحاب القائم، ويظهر الحق ونحن اليوم في إمامتك وطاعتك أفضل أعمالاً من أصحاب دولة الحق والعدل؟ فقال: سبحان الله، أما تحبّون أن يظهر الله تبارك وتعالىٰ في أرضه، وتقام حدوده في خلقه، ويردّ الله الحق إلىٰ أهله فيظهر، حتىٰ لا يستخفي بشيء من الحق مخافة أحد من الخلق.

أما والله ياعمار! لا يموت منكم ميّت على الحال التي أنتم عليها إلّا كان أفضل عند الله من كثير من شهداء بدر وأُحد فأبشروا».

وفيه عن أبي إسحاق قال: حدّثني الثقة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام: أنهم

سمعوا أمير المؤمنين عليه السلام يقول في خطبة له: «اللهم وإني لأعلم أنّ العلم لا يأزر كله، ولا ينقطع موادّه، وأنك لا تخلي أرضك من حجة لك علىٰ خلقك، ظاهر ليس بالمطاع أو خائف مغمور؛ كيلا تبطل حجتك ولا يضلّ أولياؤك بعد إذ هديتهم، بل أين هم وكم؟ أُولئك الأقلّون عدداً والأعظمون عند الله جلّ ذكره قدراً، المتّبعون لقادة الدين، الأئمة الهادين الذين يتأدّبون بآدابهم، وينهجون نهجهم، فعند ذلك يهجم بهم العلم علىٰ حقيقة الايمان، فتستجيب أرواحهم لقادة العلم، ويستلينون من حديثهم ما استوعر علىٰ غيرهم، ويأنسون بما استوحش منه المكذّبون واباه المسرفون، أُولئك أتباع العلماء. صحبوا أهل الدنيا بطاعة الله تبارك وتعالىٰ وأوليائه، ودانوا بالتقية عن دينهم والخوف من عدوّهم، فأرواحهم معلّقة بالمحل الأعلىٰ، فعلماؤهم وأتباعهم خرس صمت في دولة الباطل، منتظرون لدولة الحق، وسيحق الله الحق بكلماته ويمحق الباطل، ها، ها، طوبىٰ لهم علىٰ صبرهم علىٰ دينهم في حال هدنتهم! وياشوقاه إلىٰ رؤيتهم في حال ظهور دولتهم! وسيجمعنا الله وإياهم في جنات عدن ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرّياتهم».

أقول: فقوله: «منتظركم لأمركم، مرتقب لدولتكم»، يشير إلىٰ أنه يقرّ الزائر لهم بأنّي ممتثل لهذه الأُمور الصادرة منكم؛ لبيان حال المؤمن في زمان الغيبة، ليكون له ما وعده الله تعالىٰ له من الثواب والفضل الجزيل عنده، فإنه حميد مجيد.

أقول: يعجبني أن أختم الكلام في المقام بما في البحار[1]، عن منتخب البصائر من كتاب الواحدة عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالىٰ أحد واحد، تفرّد في وحدانيته، ثمّ تكلّم بكلمة فصارت نوراً، ثم خلق من ذلك النور محمداً صلى الله عليه وآله وخلقني وذرّيتي، ثمّ تكلّم بكلمة فصارت روحاً، فأسكنه الله في ذلك النور، وأسكنه في أبداننا فنحن روح الله وكلماته، فبنا احتجّ

١ ـ البحار ج٥٣ ص٤٦.

علىٰ خلقه، فما زلنا في ظلّة خضراء، حيث لا شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار، ولا عين تطرف، نعبده ونقدسه ونسبحه، وذلك قبل أن يخلق الخلق، وأخذ ميثاق الأنبياء بالإيمان والنصرة لنا، وذلك قوله عزوجل: **﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمننّ به ولتنصرنّه﴾**[1] يعني لتؤمننّ بمحمد ﷺ ولتنصرنّ وصيّه، وسينصرونه جميعاً.

وإنّ الله أخذ ميثاقي مع ميثاق محمد ﷺ بالنصرة بعضنا لبعض، فقد نصرت محمداً وجاهدت بين يديه، وقتلت عدوّه، ووفيت لله بما أخذ عليّ من الميثاق والعهد، والنصرة لمحمد ﷺ ولم ينصرني أحد من أنبياء الله ورسله، وذلك لما قبضهم الله إليه، وسوف ينصرونني، ويكون لي ما بين مشرقها إلىٰ مغربها، وليبعثنّ الله أحياء من آدم إلىٰ محمد ﷺ كلّ نبي مرسل، يضربون بين يديّ بالسيف هام الأموات والأحياء والثقلين جميعاً.

فيا عجباً وكيف لا أعجب من أموات يبعثهم الله أحياء! يلبّون زمرة زمرة بالتّلبية لبّيك لبّيك ياداعي الله، قد تخلّلوا بسكك الكوفة، قد شهروا سيوفهم علىٰ عواتقهم؛ ليضربون بها هام الكفرة، وجبابرتهم وأتباعهم من جبّارة الأولين والآخرين حتىٰ ينجز الله ما وعدهم في قوله عزوجل: **﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضىٰ لهم وليبدّلنّهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾**[2] أي يعبدونني آمنين لا يخافون أحداً من عبادي ليس عندهم تقيّة.

وإن لي الكرّة بعد الكرّة، والرجعة بعد الرجعة، وأنا صاحب الرجعات والكرّات، وصاحب الصولات والنقمات، والدولات العجيبات وأنا قرن من حديد، وأنا عبدالله وأخو رسول الله ﷺ، أنا أمين الله وخازنه، وعيبة سرّه وحجابه

---

١ ـ آل عمران: ٨١.

٢ ـ النور: ٥٥.

ووجهه وصراطه وميزانه، وأنا الحاشر إلى الله، وأنا كلمة الله التي يجمع بها المفترق ويفرق بها المجتمع، وأنا أسماء الله الحسنىٰ، وأمثاله العليا وآياته الكبرىٰ، وأنا صاحب الجنة والنار، أُسكن أهل الجنة الجنة، وأُسكن أهل (النار) النار، وإلي تزويج أهل الجنة، وإلي عذاب أهل النار، وإلي إياب الخلق جميعاً، وأنا الاياب الذي يؤوب إليه كل شيء بعد القضاء، وإلي حساب الخلق جميعاً، وأنا صاحب الهبات، وأنا المؤذّن على الأعراف، وأنا بارز الشمس، وأنا دابة الأرض، وأنا قسيم النار، وأنا خازن الجنان وصاحب الأعراف.

وأنا أمير المؤمنين، ويعسوب المتّقين، وآية السابقين، ولسان الناطقين، وخاتم الوصيين، وخليفة ربّ العالمين، وصراط ربي المستقيم، وفسطاطه والحجة علىٰ أهل السموات والأرضين، وما فيهما وما بينهما، وأنا الذي احتجّ الله به عليكم في ابتداء خلقكم، وأنا الشاهد يوم الدين، وأنا الذي علمت علم المنايا والبلايا والقضايا، وفصل الخطاب والأنساب، واستحفظت آيات النبيين المستخفين المستحفظين.

وأنا صاحب العصا والميسم، وأنا الذي سخّرت لي السحاب والرعد والبرق، والظلم والأنوار، والرياح والجبال والبحار، والنجوم والشمس والقمر، أنا القرن الحديد، وأنا فاروق الأُمة، وأنا الهادي، وأنا الذي أحصيت كلّ شيء عدداً بعلم الله الذي أودعنيه، وبسره الذي أسرّه إلىٰ محمد ﷺ وأسرّه النبي ﷺ إليّ، وأنا الذي أنحلني ربي اسمه وكلمته وحكمته وعلمه وفهمه.

يامعشر الناس اسألوني قبل أن تفقدوني، اللهم إني أشهدك واستعديك عليهم، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم، والحمد لله متّبعين أمره».

أقول: قوله عليه السلام: «وأنا صاحب الرجعات والكرّات ... إلىٰ قوله والدولات» أي الرجعات إلى الدنيا، وتقدم أنّ له عليه السلام كرّات متعددة.

والدولة: الغلبة أي أنا صاحب الغلبة بعد الغلبة. في الحروب فيما مضىٰ وفيما يأتي

في الرجعة.

قوله عليه السلام «وأنا المؤذّن على الأعراف»: في المحكي عن الصدوق في معاني الأخبار، عن أبي جعفر عليه السلام قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة منصرفه من النهروان وذكر الخطبة.. إلىٰ أن قال عليه السلام فيها: «وأنا المؤذّن في الدنيا والآخرة، قال الله عزوجل: ﴿فأذّن مؤذّن بينهم أن لعنة الله على الظالمين﴾[1] أنا ذلك المؤذّن، وقال: ﴿وأذان من الله ورسوله﴾[2] فأنا ذلك المؤذّن».

أقول: الأول في الآخرة والثاني في الدنيا.

قوله عليه السلام: «وأنا قسيم النار»: قيل هذا هو الصحيح لا القول بأنه عليه السلام قسيم النار والجنة، فإن قسيم بمعنىٰ مقاسم، أي من قسم له شيء من شيئين مثلاً الجنة والنار، فالمعنى الصحيح حينئذ أن يقال: يقسم أحد بين الجنة والنار أي يأخذ واحداً ويترك الآخر.

فقوله عليه السلام: «أنا قسيم النار يعني أنه يقول للنار: هذا لك وهذا المؤمن لي كما في الخبر، ولا ريب في أنّ هذا يقتضي أن يقول: أنا قسيم النار فقط، أي أنا مقاسم له فهو قسيمي أي قسمي، ولكن العرف الخاطي يقول: القسيم أي مقسّم أي من يقسّم الأشياء كما قيل في حقه عليه السلام:

علي حُبّه جنّة قسيم النار والجنّة

وصيّ المصطفىٰ حقّاً إمام الإنس والجِنّة

فإنه معنى صحيح، إلّا أنه بلحاظ اللغة غير صحيح.

أقول: القسيم إذا أُطلق على المقسوم مثلاً بأن قسم زيداً الكتابين فقال: هذا لعمرو وهذا لبكر، فقال عمرو لقسيمه: هذا قسمي أي مقسومي، أو قال: أنا قسمي

---

١ ـ الأعراف: ٤٤.

٢ ـ التوبة: ٣.

هذا الكتاب، أي أنا مقاسم الكتاب بفتح السين، أي أنا الذي قسّم لي هذا الكتاب، فحينئذ الأمر كما ذكر، وأما إذا أُطلق بمعنى القاسم أي أنا قسيم أي مقسم بالبناء للفاعل، فحينئذ يصحّ ما قاله العرف: إنه قسيم النار والجنة، فإنّ فعيل كما يأتي بمعنى الفاعل يأتي بمعنى المفعول، كما لا يخفىٰ، ويؤيد بل يدل عليه قوله ﷺ في أحاديث كثيرة: أنا قسيم الجنة والنار، والله العالم.

قوله ﷺ: «وصاحب الأعراف».

أقول: هذا إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: **﴿وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم﴾**[1] وقد وردت أحاديث كثيرة علىٰ أنهم ﷺ الأعراف، كما ورد عن الاصبغ بن نباتة قوله ﷺ لابن الكوّاء: «ويحك يابن الكوّاء، نحن نقف يوم القيمة بين الجنة والنار، فمن نصرنا عرفناه بسيماه فأدخلناه الجنّة، ومن أبغضنا عرفناه بسيماه فأدخلناه النار».

قوله ﷺ: «أنا صاحب العصا والميسم»، قد تقدم بيانه في أنه ﷺ هو دابة الأرض وأنها تعمل هذا العمل.

قوله **ﷺ: آخذ بقولكم، عامل بأمركم، مستجير بكم، زائر لكم، عائذ بكم، لائذ بقبوركم، مستشفع إلى الله عزوجل بكم، ومتقرب بكم إلى الله، ومقدّمكم أمام طلبتي وحوائجي وإرادتي في كلّ أحوالي وأُموري، مؤمن بسرّكم وعلانيتكم، وشاهدكم وغائبكم، وأوّلكم وآخركم، ومفوّض في ذلك كلّه إليكم، ومسلّم فيه معكم، وقلبي لكم مسلّم، ورأيي لكم تبع، ونصرتي لكم معدّة، حتىٰ يحيي الله تعالىٰ دينه بكم، ويردّكم في أيّامه، ويظهركم لعدله، ويمكّنكم في أرضه**

أقول: لما أقرّ الزائر بجملة من فضائلهم، وخصائص ولايتهم وشؤونهم، وأنّ الحق معهم، وأقرّ برجعتهم أراد إظهار خضوعه لديهم زائداً علىٰ ما مرّ وأنه في

---

١ ـ الأعراف: ٤٦.

زمان الهدنة والفترة من الأئمة عليهم السلام لا يرفع اليد عنهم، ويعمل بقولهم ودينهم إلىٰ أن يحيي الله تعالىٰ دينه بهم.

والحاصل: أنه يعترف بأنه لا يفارقهم في زمان غيبتهم في جميع الأمور الدينية إلىٰ زمان حضورهم، ثم إنه أظهر هذه العقيدة والتمسك بهم في ضمن جمل نذكر شرحها.

فقال: «آخذ بقولكم»، لما علم أنّ الحقّ والصواب منهم عليهم السلام، ففي المحكي عن الكافي بإسناده عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «ليس عند أحد من الناس حق ولا صواب، ولا أحد من الناس يقضي بقضاء حقّ إلّا ما خرج منّا أهل البيت، وإذا تشعبّت بهم الأُمور كان الخطأ منهم والصواب من علي عليه السلام».

وفيه بإسناده عن زرارة قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فقام له رجل من أهل الكوفة يسأله عن قول أمير المؤمنين عليه السلام: «سلوني عما شئتم، فلا تسألوني عن شيء إلّا نبأتكم به، قال: إنه ليس أحد عنده علم إلّا شيء خرج من عند أمير المؤمنين عليه السلام فليذهب الناس حيث شاءُوا، فوالله ليس الأمر إلّا من هٰهنا وأشار بيده إلىٰ بيته».

وفيه عنه عليه السلام قال: قال أبو جعفر عليه السلام لسلمة بن سهيل، والحكم بن عتيبة «شرّقا وغرّبا فلا تجدان علماً صحيحاً إلّا شيئاً خرج من عندنا أهل البيت».

فحينئذ فالمعتقد بهم وبأن الحق منهم، فلا محالة يكون آخذاً بقولهم وعاملاً بأمرهم.

فقوله عليه السلام: «عامل بأمركم»، أي أنّي لانقطاعي إليكم في أمر الدين، وإقراري بولايتكم، وأنها ولاية الله، كما تقدم فلا محالة أنا عامل بأمركم، سواء أُريد من الأمر ما يطابق القول، فتكون الجملتان متحدتين معنىٰ، أو أُريد به خصوص ما أمروا به، وندبوا إليه للعمل كالأوامر المولوية، فهو أي الزائر مؤتمر بأوامرهم ومنتهي عن نواهيهم، فيكون أخصّ من القول؛ لأنه يعم جميع ما قالوا به من الأخبار بما مضىٰ

ويأتي وبالمعارف الإلهية، كما لا يخفىٰ.

قوله عليه السلام: «مستجير بكم».

أقول: الاستجارة: طلب الحفظ، ولا ريب في أنّ الحفظ من عذاب الله تعالىٰ في القيامة ومن المكاره الدنيوية، لا يكاد يكون إلّا بهم، كما نطقت به الأحاديث الكثيرة من أنهم أمان لأهل الأرض والسماء، خصوصاً بالنسبة إلىٰ شيعتهم ومحبّيهم، كيف لا وقد قال تعالىٰ: ﴿**وإن أحد من المشركين استجارك فأجره**﴾ فأمره تعالىٰ بإجارة من استجار به من المشركين، فكيف بمواليهم ومن اعتقد بولايتهم، بل لا رجاء لمحبّيهم إلّا بهم وباستجارتهم وأنهم عليهم السلام يجيرون من استجار بهم عليهم السلام ولنعم ما قيل:

هل يمنعني وهو الساقي
أن أشرب من حوض الكوثر
أو يطردني عن مائدة
وضعت للقانع والمعتر

ثم إن الاستجارة أمر قلبي يتحقق من العقيدة بأنهم أسمائه الحسنىٰ؛ لأنه تعالىٰ يقضي في الخلق قضيّته بهم، كما تقدم.

والحاصل: أنه يعتقد أن الأمر بيدهم بإذن الله تعالىٰ، ومن المحبة والشوق إليهم قلباً، بحيث يميل بشراشر وجوده إليهم، ويتبرّأ من أعدائهم أصلاً وفرعاً وتابعاً ومتبوعاً، ومن ذواتهم وصفاتهم وأفعالهم، فإذا كان كذلك فلا محالة يكون بقلبه معتصماً بذمتهم التي هي ذمام الله تعالى المنيع وقد تقدم بيانه، فإذا كان كذلك فلا محالة كان جارهم وهم عليهم السلام كانوا مجيريه من مهالك الدارين، رزقنا الله ذلك بمحمد وآله.

قوله عليه السلام: «زائر لكم»، في المجمع وزاره يزوره زيارة: قصده فهو زائر، وفيه

«اللهم اجعلني من زوّارك» أي من القاصدين الملتجئين إليك.. إلىٰ أن قال والزيارة في العرف: قصد المزور إكراماً وتعظيماً له واستيناساً به.

أقول: قوله زائر لكم إما تأكيد لما ذكره في هذه الزيارة، أي أنا زائركم بهذه الجمل، وأظهر بها انقطاعي إليكم، وقد علمت أنّ الزيارة قصد المزور عرفاً، فالزيارة صفة تتحقق للإنسان بالنسبة إلىٰ أحد في ضمن ما به يتحقق قصد المزور إكراماً وتعظيماً له، ويستأنس الزائر بهذه الجمل مع المزور.

ومن المعلوم أنه كلما كانت معرفته بالمزور خصوصاً في مثل المقام أكثر، كان قصده بالنسبة إليه أصفىٰ وأحسن، وموجباً للقرب الحقيقي، وكان أيضاً أُنسه به آكدَ وألذّ، كما لا يخفىٰ، وهذا مراد من قال: إن الزيارة هو الحضور عند المزور، فإن المراد منه هو الحضور القلبي، وهو يتحقق بهذه الأُمور، وقد تقدم في صدر الشرح ما يوضح لك هذا، وأنه لا يحصل هذا إلّا برفع الحجب المشار إليها قبلاً، التي كانت موجبة لاحتجاب حقيقة الانسان بها، فرفعها يوجب ظهورها، أي يوجب ظهور حقيقة الانسان من أنها من فاضل طينتهم عليهم السلام فحينئذ يتّصل قلباً بهم؛ لما يرىٰ بين حقيقته وحقيقة الامام المزور عليه السلام ارتباطاً ومناسبة، بل يراها مرآة للامام عليه السلام ووصلة إليه ويتوجه بها أي بحقيقته، التي هي من فاضل طينتهم إليه أي إلى الامام عليه السلام.

والحاصل أنه لابد من الطهارة الصورية من الوضوء والغسل والنظافة والمعنوية من رفع الحجب القلبية، حتىٰ يتحقق الحضور الحقيقي والقصد الحقيقي إليه عليه السلام، ثم إن هذا المعنى لا يتفاوت في تحققه بين القريب إلىٰ مشاهدهم أو البعيد عنها، إلّا أنهم قد ندبوا إلى السفر إلىٰ مشاهدهم والالتجاء إليهم عند الله تعالىٰ لما فيه من كمال الانقطاع إليهم حتىٰ بالنسبة إلىٰ قبورهم عليهم السلام ومن التبرك بقبورهم، فإنها كما سيأتي موضع الإجابات وقضاء الحاجات وظهور البركات بل والمعجزات، كما لا يخفىٰ.

والحاصل: أن المندوب هو اتصال الزائر في جميع عوالمه المعنوية والمادية بهم عليهم السلام وهذا يقتضي التشرف إلىٰ مشاهدهم الشريفة، ولعله إلىٰ هذا كله يشير قولهم عليهم السلام في بعض الزيارات: «وحبّب إلي مشاهدهم».

وكيف كان، فالمحب لهم والداخل في ولايتهم يحبّ التقرّب إلىٰ جميع شؤونهم المعنوية والظاهرية، كما لا يخفىٰ.

ولنعم ما قيل:

أمرُّ على الديار ديار ليلى
أُقبّل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حبّ الديار شغفن قلبي
ولكن حبّ من سكن الديارا

وقد يقال إن المراد من قوله: «زائر لكم»، هو معناه اللغوي لا الزيارة العرفية، أي قصد المزور تعظيماً، بل يراد منه قصده في الدين، فتكون هذه الجملة كسائر الجمل من نحو قوله: «عائذ بكم»، ويراد منها أني قاصد إليكم في جميع الأُمور، ولا أقصد غيركم، وهذا القصد يتحقق بأُمور منها القصد إليهم فمن كان في زمان حضورهم ليأخذ منهم معالم دينه من الاعتقادات والأعمال الشّرعيّة والتأدّبات الإلهية، التي بها كمال الصورة الانسانية والهيئة الملكيّة، والتي بها تحقق حقيقة العبودية والتقوى الإلهية بما لها من المراتب من التقوىٰ عن الذنوب، وعن الصفات الرذيلة، وعمّا سوى الله تعالى الذي به يتمّ السير، وقد فصل هذا كلّه في كتب الأخلاق والمعارف والسلوك الالهي كل ذلك إمتثالاً لما ورد في قوله تعالىٰ: ﴿فلينظر الانسان إلىٰ طعامه﴾[1] من قوله عليه السلام أي إلىٰ علمه عمّن يأخذه وقد تقدّم حديثه.

ومنها القصد إليهم لكل مؤمن سواء كان في زمن حضورهم أو غيبتهم، وهو

---

١ ـ عبس : ٢٤.

عبارة عن الإيتام بهم والتسليم لهم والردّ إليهم وتحصيل المعرفة بهم.

ففي الوافي عن الكافي في باب التسليم وفضل المسلمين بإسناده عن سدير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إني تركت مواليك مختلفين يتبرّأ بعضهم من بعض قال: «فقال وما أنت وذاك، إنما كلّف الناس ثلاثة: معرفة الأئمة، والتسليم لهم فيما ورد عليهم، والرد إليهم فيما اختلفوا».

ثمّ إنّ هذا إنما يتمّ بالمجانبة والتبري من أعدائهم ومخالفيهم، وإلّا لم يتحقق القصد الكامل الصحيح إليهم، بل ولا التسليم إلّا بالتبري من أعدائهم بحيث يظهر ذلك من أعمالهم.

وبعبارة أُخرىٰ: لابدّ من ظهور عملهم في التبري من أعدائهم؛ ليدلّ علىٰ أنه من محبّيهم وشيعتهم الخلّص، بحيث لا يميل قلباً إلىٰ غيرهم، بل تكون محبّته خالصة لهم عليهم السلام.

ومنها: القصد في الأعمال إليهم، وحاصله أنّ الأمرين السابقين يتعلّقان بالقلب وبالمعرفة والأُمور الباطنية، وأما هذا فالمراد منه القصد إليهم بالأعمال، بأن يمتثل ما قرّروه وبيّنوه من أوامر الله تعالىٰ ونواهيه، وقد تقدم ما يوضح المقام في قوله عليه السلام: «والمظهرين لأمر الله تعالىٰ»، فبهذا الامتثال يظهر أنه يقصدهم بأعماله أيضاً.

قوله عليه السلام: «عائذ بكم لائذ بقبوركم»، في المجمع: وعذت بفلان واستعذت به، أي: لجأت إليه واعتصمت به، وهو عياذي أي ملجئي، وفيه ولاذ به لواذاً ولياذاً أي لجأ إليه وعاذ به.

أقول: ويأتي بمعنىٰ استتر يقال: لاذ بعضهم ببعض واستتر به، فحينئذ نقول: العياذ بهم عليهم السلام والاستعاذة بهم، واللواذ بهم هو الالتجاء بهم والاعتصام بهم عليهم السلام والاستتار بهم عن مكاره الدارين، وهذا لا تتحقق إلّا **بأمرين**:

الأول: المعرفة بأنهم عليهم السلام الأسماء الحسنىٰ لله تعالىٰ وأن ولايتهم ولاية الله وأنهم فانون عن أنفسهم الشريفة، وأنهم في الوجود مظاهره تعالىٰ وأبوابه وهم عين الله

الناظرة، وأُذن الله السامعة، وقلب الله الواعي، ويده المبسوطة بالرحمة الواسعة الإلهية، وأن الاعتصام بهم اعتصام بالله، كما أنّ حبّهم حبّه وطاعتهم طاعته، كما مرّ مراراً، وأنهم لا يفعلون إلّا بإذنه ومشيّته، حيث علمت أنّ قلوبهم عليهم السلام أوعية لمشيّة الله تعالىٰ.

والحاصل: يعرف ويعلم أنّ جميع شؤونهم المتعلّقة بولايتهم التشريعية والتكوينية هو شؤونه تبارك وتعالىٰ، بحيث يعلم أنّ العياذ بهم والالتجاء إليهم حيث إنه كذلك عياذ والتجاء واعتصام بالله تعالىٰ.

الثاني: أن يكون المعيذ بهم والملتجي بهم واللائذ بقبورهم عن إيمان وتصديق قلبي، لا عن شكّ وترديد وامتحان، فإنه حينئذ لا يستفيد منهم بهذه الأُمور شيئاً من سعادة الدارين أو دفع مكارههما.

وكيف كان لابد من الانقطاع الحقيقي إليهم والتصديق القلبي بهم، بل لابد من حقيقة المحبّة والمودة والشوق والعشق بهم، فكلّما ازدادت هذه الأُمور بالنسبة إليهم، ازداد الالتجاء والاعتصام عن صدق بهم عليهم السلام فحينئذ تترتّب عليه آثارها لا محالة، والإظهار الصوري بدون هذين الأمرين لا يغني عنه شيئاً، كما هو حقه.

نعم له أثر قليل، فإذا أردت الحظّ الأوفر منهم ومنه تعالىٰ بواسطتهم، فكن في هذين الأمرين صادقاً.

وبعبارة أُخرىٰ: الاعتصام الحقيقي والعياذ الحقيقي واللّواذ الحقيقي لا يكون من أحد بالنسبة إليهم عليهم السلام إلّا باليقين بولايتهم، ولا يكون هذا إلّا بمحبّتهم، ولا يظهر هذا صدقاً إلّا بمتابعتهم في جميع الأُمور، ولا تتحقق المتابعة كذلك إلّا بالمعرفة بالأمرين المذكورين، وبالتصديق بهم أنهم كذلك ولا تحصل هذه الأمور كلها إلّا بالتسليم الصحيح لهم بعد ثبوت حقّانيتهم بالأدلة العقلية والشرعية المذكورة في الكتب الكلامية.

أقول: ولعله يشير قوله عليه السلام: «عائذ بكم»، أي أنّ تحقق الاستعاذة بالله تعالىٰ

لا تتحقّق إلّا بالإعاذة بهم، حيث إنهم أسماؤه الحسنىٰ، وأنّ ولايتهم هو الذّمام الالهي الذي لا يطاول ولا يحاول.

توضحيه: أنّ الاستعاذة بالله تعالىٰ تتحقق بالمستعيذ وهو العبد، والمستعيذ به وهو الله تعالىٰ، والمستعيذ منه وهو الشيطان.

وإلىٰ ما ذكر يشير ما رواه في الوافي[١]، نقلاً عن الكافي مرسلاً عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنكم لا تكونون صالحين حتىٰ تعرفوا، ولا تعرفون حتىٰ تصدّقوا، ولا تصدّقون حتىٰ تسلّموا أبواباً أربعة، لا يصلح أولها إلّا بآخرها، ضلّ أصحاب الثلاثة وتاهوا تيهاً بعيداً، إن الله تعالىٰ لا يقبل العمل الصالح، ولا يتقبّل إلّا بالوفاء بالشروط والعهود، ومن وفىٰ بشرطه واستكمل ما وصف في عهده نال ما عنده واستكمل وعده، إن الله تعالىٰ أخبر العباد بطرق الهدىٰ، وشرع لهم فيها المنار، وأخبرهم كيف يسلكون، فقال: **﴿وإني لغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدىٰ﴾**[٢]، وقال: **﴿إنما يتقبل الله من المتّقين﴾**[٣].

فمن اتّقى الله تعالىٰ فيما أمره لقي الله تعالىٰ مؤمناً بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله هيهات هيهات! فات قوم وماتوا قبل أن يهتدوا، وظنّوا أنهم آمنوا وأشركوا من حيث لا يعلمون، إنه من أتى البيوت من أبوابها اهتدىٰ، ومن أخذ في غيرها سلك طريق الردىٰ، وصل الله طاعة ولي أمره بطاعة رسوله، وطاعة رسوله بطاعته، فمن ترك طاعة ولاة الأمر لم يطع الله ولا رسوله، وهو الإقرار بما نزل من عند الله، خذوا زينتكم عند كلّ مسجد، والتمسوا البيوت، التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فإنه قد أخبركم أنهم **﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلوة وإيتاء الزكوة يخافون يوماً تتقلّب فيه القلوب والأبصار﴾**[٤] إنّ الله قد استخلص

---

١ ـ الوافي ج ١ ص ٣٠.

٢ ـ طه : ٨٢.

٣ ـ المائدة : ٢٧.

٤ ـ النور : ٣٧.

الرسول لأمره ثم إستخلصهم مصدقين لذلك في نذره، فقال: ﴿... **وإن من أُمـة إلّا خلا فيها نذير**﴾[١] تاه من جهل وإهتدىٰ من أبصر وعقل، إن الله تعالىٰ يقول: ﴿... **فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور**﴾[٢] وكيف يهتدي من لم يبصر؟ وكيف يبصر من لم يتدبّر؟ اتبعوا رسول الله ﷺ وأقرّوا بما نزل من عـند الله، واتبعوا آثار الهدىٰ. فإنهم علامات الأمانة والتقىٰ.

واعلموا أنّه لو أنكر رجل عيسىٰ بن مريم، وأقرّ بمن سواه من الرسل لم يؤمن.

اقتصّوا الطريق بالتماس المنار، والتمسوا من وراء الحجب الآثار، تستكملوا أمر دينكم وتؤمنوا بالله ربكم».

قوله عليه السلام: «**ومن وفىٰ بشروطه، واستكمل ما وصف في عهده نـال مـا عـنده، واستكمل وعده**».

أقول: لعل قوله عليه السلام هذا يشير إلىٰ مـا رواه في بـصائر الدرجـات[٣] عـن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالىٰ: ﴿**وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم ...**﴾ قال «أخرج الله من ظهر آدم ذريته إلىٰ يوم القيمة فخرجوا كالذّر فعرّفهم نـفسه، ولولا ذلك لم يعرف أحد ربّه.

ثم قال: ألست بربكم، قالوا بلىٰ، وإنّ هذا محمد رسولي وعلي أمـير المـؤمنين خليفتي وأميني».

وإلىٰ ما رواه في الكافي في باب أنّ الأئمة عليهم السلام معدن العلم ... الخ، ففيه بإسناده عن خثيمة قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام «ياخثيمة: نحن شجرة النبوة وبيت الرحمة، ومفاتيح الحكمة، ومعدن العلم، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومـوضع سرّ الله، ونحن وديعة الله في عباده، ونحن حرم الله الأكبر، ونحن ذمة الله، ونحن عهد الله،

---

١ ـ فاطر : ٢٤.

٢ ـ الحجّ : ٤٦.

٣ ـ بصائر الدرجات ص ٧١.

فمن وفىٰ بعهدنا فقد وفىٰ بعهد الله، ومن خفرها فقد خفر ذمّة الله وعهده».

أقول: «فمن وفىٰ بعهده» أي استقام علىٰ ولايتهم التي قبلها، وعاهد الله علىٰ قبولها فقد وفىٰ بشرطه، ونال ما عنده تعالىٰ من الكرامة.

قوله عليه السلام: «مستشفع إلى الله عزوجل بكم».

أقول: لما عرف الزائر أنهم عليهم السلام حقائق أسمائه الحسنىٰ، وأنهم أركان توحيده وآياته ومقاماته، وأنهم معانيه أي معاني أسمائه وأفعاله، أي أنهم قدرته وسمعه وبصره وإرادته، وأنّ قلوبهم أوعية مشيّته وعيبة علمه، وأنّ صفاتهم صفاته تعالىٰ، وأنهم فانون عن أنفسهم الشريفة بحيث لا أثر لهم ولا صفة لهم إلّا وهو منه تعالىٰ وله تعالىٰ؛ ولذا قال تعالىٰ: ﴿**من يطع الرسول فقد أطاع الله**﴾، وورد في هذه الزيارة، «من أطاعكم فقد أطاع الله، ومن أحبّكم فقد أحبَّ الله، ومن أبغضكم فقد أبغض الله»، وقد تقدم ويأتي شرح هذه الأُمور.

فإذا عرف واعتقد الزائر أنهم عليهم السلام كذلك، فلا محالة يستشفع بهم إلى الله تعالىٰ، إما بأن يدعو الله تعالىٰ بسبب توجههم عليهم السلام إلى الله تعالىٰ في استجابة دعاء الزائر، وإعطائه تعالىٰ حوائجه، فحينئذ يكون الأئمة عليهم السلام هم الشافعون له.

وإما يكون الزائر هو المستشفع بهم بأن يدعو الله تعالىٰ، ويقسم عليه تعالىٰ بحقّهم؛ ليستجيب تعالىٰ دعاءَه، وحينئذ يكون الزائر هو المستشفع من الله تعالىٰ بهم وبحرمتهم، التي هي المقسم بها على الله تعالىٰ، ثم إن الاستشفاع بهم إليه تعالىٰ إنما يكون لكونهم عليهم السلام هم أسماؤه تعالىٰ، كما تقدم، وهم عليهم السلام وجه الله، وقد وردت أحاديث كثيرة في أنهم وجه الله تعالىٰ.

ففي تفسير نور الثقلين[1]، عن تفسير علي بن إبراهيم بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿**تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام**﴾ فقال

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٢٠٣.

«نحن جلال الله وكرامته التي أكرم الله تبارك وتعالى العباد بطاعتنا ومحبتنا».

وفي تفسير البرهان[١]، عن علي بن إبراهيم ... إلىٰ أن قال: ﴿ويبقىٰ وجه ربك﴾ قال: قال: «دين ربك، قال: قال: علي بن الحسين عليه السلام نحن الوجه الذي يؤتى الله منه».

أقول: فهذا الحديث ظاهر في أنهم عليهم السلام الوجه الذي يؤتى الله منه، ثم إنّ بيان كيفية كونهم عليهم السلام الوجه الذي يؤتى الله منه إما بكونهم عليهم السلام الشافعين له وإما هو المستشفع بهم عليهم السلام، كما تقدم.

ولا ريب في أنّ هذا، يتحقق بإحضار صورهم عليهم السلام في قلبه إما بجعلها أمام قلبه المتوجه به، أي بقلبه إلى الله، فهم عليهم السلام حينئذ أمام توجهه حال كونهم عليهم السلام متوجهين إليه تعالىٰ، وفانين فيه تعالىٰ، فيكون الزائر هو المستشفع بهم، وهذا أحد معاني «ومقدّمكم أمام طلبتي وحوائجي» كما سيجيء، فحينئذ تكون صورهم بما هم فانون فيه تعالىٰ واسطة بين الزائر وبينه تبارك وتعالىٰ، فالمدعوّ والمعبود حينئذ هو نفسه تعالىٰ، إلّا أنه حيث كان تعالىٰ ظاهراً بأسمائه، وهم عليهم السلام أسماؤه بما هم فانون فيه، فالتوجه إليه تعالىٰ يكون بواسطتهم بحيث يكونون عليهم السلام مرآةً له تعالىٰ، وما به التوجه إليه تعالىٰ، وملحوظاً آلة ومرآةً لا استقلالاً، وهذا معنىٰ قوله عليه السلام «نحن الوجه الذي يؤتى الله منه»، وسيجيء تمام الكلام في هذا المعنىٰ في شرح قوله عليه السلام: «ومن قصده توجّه بكم».

وإما بجعل صورهم عليهم السلام بنحو الاجمال والتوجه إليهم في زاوية قلبه، حال كونه مستشفعاً بهم، أي جاعلهم شفعاءه إليه تعالىٰ، فهو يدعو الله تعالىٰ بدون التوسط بشيء، إلّا أنه مع ذلك مستشفع بهم أي ناظر قلباً إلىٰ شفاعتهم عليهم السلام لديه تعالىٰ لقضاء حوائجه، ثم إن الاستشفاع بهم قد يكون في حال الصلاة فلا ريب في أنه علىٰ

---

١ ـ تفسير البرهان ج ٤ ص٢٦٦.

أحد القسمين المذكورين، ولعل الذي لا معرفة له بهم عليهم السلام وبأحوالهم وشؤونهم بالنحو المتقدم ذكره، لا يمكنه إلّا الاستشفاع بهم بالنحو الثاني.

نعم من صفا ذهنه وكمل عقله ولطف حسّه، وكملت معرفته بهم، وعلم بمعارف التوحيد، وأمكنه الإخلاص لله تعالىٰ بالوحدانية، وعرف كيفية مقامهم عليهم السلام لديه تعالىٰ أمكنه الاستشفاع بهم عليهم السلام بالنحو الأول.

ولعمري إن العارف بهم كذلك، والمتمكن بالاستشفاع بهم كذلك أقلّ القليل والأوحدي من الناس، رزقنا الله المعرفة به تعالىٰ وبهم عليهم السلام بمحمد وآله صلى الله عليه وآله ثم بيان كونهم عليهم السلام شفعاء يتوقف علىٰ بيان معنى الشفاعة الثابتة لهم منه تعالىٰ.

فنقول: في المجمع، ملخّصه: الشفاعة فيما يتعلّق بأُمور الدنيا والآخرة: هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم.

أقول: أو هي السؤال لاستجابة الدعاء كما في الحديث: «يستشفعون الملائكة لإجابة دعاء من يسعىٰ في المسعىٰ» أي يقولون: اللهم استجب دعاء هذا العبد.

والشفعة كغرفة، هي في الأصل أي في اللغة: التقوية والإعانة، ويقال: شفعت الشيء شفعاً من باب نفع ضممته إلى الفرد، ويقال: شفعت الرّكعة، أي جعلتها ركعتين، فمعنى الشفاعة الحاصلة من الشفيع هو الشفعة، أي التقوية والإعانة الحاصلة من الشفاعة، وهذا كما ترىٰ يعمّ التوسط بين اثنين، ويرجع إلى الأُمور الدنيوية كالذي يصلح بين رجلين كما قيل في قوله تعالىٰ: ﴿**ومن يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها**﴾[1] أي من يصلح بين اثنين يكن له جزء منها، أي من الحسنة المنطبقة على الشفاعة، ﴿**ومن يشفع شفاعة سيئة**﴾[2]، أي يمشي في النميمة مثلاً، ﴿**يكن له كفل منها**﴾[3] أي إثم منها، أي من السيّئة المنطبقة علىٰ تلك الشفاعة

١ـ النساء: ٨٥.

٢ـ النساء: ٨٥.

٣ـ النساء: ٨٥.

السيئة.

فالشفاعة فعل الشفيع أي صاحب الشفاعة، وفعله هذا قد يكون واقعاً بين اثنين كما مرّ، وقد يكون لواحد بأن يسأله تعالىٰ شيئاً له، ولذا قيل الشفاعة الحسنة، الدعاء للمؤمنين، والشفاعة السيّئة الدعاء عليهم.

وعليه يكون معنى الآية أنّ من يشفع للمؤمنين شفاعة حسنة يكن له نصيب منها، أي يشمل الدعاء لنفسه أيضاً، فيكون مفاده ما ورد من أن الداعي لغيره ليستجاب له بسبعين ضعفاً علىٰ ما دعا لغيره.

ومن يشفع شفاعة سيّئة أي يدعو على المؤمنين يكن الدعاء عليه أيضاً، نظير ما ورد أنّ من سبّ غيره وفحشه يصعد الفحش إلى السماء، فإن كان الطرف أهلاً له وقع عليه، وإلّا وقع على الفاحش، نقلته بالمعنىٰ.

وكيف كان فالشفاعة هي التقوية والإعانة بما يرجع نفعه إلى المشفوع له غالباً، أو بما يرجع ضرره عليه وهذا أقل موارده، كما لا يخفىٰ.

فعلىٰ هذا قد يراد بالاستشفاع أي طلب الشفاعة طلب الدعاء منهم عليهم السلام أو التوسط لقبوله تعالىٰ دعاء المستشفع وقضاء حوائجه، فيكون معناه مساوياً للتوسل بهم عليهم السلام عنده تعالىٰ لقضاء الحوائج، ولا ريب في أن التوسل غير الشفاعة الثابتة لهم عليهم السلام منه تعالى، التي هي المقام المحمود المشار إليه بقوله صلى الله عليه وآله: «إنّما ادّخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أُمتي».

وإليه يشير ما تقدم من قوله عليه السلام: «ليس منّا من أنكر شفاعتنا ورجعتنا»، فإن هذه الشفاعة هي المقام المحمود، الذي جعله الله تعالىٰ لنبيّه صلى الله عليه وآله وللأئمة عليهم السلام وللمؤمنين، وسيأتي شرحه في بيان قوله عليه السلام: «لجعلتهم شفعائي».

وعليه فلعل المراد من قوله: «مستشفع بكم» أي أطلب منكم التقوية والإعانة لي، في أن تسألوا الله تعالىٰ أن يستجيب دعائي ويقضي حوائجي، فهو بمعنى التوسل بهم، وهذا غير الشفاعة المعلومة والمعهودة لهم، ولكنه قد يقال: إنّ الشفاعة هنا

المعنى العام لغة يشمل جميع هذه المصاديق، فهذه أيضاً شفاعة والتوسل، والتي تكون لهم عليهم السلام يوم القيامة أيضاً هي الشفاعة والوسيلة، ولهذا أُطلق على المقام المحمود المفسر بالشفاعة الوسيلة.

وفي الدعاء: «اللهم اعط محمداً الوسيلة ... إلىٰ قوله وشفاعة الاسلام» وكيف كان سيجيء معنى الشفاعة، وأنها لمن وممن وفيما وبيان حقيقتها وانقسامها باعتبار الشّافعين فيما بعد إن شاء الله.

ثم إنه قد يقال: إنّ السر في لزوم الاستشفاع بهم عليهم السلام هو أنه تعالىٰ لما لم يكن بذاته المقدسة يباشر أمر خلقه، بل يفيض إلىٰ كل موجود بأسمائه الحسنىٰ، وحيث إنهم عليهم السلام أسماؤه الحسنىٰ، فلا محالة لابد من الاستشفاع بهم في الوصول إلى الفيوضات الربوبية؛ لتكميل السعادات الدنيوية والأُخروية؛ لانحصار الطريق إليها بهم، نعم هذا لا يكون كما عرفت إلّا ممن يعتقد بكونهم كذلك أي الوسائط بالمعنى المتقدم، وظهر نور هذه الأُمور في قلبه وظهر سرّهم عليهم السلام في حقيقة وجوده.

فقوله: «مستشفع بكم»، أي أني مستفيض من الله عزوجل بتوسط ما هو سرّكم الكامن في وجودي والمتنور قلبي به والعارف روحي به، المفسّر ذلك السّر تارة بأنكم أسماؤه الحسنىٰ، وأُخرىٰ بأنكم مظاهره تعالىٰ، أو أنكم معاني أسمائه وأفعاله وقدرته إلىٰ آخر ما مرّ، لا بغيركم من الطواغيت وأتباعهم من أعدائكم وتابعيهم، فهذه العقيدة الثابتة في قلب الزائر، الذي هو لطف منه تعالىٰ، ومنهم عليهم السلام بالنسبة إليه، الذي أوجب المعرفة بهم أُوجبت إظهار ما في ضميره إلىٰ إمامه عليه السلام بقوله: «مستشفع إلى الله عزوجل بكم»، ونحن نسأل الله تعالىٰ ذلك، وهو تعالىٰ يعلم أنه ليس لنا غير ذلك، وهكذا حال شيعتهم ومحبّيهم.

في الحديث ما حاصله: «إن شيعتنا لا يرجون، ولا يعتمدون لآخرتهم إلّا علىٰ رحمة الله الواسعة وعلىٰ شفاعتنا»، رزقنا الله تعالىٰ ذلك بمحمد وآله.

قوله عليه السلام: «ومتقرّب بكم إليه».

أقول: قد تقدم معنىٰ قربه تعالىٰ إلى الأشياء، وقرب العباد إليه في بيان قوله عليه السلام «المقربون» ولكن هذه الجملة تشير إلىٰ أنّ التقرب إليه تعالىٰ إنما هو بهم عليهم السلام وبيانه يكون بعد ذكر مقدمة، وهي أنه لا ريب في أنه تعالىٰ أقرب إلينا من حبل الوريد، وقد ورد في ذيل قوله تعالىٰ: ﴿**الرحمن على العرش استوىٰ**﴾[١] أي استوىٰ علىٰ كلّ شيء وأنه استوىٰ علىٰ ما دقّ وجلّ.

ففي توحيد الصدوق[٢]، بإسناده عن محمد بن مارد، أنّ أبا عبدالله عليه السلام سأل عن قول الله عزوجل: ﴿**الرحمن على العرش استوىٰ**﴾، فقال: «استوىٰ من كلّ شيء، فليس شيء هو أقرب إليه من شيء».

أقول: فهو تعالىٰ قريب من كلّ شيء، وحينئذ معنى التقرب إليه مع أنه تعالىٰ أقرب إلينا من حبل الوريد يكون من ناحية العبد إليه تعالىٰ.

بيانه: أنه تعالىٰ جعل للتقرب إليه آية وللتوجه إليه وجهة، وجعل التقرب إليها والتوجه إليها تقرباً إليه وتوجهاً إليه فقال: ﴿**قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنىٰ**﴾[٣] أي اُدعوني بتلك الأسماء، وعلمت أنهم أسماؤه الحسنىٰ، ووجه الله الذي إليه يتوجه الأولياء، وبابه الذي منه يؤتىٰ، وتقدم آنفاً قوله عليه السلام «نحن الوجه الذي يؤتى الله منه»، فحينئذ لا يكون التقرب إليه تعالىٰ إلّا بهم في السّر والعلانية، وبالتوجّه إليهم عليهم السلام إلّا أنّ الكلام في أمرين:

الأول: في بيان حقيقة التقرب من العبد إليه تعالىٰ.

والثاني: في بيان كيفية حصول ذلك بهم عليهم السلام، فنقول:

أما الأول: فاعلم أنّ قرب العبد إليه تعالىٰ إنما هو نهاية العرفان، والوصول إلىٰ مقام حق اليقين والفناء المحض.

---

١ ـ طه : ٥.

٢ ـ توحيد الصدوق ص ٣١٠.

٣ ـ الإسراء : ١١٠.

وقد قيل: العارف من أشهده الله تعالىٰ ذاته وصفاته وأفعاله، فهو في مقام عين اليقين، أو حق اليقين، وهذا بخلاف العالم فإنه الذي أطلعه الله علىٰ ذلك لا عن شهود، بل عن علم فهو في مقام علم اليقين، وهذا العرفان الشهودي فهو حاصل من **أسفار أربعة:**

الأول: السير إلى الله تعالىٰ من منازل النفس إلى الوصول إلى الأُفق المبين، وهو نهاية مقام القلب ومبدأ التجلّيات الأسمائية.

والثاني: هو السير في الله بالاتصاف بصفاته والتحقق بأسمائه إلى الأُفق الأعلىٰ، ونهاية الحضرة الواحدية.

والثالث: هو الترقي إلىٰ عين الجمع والحضرة الأحدية المشار إليها بقوله تعالىٰ: «ربّ ادخلني في لجّة بحر أحديّتك وطمطام يمّ وحدانيّتك ...» الدعاء وهو مقام قاب قوسين ما بقيت الاثنينية، فإذا ارتفعت فهو مقام أو أدنىٰ، وهو نهاية الولاية، وهٰهنا يحصل مقام القرب الحقيقي، ثم إنه قد يكون لبعض أوليائه كالأنبياء وخصوصاً نبيّنا ﷺ والأئمة عليهم السلام.

السير في السفر الرابع: وهو السير بالله عن الله للتكميل، وهو مقام البقاء بعد الفناء، والفرق بعد الجمع، ثم إن لبيان هذه الأسفار بياناً واسعاً يذكر في محله.

ثم إنه قد ذكر بعضهم مثلاً لتقريب معاني علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين بالنار، كأن يصدق تارة بعض بالنار بالأدلّة القطعية، بحيث لا يتطرّق إليه احتمال خلافه، فهذا هو العلم اليقين بالنار كمن رأىٰ دخاناً يتصاعد من وراء الجدار، قد دلّ علىٰ وجودها هناك.

وتارة أُخرىٰ يشاهد النار فهذا هو عين اليقين، وثالثة يحترق بالنار، فهذا هو حق اليقين، ثم إن لتطبيقه على الممثّل في المقام بياناً قد ذكر في محله، ولعلنا نذكره فيما يناسبه.

وأما الثاني: أعني بيان كيفية حصول التقرب بهم عليهم السلام إليه تعالىٰ، فنقول: فهو

علىٰ أقسام:

منها: الاستضاءة بأنوار علومهم عليهم السلام ومعارفهم عليهم السلام فبسبب علومهم الملقاة إليه يرىٰ ويعلم كيفية التقرب إليه تعالىٰ، ثم يعمل بها فيصل إلى التقرب.

ومنها: أنه يشرع في السلوك بأن يجاهد في إزالة الصفات الرذيلة، ويتحلّىٰ بصفاتهم الحميدة بأن يعتقد بعقائدهم عليهم السلام ويتّصف بصفاتهم ويعمل بأعمالهم، ويعامل ربه كما عاملوا عليهم السلام ربهم، ولهذين شرح طويل قد ذكر في كتب المعارف الإلهية المعدّةِ للسير والسلوك الشرعي، وأحسن كتاب دوّن في هذا الموضوع هو (رسالة الولاية) للمرحوم آية الحق والكمال السيد محمد حسين الطباطبائي صاحب تفسير الميزان (رضوان الله تعالىٰ عليه).

ومنها: أن يتوسل بهم عليهم السلام وينقطع إليهم عليهم السلام بحقيقة الانقطاع، ويتضرّع لديهم حتىٰ يجعلوه في همّهم، ويتصرّفوا فيه بحقيقة ولايتهم الإلهية التكوينية، وينوّروه بنور التوحيد الحقيق، فيستخلصوه من جميع الحجب والأغيار، فيوصلوه إلىٰ جوار ربّ العزّة، فيصل إلىٰ معدن العظمة، ويصير روحه معلقاً بعزّ قدسه، فيقعد في مقعد صدق عند مليك مقتدر، رزقنا الله ذلك بمحمد و اله.

ولعمري إن هذا أحسن الوجوه وأبعدها عن الخطر والوساوس الشيطانية؛ لأن هذا السالك في حفظ الله تعالىٰ بعنايتهم الخاصة التي شملته، وإنّي لا أرىٰ ولا أعتقد أحداً وصل إلىٰ كمال المعرفة به تعالىٰ والوصل الحقيقي إلّا بهذا السبب الوحيد، ولنا في إثباته وبيانه كلام طويل لعلّنا نذكره في طيّ الشرح.

ثمّ إنه لا ريب في أنّ هذا لا يكون إلّا لمن يعتقد بولايتهم التشريعية والتكوينية بما لها من الشؤون الإلهية، التي رتّبها الله تعالىٰ لهم، وقد مرّت مراراً الأحاديث الدالة علىٰ اشتراط قبول الأعمال بقبول ولايتهم، ثم إنّا نذكر أحاديث تيمّناً وتبرّكاً بها، ومنها يظهر أيضاً ما ذكرناها في الأمرين.

فنقول: في البحار[1]، عن المحاسن، بكر بن صالح عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «من سرّه أن ينظر إلى الله بغير حجاب وينظر الله إليه بغير حجاب، فليتولّ آل محمد وليتبرّأ من عدوّهم، وليأتمّ بإمام المؤمنين منهم، فإنّه إذا كان يوم القيامة نظر الله إليه بغير حجاب، ونظر إلى الله بغير حجاب».

أقول: لا ريب في أنه تعالىٰ لا يرىٰ بعين الرأس، ولا يكتنه ذاته المقدسة لأحد، فحينئذ المراد من النظر إليه تعالىٰ بلوغ العبد إلىٰ غاية المعرفة به تعالىٰ، وهي عبارة عن تجليه تعالىٰ بأسمائه الحسنىٰ لقلب عبده المؤمن به، وعن غاية ظهوره تعالىٰ في قلبه بالحيوٰة الحقيقية والنور الإلهي.

ومن المعلوم الثابت على التحقيق أنهم عليهم السلام حقائق أسمائه الحسنىٰ، بل عين التجليات الإلهية، كما قال عليه السلام: «يفصل نورنا من نور ربنا، كما يفصل نور الشمس منها» وقد تقدم الحديث.

فمما ذكر يظهر أنّ التقرب إليه تعالىٰ إنما هو بتجلي الأسماء الإلهية لقلب العبد، وهي حقائقهم عليهم السلام فلا يكون التقرب إليه تعالىٰ إلّا بهم، رزقنا الله تعالىٰ ذلك بمحمد وآله.

وفيه[2] عن أمالي الشيخ بإسناده عن عبدالله بن الوليد، قال: دخلنا علىٰ أبي عبدالله عليه السلام فسلّمنا عليه وجلسنا بين يديه، فسألنا مَن أنتم؟ قلنا: من أهل الكوفة فقال «أما أنه ليس من بلد من البلدان أكثر محباً لنا من أهل الكوفة، ثم هذه العصابة خاصة، إن الله هداكم لأمر جهله الناس، أحببتمونا وأبغضنا الناس، وصدّقتمونا وكذّبنا الناس، واتّبعتمونا وخالفنا الناس، فجعل الله محياكم محيانا، ومماتكم مماتنا، فأشهد علىٰ أبي أنه كان يقول: ما بين أحدكم وبين أن يرىٰ ما تقرّ به عينه أو (و) يغتبط إلّا أن تبلغ نفسه ههنا، ثم أهوىٰ بيده إلىٰ حلقه.

---

١ ـ البحار ج٢٧ ص٩٠.

٢ ـ البحار ج٢٧ ص١٦٥.

ثم قال: وقد قال الله في كتابه: ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذريّة﴾[١] فنحن ذرّية رسول الله ﷺ» فالمستفاد من هذا الحديث أن البلوغ إلىٰ أي كرامة من الله تعالىٰ لا يكون إلّا بهم وبولايتهم، حيث إنه تعالىٰ جعل محيا شيعتهم محياهم عليهم السلام وأعدّ لهم الكرامات بعد الموت ولا ريب في أنّ هذه لا تكون إلّا لأجل محبتهم وقبول ولايتهم، والاهتداء والاقتداء بهم، وقد علمت مراراً أنّ الشرط الوحيد لقبول الأعمال والايمان والتوحيد هو قبول ولايتهم عليهم السلام.

ففيه[٢] عن أمالي الصدوق بإسناده عن الساباطي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن أول ما يسأل عنه العبد إذا وقف بين يدي الله جل جلاله عن الصلوات المفروضات، وعن الزكاة المفروضة، وعن الصيام المفروض، وعن الحجّ المفروض، وعن ولايتنا أهل البيت، فإن أقرّ بولايتنا ثم مات عليها قبلت منه صلاته وصومه وزكاته وحجّه، وإن لم يقرّ بولايتنا بين يدي الله جل جلاله لم يقبل الله عزوجل منه شيئاً من أعماله».

وفيه عنه بإسناده عن محمد بن حسان، عن محمد بن جعفر بن محمد، عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: «نزل جبرئيل على النبي ﷺ فقال: يامحمد السّلام يقرئك السلام، ويقول: خلقت السموات السبع وما فيهنّ، والأرضين السبع ومن عليهن، وما خلقت موضعاً أعظم من الركن والمقام، ولو أنّ عبداً دعاني هناك منذ خلقت السماوات والأرضين، ثمّ لقيني جاحداً لولاية علي لأكببته في سقر».

أقول: المستفاد من هذا الحديث ومن نظائره الكثيرة جداً أن قبول العبادات إنما هو بقبول ولايتهم، وأن التقرب إليه تعالىٰ بما علمت من معناه إنما هو بهم عليهم السلام وأن الفوز بأي سعادة دنيوية أو أُخروية إنمّا هو بهم عليهم السلام، وأما ما يرىٰ من تنعّم أعدائهم

---

١ ـ الرعد : ٣٨.

٢ ـ البحار ج٢٧ ص١٦٧.

في الدنيا فإنما هو أيضاً منهم عليهم السلام وهم سائلوهم عنها، أي عن النعم يوم القيامة، ولاثبات هذا مقام آخر، كما لا يخفىٰ.

قوله عليه السلام: «ومقدّمكم أمام طلبتي وحوائجي وإرادتي في كلّ أحوالي وأُموري».

أقول: مقدّمكم أي أستشفع وأتقرب بكم بالمعنى المتقدم لهما سابقاً أو معناه، أسأله تعالىٰ بحقكم، وأستشفعه قبل طلبي الحوائج منه حتىٰ يحصل تنجيز الأُمور، أو أني مقدم الصلوٰة عليكم قبل طلبتي منه تعالىٰ ليستجاب الدعاء.

في الصحيح المحكي عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «لا يزال الدعاء محجوباً حتىٰ يصلىٰ علىٰ محمد وآل محمد».

وعنه عليه السلام قال: «من دعا ولم يذكر النبي صلى الله عليه وآله رفرف الدعاء علىٰ رأسه، فإذا ذكر النبي صلى الله عليه وآله رفع الدعاء».

وعن مرازم عن الصادق عليه السلام قال: «إنّ رجلاً أتىٰ رسول الله، فقال: يارسول الله إني جعلت ثلث صلاتي لك، فقال له خيراً، فقال: يارسول الله إنّي جعلت نصف صلاتي لك، فقال له ذاك أفضل، فقال: إني جعلت كل صلاتي لك، فقال: إذن يكفيك الله عزوجل ما أهمّك من أمر دنياك وآخرتك، فقال له رجل: كيف يجعل صلواته له؟ فقال: لا يسأل الله عزوجل إلّا بدأ بالصلوٰة علىٰ محمد وآله»[١].

أو معناه أنّي أطلب حوائجي بسببكم منه تعالىٰ حيث أنتم يد الله المبسوطة، كما صرحت به الأحاديث من أنهم عليهم السلام يد الله وقدرة الله، التي بها تصل الفيوضات إلى الخلق، أو معناه أني أطلبها منكم بالله، يعني أنه لمّا كانت أعمالكم أعماله تعالىٰ، وصفاتكم صفاته تعالىٰ كما قال تعالىٰ: ﴿عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾ المفسر بكم، أي أنتم لا تفعلون إلّا بالله وبأمره تعملون، فإنّ قوله

---

١ ـ فقلت: هذه الأحاديث عن كتاب شرح الجامع للسيد الشبّر (رضوان الله تعالىٰ عليه).

تعالىٰ ﴿وهم بأمره يعملون﴾، إما يراد منه الأمر التشريعي، فمعناه حينئذ إنهم عليهم السلام بأمره المولوي يعملون أو الأمر التكويني، فهم عليهم السلام حينئذ بالله يفعلون كقوله تعالىٰ: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمىٰ﴾ وفي الحديث المتقدم سابقاً: وبهم يقضي (أي الله تعالىٰ) في الخلق قضيته، أي الأُمور التكوينية والتشريعية، بحيث إنهم عليهم السلام يد الله وقدرة الله وعين الله إلىٰ آخر ما ذكروه عليهم السلام فحينئذ السؤال منهم، وطلب الحوائج منهم لا ضير فيه ولا شائبة شرك؛ لأنّهم ليسوا واجدين شيئاً إلّا به تعالىٰ، فالسؤال منهم عليهم السلام في الحقيقة سؤال منه تعالىٰ، كما قال: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ أو معناه أني أطلب حوائجي عنكم، أي أنتم بالله توصلونني إلىٰ نيلها وإلى الوصول بها، والفرق بين أطلب عنكم وأطلب منكم السابق عليه هو أنّ الطلب منهم معناه هم المسؤولون بالظاهر، وإن رجع السؤال في الحقيقة إليه تعالىٰ كما قلنا، وأما الطلب عنهم فمعناه أنّ المسؤول هو الله تعالىٰ في الظاهر، إلّا أن ما به السؤال من كيفية الدعاء، ونفس الحاجة أي العلم بالحاجة، التي تنبغي أن تسأل منه تعالىٰ من حوائج الدنيا والآخرة بما لهما من الأقسام والفرق بالأهمية إنما هي مأخوذة عنهم ومن بيانهم لا من تلقاء نفس الداعي.

أو معناه أنى أطلب حوائجي لكم أي مقدمكم في الانتفاع بحوائجي المقضيّة علىٰ نفسي، فمعنىٰ أُقدمكم أي أطلبها لكم لا لنفسي، أو أطلبها أولاً لكم ثمّ لنفسي.

فإن قلت: فهل يرجع من طلبه منه تعالىٰ نفع لهم مع أنهم عليهم السلام الكاملون المكمّلون؟ كيف وهم وسائط الفيض لا أنّ الخلق وسائط الفيض لهم؟ كما لا يخفىٰ.

قلت: سيأتي في بيان معنى الصلوٰة عليهم عليهم السلام أنّ الصلوٰة عليهم توجب زيادة في جاههم زيادة عرضيّة، لا يضر عدمها أبداً، ولا يوجب عدمها نقصاً للمصلّي عليهم نظير زيادة الثواب في الصلوٰة في اللباس الأبيض، أو مع الطيب، أو مع المجالس المندوبة، أو مع تحت الحنك، فإن زيادة الثواب في هذه عرضيّة لا يوجب عدمها نقصاً في الصلوٰة، فلعل إلىٰ طلب مثل هذه الزيادات يشير ما ورد عنه عليه السلام

«تناكحوا تناسلوا فإني أُباهي بكم الأُمم الماضية والقرون السالفة ولو بالسقط ...» الحديث.

وما ورد في النهج عنه عليه السلام «ولكن أعينوني بورع واجتهاد»، بل أقول كما أنّ الصلوٰة عليهم مندوبة بصريح الآية فلا محالة لها تأثير بالنسبة إليهم عليهم السلام بمثل ما ذكر، أو بما يعلمه الله تعالىٰ، فكذلك إظهار الخضوع لديهم بمثل قوله: «ومقدمكم ... الخ».

الدال علىٰ كمال انقطاع الداعِي إليهم عليهم السلام وهو المطلوب قطعاً، له تأثير بالنسبة إليهم عليهم السلام ولا أقل من أنهم ليسرون بظهور ذلك من شيعتهم لديهم، وسرورهم بذلك هو من أفضل العبادات وأحسن المنافع لنا بالتبع، كما لا يخفىٰ.

أقول: هذا بعض المعاني لهذه الجملة، وقد يقال: إن ما ذكر يناسب قوله عليه السلام «ومقدمكم أمام طلبتي وحوائجي وإرادتي».

وأما قوله عليه السلام «في كل أحوالي وأموري» فيشير إلىٰ أنّ الزائر يقدّمهم في جميع الأحوال والأمور الشامل لحال عبوديته له تعالىٰ، ففي هذه الحالة يقدّمهم أيضاً.

وحينئذ قد يقال: كيف يتصور تقديمهم عليهم السلام في حال العبودية له تعالىٰ؟ فنقول مقدمة علىٰ بيان الجواب: إنه قال بعض الأكابر ما ملخصه مع توضيح منا: إنّ لله تعالىٰ في نوع البشر مظاهر ومرائي هم المثل الأعلىٰ له تعالىٰ، وبقيّة الله وتذكرة الله، وقد تقدم أنهم عليهم السلام مظاهره وأنهم المثل الأعلىٰ.

وورد عنه صلى الله عليه وآله: «من رآني فقد رأى الحق»، فهؤلاء المقربون قد نصبهم الله مناراً في بلاده وأعلاماً وهداة لعباده وحججاً علىٰ بريته، وهم الأنبياء والأولياء علىٰ مراتبهم، وقد حقق في محله أن أشرفهم خاتم النبيين محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله والأوصياء من بعده.

وتقدم قول علي بن الحسين عليه السلام: «نحن الوجه الذي يؤتى الله منه».

وتوضيحه أنه قال المتألّهون الكاملون: إن الوجه الربوبي داخل في صقع

الربوبية، فهو كالمعنى الحرفي لا حكم له علىٰ حياله فبقاؤه ببقائه لا باستقلاله، ومعنىٰ بقاء الوجه ببقاء الله أنّ الوجه لا هو ولا غيره، بل الوجه ظهوره تعالى الحاكي عن ذاته المحتجبة عن العقول البشرية والأبصار الخلقيّة، فهو تعالىٰ هو غير معقول ولا محدود لأحد من الخلق، إلّا أنه حيث أراد أن يعرف فخلق الخلق، اي أظهر ما به معرفته وثبوت وجوده، فالخلق الأول هو ظهوره ووجهه كما قال: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق لكي أعرف» وفي الحقيقة ظهوره هو الوجود المنبسط الذي هو في كل بحسبه، وبالجملة حقيقة هؤلاء الأنبياء والأئمة عليهم السلام العقول الكلية الكائنة تحت سطوع نور الأول بحيث لم يمكنهم من البروز، ولذا كانت من صقع الربوبية وباقية ببقاء الله، موجودة بوجود الله تعالىٰ، وهي العقول الكلية التي هي مظاهر لأسمائه الحسنىٰ، فهي ظهورات للكنز الخفي المسمىٰ، أي ذاته المقدسة، وهي أسماؤه الظاهرة أي ظهرت الذات بها، والاسم عين المسمىٰ من وجه وغيره من وجه آخر، فهذه العقول والأسماء تدل عليه تعالىٰ باعتبار حملها أعباء صفات الله تعالىٰ لا باعتبار نفسها الحاملة، فإن نفسها التي هي المظهر للذات قد استهلكت تحت أنوار الصفات الإلهية، ففي الحقيقة الصفات دالة علىٰ ذاته تعالىٰ بنفسها، ولا حكم للعقول من حيث هي هي ولا دلالة لها، بل لما كانت مستهلكة في أنوار الصفات الإلهية فلا حكم لها أبداً إذ لا حكم للمستهلك، بل الصفات الإلهية الظاهرة بهذه العقول دلّت عليه تعالىٰ.

وكيف كان فهذه العقول لكمال رقتها ولطافتها لا لون لها في نفسها فانصبغت بصبغة صفات الله، فالعقول التي هي الأسماء الحسنى الإلهية إنما تكون مرآة لذاته تعالىٰ إذا لوحظت آلة لا استقلالاً، فإن الأسماء إذا لوحظت استقلالاً يكون لكل منها مفهوم غير مفهوم الآخر، وهي بهذه الملاحظة مخلوقة وغير المسمىٰ، وأما إذا لوحظت آلة كالمرآة الملحوظة لرؤية الصورة فهي حينئذ عين المسمىٰ، إذ هي حينئذ مضمحلّة غير منظورة إليها أبداً.

والحاصل: أن الاسم إذا أخذ لا بشرط فهو عين المسمىٰ، وإذا أخذ بشرط لا فهو غير المسمىٰ، إذا عرفت هذا فاعلم أن قوله ﷺ: «ومقدمكم أمام طلبتي.. إلىٰ قوله في كل أحوالي وأموري» الشامل لحال العبادة لله تعالىٰ يشير إلىٰ أن حقيقتهم النورانية، التي هي العقول الكلية والأسماء الحسنى الإلهية بما هي ملحوظة آلة، وقد علمت أنها حينئذ لا حكم لها لاضمحلالها: يجعلها العارف بحقيقتها بما هي فانية عنواناً لذاته تعالىٰ، فتلك العقول والأسماء حينئذ صفاته وهي هي، فالذاكر لله تعالىٰ بها أي بهذه العقول والحقائق الأسمائية الإلهية الملحوظة آلة، إنما هو ذاكر له تعالىٰ من هذه الجهة الإلهية والوجهة الربوبية وليس فيه شائبة شرك أبداً، بل معرفة هذه العقول والأسماء معرفته تعالىٰ، إذ هو بها ظهر، وعرف نفسه للخلق بها.

ولذا قال ﷺ: «معرفتي بالنورانية معرفة الله»، والتعبير بالنورانية إشارة إلىٰ أن حقيقته العلوية فانية عن نفسها وباقية ببقائه تعالىٰ، فإن النور إذا نظرنا إلىٰ شيء نظرنا إليه بسببه مع أنه لم يلحظ استقلالاً، بل آلة، فقوله ﷺ «بالنورانية» يشير إلىٰ مرتبة فنائه ﷺ.

فظهر مما ذكرنا أنّ تقديمهم ﷺ في جميع الأحوال إنما هو لأجل أنهم صفاته تعالىٰ ومظاهره وأسماؤه الحسنى الملحوظة آلة، وهذا هو أحد معاني قوله ﷺ فيما يأتي: «ومن قصده توجه بكم».

وسيأتي توضيحه، ثم إن هذا غير ما ذكره المتصوفة الضالّة المضلّة من جعل صورة المرشد أمامه حين الصلوٰة مثلاً بدعاوي ملفّقة من أوهام سخيفة، كيف والاسم الملحوظ آلة لا يلتفت إليه أبداً، بل هو مرآة محض، فأين هذا من تصوّر صورته التي هي عبارة عن تصوره استقلالاً، كما لا يخفىٰ، ثم إنه سيأتي توضيح لهذا الكلام في بيان قوله ﷺ: «ومن قصده توجه بكم».

فانتظر، ثم إن الزائر إذا كان من أهل المعرفة بما ذكرنا أمكنه تقديمهم ﷺ هكذا بينه وبين ربه، وإلّا فهو مقدمهم بأحد المعاني المتقدمة قبل هذا، كما لا يخفىٰ.

قال عليه السلام: «مؤمن بسركم وعلانيتكم وشاهدكم وغائبكم وأولكم وآخركم».

أقول: قد يقال: إن المراد من سرهم أي بما استتر في أكثر الخلق من غرائب أحوالهم المذكورة في محلها، ومن علانيتهم أي بما علن منها للخلق، أو المراد من السّر الاعتقادات السّرية الثابتة لهم عليهم السلام، ومن العلانية أعمالهم وأقوالهم العلانية، ومن شاهدهم، الأئمة الأحد عشر في زمان حضورهم ومشاهدة الناس لهم، ومن غائبهم المهدي (عج)، والمراد من أولهم هو علي بن أبي طالب عليه السلام ومن آخرهم القائم (عج) وفيه تعريض على القول بإمامة علي عليه السلام فقط، أو القول بإمامتهم إلىٰ علي بن الحسين عليه السلام كالزيدية، أو إلىٰ إمامة الصادق عليه السلام كالاسماعيلية أو الكاظم كالواقفيّة فإنها مردودة.

وكيف كان ففي هذا التعميم إشارة إلىٰ وجوب الإقرار بإمامة كل واحد منهم.

ففي المحكي عن إكمال الدين بإسناده إلىٰ ابن مسكان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «من أنكر واحداً من الأحياء كمن أنكر الأموات».

وفيه بإسناده عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: من عرف الأئمة عليهم السلام ولم يعرف الامام الذي في زمانه أمؤمن هو؟ قال: «لا، أمسلم هو؟ قال: نعم».

وقد تقدمت الأحاديث الدالة علىٰ من أنكر واحداً منهم فقد أنكر الجميع، والسر فيه أنّ ما به ثبوت أحدهم للامامة قد دل علىٰ ثبوت الجميع لها علىٰ أنّ كلّ واحد منهم قد عيّنوا الامام بعده بنصوص كثيرة، فتكذيب آخرهم أو أحدهم تكذيب للسابق عليه، كما لا يخفىٰ، أو المراد بالأول الحيوٰة الأولىٰ وبالآخر الرجعة.

وكيف كان فهذا أمر ظاهر لا شك فيه، وقد يقال: إن المراد بأولهم هو ما سبق من أن أرواحهم مخلوقة من نور لا ظلمة فيه، ونور اخترعه الله من نور ذاته الذي هو نور الأنوار، ونور نورت منه الأنوار، والمراد بآخرهم هو أنهم سادات أهل الجنة، ولا يدخل أحد الجنّة إلّا بشفاعتهم.

وفي البحار[١]، عن كتاب المناقب بإسناده عن حبة العرني، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا سيد الأولين والآخرين، وأنت ياعلي سيد الخلائق بعدي، أولنا كآخرنا وآخرنا كأولنا».

وفيه[٢] عن كتاب الاختصاص عن الرضا عليه السلام قال: قال أبو عبدالله عليه السلام «كلّنا نجري في الطاعة والأمر مجرىٰ واحد وبعضنا أعظم من بعض».

أقول: هذه أُمور مسلمة إلّا أنه لم يعلم أنها المراد من هذه الجمل، والله العالم.

أقول: في المجمع السرائر ما أسرّ في القلوب والعقائد والنيّات وغيرها، وما خفي من الأعمال وفيه قوله تعالىٰ: ﴿**يعلم السّر وأخفىٰ**﴾[٣].

السّر: ما أكمنته في نفسك.

وأخفىٰ: ما خطر ببالك ثمّ نسيته.

قوله، «ما أسرّ في القلوب ... الخ» أي تكون القلوب والعقائد والنيّات ظروفاً، فالمستسر في القلب هو المكنون فيه من آثار التوحيد، وظهوره فيه لأهل الله تعالىٰ، أو الكفر والنفاق لأهلهما، أو ما اكتتم فيه من عداوة أحد أو حبّه أو غير ذلك، ثم إنّ ما اكتتم في القلب إما يكون موقتاً أو دائماً قابلاً للزوال أو غير قابل له.

فالأول هو المضمرات الشخصية في بعض الأمور.

والثاني كالاختيارات والمباني العلمية التي تثبت بالدليل، فيضمرها الانسان في قلبه.

والثالث كالأصول الدينية الثابتة فيه.

ويسمىٰ حينئذ بالعقايد فقوله: ما أسر في العقايد أي المعتقدات الحقّة الثابتة غير الزائلة، وأما الذي اكتتم في النيات أي المنويّات الكائنة فيها، فهو يعمّ الجميع

---

١ ـ البحار ج ٢٥ ص ٣٦٠.

٢ ـ البحار ج ٢٥ ص ٣٥٩.

٣ ـ طه: ٧.

من المذكورات.

وقوله: «وما خفي من الأعمال» أي يطلق السر علىٰ ما هو في الخارج دون ما ذكر إلّا أنه لخفائه عبّر عنه بالسر.

وإليه يشير ما فيه عن معاذ بن جبل قال: سألت النبي ﷺ ما هذه السرائر التي تبلىٰ بها العباد يوم القيامة؟ قال: سرائركم هي أعمالكم من الصلوة والزكوة والصيام والوضوء والغسل من الجنابة وكل مفروض.

ثم إنه ﷺ بيّن وجه كونها من السرائر، بقوله ﷺ لأن الأعمال كلها سرائر خفية فإن شاء قال: صليت ولم يصل، وإن شاء قال: «توضّأت ولم يتوضّأ، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿يوم تبلى السرائر﴾[1]».

أقول: فالأعمال لخفائها عن الناس أُطلق عليها السرائر، ويوم القيامة يظهر أنها كانت أم لم تكن، أو أنها كانت صحيحة أو فاسدة.

وفيه: والسّر، الذي يكتم.

ومنه: هذا من سرّ آل محمد ﷺ أي مكنون آل محمد ﷺ الذي لا يظهر لكل أحد.

قال بعض شراح الحديث: إعلم أنّ سر آل محمد صعب مستصعب، فمنه ما يعلمه الملائكة والنبيون وهو ما وصل إليهم بالوحي، ومنه ما يعلمه هم عليهم السلام ولم يجر علىٰ لسان مخلوق غيرهم، وهو ما وصل إليهم بغير واسطة، وهو السّر الذي ظهرت به آثار الربوبية عنهم فارتاب لذلك المبطلون وفاز العارفون، فكفر به فيهم من أنكر وفرّط، ومن غلا فيهم فأفرط، وفاز من أبصر وتبع النمط الأوسط.

وفيه: المستسر بالشيء المستخفي به، إذا علمت هذا فاعلم أنّ المهيّات في نفسها لا موجودة ولا معدومة أي لا اقتضاء لها بالنسبة إلىٰ هذين الأمرين بالنسبة إلى الخارج، فهي في صقع التقدير، فإذا أراد الله تعالىٰ خلق شيء منها تكويناً وخارجاً

---

١ ـ الطارق: ٩.

كما قال تعالىٰ: إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له ﴿كن﴾ فيكون خاطب المهيّة المشيء وجودها بقوله بـ﴿كن﴾ قوله تعالىٰ: ﴿كن﴾ فعل منه.

كما قال أمير المؤمنين ﷺ: «وإنما كلامه سبحانه فعله».

والمخاطب هي المهية الموجودة بفعل (كن)، ثم إنها عند التوجه الايجادي منه تعالى المعبّر عنه بـ(كن) تختصّ من الحق، وهذا الحق هو السرّ المختص بها، وهو المعبر عنه بالوجود المنبسط عند الحكماء وهو الايجاد الحقيقي منه تعالىٰ لها، والمعبر عنه بالوجود الحقيقي لا الإضافي، وهذا الوجود الحقيقي المنبسط هو السرّ الإلهي في كل موجود، وحيث إنه من الحق أي من المراتب النازلة لوجوده تعالىٰ، حيث إنه مقول بالتشكيك بالشدة والضعف علىٰ قول كثير من الحكماء، أو إنه من ظهوره المعبر عنه بالفارسية بـ(نمود) لا (بود) علىٰ قول كثير من العرفاء، وتحقيقه موكول في محله، وإنما هو سرّ لأنه منه تعالىٰ.

ولا ريب في أنّ الوجود الحقيقي مع أنه من أبده البديهيّات لا يدرك بكنهه وكذا ظهوره تعالىٰ، ولذا قيل إنه سرّ أي مخفي لفرط ظهوره عن الخلق، فلا يعرفه إلّا هو تعالىٰ.

ولذا قيل: لا يعرف الحق إلّا الحق؛ لأنّ ذلك السرّ هو العارف به فهو عارف بنفسه لا غيره.

ولعل إليه يشير قوله ﷺ: «عرفت ربّي بربّي»، أي عرفت السّر أي الوجود الحقيقي الذي أنا أي ماهيّتي به موجودة به، أي بذلك السر نفسه إذ ليس شيء غيره يمكنه المعرفة به لأن غيره هو المهيّة، وهي لا موجودة ولا معدومة بنفسها، بل قيل إنها ما شمّت رائحة الوجود، فكيف يمكنها المعرفة بربها؟

ولعل إليه أيضاً يشير ما في توحيد الصدوق في ضمن حديث: «ولا يدرك مخلوق شيئاً إلّا بالله»، فحينئذ هو تعالىٰ يعلم كلّ سرّ ولا وجود لغيره، ولا يعلم السر أي نفسه إلّا هو، فلا هو إلّا هو، وقد يعبّر عن هذا السّر بسرّ الحقيقة، فإنّ كل

شيء فيه من حقيقة الحق أي من وجوده، وقد علمت أنه سر في كلّ شيء سرّ من حقيقة الحق لا يكاد يفشيه شيء، ولعله إليه يشير قوله:

بين المحبّين سرّ ليس يفشيه

قول ولا قلم للخلق يحكيه

فهذا معنى السر المطلق، وحينئذ فمعنىٰ قوله: «مؤمن بسرّكم» أي بما اختصّكم الله تعالىٰ به عند التوجه الايجادي لحقائقكم وهو الوجود الحق المنبسط علىٰ ما هيّاتهم الشريفة، وحيث إنه سر لا يعلمه إلّا هو، فلا محالة لا يتوجه إليه إلّا بالايمان، فلابد من أن يقال: مؤمن بسركم، ولا يمكن أن يقال عارف أو عالم بسركم، إذ علمت أنه لا يعرف هذا السّر الحق إلّا السّر الحق أي إلّا هو كيف، وهذا بالنسبة إلىٰ أي موجود ضعيف فرض لا يمكن المعرفة بسرّه إلّا هو، فكيف بوجودهم الذي هو المرتبة الأقوىٰ من الوجود بالنسبة إلىٰ غيرهم، حيث إنهم أقرب الموجودات إليه تعالىٰ فلا وجود ولا ظهور أشدّ تجلّياً إلّا بهم عليهم السلام وما سواهم دونهم في المرتبة والظهور كما لا يخفىٰ.

وإليه يشير قولهم فيما تقدم: «إن أمرنا لا يحدّ»، أي أنّ مظهريّتنا له تعالىٰ بانبساط وجوده تعالىٰ بنحو الأشدّ والأتمّ والأكمل لا يحدّ لكونهم عليهم السلام أقرب الموجودات إليه تعالىٰ، وهو تعالىٰ أشدّ ظهوراً ووجوداً بهم عليهم السلام فتأمل، وقد يراد من السرّ مقامات النفس.

وقد يطلق علىٰ مقامات النفس الانساني وهي في اصطلاح العارفين هي اللطائف السبع من الانسان المتداولة عندهم، وهي الأبطن السبعة للانسان الذي هو الآية الكبرىٰ لله تعالىٰ وهي عبارة عن الطبع والنفس والقلب والعقل والروح والسر والخفي والأخفىٰ، وقد يحذف الطبع منها ويضاف العقل بعد القلب.

وأما تعاريف هذه السبعة على الإجمال: فالطبع والطبيعة هو مزاج الانسان

المركب من الأخلاط.

وفي المحكي عن أبي الحسن عليه السلام كما في المجمع طبايع الجسم علىٰ أربعة فمنها الهواء الذي لا تحيى النفس إلّا به وبنسيمه، ويخرج ما في الجسم من داء وعفونة، والأرض التي قد تولّد اليبس، والحرارة والطعام ومنه يتولّد الدم، ألا ترىٰ أنّه يصير إلى المعدة فتعمل به حتىٰ يلين ثم يصفو فتأخذ الطبيعة صفوه وما ثم ينحدر مع الثفل، والماء وهو يولّد البلغم.

أقول: قوله والطعام عطفاً على الحرارة، إشارة إلىٰ أنّ الحرارة في الجوف تحصل من الطعام فهو منشأ لهذه الطبيعة الانسانية.

ولعل إليها يشير ما في كلام أمير المؤمنين عليه السلام في تعريفه عليه السلام النفس.. إلىٰ أن قال: «فالنّاميّة النباتيّة لها خمس قوىٰ: جاذبة وماسكة وهاضمة ودافعة ومربّية، ولها خاصيتان الزيادة والنقصان وانبعاثها من الكبد ...» الحديث وله شرح في محله.

وكيف كان فهذه الأُمور من طبايع الانسان وهي في مزاجه وطبيعته الكامنة في جوفه، ولذا أطلق علىٰ هذه اللطيفة السّر.

وأما لطيفة النفس والقلب والروح فاعلم أولاً أنّ النفس تطلق علىٰ أمور، ولعله هو الاشتراك اللفظي، فإنها تطلق علىٰ ذات السر، وتطلق علىٰ كمال أول لجسم طبيعي آلي، فهذه تنقسم إلىٰ نفس سماوية وأرضية، والأرضية تنقسم إلىٰ نفس نباتية وحيوانية وإنسانية، وهذه تقابل الصورة النوعية المعدنيّة والطبيعية، وتطلق أيضاً علىٰ جوهر مجرد في ذاته دون فعله عن المادة[1] فتقابل هذه العقل المفارق في ذاته وفعله عن المادة، وتطلق على النفس الأمّارة واللّوامة فتقابل النفس الملهمة والمطمئنة، والعقل بقسميه النظري والعملي وقد تطلق في اصطلاح الحكيم على النفس الناطقة المراد بها تلك اللطائف السبع المذكورة.

إذا علمت هذا فالمراد من النفس المشار إليها في كونها من اللطائف السبع ما

١ ـ متعلق به مجرّد.

سنوضحها.

وحاصله: أن القلب والروح والنفس الناطقة واحدة عند الحكماء.

قال بعض الأكابر[١] في معرفة النفس ونعني بها الجوهر اللطيف الملكوتي، الذي يستخدم هذا البدن الجسماني في حاجاته مسخّراً له تسخير المولى الخدمة، وهو ذات الانسان وحقيقته العالمة بالمعلومات، وله في هذا البدن جنود جسمانية هي الأعضاء وجنود روحانية هي القوىٰ، قال الله تعالىٰ: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾[٢]، وقال نبينا ﷺ: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه».

وقال: «أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه».

وقد يسمىٰ هذا الجوهر الملكوتي بالروح، لتوقّف حياة البدن عليه، وبالقلب لتقلّبه في الخواطر، وبالعقل لاكتسابه العلوم واتّصافه بالمدركات.

وقد تستعمل هذه الألفاظ الأربعة في معان أخر تعرف بالقرائن، ثمّ إن النفس توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها، فإذا سكنت تحت الأوامر والنواهي، وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سمّيت النفس المطمئنّة، قال الله تعالىٰ: ﴿ياأيّتها النفس المطمئنّة * ارجعي إلىٰ ربّك راضية مرضيّة﴾[٣] وإذا لم يتمّ سكونها، ولكنها صارت مدافعة للشهوة والغضب، ومعترضة عليها سمّيت النفس اللّوّامة؛ لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاها، قال الله تعالىٰ: ﴿ولا أُقسم بالنّفس اللّوّامة﴾[٤] وإن تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سمّيت الأمّارة بالسوء، قال الله تعالىٰ إخباراً عن يوسف عليه السلام: ﴿وما أُبرئ نفسي إنّ النفس لأمّارة بالسوء إلّا ما رحم ربي﴾[٥].

---

١ ـ هو المولى المحسن ؒ في الحقايق ص ٤٤.

٢ ـ الذاريات : ٢١.

٣ ـ الفجر : ٢٧ ـ ٢٨.

٤ ـ القيامة : ٢.

٥ ـ يوسف : ٥٣.

وأما العرفاء، فالروح عندهم هي اللطيفة الانسانية المجردة، كما أنّه عند الأطبّاء الروح هو البخار اللطيف المتولد في القلب الصنوبري القابل لقوة الحيوٰة والحسّ والحركة.

والنفس عند العرفاء هي هذا البخار، والقلب عندهم هو اللطيفة المتوسطة بين هذه النفس وبين الروح التي كانت اللطيفة الانسانية المجردة.

وهذا المسمىٰ بالقلب هو المدرك للكليات والجزئيات.

فالقلب عند العرفاء جوهر نوراني مجرد يتوسط بين الروح بالمعنى الأول أي اللطيفة الانسانية المجردة وبين النفس.

فالقلب عندهم راكب ومركبه النفس، والروح باطن لهذا القلب وهذه النفس، التي هي المركب للعقل ظاهره أي ظاهر العقل المتوسط بينه وبين الجسد، فالنفس حين كونها مركباً له متوسطة بين القلب والجسد، فرتبة الروح الانساني قبل العقل وهو قبل النفس، وهي مركبه وواسطة بينه وبين الجسد.

ولهذا القلب فتوحات ربانية، وتلك علىٰ **قسمين: صوري ومعنوي.**

أما الصوري: فظهور البوارق واللوائح واللوامع مع الأنوار التي تظهر للسلّاك إلىٰ جنابه الأقدس، فإنه تعالىٰ منوّر القلوب كما في دعاء الجوشن، وإنما تنويره تعالىٰ لها بفتح أعينها الباطنية وإفاضة النور عليها، فإنه كما أنّ أبصار العين التي لمشاهدة عالم الملك لا يتسر إلّا برفع الموانع وتحقق الشرائط، ومن جملتها مصادفة نور العين لنور آخر كنور الشمس أو القمر أو النار، كذلك بصيرة القلب لشهود عالم الملكوت لا يتأتّىٰ إلّا برفع العلائق والعوائق، وتحقّق المقرّبات والشرائط ومن جملتها إشراق نور آخر عليه من نور الحق أو بعض مقرّبيه كنور العقل الفعال، التي هي الحقيقة المحمدية السارية في الحقيقة العلوية والأنوار الإلهية المتحققة بالأئمة الطاهرين (عليهم وعلىٰ فاطمة الزهراء أفضل الصلوٰة والسلام).

قال بعض أهل المعرفة: أول ما يبدو في قلب العارف ممن يريد الله سعادته نور،

ثم يصير ذلك النور ضياء، ثم يصير شعاعاً، ثم يصير قمراً، ثم يصير شمساً، فإذا ظهر النور في القلب بردت الدنيا في قلبه بما فيها، أي وصارت عنده ردّية في غاية الخسّة والدّناءَة ولا يتعلّق بها القلب، فإذا صار ضياء تركها وفارقها مع مشقّة ورياضة على النفس، فإذا صار شعاعاً انقطع منها وزهد فيها بتمكين وسهولة، وحينئذ فارق الدنيا ولذاتها، وكره دنيا الآخرين ولو من الأشراف، فلا يتحدّث بها ولا عنها، وهذا من إنارة زهده فيها، فكل ما ازداد الزهد ازداد هذا الأثر، فإذا صار نجوماً فارق الدنيا ولذاتها ومحبوبها مفارقة بشراشر وجوده وباطنه، فإذا صار قمراً زهد في الآخرة وما فيها، كما قيل: فإنها حرام علىٰ أهل الله تعالىٰ.

فإذا صار شمساً أي ظهرت شمس الحقيقة فيه بحيث دلّت ذاته تعالىٰ علىٰ ذاته فيه، فحينئذ لا يرى الدنيا وما فيها ولا الآخرة وما فيها، ولا يعرف إلّا ربّه، فيكون جسده نوراً وقلبه نوراً وكلامه نوراً، وأما المحرومون من هذه الأنوار فهم الذين أشار الله إليهم بقوله: ﴿**الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري**﴾[1].

أقول: كون الجسد نوراً لأنه إذا كان مؤتمراً بأمر الروح القدسي كما يأتمار الروح وامتثاله لأمر الله تعالىٰ كان كالروح النوري نوراً، والقلب إذا كان قلباً أجرد وأزهر ومستقيماً لا أسود ولا منكوساً كان نوراً، والكلام إذا كان حكاية عن الكلمات النورية التي في النفس الناطقة والقلب النوري كان نوراً.

ونعم ما قيل:

إنّ الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

ويدل علىٰ هذه الأمور عدة من الأحاديث:

منها: ما من قلب إلّا وله عينان، فإذا أراد الله بعبد خيراً فتح عينيه اللّتين هما للقلب ليشاهد بهما الملكوت، ويشير إلىٰ هذه الترقيات النورية أحاديث كثيرة.

---

١ ـ الكهف: ١٠١.

منها: ما في الخصال باب الخمسة[١]، بإسناده إلىٰ أبي عبدالله جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عن علي عليهم السلام: «المؤمن يتقلّب في خمسة من النور مدخله نور، مخرجه نور، وعلمه نور، وكلامه نور، ومنظره يوم القيامة إلى النور».

وفي الوافي[٢]، عن الكافي بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ القلب ليتخلخل ـ ليتجلجل ـ في الجوف يُطلب الحق، فإذا أصابه اطمأنّ وقرّ، ثم تلا أبو عبدالله عليه السلام: **﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ... إلىٰ قوله: كأنما يصّعّد في السماء﴾**[٣]».

أقول: هذا التخلخل أو التجَلجل هو الحركة الجوهرية التي قد أثبتها الحكماء للأشياء.

فقوله: «ليتجلجل» أي يتحرك جوهراً من مرتبة سابقة إلىٰ مرتبة فوقها عالية، وهكذا إلىٰ أن يصل إلى المرتبة الأخيرة، فإنّ القلب كما علمت إنّما سمّي قلباً لتقلّبه في الخواطر خصوصاً في الخواطر الربوبية.

قال عليه السلام في المناجاة الثانية عشر «إلهي ما ألذّ خواطر الالهام بذكرك على القلوب، وما أحلى المسير إليك بالأوهام في مسالك الغيوب».

والحاصل: أنّ الانقطاع إليه تعالىٰ مع تنوير القلب بهذه الأنوار الإلهية والألطاف الربوبية يوجب الوصول إلىٰ تلك الغايات التي ذكرت، كيف لا والمربي لها أي القلوب قلوب المؤمنين العارفين هو الله تعالىٰ؟!

ففيه عن الكافي بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن الله تعالىٰ خلق قلوب المؤمنين مبهمة على الايمان، فإذا أراد استنارة ما فيها فتحها بالحكمة وزرعها بالعلم، والزارع لها والقيّم عليها رب العالمين».

---

١ ـ الخصال باب الخمسة ص٣٠٧.

٢ ـ الوافي ج١ ص٥١.

٣ ـ الأنعام: ١٢٥.

وفي بعض الروايات عن موسىٰ بن جعفر عليه السلام مثله إلّا أن فيه (مطوية مبهمة) وقال (نضحها بالحكمة) والنضح: السقي.

وفي بعض النسخ (استثارة ما فيها) بدل استنارة.

وكيف كان فالله تعالىٰ هو الفاتح والناضح لها بالحكمة، وسيأتي معنىٰ فتح القلب.

وفيه عن الكافي بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: «القلوب أربعة: قلب فيه نفاق وإيمان، وقلب منكوس، وقلب مطبوع، وقلب أزهر أجرد».

فقلت: ما الأزهر؟ قال: «فيه كهيئة السراج، قال: فأما المطبوع فقلب المنافق، وأما الأزهر فقلب المؤمن إن أعطاه شكر، وإن ابتلاه صبر، وأما المنكوس فقلب المشرك، ثم قرأ هذه الآية: **﴿أفمن يمشي مكبّاً علىٰ وجهه أهدىٰ أمّن يمشي سويّاً علىٰ صراط مستقيم﴾**[1]، وأما القلب الذي فيه إيمان ونفاق فهم قوم كانوا بالطائف إن أدرك أحدهم أجله علىٰ نفاقه هلك، وإن أدركه علىٰ إيمانه نجا».

أقول: لم يفسّر عليه السلام الأجرد فلعله المجرد عن الكدورات أعني ما يقابل المطبوع فإن الطبع: الرين أي الزيغ وهو ما كان في غاية الكدورات.

وفيه عن العدة عن السهل عن الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «القلب ثلاثة: قلب منكوس لا يعي شيئاً من الخير وهو قلب الكافر، وقلب فيه نكتة سوداء، فالخير والشر فيه يعتلجان (أي يتصارعان) فأيهما كانت منه غلب عليه، وقلب مفتوح فيه مصابيح تزهر لا يطفأ نوره إلىٰ يوم القيامة وهو قلب المؤمن».

وفيه عنه بإسناده عن علي بن عقبة، عن عمر، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال لنا ذات يوم: «تجد الرجل لا يخطئ بلام ولا واو، خطيباً مصقعاً، ولقلبه أشدّ ظلمة من الليل المظلم. وتجد الرجل لا يستطيع تعبيراً عما في قلبه بلسانه، وقلبه يزهر كما يزهر المصباح».

---

١ ـ الملك: ٢٢.

أقول: المصقع البليغ وعالي الصوت ومن لم يرتجّ عليه في كلامه.

وفيه عنه بإسناده عن سلام بن المستنير قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فدخل عليه حمران بن أعين، فسأله عن أشياء، فلما همّ حمران بالقيام قال لأبي جعفر عليه السلام: أطال الله بقاءك لنا وأمتعنا بك، إنّا نأتيك فما نخرج من عندك حتىٰ ترقّ قلوبنا، وتسلو أنفسنا عن الدنيا، ويهون علينا ما في أيدي الناس من هذه الأموال، ثم نخرج من عندك، فإذا صرنا مع الناس والتجار أحببنا الدنيا، قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: «إنما هي القلوب مرة تصعب ومرة تسهل».

ثم قال أبو جعفر عليه السلام: أما أنّ أصحاب محمد صلى الله عليه وآله قالوا: يارسول الله تخاف علينا النفاق؟ قال: فقال لهم: ولم تخافون ذلك؟ فقالوا: إذا كنّا عندك فذكّرتنا ورغّبتنا، وجلنا ونسينا الدنيا وزهدنا حتىٰ كأنّا نعاين الآخرة والجنة والنار ونحن عندك، وإذا خرجنا من عندك، ودخلنا هذه البيوت، وشممنا الأولاد، ورأينا العيال والأهل نكاد أن نحول عن الحال التي كنّا عليها عندك، وحتىٰ كأنّا لم نكن علىٰ شيء، أفتخاف علينا النفاق وإنّ ذلك نفاق؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: كلّا إنّ هذه خطوات الشيطان فيرغّبكم في الدنيا، والله لو تدومون على الحال التي وصفتم أنفسكم بها؛ لصافحتكم الملائكة ومشيتم على الماء، فلولا أنكم تذنبون فتستغفرون الله تعالىٰ لأتى الله تعالىٰ بخلق يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم، إنّ المؤمن مفتّن توّاب، أما سمعت قول الله تعالىٰ: ﴿إنّ الله يحبّ التّوّابين﴾[1] وقال: ﴿واستغفروا ربكم ثمّ توبوا إليه﴾[2]».

وكيف كان فالمستفاد من هذه الأحاديث أنّ الأمر أمر القلب وأهميته هو أن يكون مفتوحاً كما في حديث الثمالي، وقلب مفتوح فيه مصابيح تزهر ولا يطفأ نوره إلىٰ يوم القيامة، هذا كله في بيان فتوحات القلب الصورية، وأما الفتوحات المعنوية

---

١ ـ البقرة: ٢٢٢.

٢ ـ هود: ٩٠.

للقلب فهو علىٰ **ثلاثة أقسام**: الفتح القريب والفتح المبين والفتح المطلق.

أما الأول: فهو ما انفتح على العبد من مقام القلب وظهور صفاته وكمالاته عند قطع منازل النفس، والترقي إلىٰ منازل القلب في حدود السير من الخلق إلى الحق.

والحاصل: أن هذا الفتح يقع في حدود سيره من الخلق إلى الحق، ولعل هذا هو المشار إليه بقوله تعالىٰ: ﴿**نصر من الله وفتح قريب**﴾[1] وقطع هذه المنازل عبارة عن خروجه عن منازل النفس المعبر عنها بالخلق إلىٰ منازل القلب المعبّر عنها بالحق، فلابد حينئذ من معرفة منازل النفس ومنازل العقل، فنقول: أما الأول فقيل إنها ثمانية: (الشره والخمود) و (التقتير والتبذير) و (الجبن والتهور) و (الجربزة والبلاهة) وهاتان الأخيرتان أعني الجربزة والبلاهة عبارة عن إفراط الفكر وهو الجربزة وتفريطه وهو البلاهة، كل منهما يستعملان في تكثير طرق جلب المنافع الدنيوية في الجربزة وتقليلها في الغاية في البلاهة، وهذه الثمانية كل اثنين منهما طرفا الافراط والتفريط للحد الوسط من منازل العقل، فالشره هو طرف الإفراط، والخمود هو طرف التفريط للعفة، والتقتير هو طرف التفريط، والتبذير هو طرف الإفراط للسخاوة، والجبن هو طرف التفريط، والتهوّر هو طرف الإفراط للشجاعة، والجربزة هو طرف الإفراط، والبلاهة هو طرف التفريط للحكمة.

الافراط	**الوسط**	**التفريط**
الشره	العفّة	الخمود
التبذير	السخاوة	التقتير
التهوّر	الشجاعة	الجبن
الجربزة	الحكمة	البلاهة

ومما ذكر علم منازل القلب التي هي أربعة، والتي هي أركان العدالة الخاصة،

---

١ ـ الصف : ١٣.

ويجمعها وتلك هي العفة والسخاوة والشجاعة والحكمة، وقد عرفت طرفي الافراط والتفريط لهذه الأربعة، وتفصيل هذه الأُمور موكول إلىٰ علم الأخلاق.

وكيف كان ففتح أبواب القلب هو السير من منازل النفس المذكورة إلىٰ منازل القلب المذكورة، ويسمّىٰ بالفتح القريب كما تقدم، ثم إن أحسن منازل القلب هو الحكمة، وهو دركه الكليات والجزئيات كالروح أيضاً في قبال النفس، التي هي تدرك الجزئيات إلّا أنه لابدّ من أن يعلم أنه ليس المراد من إدراكه الكليات إدراك النظريات والعلوم الصرفة غير المتعلقة بالعمل، بل ما يشمل العمليات مثل أن يزور العبد الصالح لله تعالىٰ ويعود المريض لله تعالىٰ لا للتشهي النفساني، ويتعلّم العلم لله تعالىٰ لا للجاه وهكذا.

وأما الثاني: أي الفتح المبين فهو ما انفتح على العبد من مقام الولاية الإلهية، وتجليات الأنوار الإلهية المفنية لصفات القلب وكمالاته، وهذا في مقام السير في الحق، ولعل إليه يشير قوله تعالىٰ: **﴿إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً * ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر﴾**[1] أي من الصفات النفسانية والقلبية، ومعنىٰ أن تجليات الأنوار الإلهية تكون مفنية لصفات القلب ومنازله هو أنه لمّا تجلت الأنوار الإلهية بالفتح المبين الظاهر، أي انفتح ظهور أسمائه تعالىٰ بذاته، وأنها قائمة به تعالىٰ لا بالعبد، بل العبد كان مظهراً لها، وتبيّن له هذا الظهور والنسبة، وعلم أنّ نفس العبد لم يكن إلّا الفقر المحض، فحينئذ يصير العبد من البدلاء، ومعنىٰ كونه من البدلاء أي تتبدل صفاته القلبية السابقة بالأسماء الإلهية، فحينئذ يتبدل اسم الشجاع الذي هو منزل حسن للقلب ومن الأسماء الخلقية أي الجارية على الخلق بأسماء الله تعالىٰ من مثل القادر والمقتدر والقاهر، فالاسم الذي يظهر حقيقته ونسب إليهم يكون ظهوره فيهم بالشجاعة.

وأما إذا فني العبد في نفسه بإفناء التجليات الأسمائية للصفات القلبية الخلقية،

---

١ ـ الفتح : ١ ـ ٢.

فيظهر ذلك الاسم منسوباً إليه تعالىٰ بالقادر والمقتدر والقاهر ونحـوها، وعلىٰ هذا القياس والبيان يتبدل اسم السخي باسم القاضي للحوائج والمنعم ونحـوها وقس عليها الباقي من الأسماء والمنازل الخلقية القلبية عند ظـهور الفـتح المـبين يـتبدلها بالاسم الالهي، فالعبد الحقيقي ينبغي أن يتخلّق بأخلاق الله تعالىٰ أي يفني صفاته في صفاته تعالىٰ كما يفنى ذاته في ذاته تعالىٰ، أي سيروا في الحق بالفتح المبين الإلهي؛ لتتخلّقوا بأخلاقه تعالىٰ بالتبدل المذكور.

وأما الثالث: أي الفتح المطلق الذي هو أعلى الفتوحات القلبية وأكملها، وهو ما انفتح على العبد من تجلي الذات الأحـدية والاسـتغراق في عـين الجـمع بـفناء الرسوم كلها، ولعل إليه يشير قوله تعالىٰ: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾[1] وصاحب هذا الفتح يرى الناس يمحقون في نور الله عند طلوع شمس الحقيقة، إذ عندها يمحى الموهوم ويصحو المعلوم فتذوب المجازات، إذ كلّ ما سواه باطل ومجاز زائل، فيرى الكل بالأمر والنهي التكوينيين ممتثلين وإلىٰ إرادته هم صائرون، فحينئذ يصحّ منه أن يخاطب بالخطاب الالهـي بـقوله تـعالىٰ: ﴿فسبّح بـحمد ربّك﴾[2] أي سـبّح بتسبيحه لنفسه لا بتسبيحك إيّاه، بل هو يسبّح نفسه.

ومعنىٰ سبّح أي نزّهه بما حمد تعالىٰ به نفسه، فإنه يسبّح لنفسه تسبيحاً يـليق بجنابه المقدس لا غيره.

ولذا قال عليه السلام: «أنت كما أثنيت علىٰ نفسك» أي لا أحصي ثناء عليك، وقوله تعالىٰ ﴿واستغفره﴾ أي غطّ وجودك تحت سطوع نوره، فالغفر هو بـمعنى السـتر، فهذا الاستغفار عقيب هذا القول منه تعالىٰ معناه هذا الذي ذكر، كما لا يخفىٰ.

ثمّ إنّ هذا نهاية سير القلب وسير العبد إلى الفتح المطلق، وهـو الوصـول إلى التجليات الأحدية الذاتية والاستغراق في عين الجمع، فالعبيد لا غاية لهم دونهـا،

---

١ ـ النصر: ١.

٢ ـ النصر: ٣.

وهذا الوصول له مراتب في نفسه، وأعلاه يكون لنبيّنا ﷺ وللأئمة عليهم السلام.

ثم إن العبيد الواصلين إلى الفتح المطلق علىٰ قسمين: قسم منهم فانون في عين الجمع، وقسم يكون لهم سير آخر، وهو السير من الحق إلى الخلق؛ لتكميل النفوس حسب ما يعطىٰ لهم من وظيفة التبليغ والرسالة، ويعبّر عنه بمقام البقاء في الفناء ولا ريب في أن هذه المراتب للقلب من الفتوحات الثلاثة من الأسرار الباطنة واللطائف الانسانية، هذا كله بالنسبة إلى الطبع والنفس والقلب والروح في الجملة، وتفصيله موكول إلىٰ محله.

أقول: قال بعض الأكابر: وقد يجعل النفس أُماً والروح أباً والقلب ولداً، فمن القلب ما هو ميّال إلى الأُم وهو القلب المنكوس، ومنه ما هو متخلّق بأخلاق الأب مترق إليه، ومنه ما هو متردد بينهما إلىٰ ما شاء الله، فالنفس حيث هي من الخلق وعالم الملك، ولها ملائمات ومنافرات في هذا العالم، فإذا صار القلب وهذا الولد تابعاً لأمه أي النفس المادي، فلا محالة تخلد إلى الأرض، ويتّبع هواه فيكون منكوساً.

وأما إذا اتّبع الأب وهو الروح الذي هو من عالم الملكوت، فلا محالة يترقّىٰ إليه إلىٰ أن يصير من المطمئنّين بالله تعالىٰ، وهناك أقسام مترددة بين هذه وهذه، فهذه هي النفوس اللوامة كما لا يخفىٰ.

هذا كله بالنسبة إلى الطبع والنفس والقلب والروح وأما العقل والسر والخفي والأخفىٰ.

فنقول: قد يقال: إن العقل هو القلب كما قيل عن الحكماء: إنّ القلب هو العقل التفصيلي، والروح هو العقل البسيط الإجمالي؛ ولهذا جعل بعض اللّطائف السبع ما دون العقل.

وقد يقال: العقل لسان الروح وترجمانه الدال عليه.

وقد يقال: إن النفس الإنسانية هو الجوهر العقلي، وهو أولاً عقل بالهيولي وعقل بالقوة، ثم يصير عقلاً بالفعل بعد مزاولة الاكتساب، وتحصيل العلوم الحقة

حتىٰ أدّتها من القوة إلى الفعل، ثم يصير عقلاً مستفاداً.

وقيل في تعريفه: العقل نور روحاني تدرك النفس به العلوم الضرورية والنظرية، وأول ابتداء وجوده عند اجتنان الولد، ثم لا يزال ينمو إلىٰ أن يكمل عند البلوغ.

أقول: هذا التعريف يشير إلى العقل الهيولاني والعقل بالقوة، ثم يشير إلىٰ وصوله إلى العقل بالفعل بالنحو المتقدم ذكره.

وقال بعضهم: وقد يطلق العقل على العلم المستفاد من ذلك أي من النور الروحاني، فيكون الأول هو العقل المطبوع المراد بقوله تعالىٰ: «ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ منك» والثاني العقل المسموع وهو المراد من الحديث: «ما اكتسب الانسان شيئاً أفضل من عقل يهديه إلىٰ هدىٰ».

وقد يراد بالعقل قوة النفس.

وقد يراد به المصدر وهو فعل تلك القوة.

وقد يراد به ما يقابل الجهل، وهو الحالة المقدمة علىٰ ارتكاب الخير واجتناب الشر، أي القوة المدبرة في إعانة الآخرة.

وقيل: موضعه الدماغ وقيل: القلب والدماغ بجمعها العقل.

وعن بعض العارفين: الممكن المجرد عن الجسمية إن احتاج في كمالاته إلى البدن فهو النفس وإلّا فهو العقل.

وعن علي أمير المؤمنين عليه السلام «العقل شرع من داخل، والشرع عقل من خارج» أي مبيّن للطريق كالسراج.

وقد ورد في أحاديث العقل أنه كالسراج وسط البيت.

وفي حديث عنه عليه السلام «العقل وسط الكل».

أقول: لا ريب في أن العقل هو تعقل الأشياء وفهمها، وهو مما يدركه الانسان في لبّه، ومع ذلك عرّف بتعاريف:

الأول: هو قوة إدراك الخير والشر والتميز بينهما والمتمكّن من معرفة أسباب الأمور وذوات الأسباب، وما يؤدي إليها وما يمنع منها، وهو بهذا المعنىٰ مناط التكليف، ولكن لا ريب في أنّ هذا بالآثار لا بحقيقته.

الثاني: أنه ملكة وحالة في النفس تدعو إلىٰ اختيار الخير والنفع، واجتناب الشرور والمضار، وهو غير العلم، فإن هذا فطري والعلم كسبي، وهذا تعريف له بالإجمال كما لا يخفىٰ.

الثالث: القوة التي يستعملها الناس في نظام أمورهم، وهذا كسابقه من أنه تعريف بالإجمال، بل هو هو إلّا أنه باعتبار استعماله في نظام الأُمور.

الرابع: هو أمر ينحل إلىٰ مراتب استعداد النفس؛ لتحصيل النظريّات وقربها وبعدها عن ذلك وأثبتوا لها **مراتب أربع:**

- العقل الهيولاني.
- العقل بالملكة.
- العقل بالفعل.
- العقل المستفاد.

الخامس: النفس الناطقة الانسانية التي بها يتميزّ عن ساير البهائم.

وقد يقال كما عن الفلاسفة: إنه جوهر مجرد قديم لا تعلّق له بالمادة ذاتاً ولا فعلاً، وهذا مضافاً إلىٰ رجوعه إلىٰ ما قبله، مناف لكثير من ضروريات الدين من حدوث ما سوى الله تعالىٰ كما لا يخفىٰ.

قال بعض الفضلاء وأهل المعرفة من المعاصرين ـ أبقاه الله تعالىٰ للدين ـ ما ترجمته وحاصله: أنّ للإنسان شأناً به يتمكن من السير من القوى الكامنة فيه بنحو الاستعداد إلى الفعليّة، إلىٰ أن يسير بهذا السير إلى التمكّن من العقل المستفاد، المراد منه حضور المعارف النورية العقلية عند حقيقة نفسه، وتلك الكمالات والأنوار العقلية قد ظهرت لنفسه من العقل الفعّال الكلي بإذنه تعالىٰ، فإنه الذي

جعله الله تعالىٰ سبباً لخروج النفس الناطقة الانسانية من القوة إلى الفعل، وذلك الشأن هو ابتداء يكون فيه بنحو الهيولي الساذجة، التي هي صرف الإمكان الذاتي والاستعداد النفسي المعبّر بالعقل الهيولاني، أي مادة من المواد التي شأنها الدرك، إلّا أنه بعد لم يستعمل في عمله، ثم إن صاحبه إذا أنس بأمور مدركة أولية، فيوجب هذا الانس تحريك تلك المادة الاستعدادية إلىٰ درك أمور نظرية فتقدر النفس حينئذ على الصعود إلى العقل فيصير عقله عقلاً بالملكة، فلمّا قدر علىٰ استحضار العلوم النظرية يترقّىٰ من الملكة إلى العقل بالفعل، وهو قدرة دركه الكليات والجزئيات في عالم نفسه.

ثم إن العقل الهيولاني والعقل بالملكة وبالفعل من قوى النفس التي بها يتقوىٰ ويترقىٰ.

ثم إنه إذا رأت النفس الكمالات العلمية والمعارف النورية العقلية حاضرة عند حقيقة نفسه تتسمىٰ تلك الكمالات الحاضرة عقلاً مستفاداً، وليس العقل المستفاد قوّة للنفس كالسابقة عليه بل هو حضور المعقولات عند النفس كما لا يخفىٰ.

فالعقل حينئذ مشترك لفظي يطلق علىٰ هذه الأمور كما حقق في محله، هذا كله في شرح العقل.

وأما اللطائف الثلاث الأخرى أعني السر والخفي والأخفىٰ.

فقد قيل: السرّ هو الاتصال بالعقل الفعال المشار إليه سابقاً، والخفي هو الاتصال بعقل الكل بمعنىٰ جملة العقول الكلية، والأخفىٰ وهو مقام المحمدية صلى الله عليه وآله هو الاتصال بالفيض المقدس والوجود المنبسط ومرتبة المشية في الطمس الصرف والمحق المحض بالفناء البحت، وتحقيقها موكول إلىٰ محله.

إذا علمت هذا فاعلم أنّ قوله عليه السلام: «مؤمن بسركم وعلانيتكم»، يشير إلى الإيمان بأسرارهم وعلانيتهم، وبيانها بعد ذكر الأحاديث الواردة في الباب.

فنقول في الوافي عن الكافي بإسناده عن أبي بصير قال: قال أبو عبدالله عليه السلام

«يامحمد إنّ عندنا والله سرّاً من سرّ الله، وعلماً من علم الله، والله ما يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، والله ما كلّف الله أحداً غيرنا ...» الحديث وقد تقدم بتمامه.

وفي المحكي عن البصائر مسنداً عن أبي الصامت قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إنّ من حديثنا ما لا يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا عبد مؤمن، قلت: فمن يحتمله؟ قال: نحن نحتمله وفي بعضها قلت: فمن يحتمله جعلت فداك؟ قال: من شئنا».

وعن البصائر أيضاً عن المفضل قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «إن حديثنا صعب مستصعب ذكوان أجرد، ولا يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولا عبد امتحن الله قلبه للايمان».

أما الصعب فهو الذي لم يركب بعد.

وأما المستصعب فهو الذي تهرب منه إذا روئي.

وأما الذكوان فهو ذكاء المؤمنين.

وأما الأجرد فهو الذي لا يتعلق به شيء من بين يديه ولا من خلفه، وهو قول الله عزوجل: ﴿الله نزّل أحسن الحديث﴾[1] فأحسن الحديث حديثنا، ولا يحتمل أحد من الخلائق أمره بكماله حتىٰ يحده؛ لأنه من حدّ شيئاً فهو أكبر منه، والحمد لله على التوفيق. والإنكار هو الكفر.

وعنه مسنداً عن مرازم قال أبو عبدالله عليه السلام: «إنّ أمرنا هو الحقّ وحقّ الحقّ، وهو الظاهر وباطن الظاهر وباطن الباطن، وهو السّر وسر السّر وسر المستسر وسرّ مقنّع بالسّر».

أقول: قد تقدم بعض الشرح لهذه الأحاديث، فالمقصود من ذكرها لأجل أن يعلم أنّ أسرارهم صعبة لا يمكن لأحد احتمالها حتى النبي المرسل والملك المقرّب

---

١ ـ الزمر: ٢٣.

والمؤمن الممتحن، فحينئذ لابد من الإيمان به، إذ لا يمكن العلم به واحتماله وحدّه كما صرّح به في حديث المفضل، والوجه في كونه مما لا يحتمل وأن هـذا السّر مختصّ بهم عليهم السلام هو أنّ حقيقة هذا السر هو الولاية المطلقة الإلهية التكوينية والتشريعية.

وقد يقال: إن المراد به هو أمر الله تعالىٰ، وعالم أمره المشار إليه في قوله تعالىٰ: ﴿قل الروح من أمر ربّي﴾[1]، وقوله تـعالىٰ: ﴿وكـذلك أوحـينا إليك روحاً مـن أمرنا﴾[2] وهو مقامهم الالهي المعبّر في الأدعية به (مقاماتك) ولذا أضيف هذا الأمر إليهم عليهم السلام في حديث مرازم في قوله عليه السلام: (إنّ أمرنا) وقد يفسر خـصوص حـديث مرازم الأخير بأن المراد من أمرنا هو ما ذكرناه.

والمراد من الحق في قوله «هو الحق وحق الحق»، هو الحق الإضافي.

والمراد «بالظاهر» هو الظاهر الحقيقي في عالم الوجود؛ لأن هـذا الظـاهر هـو ظهور الحق لا ذات له الظهور كما في الحـق الحـقيقي، فـإن الحـق الحـقيقي ذات له الظهور، وهذا الظاهر هو ظهوره تعالىٰ هذا في قوله وهو الظاهر.

وأما قوله وباطن الظاهر فالمراد من الظاهر هو عالم الظاهر.

والمراد من باطن هذا الظاهر، ومن باطن هذا الباطن، هو العوالم العقلية الكلية، التي هي في باطن هذه الظهورات، ولعوالم العقول باطن عبّر عنه بالسر وسرّ السّر، فلا محالة يكون السّر المستسرّ مقنّعاً بالسّر.

وأما هذه الأسرار الخـفية السرّية فلعلها ترجع إلىٰ مقام الخـفاء المشـار إليـه بقوله: «كنت كنزاً مخفيّاً، فأحببت أن أعرف، فـخلقت الخـلق لكـي أُعـرف»، ثمّ معرفيته تعالىٰ بالخلق ليست كلها لكل أحد، بل هو تعالىٰ عرف أولاً لأول ما خلقه من نور نبيّنا صلى الله عليه وآله المعبر عنه بالصادر الأول في لسان الحكماء، ثمّ اتّسع التجلي الأول للأئمة عليهم السلام، ثم للملائكة المقربين ثم لسائر الأنبياء، ثم للأولياء وهكذا فما ظهر مـن

---

١ ـ الإسراء : ٨٥.

٢ ـ الشورى : ٥٢.

أمره تعالىٰ لنبيه ﷺ وللأئمة عليهم السلام سرّ، بل سر السّر بالنسبة إلىٰ غيرهم عليهم السلام من الأنبياء والملائكة المقربين.

ولذا قال عليه السلام في حديث أبي بصير: «إنّ عندنا والله سرّاً من سرّ الله، وعلماً من علم الله، والله ما يحتمله ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا عبد مؤمن».

والحاصل: أن الأسرار لها باعتبار محتمليها مراتب، فكل مرتبة عالية سرّ بالنسبة إلى السافلة، وهكذا.

ثم إن أمرنا في حديث مرازم اسم لأن وجميع المفردات المذكورة بعدها بالعطف خبر له، يستفاد منه أنّ أمرهم هذا له مراتب شدّة وضعفاً، فالمرتبة العالية منها تختصّ بهم عليهم السلام وبقية المراتب أيضاً لهم ومن أمرهم إلّا أنها منقسمة للمحتملين كل بحسبه، كما لا يخفىٰ.

وكيف كان فجميعها من شؤون أمرهم المختصّ بهم أصله، وقد يقال: إنّ اللطائف السبع قد علمت أنها الطبع والنفس والقلب ـ أو العقل ـ والروح والسّر والخفي والأخفىٰ.

وأيضاً قد علمت الطبع والنفس والقلب والعقل، وحينئذ قد يقال: إن المراد من قوله: وهو السر ـ الروح ـ أي الحقيقة الكائنة للنفس الناطقة الانسانية المعبر عنها بالكلية الإلهية، ومن قوله: «وسرّ السّر»، أي السّر الذي هو إحدى اللطائف السبع، ومن قوله: «وسرّ مستسرّ»، أي الخفي، ومن قوله: «وسرّ مقنّع بالسّر» أي الأخفىٰ، وأوضحه بعضهم بقوله: فاللطيفة الروحية هم عليهم السلام العقل بالفعل، واللطيفة السّريّة هم عليهم السلام العقل الفعّال، واللطيفة الخفوية هم عليهم السلام العقل الكلي، واللطيفة الاخوفيّة الوجود المنبسط، والله العالم.

وقد يقال: إن الايمان المشار إليه في قوله: «مؤمن بسرّكم»، هو الذي تقدم شرحه في قوله عليه السلام «وأبواب الإيمان»، من أنه القبول القلبي، الذي يستتبع القول باللسان والعمل بالأركان.

وأما السرّ فهو يقابل العلانية، فكل ما ظهر منهم عليهم السلام من قول أو فعل أو بيان فهو من العلانية التي لابد من الايمان بها. وأما الذي لم يظهر منهم كما تقدم من قوله عليه السلام: «ما سترناه عنكم أكثر»، فهو سرّ، ثم إنّ السرّ إما مطلق وهو الذي لم يظهر لأحد غيرهم حقيقته، وإما ظهر لبعض شيعتهم عليهم السلام علىٰ اختلاف مراتبهم، فمن هنا يعلم أنّ لكل أحد من شيعتهم بخصوصه إذا لاحظ نفسه إلىٰ معارفهم عليهم السلام يكون له سرّ بالنسبة إليه بخصوصه وإن كان بالنسبة إلىٰ آخرين علانية، وله علانية بخصوصه وإن كان بالنسبة إلىٰ آخرين سرّاً، وكيف كان فالسّر المطلق أو الإضافي قد يقال: إنّ المراد منه هي المقامات، أي هي مرتبة المعاني، وهي مقنّعة بالسرّ الذي هو مرتبة الأبواب، وهو مقنّع بالسرّ الذي هو مرتبة الأشباح والأظلّة، التي كانت لهم وحقيقتهم المتعلّقة بالعرش قبل خلقهم التكويني أي كونهم عليهم السلام الصافّين الحافّين حول العرش المسبّحين.

ففي تفسير نور الثقلين[١]، عن تفسير علي بن إبراهيم بإسناده عن شهاب بن عبد ربّه، قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول: «ياشهاب نحن شجرة النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، ونحن عهد الله وذمّته، ونحن ودّ الله ومحبته، كنّا أنواراً صفوفاً حول العرش نسبّح فسبّح أهل السماء بتسبيحنا، إلىٰ أن هبطنا إلى الأرض فسبّحنا فسبّح أهل الأرض بتسبيحنا، وإنا لنحن الصّافّون، وإنا لنحن المسبّحون، فمن وفىٰ بذمّتنا فقد وفىٰ بعهد الله عزوجل وذمّته، ومن خفر ذمّتنا فقد خفر ذمّة الله عزوجل وعهده».

قوله عليه السلام: «خفر» أي نقض عهده وغدر به.

وهذه المقامات هي التي ذكرت في الدعاء المروي عن الحجة (روحي وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء) من قوله عليه السلام: «فجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لتوحيدك وآياتك ومقاماتك، التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفك بها من عرفك،

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٤٣٩.

لا فرق بينك وبينها إلّا أنهم عبادك وخلقك، فتقها ورتقها بيدك بدؤها منك وعودها إليك أعضاداً وأشهاداً ومناة وأذواداً فبهم ملأت سماءَك وأرضك حتىٰ ظهر أن لا إله إلّا أنت ...» الدعاء.

وقد تقدمت أيضاً الأخبار المشار فيها بالمعاني والأبواب والأشباح، وذكرنا سابقاً شرح الجمل المذكورة في هذا الدعاء الشريف.

وكيف كان فهذه المقامات المشار إليها في الدعاء وفي الأحاديث هي من أسرارهم التي لم يظهر بحقيقتها لأحد.

نعم، قد علم بعضها بعض الكمّلين من خواصّ شيعتهم ومن حوارييهم، كما لا يخفىٰ.

وتقدم أيضاً أن كون هذه المقامات لهم عليهم السلام لا يستلزم غلوّاً في حقهم عليهم السلام كيف وقد قال عليه السلام: «بدؤها منك وعودها إليك» عقيب قوله «فتقها ورتقها بيدك» الذي يشار به إلىٰ أنهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، وقد مرّ مراراً شرح هذه الأُمور فراجعها.

ثم إن تفسير السّر بالاعتقادات كما عن الشارح المجلسي (رضوان الله عليه) والعلانية بالأعمال ليس كما ينبغي؛ لأن الاعتقادات قد بيّنوها مضافاً إلىٰ أنه لا ينصرف الذهن من الاعتقادات إلىٰ أنها من الأسرار، مضافاً إلىٰ أنه قد علم من أحاديثهم عليهم السلام معاني السر في الجملة وأنها غير الاعتقادات الحقة.

إلّا أن يقال: إنّ المراد منها هو تحقق مصاديقها الواقعية، والنفس الامرية الكائنة في صقعها وفي الخارج، فهي بما هي هي من الأسرار، لكونها مما لا تبلغ إليها عقول أحد من الخلق فضلاً عن إدراكها، ولذا قلنا: لا يمكن العلم بها بل لابد من الايمان بها، فتأمل.

هذا كله شرح قوله عليه السلام: «مؤمن بسرّكم».

وأما قوله عليه السلام: «وعلانيتكم»، يراد منه ما ظهر منهم من مقامهم الظاهري من

كونهم أئمة الحق وخلفاءه في أرضه وحجته علىٰ عباده إلىٰ آخر ما مرّ في أوائل الزيارة ومن قول علي عليه السلام: «ظاهري الامامة وباطني غيب لا يدرك» أي ما ظهر منّي إمام في نوعه، فشجاعته إمام الشجاعة وعلمه إمام العلوم، وهكذا جميع شؤونه الظاهرية إمام في نوعه، وسيجيء توضيحه في شرح قوله عليه السلام «وأجسادكم في الأجساد ... الخ»، ثم إن لازم معنى الإيمان بعلانيتهم المفسّرة بما ذكرناه في الجملة أنه لابد من إطاعتهم، والأخذ عنهم في معالم الدين، ووجوب الرّد إليهم فيما اختلف فيه، ووجوب متابعتهم والتسليم لهم في كل ما يرد عنهم، وهذه الأمور من الثابتة لهم واللازمة للمؤمن بهم، هو معنىٰ قوله عليه السلام: «ظاهري الامامة» وتقدم شرح سائر مفردات هذه الجمل.

ثم إنه قد يقال: إنّ معنىٰ «أولكم وآخركم» مضافاً إلىٰ ما تقدم من أن الأول هو علي بن أبي طالب عليه السلام والآخر هو المهدي (عج) هو أني مؤمن بأول ما منحكم الله من الوجود في عالم الأنوار، وأسرّ إليكم من الأسرار الربوبية، وبيّن لكم شؤونكم الولولية من التشريعية والتكوينية، آمنت أنها حق من عنده تعالىٰ؛ ولذا قالوا عليهم السلام «ولايتنا ولاية الله تعالىٰ».

وأيضاً معناه أني مؤمن بآخركم أي بجميع ما تختم به أموركم، وأنه يتحقق منكم كما أراد الله تعالىٰ من دون مداخلة النفس أو الشيطان فيها، بل صدر ما صدر منكم علىٰ طبق إرادته تعالىٰ منكم إلىٰ آخر ما صدر منكم، حيث إنّ قلوبكم أوعية لمشيّة الله تعالىٰ. وصلى الله علىٰ محمد وآله الطاهرين.

قوله عليه السلام: «ومفوض في ذلك كله إليكم، ومسلم فيه معكم».

أقول: في المجمع، فوّضت أمري إليك: أي رددته إليك وجعلتك الحاكم فيه.

ومنه قوله عليه السلام «قد فوّض الله إلى النبي صلى الله عليه وآله أمر دينه، ولم يفوّض إليه تعدي حدوده».

ثم إن المستفاد من قوله تعالىٰ: **﴿النبي أولىٰ بالمؤمنين﴾**[1] الآية، وقوله تعالىٰ: **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مُبيناً﴾**[2] أنه تعالىٰ قد جعل لنبيه ومن حلّ محلّه الولاية والأولوية علىٰ عباده المؤمنين، ولازم الإيمان بهم وبسرّهم وعلانيتهم، وحقيقته هو تسليم العبد جميع ما له من شؤونه الظاهرية والباطنية، وجميع ما يتعلق به من الأهل والمال إلىٰ مولاه الذي ولّاه الله تعالىٰ عليه ونصبه مع اعتقاده أنه لا يفعل به إلّا ما هو خير له وصلاح له، وتكون مختاراته في حقه هو مختارات الله تعالىٰ.

وفي المحكي عن الكافي بإسناده إلىٰ أبي عبدالله عليه السلام قال: «رأس طاعة الله الصبر والرضا عن الله فيما أحب العبد أو كره، ولا يرضىٰ عبد عن الله فيما أحب أو كره إلّا كان خيراً له فيما أحبّ أو كره».

والأحاديث الواردة في بيان هذا المعنىٰ أعني تسليم العبد أموره إليه تعالىٰ وإلىٰ أوليائه كثيرة جداً، ثم إنه لا ريب في أنّ قضاء رسول الله وأوصيائه هو قضاء الله تعالىٰ، فلابد من التفويض إليهم في جميع الأمور. رزقنا الله ذلك بمحمد وآله الطاهرين.

وقد يقال معنىٰ مفوّض في ذلك إليكم أي اعتقد الجميع أي جميع ما أقررت به لكم من أقوالكم، وأيضاً أسلّم جميع أموري لكم حتىٰ تصلحوا خللها حيّاً وميّتاً؛ لأنّ ميّتكم لم يمت كما قال أمير المؤمنين عليه السلام فالميت منكم أيضاً بيده أمر الإصلاح كما لا يخفىٰ.

ومسلم فيه معكم، أي كما أنتم سلّمتم لله تعالىٰ أو لأمره عارفين إياه، فأنا أيضاً مسلّم فيما سلمتم معكم وإن لم يصل عقلي إليها، فعليه فجملة مسلّم تأكيد لقوله

---

١ ـ الأحزاب: ٦.

٢ ـ الأحزاب: ٣٦.

مفوّض، أو أنا مفوّض في ذلك إليكم أي أنّ ما طلبت منكم من الشفاعة واللجاء، إليكم فقد فوّضتها إليكم إن شئتم فافعلوه، وذلك لأنّ التفويض كما علمت هو الردّ إلى المفوّض إليه وجعله حاكماً فيه.

فحينئذ حاصل المعنىٰ في الجملتين أني جعلتكم حاكمين في هذه الأُمور علىٰ نفسي وحوائجي كلها بمقتضىٰ إيماني بكم وبسركم وبمقاماتكم فأنا مسلّم، أي لا أشكّ في هذا التفويض لعلمي أنه تعالىٰ جعلكم مفوّضين في أمر الدنيا، وأنا أيضاً سلّمت له تعالىٰ في ذلك، وجعلتكم حاكمين علىٰ نفسي وأموري كلها.

ثم إن التسليم هو الاخبات كما تقدم وترك الاعتراض على الله ورسوله ﷺ والتسليم في جميع الأمور لهم، وقد تقدمت أحاديث التسليم في طيّ الشرح. والله ولي التوفيق.

ثم إن بعض الشارحين تعرض في المقام لمسألتين:

الأولىٰ: لمسألة التفويض إلى النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام. ففي الحديث أن الله تعالىٰ فوّض إليهم أمر الأشياء أو أمر دينه، كما سيأتي ذكره.

والثانية: لمسألة الأمر بين الأمرين لقوله عليه السلام: «لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين»، كما سيجيء، ولم يعلم له وجه سوىٰ أنه إذا لم يكونوا أي الأئمة عليهم السلام ممّن قد فوض الله تعالىٰ أمر دينه إليهم، فلا وجه لقول الزائر: «ومفوّض في ذلك إليكم».

فإنه حينئذ إرجاع للدين وفي الدين إلىٰ غير أهله، فلابد من تحقيق المراد من كونهم عليهم السلام ممن فوّض إليهم عليهم السلام أمر الدين، وأما التفويض لمسألة الأمر بين الأمرين؛ فلأجل أنه لما علم أنه تعالىٰ يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

فحينئذ ما معنىٰ أنهم عليهم السلام مفوّضون في أمر الدين، فكيف لهم الاختيار والفعل والحكم في قباله تعالىٰ؟ بل هذا أحد مصاديق هذا البحث؛ وإلّا فالكلام يجري بالنسبة إلىٰ جميع أفعال العباد كما لا يخفىٰ.

وكيف كان فنحن نتعرّض لهما في الجملة تبعاً لهم ولما فيه من الفوائد، فنقول:

أما المسألة الأولىٰ، فاعلم أن هناك أحاديث دلّت علىٰ تحقق هذا التفويض، فلابد من ذكرها ثم بيان المراد منها.

في البحار[١]، عن عيون أخبار الرضا عليه السلام: ماجيلويه عن علي عن أبيه عن ياسر الخادم، قال: قلت للرضا عليه السلام: ما تقول في التفويض؟ فقال: «إنّ الله تبارك وتعالىٰ فوّض إلىٰ نبيه صلى الله عليه وآله أمر دينه، فقال: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾** فأما الخلق والرزق فلا».

ثم قال عليه السلام: «إن الله عزوجل خالق كل شيء وهو يقول عزوجل **﴿الله الذي خلقكم ثمّ رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالىٰ عما يشركون﴾**[٢]».

وفيه عنه بإسناده عن أبي هاشم الجعفري، قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الغلاة والمفوّضة فقال: «الغلاة كفّار والمفوّضة مشركون، مَن جالسهم أو خالطهم أو واكلهم أو شاربهم أو واصلهم أو زوّجهم أو تزوّج إليهم ـ منهم ـ أو أمنهم أو ائتمنهم علىٰ أمانة أو صدق حديثهم أو أعانهم بشطر كلمة خرج من ولاية الله عزّوجلّ وولاية رسول الله صلى الله عليه وآله وولايتنا أهل البيت».

وفيه[٣] من كتاب رياض الجنان لفضل الله بن محمود الفارسي بالإسناد عن محمد بن سنان قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فذكرت اختلاف الشيعة، فقال: «إن الله لم يزل فرداً متفرّداً في الوحدانية، ثمّ خلق محمداً وعلياً وفاطمة عليهم السلام فمكثوا ألف دهر، ثم خلق الأشياء وأشهدهم خلقها وأجرىٰ عليها طاعتهم، وجعل فيهم ما شاء، وفوّض أمر الأشياء إليهم في الحكم والتصرف والإرشاد والأمر والنهي في الخلق؛ لأنهم الولاة فلهم الأمر والولاية والهداية، فهم أبوابه ونوابه وحجابه

---

١ ـ البحار ج ٢٥ ص ٣٢٨.

٢ ـ الروم : ٤٠.

٣ ـ البحار ج ٢٥ ص ٣٣٩.

يحللون ما شاء، ويحرمون ما شاء، ولا يفعلون إلّا ما شاء،عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.

فهذه الديانة التي من تقدمها غرق في بحر الافراط، ومن نقصهم عن هذه المراتب التي رتّبهم الله فيها زهق في بحر التفريط، ولم يوفّ آل محمد حقّهم فيما يجب على المؤمن من معرفتهم، ثم قال: خذها يامحمد فإنها من مخزون العلم ومكنونه».

أقول: التفويض له معان بعضها منفي عنهم عليهم السلام وبعضها مثبت لهم:

أما المنفي عنهم عليهم السلام فهو التفويض في الخلق والرزق والإماتة والإحياء والتربية مستقلاً بحيث يقال: إنهم عليهم السلام يفعلون جميع ذلك بقدرتهم وإرادتهم، فهم الفاعلون حقيقة، فهذا كفر ظاهر وتعطيل للذات المقدسة الربوبية.

وإليه يشير ما تقدم من قول الرضا عليه السلام: «فأما الخلق والرزق فلا».

وإليه يشير أيضاً ما في البحار[1]، وروي عن زرارة أنه قال: قلت للصادق عليه السلام: إن رجلاً من ولد عبدالله بن سبإ يقول بالتفويض، فقال: «وما التفويض؟ قلت: إن الله تبارك وتعالىٰ خلق محمداً وعلياً (صلوات الله عليهما) ففوّض إليهما فخلقا ورزقا وأماتا وأحييا، فقال عليه السلام: كذب عدوّ الله، إذا انصرفت إليه فاتل عليه هذه الآية التي في سورة الرعد: ﴿**أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهّار**﴾[2]».

أقول: وقد يستفاد من بعض الأخبار أن الله تعالىٰ خلطهم بنفسه تشريفاً في الخلق حيث يقول (خلقنا) بصيغة الجمع، ووجّهه بعضهم بما حاصله أنه تعالىٰ يخلق الخلق بوسائط من أسمائه الحسنىٰ، فالخالق الحقيقي هو الله تعالىٰ، إلّا أنه لما خلق بعض الخلق بالوسائط وهم تلك الوسائط، فأسند الخلق تشريفاً إلى الوسائط أي إلىٰ حقيقتهم التي هي الأسماء الإلهية، فنسبة الخلق إليهم عليهم السلام بالمجاز والتّبع، وهذا

---

١ ـ البحار ج ٢٥ ص ٣٤٣.

٢ ـ الرعد: ١٦.

ليس في الحقيقة تشريكاً في الخالقية، بل إضافة إلىٰ نفسه تعالىٰ تشريفاً، كما ربما يسند بعض السلاطين بعض أفعاله إلىٰ بعض وزرائه تشريفاً كما لا يخفىٰ، وسيجيء قريباً توضيح هذا في بيان الأمر بين الأمرين.

ثم إنه ربما يقال فيما صدر عنهم عليهم السلام من المعجزات، أو فيما نسبوا إلىٰ أنفسهم الشريفة من بعض الأُمور من الاماتة والاحياء وأمثالها كشقّ القمر، فإنما يكون جميع ذلك بقدرته تعالىٰ مقارناً لإرادتهم، وإنما يفعله تعالىٰ هكذا لظهور صدقهم، ولاظهاره تعالىٰ ذلك لمنكري مقامهم، ومن الممكن الذي لا يأباه العقل هو أنه تعالىٰ خلقهم وأكملهم وألهمهم ما يصلَح في نظام العالم ثم خلق كلّ شيء مقارناً لإرادتهم ومشيتهم.

ولعلّ إليه يشير ما في البحار[١]، عن الاحتجاج، أبو الحسن علي بن أحمد الدلال القمي قال: اختلف جماعة من الشيعة في أنّ الله عزوجل فوّض إلى الأئمة عليهم السلام أن يخلقوا ويرزقوا؟ فقال قوم: هذا محال لا يجوز على الله عزوجل، لأن الأجسام لا يقدر علىٰ خلقها غير الله عزوجل.

وقال الآخرون: بل الله عزوجل أقدر الأئمة علىٰ ذلك وفوّض إليهم فخلقوا أو رزقوا، وتنازعوا في ذلك تنازعاً شديداً، فقال قائل: ما بالكم لا ترجعون إلىٰ أبي جعفر محمد بن عثمان فتسألونه عن ذلك؛ ليوضح لكم الحق فيه فإنه الطريق إلىٰ صاحب الأمر (عج)؟ فرضيت الجماعة بأبي جعفر وسلّمت وأجابت إلىٰ قوله فكتبوا المسألة وأنفذوها إليه، فخرج إليهم من جهته توقيع نسخته: «إن الله تعالىٰ هو الذي خلق الأجسام وقسّم الأرزاق؛ لأنه ليس بجسم ولا حال في جسم، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فأما الأئمة عليهم السلام فإنهم يسألون الله تعالىٰ فيخلق ويسألونه فيرزق إيجاباً لمسألتهم وإعظاماً لحقهم».

---

١ ـ البحار ج ٢٥ ص ٣٢٩.

وربما يحمل ما صدر منهم من هذه الأُمور والمعجزات وخرق العادات علىٰ أنهم عليهم السلام قد جعلهم الله تعالىٰ مطاعين في الأرضين والسموات ويطيعهم بإذن الله تعالىٰ كل شيء حتى الجمادات وأنهم إذا شاءوا أمراً لا يردّ الله تعالىٰ مشيتهم، ولكنهم لا يشاءُون إلّا أن يشاء الله.

وفي البحار[١]، عن بصائر الدرجات بإسناده عن هشام بن الحكم قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام **﴿أم يحسدون الناس علىٰ ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾**[٢]، ماذا الملك العظيم؟ قال: «فرض الطاعة ومن ذلك طاعة جهنم لهم يوم القيامة ياهشام».

أقول: ظاهر كثير من الأخبار الواردة في هذا الباب هو تفسير الملك العظيم بالطاعة الواجبة المفروضة لهم عليهم السلام المستفادة من قوله تعالىٰ: **﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم﴾**[٣] المفسر بهم عليهم السلام.

ففيه[٤] عن تفسير الفرات عبيد بن كثير معنعناً أنه سأل جعفر بن محمد عن قول الله تعالىٰ: **﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾**، قال: «أولي الفقه والعلم، قلنا: أخاصّ أم عام؟ قال: بل خاصّ لنا»، ومثله أحاديث أُخر.

إلّا أن المستفاد من قوله عليه السلام «ومن ذلك طاعة جهنم لهم يوم القيامة» هو عموم فرض طاعة الموجودات لهم عليهم السلام.

والحاصل أنه تعالىٰ أوجب على الجميع من المخلوقات، بشراً كان أم غيرهم طاعتهم، بل يستفاد من بعض الأحاديث أن هذا الوجوب لا يختصّ بالوجوب التشريعي الذي تتطرق إليه المعصية والتخلف، بل قد جعل الله تعالىٰ لهم عليهم السلام مضافاً إلىٰ ذلك الوجوب التكويني بمعنىٰ أنه إذا أمروا عليهم السلام أحداً أو شيئاً بأمر

---

١ ـ البحار ج ٢٢ ص ٢٨٧.

٢ ـ النساء: ٥٤.

٣ ـ النساء: ٥٩.

٤ ـ البحار ج ٢٢ ص ٢٩٨.

مولوي وتكويني لا يمكنه التخلف عن أمرهم عليهم السلام.

ففي مدينة المعاجز للسيد البحراني[١] (روحي فداه) في باب طاعة ملك الموت للصادق عليه السلام وساق الحديث.. إلىٰ أن قال الصادق عليه السلام: «ياملك الموت: قال لبيك أيها الامام، قال: ألست أمرت بالسمع والطاعة لنا؟ قال: بلىٰ، قال: فإني آمرك أن تأخّر أمرها عشرين سنة، قال: السمع والطاعة ...» الحديث.

وفيه ابن شهر آشوب عن زرارة بن أعين، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يحدّث عن آبائه عليهم السلام أنّ مريضاً شديد الحمىٰ عاده الحسين عليه السلام فلمّا دخل من باب الدار طارت الحمىٰ عن الرجل فقال له: رضيت بما أُوتيتم حقاً والحمىٰ تهرب عنكم؟ فقال له الحسين عليه السلام «والله ما خلق الله شيئاً إلّا وقد أمره بالطاعة لنا، قال: فإذا نسمع الصوت ولا نرى الشخص، يقول: لبيك، قال: أليس أمير المؤمنين أمرك أن لا تقربي إلّا عدوّاً أو مذنباً؛ لتكوني كفّارة لذنوبه، فما بال هذا؟ فكان المريض عبدالله بن شدّاد الليثي».

فظاهر الحديث كما ترىٰ هو أن كل شيء مأمور بالطاعة لهم تشريعاً وتكويناً كما لا يخفىٰ.

وأصرح ما يدل علىٰ إطاعة الأشياء لهم عليهم السلام تكويناً بحيث لا يمكنهم المعصية لهم عليهم السلام ما رواه في البحار.

إذا علمت هذا، فنقول: الظاهر من الأحاديث ليس هو مجرد أنه تعالىٰ يخلق المعجزات عند إرادتهم إيجاباً لمسألتهم وإعظاماً لحقهم عليهم السلام فإنه أمر مسلّم، إلّا أنّ الظاهر أنه تعالىٰ جعلهم مظاهر لقدرته التي بها يفعل ما يشاء، كيف وهم عليهم السلام قدرة الله وعين الله ويد الله؟

وفي البحار[٢]، عن توحيد الصدوق بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن أمير

---

١ ـ مدينة المعاجز ص٣٨٦.

٢ ـ البحار ج ٢٤ ص١٩٨.

المؤمنين عليه السلام قال: «أنا علم الله، وأنا قلب الله الواعي، ولسان الله الناطق، وعين الله الناظرة، وأنا جنب الله، وأنا يد الله».

وفي البحار[١]، عن جابر بن عبدالله عن رسول الله صلى الله عليه وآله ... إلىٰ أن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أول ما خلق الله نوري ابتدعه من نوره واشتقّه من جلال عظمته، فأقبل يطوف بالقدرة حتىٰ وصل إلىٰ جلال العظمة في ثمانين ألف سنة، ثم سجد لله تعظيماً ففتق منه نور علي عليه السلام فكان نوري محيطاً بالعظمة، ونور علي محيطاً بالقدرة...» الحديث.

هذا وقد اشتهر منه عليه السلام قوله: «أنا قدرة الله»، وحينئذ نقول: إنّ ظهور المعجزات علىٰ أيديهم أو إنّ أمر الخلق مفوّض إليهم عليهم السلام وأمثال هذه الأمور العظام، التي نسبت إليهم نسبة ظاهرها استنادها إليهم عليهم السلام في التأثير، كما تقدم في صدر الشرح قوله عليه السلام في الحديث الوارد في خطبة الشقشقية من قوله عليه السلام: «والله ما الامام إلّا الذي يحيي ويميت»، فراجع.

إنما يراد منها معنىٰ لا يستلزم الشرك في خالقيته تعالىٰ مع صحة استنادها إليهم عليهم السلام، وهذا هو الحق الذي لا سترة عليه، كيف وهم عليهم السلام أوحد الناس في توحيده تعالىٰ، وقد بيّنوا لنا توحيده تعالىٰ، فكيف يصدر منهم ما ينافي التوحيد ووحدانيته تعالىٰ في الخالقية.

وحاصله أنه لا ريب في أنّ الأفعال في عالم الوجود إنما تصدر من فاعلها بالحول والقوة، ومن المعلوم بالضرورة من الدين أنه لا حول ولا قوه إلّا بالله العلي العظيم، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

وفي الحديث القدسي الذي رواه في الجواهر السنيّة المسمىٰ بالوسيلة، ففي بعض فصولها: «يافاعل كلّ إرادة صلّ علىٰ محمد وآل محمد».

---

١ ـ البحار ج ٢٥ ص ٢٢.

وفي تفسير نور الثقلين[١]، عن احتجاج الطبرسي في حديث طويل يقول عليه السلام: «ولملك الموت أعوان من ملائكة الرحمة والنعمة يصدرون عن أمره، وفعلهم فعله وكلّ ما يأتونه منسوب إليه».

وإذا كان فعلهم فعل ملك الموت، وفعل ملك الموت فعل الله؛ لأنه يتوفّى الأنفس علىٰ يد من يشاء، ويعطي ويمنع ويثيب ويعاقب علىٰ يد من يشاء وأنّ فعل أمنائه فعله كما قال: ﴿وما تشاءُون إلّا أن يشاء الله﴾[٢].

وفيه حديث عن الخرائج والجرائح عن القائم (عج) فيه يقول لكامل بن إبراهيم المدني «وجئت تسأل عن مقالة المفوّضة، كذبوا بل قلوبنا أوعية لمشيّة الله عزوجل، فإذا شاء شئنا، والله يقول: ﴿وما تشاءُون إلّا أن يشاء الله﴾».

فالمستفاد من هذه الآيات والأحاديث ونظائرها وهي كثيرة أن الأفعال في عين أنها منسوبة إلى العبد منسوبة إليه تعالىٰ، بل النسبة بالنسبة إليه تعالىٰ حقيقية، وبالنسبة إلى العبد مجازية، لما سيأتي من أن العبد وما ينسب إليه من الأفعال والصفات بل وذاته منسوب إليه تعالىٰ، وهي فعله وتحت قدرته وسلطنته، ولا عكس أي ليس أفعاله تعالىٰ وصفاته فضلاً عن ذاته مستندة إلىٰ غيره، بل هو مستقل في استناد الأمور إليه بالحقيقة؛ لأن ما أسنده إلىٰ غيره يكون بالعناية والمجاز.

كيف وقد قسم العرفاء الحقة التوحيد إلى الذاتي والأفعالي والصفاتي، ولا معنىٰ للتوحيد الأفعالي إلّا أنها فعل الحق تعالىٰ كما يومئ إليه قوله: «يافاعل كلّ إرادة»، التي هي منشأ الأفعال وقوله عليه السلام: «وإنّ فعل أمنائه فعله»، وقوله تعالىٰ: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾[٣] فعلىٰ هذا فأي فعل صدر في عالم الوجود من أي فاعل

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٤٨٦.

٢ ـ الإنسان: ٣٠.

٣ ـ الصافات: ٩٦.

مخلوق فهو بالحقيقة منسوب إليه تعالىٰ حقيقة وإلى العبد عـناية، إلّا أن الأفـعال تختلف شدة وضعفاً وكثرة وقلّة لاختلاف القدرة الكائنة في الفواعل المخلوقة، فربما رجل يعمل أعمالاً كثيرة لا يقدر عليها غيره لضعف قدرته أو يعمل عملاً شديداً أو عجيباً من حيث الكيف والمعنىٰ ولا يقدر غيره عليه؛ لعدم وجود ملاكه فـيه، فعليه فكل فعل صدر من أي أحد لو قيل: إنّ فاعله بالاستقلال هو هذا المخـلوق فقط فهو شرك، أو قيل: إنه تعالىٰ مستقل بالفعل ولا دخل للعبد فيه فـهو الجـبر والكفر، بل لا هذا ولا ذاك، بل أمر بين الأمرين وسيجيء تحقيقه قريباً.

ثم إنه لا يفرّق في هذا بين كون الفعل صادراً من أي مخلوق: حقير ضعيف أو مخلوق عظيم الشأن أو المتوسط بين الأمرين، فعليه فـالنبي ﷺ والأئمـة عليهم السلام لمـا منحهم الله تعالى العلم والقدرة، كيف وهم حقايق الأسماء الإلهية كما علمت مراراً، وعندهم الاسم الأعظم فهم عليهم السلام مقتدرون بالله تعالىٰ يفعلون الأمور العظام، وتظهر منهم المعجزات كلها بأقدار الله تعالىٰ إياهم عليهم السلام علىٰ ذلك، وفي بعض الأحـاديث الواردة في معجزاتهم: «إن الله تعالىٰ أقدرنا علىٰ ما نريد، ولا حول ولا قوه إلّا بالله العلي العظيم» ويكون صدورها منهم بإذنه تعالىٰ، وأين هذا من الشرك أو الغلوّ في حقهم؟ بل ربما صدرت هذه الأُمور من بعض المراتب النازلة منها من بعض أولياء الله تعالىٰ حينما بلغوا إلىٰ مقام القرب ووصلوا إلىٰ مـقام التـوحيد، فـتصدر مـنهم الأفعال الربوبية، فما ظنّك بالأئمة الأطهار عليهم السلام الذي هم في منتهىٰ مرحلة القـرب، ولهم مقام العندية عند الله تعالىٰ كما تقدم؟

ومما يدل علىٰ هذا ما ورد عنهم عليهم السلام من الأحاديث القدسية أنه يخاطب أهل الجنة بخطاب إلهي، فيقال لهم: «من الحي القيوم إلى الحي القيوم، جعلتك مثلي أقول لشيء كن، فيكون، تقول لشيء كن، فيكون».

فحينئذ نقول: أتظنّ أنّ أهل الجنة إذا حصلت لهم هذه القدرة الإلهية، فيقولون للشيء كن فيكون أنهم حينئذ مشركون أو هم شركاء لله تعالىٰ، كلا، بل هم حينئذ

مقتدرون بالله تعالىٰ فيفعلون ما يفعلون بإذنه تعالىٰ، فحينئذ فما ظنّك بـالأئمة عليهم السلام الذين خلقت الجنة من فاضل أنوارهم؟ فهم في مقام من الرفعة والقدرة بحـيث لا يدانيهم أحد، فحينئذ فما المانع من أن تصدر منهم الأفعال المـهمة الربـوبية بـإذنه تعالىٰ، ولا فرق بين صدور هذه الأفعال العظيمة منهم عليهم السلام وبين صـدور الأفـعال اليسيرة والحقيرة من أضعف خلق الله تعالىٰ؛ لما علمت من أن الأمر بين الأمرين لا يفرّق فيه في الأفعال، فجميعها يكون بنحو الأمر بين الأمرين حقيرها وكـبيرها، هذا وقد اشتهر أن حكم الأمثال فيما يجوز وفيما لا يجوز سواء، هذا وقد بيّن العرفاء الحقة أن الانسان له قوة الخلاقية في الذهن، فإذا كمل في الكمالات ووصل إلىٰ مقام القرب، وجلس علىٰ بساط الانس مع الله تعالىٰ، فيمنحه الله تعالىٰ قدرة الخلّاقية الخارجية، أي هذه القدرة الذهنية تتبدل بالقدرة الخارجية كما علمت من خـطابه تعالىٰ لأهل الجنة.

والحاصل: أن القول بأنّ صدور الأفعال العظيمة والمـعجزات مـنهم عليهم السلام شرك وكفر بالله العظيم، كما أن القول بأن صدور أي فعل صغير من أضعف الخلق وهو انا إذا قلنا بصدوره منه بالاستقلال أيضاً شرك بالله العظيم، وأما إذا قلنا: بـصدورها منهم عليهم السلام بنحو الأمر بين الأمرين خصوصاً مع كـونها بـإذن الله تـعالىٰ، ومـع أن قلوبهم أوعية لمشيّة الله تعالىٰ فلا محذور فيه، وحينئذ فجميع ما ورد من الأخبار الدالة علىٰ صدور أفعال عجيبة منهم كخطبة البيان ونحوها لا إشكال فـيه أبـداً، والقول: إنها من الغلاة وأشباههم، في غير محله، وإلىٰ ما ذكرنا تدل أحاديث:

منها: ما في البحار[1]، عن بصائر الدرجات والاختصاص بإسناده إلى الأسود ابن سعيد، قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «ياأسود بن سعيد إنّ بيننا وبين كلّ أرض ترّاً مثل ترّ البناء، فإذا أمرنا في الأرض بأمر جذبنا ذلك الترّ، فأقبلت الأرض بقليبها

---

١ ـ البحار ج٢٥ ص٣٦٦.

وأسواقها ودورها حتىٰ ننفذ فيها ما نؤمر به من أمر الله تعالىٰ»[١].

أقول: قوله ﷺ «إن بيننا وبين كلّ أرض ترّاً»، يمكن أن يراد منه المعنى الكنائي عن القدرة والتسلط الالهي عليها فحينئذ معنىٰ جذبنا: أعملنا تلك القدرة.

ويمكن أن يراد منه الخيط كما للبنّائين، كما ربما يظهر من حديث السجاد ﷺ المتقدم في شرح الصدر، ولكنه أيضاً ليس كالخيط الصوري بل هو نظير عصا موسىٰ ﷺ وكخاتم سليمان الذي به تظهر تلك الأمور العظام عند إعمالها، فحينئذ حقيقتها لا يعلمها غير الله تعالىٰ، ثم إن الترّ بالضمّ: الخيط يقدر به البناء، والقلب: البئر.

وفيه عنهما عن إدريس عن الصادق ﷺ قال: سمعته يقول: «إن منا أهل البيت لمن الدنيا عنده بمثل هذه وعقد بيده عشرة»، قال المجلسي (رحمة الله عليه): بيان: عقد العشرة بحساب العقود هو أن تضع رأس ظفر السبّابة علىٰ مفصل أنملة الإبهام؛ ليصير الاصبعان معاً كحلقة مدوّرة، أي الدنيا عند الامام ﷺ كهذه الحلقة في أن له أن يتصرّف فيها بإذن الله تعالىٰ كيف شاء أو في علمه بما فيها وإحاطته بها.

وفيه عنهما عن حمزة بن عبدالمطلب بن عبدالله الجعفي، قال: دخلت على الرضا ﷺ ومعي صحيفة أو قرطاس فيه عن جعفر ﷺ: «إن الدنيا مثلت لصاحب هذا الأمر في مثل فلقة الجوزة، فقال: ياحمزة ذا والله حق فانقلوه إلىٰ أديم» أي الجلد المدبوغ.

وفيه[٢] عنهما بإسناده عن أبان بن تغلب، قال: كنت عند أبي عبدالله ﷺ فدخل عليه رجل من أهل اليمن، فقال له: «ياأخا أهل اليمن عندكم علماء؟ قال: نعم، قال: فما بلغ من علم عالمكم؟ قال: يسير في ليلة مسيرة شهرين يزجر الطير ويقفو الأثر، فقال أبو عبدالله ﷺ: عالم المدينة أعلم من عالمكم، قال: فما يبلغ (بلغ)

---

١ ـ وفي نسخة الاختصاص: فأقبلت الأرض إلينا. وحتىٰ تنفذ.

٢ ـ البحار ج ٢٥ ص ٣٦٩.

من علم عالم المدينة؟ قال: يسير في ساعة من النهار مسيرة الشمس سنة حتىٰ يقطع اثني عشر ألف عالم مثل عالمكم هذا، ما يعلمون أن الله خلق آدم ولا إبليس، قال: فيعرفونكم؟ قال: نعم، ما افترض عليهم إلّا ولايتنا والبراءة من عدونا»، ونظيره غيره مع زيادة.

وفيه[١] عن بصائر الدرجات بإسناده عن داود الهندي عن علي بن جعفر عن أبي الحسن عليه السلام أنه سمعه يقول: «لو أُذن لنا لأخبرنا بفضلنا قال: قلت له: العلم منه؟ قال: فقال لي: العلم أيسر من ذلك».

وفيه[٢] عنه بإسناده عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إني لأعرف من لو قام علىٰ شاطئ البحر؛ لندب بدواب البحر وبأمهاتها وعماتها وخالاتها».

وفيه[٣] عنه بإسناده عن غير واحد من أصحابنا، قال: خرج عن أبي الحسن الثالث عليه السلام أنه قال: «إنّ الله جعل قلوب الأئمة مورداً لإرادته، فإذا شاء الله شيئاً شاءُوه وهو قول الله: ﴿وما تشاءُون إلّا أن يشاء الله﴾».

وفيه[٤] عن الخرائج والجرائح بإسناده عن عبدالرحمان بن كثير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أتى الحسين عليه السلام أُناس، فقالوا له: ياأبا عبدالله حدّثنا بفضلكم الذي جعل الله لكم، فقال: «إنكم لا تحتملونه ولا تطيقونه، قالوا: بلىٰ نحتمل، قال: إن كنتم صادقين فليتنح اثنان وأُحدّث واحداً، فإن احتمله حدّثتكم، فتنحى اثنان وحدّث واحداً، فقام طائر العقل ومرّ علىٰ وجهه، وكلّمه صاحباه، فلم يرد عليهما شيئاً وانصرفوا».

وفيه[٥] عنه بهذا الإسناد، قال: أتىٰ رجل الحسين بن علي عليه السلام، فقال: حدثني

---

١ ـ البحار ج ٢٥ ص ٣٧٢.
٢ ـ المصدر نفسه.
٣ ـ المصدر نفسه.
٤ ـ البحار ج ٢٥ ص ٣٧٨.
٥ ـ البحار ج ٢٥ ص ٣٧٩.

بفضلكم الذي جعل الله لكم، فقال: «إنك لن تطيق حمله، قال: بلىٰ حدثني يابن رسول الله إني أحتمله، فحدّثه بحديث فما فرغ الحسين عليه السلام من حديثه حتىٰ ابيضّ رأس الرجل ولحيته وأنسي الحديث، فقال الحسين عليه السلام أدركته رحمة الله حيث أُنسي الحديث»[١].

وفيه عن مناقب شهر آشوب، وفي رواية سعيد بن المسيّب وعباية بن ربعي أنّ علياً عليه السلام ضرب الأرض برجله فتحركت، فقال: «اسكني فلم يأن لك، ثم قرأ يومئذ تحدّث أخبارها».

وفيه عنه: شكا أبو هريرة إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام شوق أولاده، فأمره عليه السلام بغضّ الطرف، فلما فتحها كان في المدينة في داره فجلس فيها هنيئة، فنظر إلىٰ علي عليه السلام في سطحه وهو يقول: هلم ننصرف وغضّ طرفه فوجد نفسه في الكوفة، فاستعجب أبو هريرة، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إن آصف أورد تختاً من مسافة شهرين بمقدار طرفة عين إلىٰ سليمان، وأنا وصي رسول الله صلى الله عليه وآله».

أقول: ترىٰ في هذه الأحاديث نسبة تلك الأفعال العجيبة الخارقة للعادة في الأسباب إلىٰ نفوسهم الشريفة، فهي بناء علىٰ قاعدة الأمر بين الأمرين، وأنّ قلوبهم أوعية أو وكر لمشية الله تعالىٰ، وأنهم عليهم السلام عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، تحمل علىٰ أنها وإن كانت مستندة إليهم عليهم السلام إلّا أنها مستندة إليه تعالىٰ بالنحو المتقدم، وبالنحو الذي سيجيء تحقيقه إن شاء الله تعالىٰ.

فتحصّل مما ذكر أن المنفي من التفويض هو القول: إنهم مفوّضون في الخلق والأفعال العجيبة بالاستقلال، بحيث لا تكون مدخلية له تعالىٰ فيها، وهذا كفر صريح.

وأما التفويض في الخلق وفي الأفعال الصادرة منهم من المعجزات، ومما نسبوا إلىٰ أنفسهم الشريفة كما في خطبة البيان ونحوه، إذا فسّر بالنحو المذكور، ومن الأمر

---

١ ـ الخرائج والجرائح وفيه: نسي.

بين الأمرين، فهي عين الايمان، بل علمت أنه لابد من القول بالأمر بين الأمرين بالنسبة إلىٰ جميع الأفعال الصادرة من الخلق، ولا فرق بين الأفعال الصادرة منا والصادرة منهم عليهم السلام إلّا أنّ الصادرة منهم عليهم السلام هي الأفعال والأُمور العجيبة الربوبية، التي اختصّهم الله تعالىٰ بها دون خلقه، كما لا يخفىٰ، هذا كله بالنسبة إلى التفويض في الخلق وساير الأفعال الصادرة منهم عليهم السلام.

وأما التفويض في أمر الدين فقد فسّر بأُمور:

منها: أن يكون الله تعالىٰ فوّض إلى النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام عموماً أن يحلّوا ما شاءُوا ويحرّموا ما شاءُوا من غير وحي وإلهام، أو يغيّروا ما أوحي إليهم بآرائهم، وهذا باطل لا يقول به عاقل، كيف وقد قال الله تعالىٰ في حقّ نبيه: **﴿وما ينطق عن الهوىٰ * إن هو إلّا وحي يوحىٰ﴾**[1].

وإليه يشير أيضاً ما في البحار[2]، عن كشف الغمة من مناقب الخوارزمي عن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله لما خلق السموات والأرض دعاهنّ فأجبنه، فعرض عليهن نبوتي وولاية علي بن أبي طالب فقبلتاهما، ثم خلق الخلق وفوّض إلينا أمر الدين، فالسعيد من سعد بنا، والشقي من شقي بنا، نحن المحللون لحلاله والمحرمون لحرامه».

أقول: قوله عليه السلام «نحن المحللون ... الخ» يبين أنهم عليهم السلام لا يقولون في الدين بآرائهم وهذا أمر ظاهر بيّن، إلّا أنه ربما يقال: إنّ المستفاد من بعض الأحاديث أنهم عليهم السلام مفوّضون في أمر الدين إلىٰ آرائهم.

في البحار[3]، عن بصائر الدرجات بإسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «وضع رسول الله صلى الله عليه وآله دية العين ودية النفس ودية الأنف، وحرّم النبيذ وكلّ

---

١ ـ النجم: ٣ ـ ٤.
٢ ـ البحار ج ٢٥ ص ٣٣٩.
٣ ـ البحار ج ٢٥ ص ٣٣٢.

مسكر، فقال له رجل: فوضع هذا رسول الله ﷺ من غير أن يكون جاء فيه شيء؟ قال: نعم؛ ليعلم من يطع الرسول ويعصيه».

وفيه عنه بإسناده عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام وأبا عبدالله عليه السلام يقولان: إن الله فوّض إلىٰ نبيّه أمر خلقه؛ لينظر كيف طاعتهم، ثم تلا هذه الآية: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ فظاهر قوله عليه السلام: نعم، بعد سؤال: من غير أن يكون جاء فيه شيء ظاهر في أنه ﷺ مفوّض في ذلك إلىٰ رأيه، ولكن فيه أن هذا الحديث يفسره ما ورد عنهم عليهم السلام.

ففي البحار[١]، عن بصائر الدرجات بإسناده عن أبي أُسامة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الله خلق محمداً فأدّبه حتىٰ إذا بلغ أربعين سنة أوحى إليه وفوض إليه الأشياء، فقال: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾».

وفيه عنه بإسناده عن محمد بن الحسن الميثمي، عن أبيه، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: «إن الله أدّب رسوله حتىٰ قوّمه علىٰ ما أراد، ثم فوض إليه فقال: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ فما فوّض الله إلىٰ رسوله فقد فوّضه إلينا».

فنقول: الظاهر من هذين الحديثين ونظائرهما أنه تعالىٰ جعل قلب نبيه ﷺ مجبولاً علىٰ إرادته بحيث لا يكاد ينقدح فيه إلّا علىٰ نحو ما أراد، وذلك أنه قلب نوراني متصل بذاته المقدسة اتصال نور الشمس بها، فهو مهبط إرادته؛ لأنه تعالىٰ خلقهم علىٰ هيئة مشيته، وهي أرواحهم الشريفة مخلوقة علىٰ طبق مقتضىٰ مشيته تعالىٰ، فلا فاعل فيها لا قسراً كالنفس الانساني، ولا غيره من سائر الدواعي المباحة إلّا مشيته تعالىٰ.

ومعنىٰ جعلها علىٰ صورة مشيته تعالىٰ، أنه تعالىٰ أنهىٰ إليهم علمه في عالم الأرواح؛ ليبلغوه إلىٰ من شاء، فهم وكر ووعاء لمشيته، ثم إن ترجمان هذه المشية

---

١ ـ البحار ج ٢٥ ص ٣٣١.

والعلوم الإلهية، التي تكون حقائق أرواحهم علىٰ صورتها الواقعية، قد تكون الوحي وقد تكون إرادتهم ﰊ وهما معاً سواء في إظهار مختاره وإرادته ومشيّته تعالىٰ، بل الله تعالىٰ خلقهم لهذا الأمر، أي جعلهم وعاء لمشيّته تعالىٰ وعلىٰ صورتها، وهم ترجمان وحيه كالوحي ومع ذلك لم يرفع يده تبارك وتعالىٰ، أي قدرته النافذة في جميع الأشياء عنهم في جميع أفعالهم وأقوالهم وأعمالهم وحركاتهم وسكناتهم، فهم بأمره يعملون لا شيء من إرادتهم وميولات أنفسهم؛ لما تقرر في محله من أن الممكن مهما بلغ إلى القرب فهو محتاج إلىٰ مدده تعالىٰ بقاء، كما كان محتاجاً إليها حدوثاً، وهم ﰊ لما خلقهم تعالىٰ كذلك وأدّبهم بما علمت قد أطاعوه في كل حال، وصدقوا معه في كل موطن، فجزاهم الله تعالىٰ بأن أوجب علىٰ نفسه إجابتهم في كل ما سألوه وأرادوه، وهذا الذي أوجبه تعالىٰ علىٰ نفسه هو معنى التفويض لهم، أي أن كل ما أرادوه فعله بهم، وأجراه علىٰ حسب إرادتهم؛ لما علم الله تعالىٰ أنهم ﰊ لاستقامة عقولهم واستواء فطرتهم وتأديبه تعالىٰ إياهم بما علمت لا يشاءُون إلّا ما هو محبوب له تعالىٰ.

ولعل إليه يشير ما تقدم في التوقيع «فأما الأئمة ﰊ يسألون الله تعالىٰ فيخلق، ويسألونه فيرزق إيجاباً لمسألتهم وإعظاماً لحقهم» وهذا معنىٰ قوله ﰉ «حتىٰ قومه علىٰ ما أراد»، فهو ﷺ مقوّم علىٰ إرادته أي ليس فيه إرادة النفس، بل هو كالميّت بين يدي الغسّال يقلّبه كيف يشاء كما ورد عنه ﷺ «من أراد أن ينظر إلىٰ ميّت يمشي فلينظر إليّ»، كما تقدم.

وحينئذ فما يحكم به ويريده ليس إلّا ما حكم به الله تعالىٰ وأراده، وإن لم يرد به نصّ إلهي وآية قرآنية.

وبعبارة أخرىٰ: قد يكون الحكم الإلهي منزلاً إليه من طريق الوحي، وقد يكون من طريق القلب المتصل به تعالىٰ اتصال حقيقة العبد بالرب، فحينئذ نقول: قوله ﰉ في حديث زرارة من أنه ﷺ «وضع أشياء من غير أن يكون جاء فيه

شيء» أي من طريق الوحي كما لا يخفىٰ، فالنفي بلحاظ الوحي لا بلحاظ الحقيقة.

والحاصل: أنّ تأديبه تعالىٰ إياه ﷺ ليس المراد منه التأديب الأخلاقي العادي، بل المراد التربية القلبية والتقويم القلبي بحيث لا يقوم إلّا علىٰ ما أراده تعالىٰ، ثم إن لهذا البحث عرضاً عريضاً، لعلنا نذكره في طيّ الشرح، وهذا الذي ذكر هو أحد معاني التفويض.

قال المجلسي (رحمة الله عليه) في البحار[1]: ثانيهما: أنّه تعالىٰ لما أكمل نبيه ﷺ بحيث لم يكن يختار من الأمور شيئاً إلّا ما وافق الحقّ والصواب، ولا يحل بباله ما يخالف مشيته تعالىٰ في كل باب فوّض إليه تعيين بعض الأمور كالزيادة في الصلوة وتعيين النوافل في الصلوٰة والصوم وطعمة الجد وغير ذلك مما مضىٰ وسيأتي إظهاراً لشرفه وكرامته عنده، ولم يكن أصل التعيين إلّا بالوحي، ولم يكن الاختيار إلّا بإلهام، ثم كان يؤكّد ما اختاره بالوحي، ولا فساد في ذلك عقلاً وقد دلّت النصوص المستفيضة عليه.

أقول: ما ذكره (رحمة الله عليه) صحيح إلّا أنّ قوله ﷺ: ولم يكن أصل التعيين إلّا بالوحي، ولم يكن الاختيار إلّا بإلهام، ينافي بظاهره قوله عليه السلام: «من غير أن يكون جاء فيه شيء»، فإنه ظاهر في أن تلك الموارد من أحكامه ﷺ إنما هو من عند نفسه ﷺ من دون الاستناد إلى الوحي والإلهام، فالظاهر في توجيهه هو ما ذكرنا من أنه ﷺ لما صار من تأديبه تعالىٰ بحيث ليس له اختيار نفساني ولا إرادة نفسانيّة، بل لا يريد ولا يختار ذاتاً إلّا ما أراده تعالىٰ واختاره.

فحينئذ تكون مختاراته ﷺ في تلك الأمور التي وضعها ﷺ عين مختاراته تعالىٰ من دون مجيء وحي ولا إلهام، بل من نفس إرادته تعالىٰ واختياره النازلتين في قلبه الطاهر من غيره تعالىٰ.

---

١ ـ البحار ج ٢٥ ص ٣٤٨.

ثم إن معنىٰ اختصاص التفويض في أمر الدين لهم مع أنه لا يكـون شيء مـن الأمور إلّا منه تعالىٰ وبإرادته هو أنه تعالىٰ اختصهم بذلك التأديب والتقويم بالمعنى المتقدم دون غيرهم، كما لا يخفىٰ.

ومنها أي من معاني التفويض في أمر الدين هو أنهم عليهم السلام مفوّضون في أمـور الخلق من سياستهم وتأديبهم وتكميلهم وتعليمهم، والخلق أيضاً مأمورون بأمـر الله تعالىٰ بأن يطيعوهم في ذلك فيما أحبّوا أو كرهوا، وفيما علموا جهة المصلحة فيه وما لم يعلموا.

والحاصل: ليس للخلق المشي علىٰ ما أحبوا دون ما كرهوا، أو ما علموا جهة المصلحة دون ما لم يعلموا، بل لابد لهم في جميع ذلك من إطاعتهم عليهم السلام لقوله تعالىٰ: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾**.

ولعل قوله عليه السلام في حديث جابر علىٰ ما رواه في كشف الغمة: «نحـن المحـلّلون لحلاله والمحرمون لحرامه» يرجع إلىٰ هـذا، أي عـلينا بـيانهما ويجب عـلى النـاس الرجوع فيهما إلينا.

وإليه يشير أيضاً خبر زرارة وخبر الميثمي المتقدمان، ومثله ما فيه عن بصائر الدرجات بإسناده عن أبي إسحق عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمـعته يـقول: «إن الله أدّب نبيه علىٰ محبته فقال: **﴿إنك لعلىٰ خلق عظيم﴾**[1]، ثم فوّض إليه فقال: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾**[2]، وقال: **﴿من يطع الرسـول فـقد أطاع الله﴾**[3]، قال: ثم قال: وإن نبي الله فوّض إلىٰ علي وائتمنه، فسـلّمتم وجـحد الناس، والله لحسبكم أن تقولوا إذا قلنا وتصمتوا إذا صمتنا، ونحن فيما بينكم وبين الله، فما جعل الله لأحد في خلاف أمرنا»، وفي خبر آخر زاد في آخره، فإنّ أمرنا أمر

---

١ ـ القلم : ٤.

٢ ـ الحشر : ٧.

٣ ـ النساء : ٨٠.

الله عزوجل.

وقد يقال: إنه قد ثبت في الشريعة أنهم عليهم السلام يحكمون بين الناس بحسب الظاهر في تطبيق الأحكام الكلية علىٰ مواردها خارجاً، كما اشتهر عنه صلى الله عليه وآله: «إنما أحكم بينكم بالايمان والبينة، فالمشي على الظاهر هو المشي علىٰ ظاهر الشريعة بحسب الايمان والبينة».

فحينئذ نقول: معنىٰ أنهم مفوّضون في أمر الدين هو أنهم عليهم السلام في هذه الموارد مفوّضون في أن يحكموا بظاهر الشرع وبحسب الايمان والبينة، أو بعلمهم وبواقع القضية، كما كان ذلك لداود عليه السلام ويكون هذا للحجة (عج) (روحي له الفداء) حينما يظهر، أو بما يلهمهم من الواقع ومخّ الحق في كل قضية، فتأمل، فإن هذا عين سابقه كما لا يخفىٰ، فلا معنىٰ لجعله قسيماً لما قبله كما ذكره المجلسي (رحمة الله عليه) وكيف كان فلعل خبر محمد بن سنان الآتي ظاهر في هذا، والله العالم.

هذا كله بالنسبة إلى الموضوعات المتعلقة بسياسات الخلق وتأديبهم وتعليمهم، بل قد يقال أيضاً: إنهم عليهم السلام مفوّضون في بيان العلوم والأحكام بما رأوا المصلحة فيها بسبب اختلاف عقول الناس، أو بسبب التقية فيفتون بعض الناس بالواقع من الأحكام وبعضهم بالتقية، ويبيّنون تفسير الآيات وتأويلها، وبيان المعارف بحسب ما يحتمل عقل كل سائل، ولهم عليهم السلام أن يسكتوا، ولهم أن يبيّنوا كما وردت أخبار كثيرة في قوله تعالىٰ: ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾[1] نحو قولهم: «عليكم المسألة وليس علينا الجواب»، وإليه يشير ما في خبر ابن أشيم.

ففي البحار[2]، عن بصائر الدرجات بإسناده عن أديم بن الحر قال أديم: سأله موسىٰ بن أشيم يعني أبا عبدالله عليه السلام عن آية من كتاب الله فخبّره بها، فلم يبرح حتىٰ دخل رجل فسأله عن تلك الآية بعينها فأخبره بخلاف ما أخبره، قال ابن أشيم

---

١ ـ النحل: ٤٣.

٢ ـ البحار ج ٢٥ ص ٣٣٢.

فدخلني من ذلك ما شاء الله حتىٰ كأني كاد قلبي يشرح بالسكاكين وقلت: تركت أبا قتادة بالشام لا يخطئ بالحرف الواحد الواو وشبهها وجئت إلىٰ من يخطئ هذا الخطأ كله، فبينا أنا كذلك إذ دخل عليه آخر فسأله عن تلك بعينها فأخبره بخلاف ما أخبرني والذي سأله بعدي، فتجلّىٰ عني وعلمت أن ذلك تعمد منه، فحدثت نفسي بشيء، فالتفت إليّ أبو عبدالله عليه السلام فقال: «يابن أشيم لا تفعل كذا وكذا، فحدثني عن الأمر الذي حدثت به نفسك.

ثم قال: يابن أشيم إن الله فوض إلىٰ سليمان بن داود عليه السلام فقال: **﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾**[1] وفوّض إلىٰ نبيه فقال: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ فما فوض إلىٰ نبيه فقد فوّض إلينا**، يابن أشيم من يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيّقاً حرجاً، أتدري ما الحرج؟ قلت: لا، فقال: بيده وضمّ أصابعه الشيء (كالشيء) المصمّت الذي لا يخرج منه شيء ولا يدخل فيه شيء».

أقول: ومثله خبر عبدالله بن سليمان عن أبي عبدالله عليه السلام كما رواه في البحار عن بصائر الدرجات في هذا الباب، بل قيل إن خبر محمد بن سنان يشير إلىٰ هذا.

في البحار[2]، عن بصائر الدرجات في نوادر محمد بن سنان قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «لا والله ما فوّض الله إلىٰ أحد من خلقه إلّا إلى الرسول وإلى الأئمة عليهم السلام فقال: **﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾**[3] وهي جارية في الأوصياء».

فقوله تعالىٰ: **﴿بما أراك الله﴾**، يشير إلىٰ هذا التفويض في الحكم بحسب اختلاف الموارد، في الموارد التي يفتون فيها بالاختلاف للتقية ونحوها هي التي

---

١ ـ سورة ص: ٣٩.

٢ ـ البحار ج ٢٥ ص ٣٣٤.

٣ ـ النساء: ١٠٥.

أراهم الله تعالىٰ فيها الحكم بالاختلاف.

وبعبارة أُخرىٰ: أن حكمه تعالىٰ قد يكون ظاهراً لكل أحد فلا خلاف فيه ولا يمكن الحكم فيه بالخلاف، وقد لا يكون ظاهراً كما في موارد التقية فحينئذ يحكم النبي ﷺ بما أراه الله تعالىٰ من الحكم في خصوص تلك الموارد؛ ولذا يقال: إنّ الحكم بالخلاف في الموارد مختصّ بالنبي ﷺ والأئمة عليهم السلام لعدم تيسّر هذه التوسعة لسائر الأنبياء والأوصياء فضلاً عن غيرهم من سائر البشر، بل كانوا مكلّفين بعدم التقية في بعض الموارد وإن أصابهم الضرر.

وبعبارة أُخرىٰ: ليس لغيرهم عليهم السلام الحكم بما يراه بحسب الظاهر تقيّة إلّا لهم عليهم السلام، نعم ما ورد عنهم عليهم السلام من الحكم بالتقية في الموارد التي بيّنوها، فلابد لنا من المشي علىٰ مقتضاها تقية والفتوىٰ بها هكذا، وهذا ليس هو المشي علىٰ طبق آرائنا بل هو المشي علىٰ طبق حكمهم عليهم السلام تقية كما لا يخفىٰ.

وكيف كان فهذا النحو من التفويض كانت لهم عليهم السلام بالأخبار المستفيضة، ومنها أن يقال: إنهم عليهم السلام مفوّضون في العطاء فإن الله تعالىٰ خلق لهم الأرض وما فيها وجعل لهم الأنفال والخمس والصفايا وغيرها، فلهم أن يعطوا ما شاءُوا ويمنعوا ما شاءُوا.

وإليه يشير ما في البحار عن الاختصاص وبصائر الدرجات بإسناده عن الثمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «من أحللنا له شيئاً أصابه من أعمال الظالمين فهو له حلال؛ لأن الأئمة منا مفوض إليهم، فما أحلّوا فهو حلال، وما حرّموا فهو حرام».

أقول: هذا ملحق بالتفويض في الموضوعات لا الأحكام الكلية كما لا يخفىٰ، وكيف كان فهذا لهم عليهم السلام أن يحلّلوا منها أو يحرّموا منها، كما لا يخفىٰ.

ومنها: أنه تعالىٰ أوحىٰ إليهم وعلّمهم جميع العلوم التي يحتاج إليها الخلق في ليلة المعراج للنبي ﷺ أو في ليالي القدر، أو بنحو بيّنوه في الأحاديث من القذف في

القلوب أو النقر في الأسماع، وان كانت علومهم عليهم السلام على أقسام كما تقدم من قول موسى بن جعفر عليه السلام «مبلغ علمنا على **ثلاثة وجوه**: ماض وغابر وحادث.

- **أما الماضي**: فمفسّر.
- **وأما الغابر**: فمزبور.
- **وأما الحادث**: فقذف في القلوب ونقر في الأسماع وهو أفضل علمنا ...الخ».

ثم إنه تعالى لمّا حمّلهم علومه هذه أعلمهم أيضاً جهات التحمل والتبليغ، فهم عليهم السلام المؤدّون إلى من أمروا بالأداء لا غيرهم، وحينئذ نقول: معنى التفويض لهم في أمر الدين أنه تعالى فوّض إليهم تبليغ ما أمرهم بتبليغه كما حدده وبيّنه لهم فهم عليهم السلام بأمره يعملون، ومع ذلك كله ليس الله تعالى قد رفع يده وقدرته عنهم بحيث يعملون ما يعملون بقدرتهم الاستقلالية وبإرادتهم المستقلة، فإن هذا كما علمت تفويض باطل وشرك صريح؛ لأن كل شيء من الخلق فإنما هو في قبضته تعالى ولا قوام له إلّا به تعالى حدوثاً وبقاءً.

وكيف كان فهم عليهم السلام حملة أمره ونهيه وعلمه بقدرته تعالى، وهم تراجمة وحيه بقدرته تعالى ومشيته تعالى، ومعنى التفويض لهم بهذا المعنى يرجع في الحقيقة إلى أنه تعالى قد خصّهم بهذا الأمر الذي فسّرناه دون غيرهم، بل غيرهم لا يقدر على ذلك كما لا يخفى وذلك لقربهم عليهم السلام إليه تعالى دون غيرهم كما تقدمت الإشارة إليه.

وأما **المسألة الثانية** أعني بيان أنه لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين.

فنقول: أولاً نذكر أحاديث الباب ثم نعقبه بما بيّنه العلماء وحسب ما يستفاد منها، وما ذكره العرفاء الشامخون في ذلك.

ففي توحيد الصدوق[١]، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن الله عزوجل خلق الخلق فعلم ما هم سائرون إليه وأمرهم ونهاهم، فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم

---

١ ـ توحيد الصدوق ص٣٥٩.

السبيل إلى الأخذ به، وما نهاهم عنه من شيء فقد جعل لهم السبيل إلىٰ تركه، ولا يكونون آخذين ولا تاركين إلّا بإذن الله».

وفيه بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من زعم أنّ الله تبارك وتعالىٰ يأمر بالسوء والفحشاء فقد كذب على الله، ومن زعم أنّ الخير والشر بغير مشيّة الله فقد أخرج الله من سلطانه، ومن زعم أنّ المعاصي بغير قوّة الله فقد كذب على الله، ومن كذب على الله أدخله الله النار».

وفيه عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام قالا: «إن الله عزوجل أرحم بخلقه من أن يجبر خلقه على الذنوب ثمّ يعذّبهم عليها، والله أعزّ من أن يريد أمراً فلا يكون، قال: فسئلا عليهما السلام هل بين الجبر والقدر منزلة ثالثة؟ قالا: نعم أوسع مما بين السماء والأرض».

وفيه عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: ذكر عنده الجبر والتفويض فقال: «ألا أعطيكم في هذا أصلاً لا تختلفون فيه ولا تخاصمون عليه أحداً إلّا كسرتموه؟ قلنا: إن رأيت ذلك، فقال: إن الله عزوجل لم يطع بإكراه ولم يعص بغلبة، ولم يهمل العباد في ملكه، هو المالك لما ملكهم، والقادر علىٰ ما أقدرهم عليه، فإن ائتمر العباد بطاعته لم يكن الله عنها صاداً ولا منها مانعاً، وإن ائتمروا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل وإن لم يحل وفعلوه فليس هو الذي أدخلهم فيه، ثم قال عليه السلام من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه».

وفيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين، قال: قلت: وما أمر بين أمرين؟ قال: مثل ذلك مثل رجل رأيته علىٰ معصية فنهيته فلم ينته فتركته ففعل تلك المعصية، فليس حيث لم يقبل منك أنت الذي أمرته بالمعصية».

قوله عليه السلام: «فليس حيث لم يقبل منك ... الخ».

أقول: وكذلك الله حيث نهى العبد عن المعصية فلم ينته، فتركه وخلّىٰ بينه وبين

عمله، ليس هو الذي أدخله فيها وأجبره عليها، فالله تعالىٰ خلّاه واختياره المعصية فلا جبر، وقادر علىٰ منعه إن شاء فلا تفويض؛ لأنه تعالىٰ قادر علىٰ منعه.

وفيه بإسناده عن الحسن بن علي الوشاء، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سألته فقلت له: الله فوّض الأمر إلى العباد؟ قال: «الله أعزّ من ذلك، قلت: فأجبرهم على المعاصي؟ قال: الله أعدل وأحكم من ذلك، ثم قال: قال الله عزوجل: يابن آدم أنا أولىٰ بحسناتك منك، وأنت أولىٰ بسيئاتك مني عملت المعاصي بقوّتي التي جعلتها فيك».

وفيه بإسناده عن مهزم قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «أخبرني عما اختلف فيه من خلّفت من موالينا، قال: قلت: في الجبر والتفويض، قال: فسلني، قلت: أجبر الله العباد على المعاصي؟ قال: الله أقهر لهم من ذلك، قال: قلت: ففوّض إليهم؟ قال: الله أقدر عليهم من ذلك، قال: قلت: فأي شيء هذا أصلحك الله؟ قال: فقلب يده مرّتين أو ثلاثاً، ثم قال: لو أجبتك فيه لكفرت».

قوله: «الله أقهر لهم من ذلك».

أقول: كأنّ القائل بالجبر يقول: إن الله تعالىٰ لو جعل عباده مختارين؛ لفات عنه إنفاذ مشيّته فيهم، كما ذهب إليه المفوّضة، فإن لازم قولهم: عدم نفوذ مشيّته تعالىٰ في أفعالهم فلابد من القول بالجبر لتنفذ مشيّته تعالىٰ فيهم وفي أفعالهم، ورده عليه السلام بقوله: «إن الله تعالىٰ أقهر لهم من ذلك»، فإن كون العبيد مختارين لا يلازم عدم نفوذها فيهم وفي أفعالهم، بل مع كونهم مختارين فالله تعالىٰ هو القاهر بل أقهر لهم؛ لأنه تعالىٰ يملكهم ويملك اختيارهم.

وأما قوله عليه السلام: «الله أقدر عليهم من ذلك» يريد منه أنه تعالىٰ لم يفوّض الأُمور إليهم بنحو يخرج أفعالهم عن حيطة قدرتهم تعالىٰ، بل هو أقدر عليهم دائماً فلازمه أنه جعلهم مختارين ومع ذلك أنهم وأفعالهم تحت قدرته تعالىٰ.

وأما قوله عليه السلام: «لو أجبتك لكفرت»، فسيأتي معناه.

وفي تفسير الميزان[١]، عن الاحتجاج فيما سأله عباية بن ربعي الأسدي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام في معنى الاستطاعة، فقال أمير المؤمنين عليه السلام «تملكها من دون الله أو مع الله؟ فسكت عباية بن ربعي، فقال له: قل ياعباية، قال: وما أقول ياأمير المؤمنين؟ قال: تقول تملكها بالله الذي يملكها من دونك، فإن ملككها كان ذلك من عطائه، وإن سلبكها كان ذلك من بلائه، هو المالك لما ملّكك، والقادر علىٰ ما عليه أقدرك»، الحديث.

وفيه عن شرح العقايد للمفيد (رحمة الله عليه) قال: وقد روي عن أبي الحسن الثالث عليه السلام أنه سئل عن أفعال العباد، أهي مخلوقة لله تعالىٰ؟ فقال عليه السلام «لو كان خالقاً لها لما تبرّأ منها وقد قال سبحانه: ﴿إنّ الله بريء من المشركين﴾[٢] ولم يرد البراءة من خلق ذواتهم وإنما تبرّأ من شركهم وقبائحهم».

وفيه عن الطرائف: روي أنّ رجلاً سأل جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن القضاء والقدر فقال: «ما استطعت أن تلوم العبد عليه فهو منه، وما لم تستطع أن تلوم العبد عليه فهو من فعل الله، يقول الله للعبد: لم عصيت؟ لِم فسقت؟ لِم شربت الخمر؟ لِم زنيت؟ فهذا فعل العبد، ولا يقول له: لِم مرضت؟ لِم قصرت؟ لِم ابيضضت؟ لِم إسوددت؟ لأنه من فعل الله تعالىٰ».

أقول: هذه بعض الأخبار الواردة في الباب، والمتحصّل منها يتوقف توضيحه علىٰ بيان أمر وهو أنه تعالىٰ له الملك الحقيقي لنفسه بالنسبة إلى الأشياء والخلق ملكيّة تامة غير ناقصة، فله التصرف في ملكه على الإطلاق، وهذا بخلاف مالكيّة الانسان لشيء فإنه إنما يصحّ في بعض التصرفات لا كلها كما حقق في محله.

وكيف كان فهو تعالىٰ يتصرّف في خلقه من غير أن يستتبع قبحاً أو ذمّاً أو لوماً؛ لأنّ هذا الاستتباع إنما يتحقق غالباً بالنسبة إلىٰ من لا يملك التصرف في

---

١ ـ تفسير الميزان ج١ ص١٠٠.

٢ ـ التوبة : ٣.

مملوكه على الاطلاق كما في المماليك العرفية، وأما هو تعالىٰ فإنه يتصرف في ملكه وهو تصرف من مالك حقيقي بنحو الاطلاق في مملوك حقيقي كذلك، ثم إن من المتراءى منه تعالىٰ أنه جرىٰ في معاملته مع خلقه مجرى العقلاء في المجتمع الانساني، وأمضىٰ طريقة العقلاء من تحسينهم الاحسان والمشي علىٰ طبق المصالح والمدح علىٰ ما هو ممدوح وتقبيحهم الظلم والمفاسد.

وبعبارة أخرىٰ: أنه تعالىٰ بنى في الأحكام الشرعية التي شرعها لعباده علىٰ ما يرعاه العقلاء.

ومن المعلوم أن أفعالهم معلّلة بأغراض عقلائية، وعليه تكون تشريفاتهم العرفية من مجازاة الإحسان بالإحسان والإساءة بالإساءة، ومن طريقتهم العقلائية أنهم لا يوجهون الحكم إلّا إلى المختار دون المضطر، ولا يرون حسناً في تكليف المضطر والمجبر بل يرونه قبيحاً إلّا فيما كان الاضطرار مستنداً إلىٰ سوء الاختيار كما حقق في محله، فحينئذ نقول المستفاد من تلك الأخبار هو أنه تعالىٰ مشىٰ في تشريعه علىٰ طريقة العقلاء، فحينئذ لو أجبر سبحانه عباده على الطاعات أو المعاصي لم يكن جزاء المطيع بالجنه والعاصي بالنار إلّا جزافاً في المطيع وظلماً في العاصي، وهما قبيحان عند العقلاء فعنده تعالىٰ أولىٰ.

وكيف كان فالتكاليف الشرعية ليست مبنيّة على الاجبار، بل كما أنها شرعت عن مصلحة لهم دنيويّاً وأخرويّاً أيضاً تكون متوجه إليهم من حيث كونهم مختارين، فهم يثابون عليها أو يعاقبون، إن خيراً فخير وإن شرّاً فشرّ، وأيضاً المستفاد من مشيه تعالىٰ علىٰ طريقتهم في التشريع هو أنّ التشريع كما لا يلايم الجبر، كذلك لا يلايم التفويض، إذ لا معنىٰ بالأمر والنهي المولويين فيما لا يملك المولىٰ من عنده شيئاً، مضافاً إلىٰ أن التفويض لا يتمّ إلّا مع سلب إطلاق الملك منه تعالىٰ عن بعض ما في ملكه، وقد علمت أنه تعالىٰ مالك الخلق على الإطلاق.

أقول: هذا هو مقتضى المستفاد من ظواهر الأخبار الواردة في الباب، وكأنه

بيان لما يجب علىٰ كل مسلم أن يعتقد في مسألة الجبر والتفويض بالأمر بين الأمرين بنحو تكون أحكامه الاعتقادية ما ذكر من لزوم إبقاء الله علىٰ قدرته وسلطنته، ومن عدم تحقق الجبر للعبد بل هو مختار، وإلّا لزم القبح منه تعالىٰ تعالى الله من ذلك، وكيف كان فما ذكر بيان للتكليف الشرعي في المسألة وما يجب الاعتقاد به.

وأما بيان حقيقة الأمر بين الأمرين فلم يذكر فيها إلّا بنحو الإجمال والإشارة كما في حديث عباية بن ربعي، وفي قوله مثل ذلك «مثل رجل رأيته علىٰ معصيته.. الخ»، وقوله «بما أوسع بما بين السماء والأرض»، فإنه يشير إجمالاً إلىٰ حقيقة خفيّة، بل لعلها لا يتحمّلها كثير من أفهام العقلاء، بل ربما أوجب لهم الكفر كما في حديث مهزم، فإن حقيقتها غامضة جداً لا تكاد تتّضح إلّا للعارف بالتوحيد الأفعالي كما لا يخفىٰ.

ثم إن القول في بيان حقيقته وإن كان غامضاً، إلّا انّا نشير إليه حسب ما ساعدنا التوفيق الإلهي، ونرجو منه تعالى الاعانة والاستمداد لفهمه.

إعلم أنهم اختلفوا في أن أفعال العباد الاختيارية واقعة بقدرتهم واختيارهم أم هي واقعة بقدرة الله تعالىٰ، مع الاتفاق علىٰ أنها أفعالهم لا أفعاله إذ القائم والقاعد والآكل والشارب وغير ذلك هو الانسان مثلاً، وإن كان الفعل مخلوقاً لله تعالىٰ فإن الفعل نسبته إلىٰ من قام به لا إلىٰ من أوجد.

أقول: هذا بالنظر إلىٰ ظاهر الأمر، وإلّا فيظهر أن الفعل مستند حقيقة إلىٰ من أوجد، وهو الله تعالىٰ وإلىٰ من قام به بالنظر الظاهري وبالتّبع، فتأمل.

فقال الشيخ أبو الحسن الأشعري: إن أفعال العباد كلّها بقدرة الله تعالىٰ لا بقدرة مخلوقاته، ولا تأثير لقدرة العبد في مقدوره أصلاً، بل الله سبحانه أجرىٰ عادته بأن يوجد في العبد قدرة واختياراً، ويوجد فعله المقدور مقارناً لهما، فيكون فعل العبد مخلوقاً لله تعالىٰ إبداعاً وإحداثاً ومكسوباً للعبد، والمراد بكسبه إيّاه مقارنته لقدرته وإرادته من غير أن يكون فيه تأثير أو مدخل في وجوده سوىٰ كونه محلّاً له، وقد

يمثل أمر الكسب بحمّال يحمل شيئاً ويذهب به ويضع آخر يده تحت الشيء المحمول من غير أن يكون لقوته وقدرته مدخلية في الحمل له والذهاب به، بل مجرد أن لو لم يحمل الحمّال لحمل هو، ولكن قد جرت عادة الحمّال بحمله، فهكذا يقولون: إن الله تعالىٰ أجرىٰ عادته بخلق الفعل مقارناً لقدرتنا وإرادتنا من غير أن يكون لهما مدخلية فيه، وبهذا الكسب يصححون الثواب والعقاب وغيرهما، وظاهر أن مجرد المقارنة مع عدم المدخلية والوقوع بمحض إرادة الله تعالىٰ وقدرته جبر محض، وقد التزمه هو وأصحابه.

وقال القاضي أبو بكر: إن ذات الفعل واقعة بقدرة الله تعالىٰ، وكون الفعل طاعة كالصلوٰة ومعصية كالزنا صفات للفعل بقدرة العبد.

وقال إمام الحرمين وأبو الحسين البصري: إن أفعال العباد واقعة بقدرة خلقها الله تعالىٰ في العبد، فهو تعالىٰ يوجد في العبد القدرة والإرادة، ثم تلك القدرة والإرادة توجبان وجود المقدور.

وقال استادهم أبو إسحق الاسفراني: المؤثر في الفعل مجموع قدرة الله تعالىٰ وقدرة العبد.

وقالت المعتزلة: العبد فاعل مستقل في الايجاد بلا مدخلية لإرادة الله سبحانه في فعل العبد، سوىٰ أنه تعالىٰ أوجد العبد وجعله صاحب إرادة مستقلة يفعل ما يشاء ويترك ما يريد، وهذا أيضاً تفويض محض وتشريك في الخالقية.

وفيهم ورد: أن القدرية مجوس هذه الأُمة، والله سبحانه أعز وأجلّ من أن يُجرى في ملكه شيء بغير إرادته كما ورد عن النبي ﷺ: «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن»، وقد حكي أنه دخل القاضي عبدالجبار دار الصاحب بن عبّاد، فرأى الاستاد أبا إسحق الاسفراني فقال: سبحان من تنزّه عن الفحشاء، فقال الاستاد: سبحان من لا يُجرى في ملكه إلّا ما يشاء.

وقال الحكماء والإمامية: لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين، وهو الحق

الذي لا مرية فيه ولا شبهة تعتريه، وهو المأثور عن أئمتنا الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين).

أقول: ولكل من الطرفين دليل وإيراد ونقض وإبرام مذكور في محله تفصيلاً واما إجمالاً فقد يقال للأشاعرة بأن ترك الفعل من العبد حال الفعل إن امتنع كان العبد مجبوراً فلا يكون الفعل باختياره، وإن لم يمتنع احتاج فعله إلىٰ مرجح، وإلّا لدار أو تسلسل ولا يكون من العبد لعود المحذور، فلا محالة يكون منه وهو معنى الجبر، وأُجيب بأن الاختيار في العبد هو استواء الطرفين بالنسبة إلى القدرة وحدها، وهذا لا ينافي وجوب أحدهما بسبب الإرادة، فمتىٰ حصل المرجّح وهو الداعي وتعلق الإرادة الجازمة وجب الفعل، ومتىٰ لم يحصل امتنع، وهذا غير مناف للقدرة؛ ولذا قالوا: الوجوب الاختياري لا ينافي الاختيار بل يحقّقه، وقد يقال للمعتزلة بالعقل والنقل:

أما الأول: فهو أن العبد إن لم يكن مختاراً ومتمكناً من الفعل والترك لقبح تكليفه وبيان الملازمة كبطلان التالي ظاهر.

وأما الثاني: فقوله تعالىٰ: **﴿من عمل صالحاً فلنفسه﴾**[1]، وقوله تعالىٰ: **﴿من يعمل سوءاً يُجز به﴾**[2]، وقوله تعالىٰ: **﴿كل امرِئ بما كسب رهين﴾**[3]، وقوله تعالىٰ: **﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾**[4]، وقوله تعالىٰ: **﴿اعملوا ما شئتم﴾**[5] وغير ذلك مما هو ظاهر في استناد الفعل إلى العبد من حيث إن له الاختيار والتمكّن، وعورض بالآيات الدالة علىٰ أنّ جميع الأفعال بخلق الله تعالىٰ

---

١ ـ فصلت : ٤٦.

٢ ـ النساء : ١٢٣.

٣ ـ الطور : ٢١.

٤ ـ الكهف : ٢٩.

٥ ـ فصلت : ٤٠.

كقوله تعالىٰ: ﴿الله خالق كل شيء﴾[١]، وقوله تعالىٰ: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾[٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿كلّ من عند الله﴾[٣].

وكيف كان فكل من الطرفين يستدلون بذكر السمعيات والعقليات، إلّا أنهم لم يأتوا بشيء، فالحق الحقيق هو ما ذكره الأئمة الطاهرون عليهم السلام من أنه لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين، فلابد من بيان ما به يظهر حقيقة هذا الأمر، فنقول وعليه التكلان: قد تحقق في محله أن فعله تعالىٰ هو الوجود المنبسط الذي في كل بحسبه، والنور الفعلي الذي استشرقت به الممكنات بلا فرق بينها، بمعنىٰ أن أولي الاختيار وذوي الاضطرار كلها متساوية الأقدام في هذا الاستشراق والانوجاد بذلك الوجود المنبسط، ثم إن فاعل هذا الوجود المنبسط لما كان واحداً بالوحدة الحقيقية بحيث لا ثاني له، فكذلك يكون فعله واحداً بوحدته كما حقق في محله، وحيث إن الممكنات بأسرها فقر محض ذاتاً فاحتياجها إلى الغنىٰ بالذات ـ في الوجود ـ ذاتية، ولا نفرّق فيها بين الجواهر والاعراض برمتها.

ومن المعلوم بالضرورة أنه لا يعطي الوجود إلّا ما هو بريء من كل الوجوه ممّا بالقوة، بل المعطي هو الحي القيوم أي المدرك الفعال الذي تكون قدرته فعلية بتمام الفعلية، ونافذة باختياره وإرادته وهو تعالىٰ عالم، أي يكون جميع الأشياء في علمه علماً حضورياً كيف لا والعلم ذاته؟ ولا يعزب عنه شيء من الممكنات في الأرض ولا في السماء، فتحقق أن الوجود كله في صقع الربوبية، واستقرّ طرّاً من إقليم الإلهية كما قال:

آفتاب وجود كرد اشراق   نور او سر بسر گرفت آفاق

---

١ ـ الرعد: ١٦.

٢ ـ الصافات: ٩٦.

٣ ـ النساء: ٧٨.

وبهذا النظر يقال: كل من عند الله، ثم إن اتصاف الممكنات بأسرها بالوجود أو نسبتها إلى الوجود، بناء علىٰ إن وجود الممكن هو المرتبة النازلة من الوجود المطلق، وأن المجعول والأصل هو الوجود، أو قلنا بأن الجعل متعلق بالمهية، فعلىٰ كل حال فالممكنات متكثرة الوجود ومتحصصة بالاضافة إلى الأعيان والمهيّات، فالتكثر إنما حصل للوجود من تكثرها لا من أصله بل هو واحد منبسط، فاللازم من هذا أن كل موجود بلحاظ وجوده ذو وجهين: وجه إلى الرب ووجه إلى النفس، وهذا لا يختص بذات الممكن بل فعل هذا الممكن وأثره اللاحق له أيضاً هو موجود من الممكنات، وقد اشتهر بحكم العقل والعرفان ـ أن كل موجود ممكن زوج تركيبي ـ فهذا الفعل الصادر من الوجود الكائن للفاعل له وجهان أيضاً، وحيث إنه من أثر الوجود وفي المرتبة المتأخرة عنه فهو بحقيقته وشؤونه تابع له، فالوجه الذي هو وجه إلى الرب مستند إلىٰ وجه ذلك الوجود إلى الرب ووجهه إلى النفس إلىٰ وجهه إلى النفس ـ الطيبات للطيبين والخبيثات للخبيثين ـ وحينئذ نقول: فبالنظر الأول الكل من عند الله لا شريك له في الايجاد والوجود من أن الوجود المنبسط واحد، وهو فعله تعالىٰ فعلاً بالوحدة الحقة الظلّية، وأما بالنظر الثاني أي بلحاظ تكثره باعتبار الأعيان والماهيات، فإذا أخذت ولوحظت باعتبار وجهها إلى الرب، فالفعل أيضاً مستند إلى الرب وإذا أُخذت باعتبار أوجهها إلىٰ أنفسها فالفعل مستند إليها، إلّا أن الوحدة الحقة الظلية قاهرة عليه، والرحمة أي الوجود المنبسط سابقة عليه، وليس هذا قولاً بالثنوية لأن الثنوي يقول بمبدأين مستقلين ونحن لا نقول به أما بلحاظ الوجه إلى الرب فمعلوم وأما بالنسبة الوجهة إلى النفس فلأنّ النفس وفعلها ونسبة فعلها إليه كلها مقهورة تحت الوحدة الحقة الظلية والوجود سابق عليه، وليس معنىٰ سبق الوجود عليه إلّا أن هذا الفعل وما نسب إليه من النفس ليس موجوداً أصيلاً، بل موجوداً تبعيّاً ورابطاً، بل ربطاً محضاً بحيث يكون قوامه بقيومه، بحيث لولاه لما كان، وهذا معنىٰ

قوله عليه السلام: فيما تقدم «هو المالك لما ملكهم، والقادر علىٰ ما أقدرهم»، كما لا يخفىٰ.

وبعبارة أُخرىٰ: أن أصل الفعل من حيث إنه وجود فهو كمال، ونحن بهذا اللحاظ أرجعناه إلى الكمال المطلق وإلى الوجه إلى الرب، ومن حيث محدوديته فهو نقص، وبهذا اللحاظ أرجعناه وأسندناه إلى النفس؛ لكونها أيضاً من هذه الجهة ناقصة فأين هذا من الثنوية؟

وبعبارة أُخرىٰ: أن المهية وإن كانت موجودة لكن وجودها كالانتزاعيات بمعنىٰ وجود منشإ انتزاعها بوجه، وهي أي المهية فانية في الوجود كفناء الجنس في الفصل لا تركيبها مع الوجود الحقيقي، يعني أنها مركبة مع الوجود الحقيقي كتركيب الجنس مع الفصل، ولكن إن حقيقة الشيء وتحقق الجنس إنما هو بفصله. فكذلك هذه المهية لا تحقق لها إلّا بالوجود، فمعنىٰ أنها فانية في الوجود هو أنه لا وجود لها مستقلاً في قبال الوجود؛ ولذا قيل: إن المهية من حيث هي هي ليست إلّا هي لا موجودة أي بالاستقلال ولا معدومة لا نوجودها بالوجود، وليس هذا وجوداً مستقلاً لها؛ ولذا قيل: إن المهيات والأعيان الثابتة ما شمّت رائحة الوجود، وكيف كان فهي فانية في الوجود الحقيقي، والوجود الحقيقي من حيث هو وجود لا يتحقق إلّا بين متحصل ولا متحصل إلا بين متحصلين كما حقق في محله. فالمتحصل هو الوجود واللامتحصل هو المهية وهي بالنسبة إليه فيء.

وبعبارة أُخرىٰ: أن التركيب من المهية والوجود أو من وجه الله ووجه النفس ليس تركيباً من شيء وشيء بل من شيء وفيء.

وبعبارة أُخرىٰ: ليس في الممكنات إلّا شيء، وتحقق الشيء أي شيء ممكن ذاتاً، وتحقق ذلك الشيء الممكن بالوجود، وتحقق الشيء هو مذوته أي المعطى له الذات، فالموجودات والممكنات تأثيرها في أفعالها بلحاظ ذاتها، وذاتها هي العطية التي أُعطيت لهذا الشيء من الوجود وبدونه لا ذات له. فالشيء بها أي بهذه الذات يكون هو هو، وهذه الذات من الوجود، وهذا معنىٰ ما قيل: من أنّ ذوات الأسباب

لا تعرف إلّا بأسبابها، أي أنه ما يفرض سبباً لشيء - لابدّ وأن يعرف ذاتها وأنها أي هذه الذوات ما سببها، فلو قيل: إن الفعل سببه العبد واختياره فلابد من معرفة ذات هذا السبب، ومعرفة أسباب هذه الذات للسبب، فإذا علمت أنّ الفعل من حيث استناده إلىٰ وجه الرب ففاعله هو تعالىٰ، ومن حيث استناده إلىٰ وجهة النفس ففاعله، وإن كانت النفس والمهية، إلّا أنه إذا عرف أن هذه الذات ذات النفس تكون مذوته الوجود إلى الوجه إلى الرب، فحينئذ لا تحقق لها في قبال الوجود، بل هي فانية فيه، فتأمل تعرف.

فتحصل أن الأمر بين الأمرين هو فعل بسيط محض، بمعنىٰ أنه تسخير محض في كونه اختياراً محضاً، واختيار بحت في كونه تسخيراً محضاً.

وبعبارة أخرىٰ: الفعل الواقع في الخارج أمر بسيط وحداني، إلّا أنه بلحاظ الوجود الذي هو جهة الرب فهو تسخير محض ليس للعبد فيه شيء، وبلحاظ استناده إلى العبد واختياره فهو اختيار محض، وكل من التسخير والاختيار مخلوط في هذا الفعل الوحداني بالنحو البسيط لا المركب، فالفعل فعل واحد إلّا أنه بلحاظ فاعله الحقيقي وفاعله القابلي يلاحظ التسخير والاختيار، إلّا أنّ اختياره تحت تسخير المولىٰ، ولا ينافي هذا في كونه اختيارياً، وقد حقق في محلّه أنّ الإيجاب بالاختيار لا ينافي الاختيار، أي ان تسخيره تعالىٰ له لا ينافي اختياره، إذ في هذه الصورة يصدق أن العبد شاء وفعل، والإيجاب المنافي للاختيار هو إيجاب الفواعل بالطبع كإيجاب النار للإحراق مثلاً.

والحاصل: أن المعتبر في الفعل الاختياري أن يكون مسبوقاً بقدرة العبد واختياره، ويكون لهما مدخلية في وجود الفعل من العبد. وأما كون قدرته واختياره بقدرته واختياره فلا، والقادر هو الذي إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل، لا الذي إن شاء شاء وإن لم يشأ لم يشأ، أي ان شاء شاء مستقلاً بدون قاهرية مشية عليه، وإن لم يشأ لم يشأ، أي لم يتحقق مطلقاً بحيث لا يكون هناك قادر علىٰ إيجاد ما لم يشأه هذا

العبد، وأيضاً ليس القادر الذي لم يجب فيه وفي فعله المشية والقدرة أو الفعل من شاء وقادر وفاعل فوقه، بل ولو وجب الكل أي كل هذه فإنه حينئذ إذا كان الفعل منه أي من العبد مسبوقاً باختياره صدق أنه القادر، وإن كان هو وقدرته واختياره تحت إيجاب الغير مثلاً، ثم إن اختيارية العبد في فعله وانه قادر فيه لا يقدح في قدرة الرب واختياريته بدعوىٰ لزوم ذلك الاشتراك في القدرة منه تعالىٰ ومن العبد في تحقق الفعل، فلا يكون هو تعالىٰ مستقلاً بالقدرة والاختيار، وذلك لأن المشية والقدرة ليستا أحدية التعلق بحيث لا يصحّ تحققها إلّا منه تعالىٰ مثلاً إذ إنه في الفرض أي في فرض كون العبد مختاراً وقادراً يصدق بالنسبة إليه تعالىٰ في هذا الفعل للعبد أنه تعالىٰ لو لم يشأ لم يفعل، وإن كان الفعل حينئذ واقعاً من العبد باختياره وقدرته؛ لأن صدق الشرطية إنما هو بصدق الملازمة لا بصدق طرفيها كما حقق في محله، فهو تعالىٰ في حال فعل العبد واختياره له وقدرته عليه إن شاء لم يفعل، ولا يقع الفعل من العبد؛ لأنه هو وفعله وقدرته واختياره مسخر تحت قدرته تعالىٰ واختياره كما سبق.

فمنه يظهر أن حقيقة قدرة العبد واختياره ليس كحقيقة قدرة الرب تعالىٰ واختياره، فإن قدرته تعالىٰ واختياره ليستا تحت قدرة أحد واختياره، بل هو مستقل فيها بخلافهما في العبد فإنهما وإن صحّ استنادهما إليه، إلّا أنه في حال انتسابهما إلى العبد تكونان تحت قدرة الرب تعالىٰ واختياره، ومما يوضح لك هذا وجداناً أنك ترىٰ أنّ قدرة الرب واختياره نافذان ولو قد قام علىٰ خلافهما الثقلان.

وبعبارة أخرىٰ: أنه تعالىٰ لا يعجزه شيء إذا اختار شيئا أو أنفذ قدرته، وهذا بخلاف قدرة العبد واختياره فإنهما في عين تحققهما في العبد يكونان مقهورين لقدرته تعالىٰ واختياره، بل لقدرة غيره تعالىٰ ممن هو أقدر في الأُمور وأقدم في إعمال اختياره، ويظهر مما ذكر أنه ليس معنى الأمر بين الأمرين أنه مركب من الجبر

والتفويض بأن يكون فيه شوب من هذا وشوب من ذاك كالحرارة الفاترة إذ فيها شيء من الحرارة وشيء من البرودة، بل هو أمر بسيط محقق في الوجود أوسع ما بين السماء والأرض أي شامل لهما ولما فيهما، وإنما الكلام في دواعي هذا الأمر البسيط وقد علمت توضيحه.

انتهى الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس مبدوءًا بـ«وقلبي لكم مسلّم..»

فهرس الموضوعات